موسوعة الإمام الحسين عليه السلام

في الكتاب والسنة والتاريخ

(المقاتل)

محمد الريشهري

المجلد العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم



سرشناسه : محمدی - ری شهری، ۱۳۲۵ -
عنوان ونام پدیدآور : موسوعه الامام الحسین (ع) فی الکتاب والسنّه والتّاریخ / محمدالریشهری، بمساعدة السیّدمحمود الطباطبائی نژاد،السیّدروح اللّه السیّدالطبائی؛ التحقیق قسم تدوین السیره مرکز بحوث دارالحدیث .
مشخصات نشر : قم : موسسه دارالحدیث العلمیه والثقافیه، مرکز الطباعه والنشر، ۱۴۳۱ق.= ۱۳۸۹.
مشخصات ظاهری : ج.
فروست : مرکز بحوث دارالحدیث؛ ۲۴۴
ISBN(set): 978 - 964 - 493 - 519 - 0
ISBN : 978 - 964 - 493 - 723 - 1
یادداشت : عربی.
یادداشت : ج. (چاپ دوم : ۱۴۳۳ ق. = ۱۳۹۱)
یادداشت : ج. ۱۰-۱۲ (چاپ اول : ۱۴۳۴ ق. = ۱۳۹۲)(فیپا).
یادداشت : کتابنامه .
موضوع : حسین بن علی (ع)، امام سوم، ۴-۶۱ ق .
موضوع : واقعه کربلا، ۶۱ ق .
شناسه افزوده : طباطبائی نژاد، محمود، ۱۳۴۰ -
شناسه افزوده : سیّد طبایی، سیّد روح الله، ۱۳۴۳-
شناسه افزوده : دارالحدیث. مرکز تحقیقات. قسم تدوین السیره
شناسه افزوده : موسسه علمی - فرهنگی دارالحدیث. سازمان چاپ ونشر
رده بندی کنگره : ۱۳۸۹ ۸م۳۴۳۵م/۴۱/۴ BP
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۳۴
شماره کتابشناسی ملی : ۲۹۱۰۹۲۲

موسوعة الإمام الحسين عليه السلام

في الكتاب والسنة والتاريخ

(المقاتل)

محمد الري شهري

بمساعدة:

السيد محمود الطباطبائي نژاد . السيد روح الله السيد الطباني

المجلد العاشر



موسوعة الإمام

محمّد الرّيشهري

المساعدان: السيّد [illegible]

التحقيق: قسم «تدوين السيرة» في مركز بحوث دارالحديث
تقويم النصّ: على الأنصاري (الحميداوي)
مقابلة النصّ: أمير حسين ملك‌پور، رعد البهبهاني، عبد الكريم الحلفي
المقابلة المطبعية: محمّد علي الدباغي، علي‌نقي نگران، السيّد هاشم الشهرستانيّ، محمود سپاسي
الإشراف وتنسيق الطباعة: محمّد باقر النجفي
الإخراج الفني: السيّد عليّ موسوي‌كيا
صفّ الحروف: حسين أفخميان
الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر
الطبعة: الاولى، ١٤٣٤ ق / ١٣٩٢ ش
المطبعة: دارالحديث
الكمية: ٥٠٠

ايران: قم المقدسة، شارع معلّم، الرقم، ١٢٥ هاتف: ٣٧٧٤٠٥٤٥ ـ ٣٧٧٤٠٥٢٣ - ٠٢٥
http://darolhadith.ir ISBN(set): 978 - 964 - 493 - 519 - 0
darolhadith.20@gmail.com ISBN: 978 - 964 - 493 - 723 - 1

* جميع الحقوق محفوظة للناشر *

الفهرس الإجمالي

المدخل ٧

الفصل الأوّل : مقتل سيّد الشهداء برواية تاريخ الطبري ١١

الفصل الثاني : مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب الإرشاد للمفيد ١٥٥

الفصل الثالث : مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب الفتوح ٢٢٩

الفصل الرابع : مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب الملهوف ٣٤٣

الفصل الخامس : مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب الأمالي للصدوق ٤١٧

الفصل السادس : مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب مقاتل الطالبيين ٤٥١

الفصل السابع : دور المرأة في واقعة كربلاء ٤٨٥

المَدْخَل

بعد نشر موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في تسعة أجزاء، اقتُرح علينا نشر النصوص والمصادر التأريخية والروائية الأساسيّة لواقعة الطفّ ومقتل سيّد الشهداء عليه السلام كاملةً متسلسلة، وذلك في جزء يُلحق بالموسوعة. فتمّت الموافقة على الاقتراح المذكور كي يواكب الباحثون التطوّرات التاريخية ودقائق أحداث كربلاء وترتيبها من منظار النصوص القديمة.

وفيما يلي نضع بين يدي القارئ ستّةً من أهمّ المصادر المشار إليها، نذكرها حسب شموليتها وأهميّتها في ستّة فصول. ونظراً لدور المرأة المؤثّر في واقعة عاشوراء ألحقنا فصلاً آخر خصّصناه بهذا البحث، فصارت سبعة فصول بالنحو الآتي:

الفصل الأوّل ـ مقتل سيّد الشهداء برواية أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه

يعتبر تاريخ الطبري من أهمّ المصادر التي أرّخت أحداث الإسلام، بما فيها حادثة عاشوراء الأليمة. والنقطة المهمّة في رواية الطبري لهذه الحادثة هي جعل نصوص بعض المقاتل الموثّقة والمفقودة (نظير مقتل أبي مخنف) في اختيار الباحثين، وذكر بعض التفاصيل التي أهملتها المصادر الأُخرى، بحيث لا يستغني عنها باحث في هذا المجال.

الفصل الثاني ـ مقتل سيّد الشهداء برواية الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في كتاب الإرشاد:

على الرغم من أنّ المصدر الرئيسي لرواية الشيخ المفيد ـ نظير الطبري ـ هو مقتل أبي مخنف، إلّا أنّ بين الروايتين اختلافات مهمّة. وإجمالاً فرواية الطبري الكاتب السنّي البارز، ورواية الشيخ المفيد الكاتب الشيعي البارز، تمثّلان مصدرين كاملين وموثّقين لواقعة عاشوراء، ممّا يغنيان القارئ عن المصادر الأُخرى في هذا المضمار، نظير أنساب الأشراف.

الفصل الثالث ـ مقتل سيّد الشهداء برواية أبي عبد الله أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) في كتاب الفتوح:

على الرغم من أنّ الكتاب على غرار المصادر الأُخرى، نظير تاريخ الطبري والإرشاد للمفيد، إلّا أنّه من المصادر التأريخية القديمة المهمّة لأحداث عاشوراء، حيث انفرد بنقل بعض الروايات، وكان له الأثر البالغ في المصادر اللاحقة له، وخاصّة المقتل للخوارزمي والملهوف للسيّد ابن طاووس.

الفصل الرابع ـ مقتل سيّد الشهداء برواية السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) في كتاب الملهوف:

حظي هذا المقتل بترحيب واسع في أوساط المجتمع الشيعي؛ نظراً للطافة أُسلوبه وشخصية مؤلفه المرقومة؛ ولهذا نقلناه كاملاً في هذا الكتاب.

الفصل الخامس ـ مقتل سيّد الشهداء برواية أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه المعروف بالصدوق (ت ٣٨١هـ) في كتاب الأمالي:

ذكر الشيخ الصدوق أحداث كربلاء في ضمن الروايات المنقولة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وضمّ ما رواه في هذا المجال نقاطاً مهمّة للباحثين على الرغم من اختصاره.

الفصل السادس ـ مقتل سيّد الشهداء برواية أبي الفرج عليّ بن الحسين الأُموي الإصفهاني (ت٣٥٦هـ) في كتاب مقاتل الطالبيين:

من أسباب اختيار نصوص هذا الكتاب: كونها موثّقة ومن مصدر قديم معتبر اشتمل على نقاط جديدة على الرغم من قصرها في عرض أحداث عاشوراء.

الفصل السابع ـ دور المرأة في واقعة عاشوراء:

للمرأة دور مؤثر في واقعة عاشوراء لم نتعرّض له في موسوعة الإمام الحسين عليه السلام مستقلاً، وخصّصنا الفصل السابع من هذا الملحق به.

وهنا نذكّر ببعض النقاط المهمّة فيما يتعلّق بهذا الجزء:

١. هناك مصادر كثيرة روت حادثة عاشوراء كاملة، ولكنّ المعيار في اختيار المصادر المذكورة هو: القدم التأريخي، والقيمة العلمية، والشمولية، واتّصال المطالب، وكونها من مصادر الكتب الأُخرى، وكثرة الاستناد إليها في موسوعة الإمام الحسين عليه السلام.

٢. ذُكرت معلومات كثيرة من المقاتل الستّة متفرّقة وتحت عناوينها الخاصّة في موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، أو أُشيرَ إليها في الهوامش.

٣. بعض النصوص المروية في المقاتل المشار إليها لم نوردها في موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: إمّا للإشكال في محتواها، أو لكونها قليلة الفائدة، أو لتعرّضها للنقد، ولم نذكر نصّها بأكمله في هذا الجزء؛ إلّا للفائدة المترتّبة على تقديم نصّ كامل متّصل، ولا يعني أبداً تأييد جميع ما جاء فيها.

٤. لكي يتمكّن القرّاء من الحصول على نصّ كامل مفصّل للمقاتل الستّة المذكورة والتي تمّ تقطيعها في موسوعة الإمام الحسين عليه السلام لاقتضاء الضرورة، فقد

أوردنا نصوص المقاتل من نفس نسخها المطبوعة والمعتمدة في الموسوعة، وأثبتنا أرقام صفحات المصدر الأصلي في حاشية الصفحة.

٥. ألفاظ التحيّة في المصادر نُقلت كما هي من دون تغيير، مثل (رضي الله عنه) بعد اسم المعصوم، خلافاً للأُسلوب المتعارف في الموسوعة.

ختاماً نرجو أن يكون هذا الجزء من موسوعة الإمام الحسين عليه السلام نافعاً أيضاً للباحثين ولجميع القرّاء الكرام.

محمّد الرَّيشهري

٢٣/٣/١٣٩٢هـ.ش

الموافق للرابع من شعبان ١٤٣٤هـ.ق

الفصل الأوّل

مَقْتَلُ سَيِّدِ الشُّهَداءِ بِرِوايَةِ تارِيخِ الطَّبَرِيِّ

تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك) لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ. ق)، من المؤرّخين والمفسّرين والمحدّثين البارزين لأهل السنّة، وقد ألّف أضخم الكتب التاريخيّة حتّى عصره. ويبدأ هذا الكتاب برواية تاريخ الأنبياء، وكذلك تاريخ إيران قبل الإسلام، وبعد ذكر الأحداث حتّى هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله، عمد إلى نقل الأحداث المهمّة في القرون الثلاثة الأُولى من تاريخ الإسلام حسب تسلسل التاريخ الهجري.

يعتبر تاريخ الطبري وخاصّة القسم المتعلّق بالعامين ٦٠ و ٦١ هجريّة، من المصادر القَيّمة لتاريخ كربلاء، خاصّة وأنّه يمثّل طريقنا الرئيس والكامل تقريباً للوصول إلى مقتل أبي مخنف المهمّ، وكذلك مقتل هشام الكلبي. ورغم أنّ هشام الكلبي نقل عن مقتل أبي مخنف، إلّا أنّه ضمّ أخباراً تزيد على ما نقله أبو مخنف بسبب الإسناد الآخر الذي وصله. وبذلك يضع أمامنا عدداً كبيراً من الأخبار الموثّقة بالإضافة إلى ما نقله الطبري عن الواقدي، المؤرّخ المعروف والقديم لتاريخ صدر الإسلام، وكذلك ما رواه عمّار الدهني عن الإمام الباقر عليه السلام، فيضع أمامنا عدداً كبيراً من الأخبار الموثّقة والتي يمكن تأييد مقدار كبير منها بالوثائق التاريخية الأُخرى.

واوردنا هنا ما ذكره الطبري من الحوادث المتعلقة بالإمام الحسين عليه السلام تحت عنوان «العامين ٦٠ و ٦١ للهجرة» وبشكل متصل[١]. و تبدأ هذه الحوادث من خلافة يزيد و تنتهي برواية رثاء عبيد الله بن الحر لشهداء كربلاء.

٣٣٨/٥ • **خلافة يزيد بن معاوية**

وفي هذه السنة بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه، للنصف من رجب في قول بعضهم، وفي قول بعض: لثمان بقين منه على ما ذكرنا قبل من وفاة والده معاوية فأقرّ عبيد الله بن زياد على البصرة، والنعمان بن بشير على الكوفة.

وقال هشام بن محمّد، عن أبي مخنف، ولي يزيد في هلال رجب سنة ستّين، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وأمير البصرة عبيد الله بن زياد، وأمير مكّة عمرو بن سعيد بن العاص، ولم يكن ليزيد همّة حين ولي إلّا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وإنّه وليّ عهده بعده، والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين، إلى الوليد بن عتبة، أمّا بعد؛ فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوّله ومكّن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات برّاً تقيّاً، والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنّها أُذن فأرة:

أمّا بعد، فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتّى يبايعوا، والسلام.

---

١. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٣٨ ـ ٤٧١.

فلمّا أتاه نعي معاوية فظع به، وكبر عليه، فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه ـ وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارهاً ـ فلمّا رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان، فجلس عنه وصرمه، فلم يزل كذلك حتّى جاء نعي معاوية إلى الوليد، فلمّا عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هـؤلاء الرهط بالبيعة، فزع عند ذلك إلى مروان، ودعاه، فلمّا قرأ عليه كتاب يزيد، استرجع وترحّم عليه، واستشاره الوليد في الأمر، وقال: كيف ترى أن نصنع؟

٣٣٩/٥ •قال: فإنّي أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدّمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنّهم إن علموا بموت معاوية وثب كلّ امرئ منهم في جانب، وأظهر الخلاف والمنابذة، ودعا إلى نفسه لا أدري؛ أمّا ابن عمر فإنّي لا أراه يرى القتال، ولا يحبّ أنّه يُوَلَّى على الناس، إلّا أن يدفع إليه هذا الأمر عفواً.

فأرسل عبدالله بن عمرو بن عثمان ـ وهو إذ ذاك غلام حدث ـ إليهما يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا، الأمير يدعوكما!

فقال له: انصرف، الآن نأتيه، ثمّ أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبدالله بن الزبير للحسين: ظُنّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها!

فقال حسين: قد ظننت، أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر، فقال: وأنا ما أظنّ غيره، قال: فما تريد أن تصنع؟

قال: أجمع فتياني الساعة، ثمّ أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه، ثمّ دخلت عليه.

قال: فإنّي أخافه عليك إذا دخلت، قال: لا آتيه إلّا وأنا على الامتناع قادر.

فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته، ثمّ أقبل يمشي حتّى انتهى إلى باب الوليد، وقال لأصحابه: إنّي داخل، فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا، فاقتحموا عليَّ بأجمعكم، وإلّا فلا تبرحوا حتّى أخرج إليكم.

فدخل فسلّم عليه بالإمرة ومروان جالس عنده، فقال حسين ـ كأنّه لا يظنّ ما يظنّ من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما! فلم يجيباه في هذا بشيء، وجاء حتّى جلس، فأقرأه الوليد الكتاب، ونعى له معاوية، ودعاه إلى البيعة.

فقال حسين: إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! ورحم الله معاوية، وعظّم لك الأجر! أمّا ما سألتني من البيعة فإنّ مثلي لا يعطي بيعته سرّاً ولا أراك تجتزئ بها منّي سرّاً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية. قال: أجل. ٣٤٠/٥

قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس، فكان أمراً واحداً. فقال له الوليد ـ وكان يحبّ العافية: فانصرف على اسم الله حتّى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان: والله، لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتّى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه!!

فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟! كذبت والله وأثمت، ثمّ خرج فمرّ بأصحابه، فخرجوا معه حتّى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله، لا يمكّنك من مثلها من نفسه أبداً.

قال الوليد: وبّخ غيرك يا مروان! إنّك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله، ما أُحبّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأنّي قتلت

حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال: لا أُبايع؟! والله، إنّي لا أظنّ امرءاً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه.

وأمّا ابن الزبير، فقال: الآن آتيكم، ثمّ أتى داره فكمن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرّزاً، فألحّ عليه بكثرة الرسل والرجال في أثر الرجال.

فأمّا حسين فقال: كفّ حتّى تنظر وننظر، وترى ونرى.

وأمّا ابن الزبير فقال: لا تعجلوني فإنّي آتيكم، أمهلوني، فألحّوا عليهما عشيّتهما تلك كلّها وأوّل ليلهما، وكانوا على حسين أشدّ إبقاء.

وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالي له فشتموه وصاحوا به: يا بن الكاهلية، والله، لتأتينّ الأمير أو ليقتلنّك، فلبث بذلك نهاره كلّه وأوّل ليله يقول: الآن أجيء، فإذا استحثّوه قال: والله، لقد استربت بكثرة الإرسال، وتتابع هذه الرجال، فلا تعجلوني حتّى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير، فقال: رحمك الله! كفّ عن عبدالله، فإنّك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله، فَمُر رسلَكَ فلينصرفوا عنّا، فبعث إليهم فانصرفوا، وخرج ابن الزبير من تحت الليل، فأخذ طريق •الفرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنّب الطريق الأعظم مخافة الطلب، وتوجّه نحو مكّة. ٣٤١/٥

فلمّا أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج، فقال مروان: والله، إن أخطأ مكّة، فسرّح في أثره الرجال، فبعث راكباً من موالي بني أُميّه في ثمانين راكباً، فطلبوه فلم يقدروا عليه، فرجعوا، فتشاغلوا عن حسين بطلب عبدالله يومهم ذلك حتّى أمسوا،

ثمّ بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال: أصبحوا، ثمّ ترون ونرى، فكفّوا عنه تلك الليلة، ولم يلحّوا عليه، فخرج حسين من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستّين.

وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة، خرج ليلة السبت، فأخذ طريق الفرع، فبينا عبدالله بن الزبير يساير أخاه جعفراً إذ تمثّل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

وكــلّ بـني أُمّ سَـيُمسُون ليـلةً ولم يَبقَ من أعقابِهم غَيرُ واحد

فقال عبدالله: سبحان الله! ما أردت إلى ما أسمع يا أخي؟! قال: والله يا أخي، ما أردت به شيئاً ممّا تكره، فقال: فذاك والله أكره إليَّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمّد ـ قال: وكأنّه تطيّر منه.

وأمّا الحسين فإنّه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته، إلّا محمّد بن الحنفية، فإنّه قال له: يا أخي، أنت أحبّ الناس إليَّ، وأعزّهم عليَّ، ولستَ أدَّخر النصيحة لأحد من الخلق أحقّ بها منك، تنحّ بتبعتك عن يزيد بـن مـعاوية وعـن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينـك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إنّي أخاف أن تدخل مـصراً مـن هـذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة مـعك، وأخـرى عليك، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة، فإذا خير هذه الأُمّة كلّها نـفساً وأبـاً، وأُمّـاً أضيعها دماً وأذلّها أهلاً.

٣٤٢/٥ قال له الحسين: فإنّي ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكّة، فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نَبَتْ بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتّى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنّك أصوب ما تكون

رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأُمور استقبالاً، ولا تكون الأُمور عليكأبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً.

قال: يا أخي، قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفّقاً.

قال أبو مخنف: وحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعد المقبري، قال: نظرت إلى الحسين داخلاً مسجد المدينة، وأنّه ليمشي وهو معتمد على رجلين، يعتمد على هذا مرّة وعلى هذا مرّة، وهو يتمثّل بقول ابن مفرغ:

لا ذَعَرتُ السوامَ في فَلَق الصبحِ مُغيراً ولا دُعيتُ يَزيدا

يَومَ أُعطَى من المهابةِ ضَيماً والمنايا يَرصُدَنني أن أحيدا

قال: فقلت في نفسي: والله، ما تمثّل بهذين البيتين إلّا لشيء يريد، قال: فما مكث إلّا يومين حتّى بلغني أنّه سار إلى مكّة.

ثمّ إنّ الوليد بعث إلى عبدالله بن عمر فقال: بايع ليزيد، فقال: إذا بايع الناس بايعت، فقال رجل: ما يمنعك أن تبايع؟ إنّما تريد أن يختلف الناس فيقتتلوا ويتفانوا، فإذا جهدهم ذلك قالوا: عليكم بعبدالله بن عمر، لم يبق غيره، بايعوه! قال عبدالله: ما أُحبّ أن يقتتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانوا، ولكن إذا بايع الناس ولم يبقَ غيري بايعت، قال: فتركوه وكانوا لا يتخوّفونه.

٣٤٣/٥ قال:• ومضى ابن الزبير حتّى أتى مكّة وعليها عمرو بن سعيد، فلمّا دخل مكّة قال: إنّما أنا عائذ، ولم يكن يصلّي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، كان يقف هو وأصحابه ناحية، ثمّ يفيض بهم وحده، ويصلّي بهم وحده.

قال: فلمّا سار الحسين نحو مكّة، قال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فلمّا دخل مكّة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد

وفي هذه السنة عزل يزيدُ الوليدَ بن عتبة عن المدينة، عزله في شهر رمضان، فأقرّ عليها عمرو بن سعيد الأشدق.

وفيها قدم عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان، فزعم الواقدي أنّ ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد على الوليد، وأنّ ابن الزبير والحسين لما دُعيا إلى البيعة ليزيد أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكّة، فلقيهما ابن عبّاس وابن عمر جائيين من مكّة، فسألاهما، ما وراءكما؟

قالا: موت معاوية والبيعة ليزيد، فقال لهما ابن عمر: اتّقيا الله ولا تفرّقا جماعة المسلمين، وأمّا ابن عمر فقدم فأقام أيّاماً، فانتظر حتّى جاءت البيعة من البلدان، فتقدّم إلى الوليد بن عتبة فبايعه، وبايعه ابن عبّاس.

وفي هذه السنة وجّه عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير إلى أخيه عبدالله بن الزبير لحربه.

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر محمّد بن عمر أنّ عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قدم المدينة في رمضان سنة ستّين، فدخل عليه أهل المدينة، فدخلوا على رجل عظيم الكبر مفوّه.

٣٤٤/ قال •محمّد بن عمر: حدّثنا هشام بن سعيد، عن شيبة بن نصاح، قال: كانت الرسل تجري بين يزيد بن معاوية وابن الزبير في البيعة، فحلف يزيد ألّا يقبل منه حتّى يؤتى به في جامعة، وكان الحارث بن خالد المخزومي على الصلاة، فمنعه ابن الزبير، فلمّا منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد، أن ابعث جيشاً إلى ابن الزبير، وكان عمرو بن سعيد لمّا قدم المدينة ولّى شرطته عمرو بن الزبير، لما كان يعلم ما بينه وبين عبدالله بن الزبير من البغضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً.

قال محمّد بن عمر: حدّثني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: نظر إلى كلّ من كان يهوى هوى ابن الزبير فضربه، وكان ممّن ضرب المنذر بن الزبير، وابنه محمّد بن المنذر، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام، وخبيب بن عبدالله بن الزبير، ومحمّد بن عمّار بن ياسر، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستّين، وفرّ منه عبد الرحمن بن عثمان، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أُناس إلى مكّة، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير: مَن رجل نوجّه إلى أخيك؟

قال: لا توجّه إليه رجلاً أبداً أنكأ له منّي! فأخرج لأهل الديوان عشرات، وخرج من موالي أهل المدينة ناس كثير، وتوجّه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمئة، فوجّهه في مقدّمته، فعسكر بالجرف، فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال: لا تغز مكّة، واتّق الله، ولا تحلّ حرمه البيت، وخلّوا ابن الزبير فقد كبر، هذا له بضع وستّون سنة، وهو رجل لجوج، والله، لئن لم تقتلوه ليموتنّ، فقال عمرو بن الزبير: والله، لنقاتلنّه ولنغزونّه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم.

فقال مروان: والله، إنّ ذلك ليسوءني، فسار أنيس بن عمرو الأسلمي حتّى نزل بذي طوى، وسار عمرو بن الزبير حتّى نزل بالأبطح، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه: برّ يمين الخليفة، واجعل في عنقك جامعة من فضّة لا تُرى، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً، واتّق الله فإنّك في بلد حرام.

قال ابن الزبير: موعدك المسجد، فأرسل ابن الزبير عبدالله بن صفوان الجمحي • ٣٤٥/٥
إلى أنيس بن عمرو من قبل ذي طوى، وكان قد ضوى إلى عبدالله بن صفوان قوم ممّن نزل حول مكّة، فقاتلوا أنيس بن عمرو، فَهُزِمَ أنيس بن عمرو أقبح هزيمة، وتفرّق عن عمرو جماعة أصحابه، فدخل دار علقمة، فأتاه عبيدة بن الزبير فأجاره، ثمّ جاء إلى عبدالله بن الزبير فقال: إنّي قد أجرته، فقال: أ تجير من حقوق الناس؟!

هذا ما لا يصلح.

قال محمّد بن عمر: فحدّثت هذا الحديث محمّد بن عبيد بن عمير، فقال: أخبرني عمرو بن دينار، قال: كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد: أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش، وابعثه إلى ابن الزبير، وابعث معه أنيس بن عمرو، قال: فسار عمرو بن الزبير حتّى نزل في داره عند الصفا، ونزل أنيس بن عمرو بذي طوى، فكان عمرو بن الزبير يصلّي بالناس، ويصلّي خلفه عبدالله بن الزبير، فإذا انصرف شبّك أصابعه في أصابعه، ولم يبق أحد من قريش إلّا أتى عمرو بن الزبير، وقعد عبدالله بن صفوان، فقال: ما لي لا أرى عبدالله بن صفوان؟! أما والله، لئن سرت إليه ليعلمنَّ أنّ بني جمح ومن ضوى إليه من غيرهم قليل.

فبلغ عبدالله بن صفوان كلمته هذه، فحرّكته، فقال لعبدالله بن الزبير: إني أراك كأنّك تريد البقيا على أخيك، فقال عبدالله: أنا أبقي عليه يا أبا صفوان! والله، لو قدرت على عون الذرّ عليه لاستعنت بها عليه، فقال ابن صفوان: فأنا أكفيك أنيس بن عمرو، فاكفني أخاك.

قال ابن الزبير: نعم، فسار عبدالله بن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذي طوى، فلاقاه في جمع كثير من أهل مكّة وغيرهم من الأعوان، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه، وقتلوا مدبرهم، وأجهزوا على جريحهم، وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمرو، وتفرّق عنه أصحابه حتّى تخلّص إلى عمرو بن الزبير، فقال عبيدة بن الزبير لعمرو:

تعال أنا أجيرك، فجاء عبدالله بن الزبير، فقال: قد أجرت عمراً، فأجره لي، فأبى أن يجيره، وضربه بكلّ من كان ضرب بالمدينة، وحبسه بسجن عارم.

٣٤٦/ قال• الواقدي: قد اختلفوا علينا في حديث عمرو بن الزبير، وكتبت كلّ ذلك:

حدّثني خالد بن الياس، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي الجهم، قال: لمّا قدم عمرو بن سعيد المدينة والياً، قدم في ذي القعدة سنة ستّين، فولّى عمرو بن الزبير شرطته، وقال: قد أقسم أمير المؤمنين إلّا يقبل بيعة ابن الزبير إلّا أن يؤتى به في جامعة، فليبرّ يمين أمير المؤمنين، فإنّي أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها برنساً، ولا تُرى إلّا أن يسمع صوتها، وقال:

خذها فَلَيست لِلعزيز بخُطَّة ... و فيها مقالٌ لامريءٍ مُتَذلِّل
أ عامِرُ إن القومَ ساموكَ خُطَّةً ... و مالكَ في الجيران عذلُ مُعَذِّل

قال محمّد: وحدّثني رياح بن مسلم، عن أبيه، قال: بعث إلى عبدالله بن الزبير عمرو بن سعيد، فقال له أبو شريح: لا تغزُ مكّة؛ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّما أذن الله لي في القتال بمكّة ساعة من نهار، ثمّ عادت كحرمتها.

فأبى عمرو أن يسمع قوله، وقال: نحن أعلم بحرمتها منك أيّها الشيخ، فبعث عمرو جيشاً مع عمرو ومعه أنيس بن عمرو الأسلمي، وزيد غلام محمّد بن عبدالله بن الحارث بن هشام، وكانوا نحو ألفين، فقاتلهم أهل مكّة، فَقُتِلَ أنيس بن عمرو والمهاجر مولى القلمس في ناس كثير، وهزم جيش عمرو، فجاء عبيدة بن الزبير، فقال لأخيه عمرو: أنت في ذمّتي، وأنا لك جار، فانطلق به إلى عبدالله، فدخل على ابن الزبير فقال: ما هذا الدم الذي في وجهك يا خبيث؟ فقال عمرو:

لَسنا على الأعقابِ تُدمى كُلومُنا ... و لكن على أقدامِنا تَقطُرُ الدّما

فحبسه وأخفر[1] عبيدة، وقال: أمرتك أن تجير هذا الفاسق المستحلّ لحرمات الله؟! ثمّ أقاد عمراً من كلّ من ضربة إلّا المنذر وابنه، فإنّهما أبيا •أن يستقيدا، ومات تحت السياط. ٣٤٧/٥

---

١. أخفر عبيدة: أي لم يفِ له بذمّته (لسان العرب: ج ٤ ص ٢٥٣ «خفر»).

قال: وإنّما سمّي سجن عارم لعبد كان يقال له: زيد عارم، فسمّي السجن بـه، وحبس ابن الزبير أخاه عمراً فيه.

قال الواقدي: حدّثنا عبدالله بن أبي يحيى، عن أبيه، قال: كان مع أنيس بن عمرو ألفان.

وفي هذه السنة وجّه أهل الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكّة يدعونه إلى القدوم عليهم، فوجّه إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيّين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه

حدّثني زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدّثنا أحمد بن جناب المصيصي ـ ويكنّى أبا الوليد ـ قال: حدّثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبدالله القسري، قال: حدّثنا عمّار الدهني، قال: قلت لأبي جعفر: حدّثني بمقتل الحسين حتّى كأنّي حضرته، قال: مات معاوية والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة، فأرسل إلى الحسين بن عليّ ليأخذ بيعته، فقال له: أخّرني وارفق، فأخّره، فخرج إلى مكّـة، فـأتاه أهـل الكوفة ورسلهم: إنّا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فاقدم علينا، وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة.

قال: فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمّه، فقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليَّ، فإن كان حقّاً خرجنا إليهم.

فخرج مسلم حتّى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين، فمرّا به في البريّة، فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين، وكـتب مسـلم إلى الحسـين يسـتعفيه، فكـتب إليـه الحسين: أن امض إلى الكوفة.

فخرج حتّى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له: ابن عوسجة، قال: فلمّا

تحدّث أهل الكوفة بمقدمه دبّوا إليه فبايعوه، فبايعه منهم •اثنا عشر ألفاً. ٣٤٨/٥

قال: فقام رجل ممّن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنّك ضعيف أو متضعِّف، قد فسد البلاد! فقال له النعمان: أن أكون ضعيفاً وأنا في طاعه الله أحبّ إليَّ من أن أكون قويّاً في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله.

فكتب بقول النعمان إلى يزيد، فدعا مولى له يقال له: سرجون ـ وكان يستشيره ـ فأخبره الخبر، فقال له: أكنت قابلاً من معاوية لو كان حيّاً؟ قال: نعم، قال: فاقبل منّي، فإنّه ليس للكوفة إلّا عبيد الله بن زياد، فولّها إيّاه ـ وكان يزيد عليه ساخطاً، وكان همّ بعزله عن البصرة ـ فكتب إليه برضائه، وأنّه قد ولّاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل، فيقتله إن وجده.

قال: فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتّى قدم الكوفة متلثّماً، ولا يمرّ على مجلس من مجالسهم فيسلّم إلّا قالوا: عليك السلام يا بن بنت رسول الله ـ وهم يظنّون أنّه الحسين بن عليّ عليه السلام ـ حتّى نزل القصر، فدعا مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف، وقال له: اذهب حتّى تسال عن الرجل الذي يبايع له أهل الكوفة، فاعلمه أنّك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر، وهذا مال تدفعه إليه ليتقوّى، فلم يزل يتلطّف ويرفق به حتّى دلّ على شيخ من أهل الكوفة يلي البيعة، فلقيه فأخبره، فقال له الشيخ: لقد سرّني لقاؤك إيّاي، وقد ساءني، فأمّا ما سرّني من ذلك فما هداك الله له، وأمّا ما ساءني فإنّ أمرنا لم يستحكم بعد، فأدخله إليه، فأخذ منه المال وبايعه، ورجع إلى عبيد الله فأخبره.

فتحوّل مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان فيها إلى منزل هانئ بن عروة المرادي، وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن عليّ عليه السلام يخبره ببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة، ويأمره بالقدوم.

وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة: ما لي أرى هانئ بن عروة لم يـأتني فـيمن أتاني! قال: فخرج إليه محمّد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب •داره، فقالوا: إنّ الأمير قد ذكرك واستبطأك، فانطلق إليه، فلم يزالوا به حتّى ركب معهم وسار حتّى دخل على عبيد الله وعنده شريح القاضي، فلمّا نظر إليه قال لشريح: أتتك بحائن رجلاه، فلمّا سلّم عليه قال: يا هانئ، أين مسلم؟ ٣٤٩/٥

قال: ما أدري، فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه، فلمّا رآه قُطِعَ به، فقال: أصلح الله الأمير! والله، ما دعوته إلى منزلي ولكنّه جاء فطرح نفسه عليَّ.

قال: ائتني به.

قال: والله، لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه.

قال: ادنوه إليَّ، فأدني فضربه على حاجبه فشجّه.

قال: وأهوى هانئ إلى سيف شرطي ليسلّه، فدُفِعَ عن ذلك، وقال: قد أحلّ الله دمك، فأمر به فحبس في جانب القصر.

وقال غير أبي جعفر: الذي جاء بهانىء بن عروة إلى عبيد الله بن زياد عمرو بن الحجّاج الزبيدي.

ذكر من قال ذلك:

حدّثنا عمرو بن عليّ، قال: حدّثنا أبو قتيبة، قال: حدّثنا يونس بن أبي إسحاق، عن العيزار بن حريث، قال: حدّثنا عمارة بن عقبة بن أبـي مـعيط، فـجلس فـي مجلس ابن زياد فحدّث، قال: طردت اليوم حمراً فأصبت منها حماراً فعقرته. فقال له عمرو بن الحجّاج الزبيدي: إنّ حماراً تعقره أنت لحمار حائن، فقال: ألا أُخبرك بأحين من هذا كلّه؟! رجل جيء بأبيه كافراً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر به أن يضرب عنقه، فقال: يا محمّد فمن للصبية؟ قال: النار، فأنت من الصبية، وأنت في النـار، قال: فضحك ابن زياد.

رجع الحديث إلى حديث عمّار الدهني، عن أبي جعفر:

٣٥٠/٥ قال: فبينا هو •كذلك إذ خرج الخبر إلى مذحج، فإذا على باب القصر جلبة سمعها عبيد الله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مذحج، فقال لشريح: اخرج إليهم فاعلمهم أنّي إنّما حبسته لأُسائله، وبعث عيناً عليه من مواليه يسمع ما يقول، فمرّ بهانىء بن عروة، فقال له هانئ: اتّق الله يا شريح، فإنّه قاتلي.

فخرج شريح حتّى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنّما حبسه الأمير ليسائله، فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا.

فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعَبّى ميمنته وميسرته، وسار في القلب إلى عبيد الله، وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلمّا سار إليه مسلم، فانتهى إلى باب القصر، أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكلّمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمئة، فلمّا اختلط الظلام ذهب أُولئك أيضاً.

فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته، ثمّ دخلت فمكثت ما شاء الله، ثمّ خرجت فإذا هو على الباب، قالت: يا عبدالله، إنّ مجلسك مجلس ريبة، فقم.

قال: إنّي أنا مسلم بن عقيل، فهل عندكِ مأوى؟

قالت: نعم، ادخل، وكان ابنها مولى لمحمّد بن الأشعث، فلمّا علم به الغلام انطلق إلى محمّد فأخبره، فانطلق محمّد إلى عبيد الله فأخبره.

فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي ـ وكان صاحب شرطة ـ إليه، ومعه عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، فلم يعلم مسلم حتّى أحيط بالدار، فلمّا رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكن من يده،

فجاء به إلى عبيد الله، فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضُربت عُنقُه، وألقى جثّته إلى الناس، وأمر بهانئ فسُحب إلى الكناسة، فصلب هنالك، وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظري ... إلى هانئ في السوقِ وابن عقيلِ

٣٥١/٥ أصابَهُما أمرُ الإمام فأصبَحا ... أحاديثَ مَن يسعى بكلِّ سبيلِ

أَ يركبُ أسماءُ الهماليج آمناً ... و قد طَلَبتهُ مَذحِجٌ بِذُحولِ؟!

وأمّا ابو مخنف فإنّه ذكر من قصّة مسلم بن عقيل وشخوصه إلى الكوفة ومقتله قصّة هي أشبع وأتمّ من خبر عمّار الدهني عن أبي جعفر الذي ذكرناه، ما حُدِّثت عن هشام بن محمّد، عنه، قال: حدّثني عبد الرحمن بن جندب، قال: حدّثني عقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبية امرأة حسين ـ وكانت مع سكينة ابنة حسين، وهو مولًى لأبيها، وهي إذ ذاك صغيرة ـ قال:

خرجنا فلزمنا الطريق الأعظم، فقال للحسين أهل بيته: لو تنكّبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب، قال: لا والله، لا أُفارقه حتّى يقضي الله ما هو أحبّ إليه.

قال: فاستقبلنا عبدالله بن مطيع، فقال للحسين: جعلت فداك! أين تريد؟ قال: أمّا الآن فإنّي أُريد مكّة، وأمّا بعدها فإنّي أستخير الله، قال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أنت أتيت مكّة فإيّاك أن تقرب الكوفة؛ فإنّها بلدة مشئومة، بها قتل أبوك، وخذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه! الزم الحرم، فإنّك سيّد العرب، لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كلّ جانب، لا تفارق الحرم، فداك عمّي وخالي، فو الله، لئن هلكت لنسترقّنّ بعدك.

فأقبل حتّى نزل مكّة، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم الكعبة، فهو قائم يصلّي عندها عامّة

النهار ويطوف، ويأتي حسيناً فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كلّ يومين مرّة، ولا يزال يشير عليه بالرأي، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، قد عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد، وأنّ حسيناً أعظم في أعينهم وأنفسهم منه، وأطوع في الناس منه.

فلمّا بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق بيزيد، وقالوا: قد امتنع حسين وابن الزبير، ولحقا بمكّة، فكتب أهل •الكوفة إلى حسين، وعليهم النعمان ٣٥٢/٥
بن بشير.

قال ابو مخنف: فحدّثني الحجّاج بن عليّ، عن محمّد بن بشر الهمداني، قال: اجتمعت الشيعة في مَنزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل[1] والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لحسين بن عليّ، من سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة:

سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد، الذي انتزى على هذه الأُمّة، فابتزّها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمرّ عليها بغير رضاً منها، ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مالَ الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود!

---

١. الوَهل: الفزع في الأشياء كلّها (العين: ج ٤ ص ٨٨ «وهل»).

إنّه ليس علينا إمام، فاقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك.

قال: ثمّ سرّحنا بالكتاب مع عبدالله بن سَبُع الهمداني وعبدالله بن وال، وأمرناهما بالنجاء، فخرج الرجلان مسرعين حتّى قدما على حسين لعشر مضين من شهر رمضان بمكّة، ثمّ لبثنا يومين، ثمّ سرّحنا إليه قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبدالله بن الكدن الأرحبي وعمارة بن عبيد السلولي، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة، الصحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

٣٥٣/٥ قال: ثمّ لبثنا يومين آخرين، ثمّ سرّحنا إليه هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي، وكتبنا معهما:

بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن عليّ، من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد؛ فحيهلا، فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل، والسلام عليك.

وكتب شبث بن ربعي وحجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجّاج الزبيدي ومحمّد بن عمير التميمي:

أمّا بعد؛ فقد اخضرّ الجناب، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجنّد، والسلام عليك.

وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن أمر الناس، ثمّ كتب مع هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي، وكانا آخر الرسل:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من حسين بن عليّ، إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد؛ فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنّه ليس علينا إمام، فاقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليَّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليَّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري، ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام.

قال أبو مخنف: وذكر أبو المخارق الراسبي، قال: اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها: مارية ابنة سعد ـ أو منقذ ـ أيّاماً، وكانت تَشَيَّع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدّثون فيه، وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين، فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق.

٣٥٤/٥ قال: • فأجمع يزيد بن نبيط الخروج ـ وهو من عبد القيس ـ إلى الحسين، وكان له بنون عشرة، فقال: أيّكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبدالله وعبيد الله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إنّي قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فقالوا له: إنّا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: إنّي والله، لو قد استوت أخفافهما بالجدد لهان عليَّ طلب من طلبني.

قال: ثمّ خرج فتَقدَّى[1] في الطريق حتّى انتهى إلى حسين عليه السلام، فدخل في رحله بالأبطح، وبلغ الحسين مجيؤه، فجعل يطلبه، وجاء الرجل إلى رحل الحسين، فقيل

---

١. فتقدّى: أي أسرع (لسان العرب: ج ١٥ ص ١٧٢ «قدو»).

له: قد خرج إلى منزلك، فأقبل في أثره، ولمّا لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره، وجاء البصري فوجده في رحله جالساً، فقال: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾. قال: فسلم عليه، وجلس إليه، فخبّره بالذي جاء له، فدعا له بخير، ثمّ أقبل معه حتّى أتى فقاتل معه، فقُتِلَ معه هو وابناه.

ثمّ دعا مسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبدالله بن الكدن الأرحبي، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتّى أتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وودّع من أحبّ من أهله، ثمّ استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به، فضلاّ الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق حتّى تنتهي إلى الماء، وقد كادوا أن يموتوا عطشاً، فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين، وذلك بالمضيق من بطن الخبيت:

أمّا بعد؛ فإنّي أقبلت من المدينة، معي دليلان لي، فجارا عن الطريق وضلاّ، واشتدّ علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتّى انتهينا إلى الماء، فلم ننجُ إلاّ بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت، وقد تطيّرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه، وبعثت غيري، والسلام.

٣٥٥/٥ فكتب• إليه حسين:

أمّا بعد؛ فقد خشيت إلاّ يكون حملك على الكتاب إليَّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجّهتك له إلاّ الجبن، فامض لوجهك الذي وجّهتك له، والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب: هذا ما لست أ تخوّفه على نفسي، فأقبل كما هو حتّى مرّ بماء لطيئ، فنزل بهم، ثمّ ارتحل منه، فإذا رجل يرمي الصيد، فنظر إليه قد

رمى ظبياً حين أشرف له، فصرعه، فقال مسلم: يقتل عدوّنا إن شاء الله، ثمّ أقبل مسلم حتّى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد ـ وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب ـ وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلمّا اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون.

فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ فإنّي لا أُخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرّك منهم، والله، لأُحدّثنّكَ عمّا أنا موطّن نفسي عليه، والله، لأجيبنّكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتّى ألقى الله، لا أُريد بذلك إلّا ما عند الله.

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي، فقال: رحمك الله! قد قضيتَ ما في نفسك بواجز من قولك، ثمّ قال: وأنا والله الذي لا إله إلّا هو عليَّ مثل ما هذا عليه.

ثمّ قال الحنفي مثل ذلك، فقال الحجّاج بن عليّ: فقلت لمحمّد بن بشر: فهل كان منك أنت قول؟ فقال: إن كنت لأُحبّ أن يعزّ الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأُحبّ أن أُقتل، وكرهت أن أكذب.

واختلفت الشيعة إليه حتّى عُلِمَ مكانه، فبلغ ذلك النعمان بن بشير.

قال أبو مخنف: حدّثني نمير بن وعلة عن أبي الوداك، قال: خرج إلينا النعمان بن بشير، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ فاتّقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيهما يهلك الرجال•، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال ـ وكان حليماً ناسكاً يحبّ العافية ـ قال: ٣٥٦/٥
إنّي لم أُقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على مَن لا يثب عليَّ، ولا أُشاتمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنّة ولا التهمة، ولكنّكم إن أبديتم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فو الله الذي لا إله غيره، لأضربنّكم بسيفي ما

ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إنّي أرجو أن يكون مَن يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يرديه الباطل.

قال: فقام إليه عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أُميّة فقال:

إنّه لا يصلح ما ترى إلّا الغشم، إنّ هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك رأي المستضعفين، فقال: إن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليَّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله، ثمّ نزل.

وخرج عبدالله بن مسلم، وكتب إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد؛ فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن عليّ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويّاً ينفّذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك؛ فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعّف، فكان أوّل من كتب إليه.

ثمّ كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثمّ كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقّاص بمثل ذلك.

قال هشام: قال عوانّه: فلمّا اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلّا يومان، دعا يزيد بن معاوية، سرجون مولى معاوية فقال: ما رأيك؟ فإنّ حسيناً قد توجّه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ ـ وأقرأه كتبهم ـ فما ترى مَن أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد.

فقال سرجون: أرايت معاوية لو نشر لك، أكنتَ آخذاً برأيه؟ قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب، فأخذ برأيه وضمّ المصرين إلى عبيد الله، وبعث إليه بعهده على الكوفة.

٣٥٧/٥ ثمّ• دعا مسلم بن عمرو الباهلي ـ وكان عنده ـ فبعثه إلى عبيد الله بعهده إلى

البصرة، وكتب إليه معه:

أمّا بعد؛ فإنّه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتّى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو حتّى قدم على عبيد الله بالبصرة، فأمر عبيد الله بالجهاز والتهيّؤ والمسير إلى الكوفة من الغد.

وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً، قال هشام: قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن أبي عثمان النهدي، قال: كتب حسين مع مولى لهم يقال له: سليمان، وكتب بنسخه إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكري، وإلى الأحنف بن قيس، وإلى المنذر بن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو، وإلى قيس بن الهيثم، وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها:

أمّا بعد؛ فإنّ الله اصطفى محمّداً ﷺ على خلقه، وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثمّ قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أُرسل به ﷺ، وكنّا أهله وأولياءه، وأوصياءه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولاّه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحرّوا الحقّ، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم.

وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم

سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله.

فكلّ من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتمه، غير المنذر بن الجارود، فإنّه خشي بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبيد الله، فجاءه بالرسول من العشية التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة، واقرأه كتابه، فقدّم الرسول فضرب عنقه، وصعد عبيد الله منبر البصره، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ٣٥٨/٥

أمّا بعد؛ فو الله، ما تقرن بي الصعبة، ولا يُقعقَع لي بالشنآن، وإنّي لَنِكلٌ لمن عاداني، وسَمٌّ لمن حاربني، أنصفُ القارة مَن راماها يا أهل البصرة، إنّ أمير المؤمنين ولّاني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإيّاكم والخلاف والإرجاف، فو الذي لا إله غيره، لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنّه وعريفه ووليّه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتّى تستمعوا لي، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاقّ، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى، ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عمّ.

ثمّ خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان بن زياد، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي، وحشمه وأهل بيته، حتّى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء، وهو متلثّم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين قدم عبيد الله أنّه الحسين، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا بن رسول الله! قدمت خير مقدم، فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه.

فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخّروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد، فأخذ حين أقبل على الظهر، وإنّما معه بضعة عشر رجلاً، فلمّا دخل القصر وعلم الناس أنّه عبيد الله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاظ عبيد الله ما سمع

منهم، وقال: إلّا أرى هؤلاء كما أرى.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدّثني المعلّى بن كليب، عن أبي وداك، قال: لمّا نزل القصر نودي: الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد؛ فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله ولّاني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا •متّبع فيكم أمره، ومنّفذ فيكم عهده، فأنا ٣٥٩/٥
لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطي و سيفي على مَن ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبئ عنك لا الوعيد.

ثمّ نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال: اكتبوا إلى الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته إلّا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيّما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء، وسيّر إلى موضع بعمان الزارة.

وأمّا عيسى بن يزيد الكناني فإنّه قال ـ فيما ذكر عمر بن شبّة، عن هارون بن مسلم، عن عليّ بن صالح، عنه قال: لمّا جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد، انتخب من أهل البصرة خمسمئة، فيهم عبدالله بن الحارث بن نوفل، وشريك بن الأعور ـ وكان شيعة لعليّ، فكان أوّل من سقط بالناس شريك، فيقال: إنّه تساقط غَمرةً ومعه ناس ـ ثمّ سقط عبدالله بن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوي عليهم عبيد الله ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فجعل لا يلتفت إلى من سقط، ويمضي

حتّى ورد القادسية، وسقط مهران مولاه، فقال: أيا مهران، على هذه الحال، إن أمسكت عنك حتّى تنظر إلى القصر فلك مئه ألف! قال: لا والله، ما أستطيع، فنزل عبيد الله فأخرج ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليمن، ثمّ اعتجر بمعجرة يمانية، فركب بغلته، ثمّ انحدر راجلاً وحده، فجعل يمرّ بالمحارس، فكلّما نظروا إليه لم يشكّوا أنّه الحسين، فيقولون: مرحباً بك يا بن رسول الله! وجعل لا يكلّمهم، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم، وسمع بهم النعمان بن بشير، فغلّق عليه وعلى خاصّته، وانتهى إليه عبيد الله وهو لا يشكّ أنّه الحسين، ومعه الخلق يضجّون، فكلّمه النعمان، فقال:

٣٦٠/٥ أنشدك •الله إلّا تنحّيت عنّي! ما أنا بمسلّم إليك أمانتي، وما لي في قتلك من أرب، فجعل لا يكلّمه، ثمّ إنّه دنا وتدلّى الآخر بين شرفتين، فجعل يكلّمه، فقال: افتح لا فتحت، فقد طال ليلك، فسمعها إنسان خلفه، فتكفّى إلى القوم، فقال: أي قوم! ابن مرجانة والذي لا إله غيره!

فقالوا:

ويحك! إنّما هو الحسين، ففتح له النعمان، فدخل، وضربوا الباب في وجوه الناس، فانفضّوا، وأصبح فجلس على المنبر فقال: أيّها الناس، إنّي لأعلم أنّه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من هو عدوّ للحسين حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد وغلب عليه، والله، ما عرفت منكم أحداً.

ثمّ نزل وأُخبر أنّ مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة، وأنّه بناحية الكوفة، فدعا مولى لبني تميم فأعطاه مالاً، وقال: انتحل هذا الأمر، وأعنهم بالمال، واقصد لهانئ ومسلم وانزل عليه.

فجاء هانئاً فأخبره أنّه شيعة، وأنّ معه مالاً وقدم شريك بن الأعور شاكياً، فقال

لهانئ: مر مسلماً يكن عندي، فإنّ عبيد الله يعودني، وقال شريك لمسلم: أ رأيتك إن أمكنتك من عبيد الله، أ ضاربه أنت بالسيف؟ قال: نعم والله، وجاء عبيد الله شريكاً يعوده في منزل هانئ ـ وقد قال شريك لمسلم: إذا سمعتني أقول: اسقوني ماء، فاخرج عليه فاضربه ـ وجلس عبيد الله على فراش شريك، وقام على رأسه مهران، فقال: اسقوني ماء، فخرجت جارية بقدح، فرأت مسلماً، فزالت، فقال شريك: اسقوني ماء، ثمّ قال الثالثة: ويلكم تحموني الماء؟! اسقونيه ولو كانت فيه نفسي، ففطن مهران فغمز عبيد الله، فوثب، فقال شريك: أيّها الأمير، إنّي أُريد أن أُوصي إليك، قال: أعود إليك، فجعل مهران يطرد به، وقال: أراد والله قتلك، قال: وكيف مع إكرامي شريكاً وفي بيت هانئ ويد أبي عنده يد؟!

فرجع فأرسل إلى أسماء بن خارجة ومحمّد بن الأشعث فقال: ائتياني بهانئ، فقالا له: إنّه لا يأتي إلّا بالأمان، قال: وما له وللأمان؟! وهل أحدث حدثاً؟! انطلقا، فإن لم يأت إلّا بأمان فآمنّاه، فأتياه فدعواه، فقال: إنّه إن أخذني قتلني، فلم يزالا به حتّى جاءا به وعبيد الله يخطب يوم الجمعة، فجلس في المسجد، وقد رجل هانئ غَدِيرَتَيه،• فلمّا صلّى عبيد الله، قال: يا هانئ، فتبعه، ودخل فسلّم، فقال عبيد الله: ٣٦١/٥
يا هانئ، أما تعلم أنّ أبي قدم هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلّا قتله غير أبيك وغير حجر، وكان من حجر ما قد علمت، ثمّ لم يزل يحسن صحبتك، ثمّ كتب إلى أمير الكوفة: إنّ حاجتي قبلك هانئ؟ قال: نعم، قال: فكان جزائي أن خبّأت في بيتك رجلاً ليقتلني؟!

قال: ما فعلت، فأخرج التميمي الذي كان عيناً عليهم، فلمّا رآه هانئ علم أن قد أخبره الخبر، فقال: أيّها الأمير، قد كان الذي بلغك، ولن أُضيّع يدك عنّي، فأنت آمن وأهلك، فسر حيث شئت.

فكبا عبيد الله عندها، ومهران قائم على رأسه في يده معكزة، فقال: وا ذلّاه! هذا العبد الحائك يؤمنك في سلطانك! فقال: خذه، فطرح المعكزة، وأخذ بضفيرتي هانئ، ثمّ أقنع بوجهه، ثمّ أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجه هانئ، وندر الزجّ[1]، فارتز[2] في الجدار، ثمّ ضرب وجهه حتّى كسر أنفه وجبينه، وسمع الناس الهيعة.

وبلغ الخبر مذحج، فأقبلوا، فأطافوا بالدار، وأمر عبيد الله بهانئ فألقى في بيت، وصيح المذحجيّون، وأمر عبيد الله مهران أن يدخل عليه شريحاً، فخرج، فأدخله عليه، ودخلت الشرط معه، فقال: يا شريح، قد ترى ما يصنع بي؟!

قال: أراك حيّاً، قال: وحيّ أنا مع ما ترى؟! أخبر قومي أنّهم إن انصرفوا قتلني.

فخرج إلى عبيد الله فقال: قد رأيته حيّاً، ورأيت أثراً سيّئاً، قال: وتنكّر أن يعاقب الوالي رعيّته! اخرج إلى هؤلاء فأخبرهم، فخرج، وأمر عبيد الله الرجل فخرج معه، فقال لهم شريح: ما هذه الرعة السيّئة؟! الرجل حيّ، وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم. فانصرفوا.

وذكر هشام عن أبي مخنف، عن المعلّى بن كليب، عن أبي الوداك، قال: نزل شريك بن الأعور على هانئ بن عروة المرادي، وكان شريك شيعيّاً، وقد شهد صفّين مع عمّار.

٣٦٢/٥ وسمع• مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، فخرج من دار المختار ـ وقد علم به ـ حتّى انتهى إلى دار هانئ بن عروة المرادي، فدخل بابه، وأرسل إليه أن اخرج، فخرج إليه هانئ، فكره هانئ مكانه

---

١. الزُّجّ: الحديدة التي تُرَكّب في أسفل الرمح (لسان العرب: ج ٢ ص ٢٨٥ «زجج»).

٢. ارتزّ: ثبت (لسان العرب: ج ٥ ص ٣٥٤ «رزز»).

حين رآه، فقال له مسلم: أتيتك لتجيرني وتضيّفني، فقال: رحمك الله! لقد كلّفتني شططاً، ولولا دخولك داري وثقتك لأحببت ولسألتك أن تخرج عنّي، غير أنّه يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل، ادخل. فآواه، وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ بن عروة.

ودعا ابن زياد مولى له يقال له: معقل، فقال له: خذ ثلاثة آلاف درهم، ثمّ اطلب مسلم بن عقيل، واطلب لنا أصحابه، ثمّ أعطهم هذه الثلاثة آلاف، فقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوّكم، وأعلمهم أنّك منهم، فإنّك لو قد أعطيتها إيّاهم اطمأنّوا إليك، ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم، ثمّ اغد عليهم ورح ففعل ذلك، فجاء حتّى أتى إلى مسلم بن عوسجة الأسدي من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الأعظم وهو يصلّي، وسمع الناس يقولون:

إنّ هذا يبايع للحسين، فجاء فجلس حتّى فرغ من صلاته، ثمّ قال: يا عبدالله، إنّي امرؤ من أهل الشام، مولى لذي الكلاع، أنعم الله عليَّ بحبّ أهل هذا البيت وحبّ من أحبّهم، فهذه ثلاثة آلاف درهم، أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنّه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول اللهﷺ، وكنت أُريد لقاءه، فلم أجد أحداً يدلّني عليه ولا يعرف مكانه، فإنّي لجالس آنفاً في المسجد، إذ سمعت نفراً من المسلمين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإنّي أتيتك لتقبض هذا المال، وتدخلني على صاحبك فأُبايعه، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه.

فقال: احمد الله على لقائك إيّاي، فقد سرّني ذلك لتنال ما تحبّ، ولينصر الله بك أهل بيت نبيّه، ولقد ساءني معرفتك إيّاي بهذا الأمر من قبل أن يَنمَى؛ مخافة هذا الطاغية وسطوته.

فأخذ بيعته قبل أن يبرح، وأخذ عليه المواثيق المغلّظة ليناصحنّ •وليكتمنّ، ٣٦٣/٥

فأعطاه من ذلك ما رضى به، ثمّ قال له: اختلف إليَّ أيّاماً في منزلي، فأنا طالب لك الإذن على صاحبك، فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن فمرض هانئ بن عروة، فجاء عبيد الله عائداً له، فقال له عمارة بن عبيد السلولي: إنّما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، فقد أمكنك الله منه فاقتله، قال هانئ: ما أُحبّ أن يقتل في داري، فخرج، فما مكث إلّا جمعة حتّى مرض شريك بن الأعور ـ وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأُمراء، وكان شديد التشيّع ـ فأرسل إليه عبيد الله: إنّي رائح إليك العشيّة.

فقال لمسلم: إنّ هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله، ثمّ اقعد في القصر، ليس أحد يحول بينك وبينه، فإن برئت من وجعي هذا ايّامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها.

فلمّا كان من العشي أقبل عبيد الله لعيادة شريك، فقام مسلم بن عقيل ليدخل، وقال له شريك: لا يفوتنّك إذا جلس، فقام هانئ بن عروة إليه فقال: إنّي لا أُحبّ أن يقتل في داري ـ كأنّه استقبح ذلك ـ فجاء عبيد الله بن زياد فدخل فجلس، فسأل شريكاً عن وجعه، وقال: ما الذي تجد؟ ومتى أَشكَيتَ؟ فلمّا طال سؤاله إيّاه، ورأى أنّ الآخر لا يخرج، خشي أن يفوته، فأخذ يقول:

ما تنتظرون بسَلَمى أن تُحيُّوها

اسقنيها وإن كانت فيها نفسي!! فقال ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فقال عبيد الله ولا يفطن ما شأنه: أ ترونه يهجر؟

فقال له هانئ: نعم، أصلحك الله! ما زال هذا ديدنه قبيل عماية الصبح حتّى ساعته هذه، ثمّ إنّه قام فانصرف، فخرج مسلم، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟

فقال: خصلتان: أمّا إحداهما فكراهة هانئ أن يقتل في داره، وأمّا الأُخرى

فحديث حدّثه الناس عن النبيّ ﷺ: أنّ الإيمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن. فقال هانئ: أما والله، لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً، كافراً غادراً، ولكن كرهت أن يقتل في داري. ولبث شريك بن الأعور بعد • ذلك ثلاثاً ثمّ مات، فخرج ابن زياد ٣٦٤/٥
فصلّى عليه، وبلغ عبيد الله بعد ما قتل مسلماً وهانئاً أنّ ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنّما كان يحرّض مسلماً، ويأمره بالخروج إليك ليقتلك، فقال عبيد الله: والله، لا أُصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبداً، وو الله، لو لا أنّ قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً.

ثمّ إنّ معقلاً مولى ابن زياد الذي دسّه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه، اختلف إلى مسلم بن عوسجة أيّاماً ليدخله على ابن عقيل، فأقبل به حتّى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور، فأخبره خبره كلّه، فأخذ ابن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي، فقبض ماله الذي جاء به ـ وهو الذي كان يقبض أموالهم، وما يعين به بعضهم بعضاً، يشتري لهم السلاح، وكان به بصيراً، وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة ـ وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أوّل داخل وآخر خارج، يسمع أخبارهم، ويعلم أسرارهم، ثمّ ينطلق بها حتّى يقرّها في إذن ابن زياد.

قال: وكان هانئ يغدو ويروح إلى عبيد الله، فلمّا نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض، فجعل لا يخرج، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هانئاً؟! فقالوا: هو شاكٍ،فقال: لو علمت بمرضه لعدته!

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد، قال: دعا عبيد الله محمّد بن الأشعث وأسماء بن خارجة.

قال أبو مخنف: حدّثني الحسن بن عقبة المرادي أنّه بعث معهما عمرو بن الحجّاج الزبيدي.

قال أبو مخنف: وحدّثني نمير بن وعلة، عن أبي الوداك، قال: كانت روعة أُخت عمرو بن الحجّاج تحت هانئ بن عروة، وهي أُمّ يحيى بن هانئ، فقال لهم: ما يمنع هانئ بن عروة من إتياننا؟ قالوا: ما ندري أصلحكالله! وإنّه •ليتشكي، قال: قد بلغني ٣٦٥/٥
أنّه قد برئ، وهو يجلس على باب داره، فالقوه، فمروه إلّا يدع ما عليه في ذلك من الحقّ، فإنّي لا أُحبّ أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

فأتوه حتّى وقفوا عليه عشيّة وهو جالس على بابه، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير، فإنّه قد ذكرك، وقد قال: لو أعلم أنّه شاكٍ لعدته؟

فقال لهم: الشكوى تمنعني، فقالوا له: يبلغه أنّك تجلس كلّ عشيّة على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا!

فدعا بثيابه فلبسها، ثمّ دعا ببغلة فركبها حتّى إذا دنا من القصر كأنّ نفسه أحسّت ببعض الذي كان، فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: يا بن أخي، إنّي والله، لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟

قال: أي عمّ، والله، ما اتخوّف عليك شيئاً، ولِمَ تجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريء؟! وزعموا أنّ أسماء لم يعلم في أيّ شيء بعث إليه عبيد الله، فأمّا محمّد فقد علم به، فدخل القوم على ابن زياد، ودخل معهم، فلمّا طلع قال عبيد الله: أتتك بحائنٍ رجلاه! وقد عرّس عبيد الله إذ ذاك بأُمّ نافع ابنة عمارة بن عقبة، فلمّا دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي التفت نحوه، فقال:

أُريدُ حباءَهُ ويُريد قتلي عَذيرَكَ من خَليلِكَ من مُرادِ

وقد كان له أوّل ما قدم مكرماً ملطفاً، فقال له هانئ: وما ذاك أيّها الأمير؟ قال: إيه يا هانئ بن عروة! ما هذه الأُمور التي تربّص في دورك لأمير المؤمنين وعامّة

المسلمين؟! جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى عليَّ لك؟!

قال: ما فعلت، وما مسلم عندي، قال: بلى قد فعلت، قال: ما فعلت، قال:

بلى، فلمّا كثر ذلك بينهما، وأبى هانئ إلّا مجاحدته ومناكرته، دعا ابن زياد معقلاً ذلك العين فجاء حتّى وقف بين يديه، فقال: أ تعرف هذا؟

قال: نعم، وعلم هانئ عند ذلك أنّه كان عيناً عليهم، وأنّه قد أتاه بأخبارهم،

•فسقط في خلده ساعة، ثمّ إنّ نفسه راجعته، فقال له: اسمع منّي، وصدّق مقالتي، ٣٦٦/٥
فو الله، لا أكذبك، والله الذي لا إله غيره، ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره، حتّى رأيته جالساً على بابي، فسألني النزول عليَّ، فاستحييت من ردّه، ودخلني من ذلك ذمام، فأدخلته داري و ضفتُه وآويته، وقد كان من أمره الذي بلغك، فإن شئت أعطيتُ الآن موثقاً مُغلّظاً وما تطمئنّ إليه ألّا أبغيك سوءاً، وإن شئت أعطيتُك رهينة تكون في يدك حتّى آتيك، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من ذمامه وجواره.

فقال: لا والله، لا تفارقني أبداً حتّى تأتيني به! فقال: لا والله، لا أجيئك أبداً، أنا أجيئك بضيفي تقتله؟!

قال: والله، لتأتينّي به، قال: والله، لا آتيك به.

فلمّا كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي ـ وليس بالكوفة شاميّ ولا بصريّ غيره ـ فقال: أصلح الله الأمير! خلّني وإيّاه حتّى أُكلّمه، لمّا رأى لجاجته وتأبِّيه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلماً، فقال لهانئ: قم إلى هاهنا حتّى أُكلّمك، فقام فخلا به ناحية من ابن زياد، وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما، إذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان، وإذا خفضا خفي عليه ما يقولان، فقال له مسلم:

يا هانئ، إنّي أنشدُك الله أن تقتل نفسك، وتدخل البلاء على قومك وعشيرتك! فو الله، إنّي لأنفَس بك عن القتل، وهو يرى أنّ عشيرته ستحرّك في شأنه، أن هذا الرجل ابن عمّ القوم، و ليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه فإنّه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنّما تدفعه إلى السلطان.

قال: بلى، والله، إنَّ عليَّ في ذلك للخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيفي وأنا حيّ صحيح، أسمع وأرى، شديد الساعد، كثير الأعوان؟! والله، لو لم أكن إلّا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه.

فأخذ يناشده وهو يقول: والله، لا أدفعه إليه أبداً، فسمع ابن زياد ذلك، فقال: ادنوه منّي، فأدنوه منه، فقال: والله، لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك!

٣٦٧/٥ قال: • إذاً تكثر البارقة حول دارك.

فقال: والهفا عليك! أبالبارقة تخوّفني؟! وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه، فقال ابن زياد: ادنوه منّي، فأُدني، فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخدّه حتّى كسر أنفه، وسيل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خدّيه وجبينه على لحيته حتّى كسر القضيب.

و ضرب هانئ بيده إلى قائم سيف شرطي من تلك الرجال، وجابذه الرجل ومنع، فقال عبيد الله: أ حروري سائر اليوم؟! أحللت بنفسك، قد حلّ لنا قتلك، خذوه فألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، واجعلوا عليه حرساً، ففعل ذلك به، فقام إليه أسماء بن خارجة فقال: أرُسُل غدرٍ سائر اليوم؟! أمرتنا أن نجيئكبالرجل حتّى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشمت وجهه، وسَيَّلتَ دَمَهُ على لحيته، وزعمت أنّك تقتله!

فقال له عبيد الله: وأنّك لهاهنا؟! فأمر به فلهز وتعتع به، ثمّ ترك فحبس.

و أمّا محمّد بن الأشعث فقال: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنّما الأمير مؤدّب.

و بلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانئاً قد قتل، فأقبل في مذحج حتّى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثمّ نادى: أنا عمرو بن الحجّاج، هذه فرسان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم يقتل، فأعظموا ذلك.

فقيل لعبيد الله: هذه مذحج بالباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ اخرج فاعلمهم أنّه حيّ لم يقتل، وأنّك قد رأيته، فدخل إليه شريح فنظر إليه.

فقال أبو مخنف: فحدّثني الصقعب بن زهير، عن عبد الرحمن بن شريح، قال: سمعته يحدّث إسماعيل بن طلحة، قال: دخلت على هانئ، فلمّا رآني قال: يا لله يا للمسلمين! أهَلَكت عشيرتي؟ فأين أهل الدين؟! وأين أهل المصر؟! تفاقدوا؟! يُخلّوني وعدوّهم وابن عدوهم؟! والدماء •تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على ٣٦٨/٥
باب القصر، وخرجت واتّبعني، فقال: يا شريح، إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إن دخل عليَّ عشرة نفر أنقذوني.

قال: فخرجت إليهم ومعي حميد بن بكير الأحمري ـ أرسله معي ابن زياد، وكان من شرطه ممّن يقوم على رأسه ـ وأيم الله، لو لا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به، فلمّا خرجت إليهم قلت: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم، وأن أُعلمكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قتله كان باطلاً.

فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذ لم يقتل فالحمد لله، ثمّ انصرفوا.

قال أبو مخنف: حدّثني الحجّاج بن عليّ، عن محمّد بن بشر الهمداني، قال: لمّا

ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه و حشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعه أئمّتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا؛ فتهلكوا وتَذِلّوا، وتُقتلوا وتُجفوا وتحرموا، إنّ أخاكَ من صَدَقَكَ، وقد أعذر من أنذر.

قال: ثمّ ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النّظارة المسجد من قبل التمّارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه.

قال أبو مخنف: حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبدالله بن خازم، قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ، قال: فلمّا ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوةٌ لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي:

ناد: «يا منصور أمت»، فناديت: «يا منصور أمت»، وتنادى أهل الكوفة،
٣٦٩/٥ • فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل، ثمّ عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعبّاس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثمّ أقبل نحو القصر. فلمّا بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر، وغلق الأبواب.

قال أبو مخنف: وحدّثني يونس بن أبي إسحاق، عن عبّاس الجدلي، قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمئة.

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتّى أحاط بالقصر، ثمّ إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فو الله، ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسّك بباب القصر، وليس معه إلّا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه.

وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميّين، وجعل مَن بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتّقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه.

ودعا عبيد الله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم الحرب، ويحذّرهم عقوبة السلطان، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي و حجّار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم؛ لقلّة عدد من معه من الناس.

وخرج كثير بن شهاب يخذّل الناس عن ابن عقيل.

٣٧٠/٥ قال أبو مخنف: فحدّثني أبو جناب الكلبي أنّ كثيراً ألفى رجلاً من •كلب يقال له: عبد الأعلى بن يزيد، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنّما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك، فأمر به فَحُبِسَ.

وخرج محمّد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن

صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه، فبعث ابن عقيل إلى محمّد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشبامي، فلمّا رأى محمّد بن الأشعث كثرة مَن أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمّد بن الأشعث: قد جُلتُ على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميّين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمّد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبّرون ويثوبون حتّى المساء، وأمرهم شديد، فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثمّ قال: أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، واعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن عبدالله بن خازم الكثيري من الأزد، من بني كثير، قال: أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أوّل الناس حتّى كادت الشمس أن تَجِب، فقال:

أيّها الناس، ألحقوا بأهاليكم، ولا تعجّلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى اللهَ الأميرُ عهداً: لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبالَ •ما جرّت أيديها. ٣٧١/٥

و تكلّم الأشراف بنحو من كلام هذا.

فلمّا سمع مقالتهم الناس أخذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون.

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد، أنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف فيذهب به، فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلّا أُولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل، ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه يتلدّد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة ـ أُمّ ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأُمّه قائمة تنتظره ـ فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت عليه.

فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماء، فدخلت فسقته، فجلس، وأدخلت الإناء، ثمّ خرجت فقالت: يا عبدالله، أ لم تشرب؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثمّ عادت فقالت مثل ذلك، فسكت.

ثمّ قالت له: في الله، سبحان الله يا عبدالله! فمرّ إلى أهلك عافاك الله! فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أُحلّه لك.

فقام فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلّي مكافئك به بعد اليوم؟!

فقالت: يا عبدالله، وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني، قالت: أنت مسلم؟! قال: نعم، قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله، إنّه •ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إنّ لك لشأناً؟ ٣٧٢/٥

قالت: يا بنيّ، إله عن هذا، قال لها: والله، لتخبرنّي، قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء.

فالحّ عليها، فقالت: يا بني، لا تحدّثنّ أحداً من الناس بما أُخبرك به، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت. وزعموا أنّه قد كان شريداً من الناس، وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له.

و لمّا طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً؟ فأشرفوا فلم يروا أحداً.

قال: فانظروا لعلّهم تحت الظلال قد كَمَنوا لكم، فَفَرِّعوا بَحابحَ[1] المسجد، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، ثمّ ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون، فدلّوا القناديل وأنصاف الطنان تشَدّ بالحبال، ثمّ تُجعل فيها النيران، ثمّ تُدَلّى، حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلكفي أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعلوا ذلك بالظلّة التي فيها المنبر.

فلمّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدّة التي في المسجد، ثمّ خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو

---

١. بحابح: جمع بحبوحة، بمعني الساحة أو الفناء (أُنظر: مجمع البحرين: ج ١ ص ١١٦ «بحبح»).

بن نافع فنادى:

ألا برئت الذمّة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلّى العتمة إلّا في المسجد، فلم يكن له إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد من الناس، ثمّ أمر مناديه فأقام الصلاة.

فقال الحصين بن تميم: ان شئت صلّيت بالناس، أو يُصلّي بهم غيرك، ودخلت أنت فصلّيت في القصر، فإنّي لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك! فقال: مر حرسي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون، ودُر فيهم فإنّي لست بداخل إذاً، فصلّى بالناس، ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ فإنّ ابن عقيل السفيه الجاهل، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة الله من رجل وجدناه في داره، ومَن جاء به فله ديته، اتّقوا الله عبادَ الله، والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. يا حصين بن تميم، ٣٧٣/٥
ثكلتك أُمّك إن صاح بابُ سكّةٍ من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به! وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً واستَبرِ الدور وجُسَّ خلالها حتّى تأتيني بهذا الرجل. وكان الحصين على شرطة، وهو من بني تميم.

ثمّ نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمره على الناس، فلمّا أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمّد بن الأشعث فقال: مرحباً بمن لا يُستَغَشّ ولايتهم! ثمّ أقعده إلى جنبه، وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أُمّه ابن عقيل فغدا إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، فأخبره بمكان ابن عقيل عند أُمّه، قال: فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فسارّه، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أنّ ابن عقيل في دار

من دورنا، فنخس بالقضيب في جنبه، ثمّ قال: قم فأتني به الساعة.

قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي، إنّ ابن الأشعث حين قام ليأتيه بابن عقيل بعث إلى عمرو بن حريث وهو في المسجد خليفته على الناس، أن ابعث مع ابن الأشعث ستّين أو سبعين رجلاً كلّهم من قيس ـ وانّما كره أن يبعث معه قومه؛ لأنّه قد علم أنّ كلّ قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل ـ فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عبّاس السلمي في ستّين أو سبعين من قيس، حتّى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلمّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنّه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه، فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين، فضرب بكير فَمَ مسلم فقطع شفته العليا، وأشرع السيفُ في السفلى، ونصلت لها ثنيتاه، فضربه مسلم ضربة في رأسه منكرة، وثنّى بأُخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه.

فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثمّ يقلبونها عليه من فوق البيت، فلمّا رأى ذلك ٣٧٤/٥
خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكّة فقاتلهم، فأقبل عليه محمّد بن الأشعث فقال: يا فتى، لك الأمان، لا تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم، وهو يقول:

أَقسمتُ لا أُقتلُ إلّا حُرّا ... و إن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا
كلّ امرئٍ يوماً ملاقٍ شرّا ... و يُخلط البارد سُخناً مُرّا
رُدّ شُعاع الشمس فاستقرّا ... أخافُ أن أُكذبّ أو أُغّرا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لا تُكذَب ولا تُخدَع ولا تُغرّ، إنّ القوم بنو عمّك،

وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك، وقد أُثخِن بالحجارة، وعجز عن القتال وانبهر، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فدنا محمّد بن الأشعث فقال: لك الأمان.

فقال: آمنٌ أنا؟ قال: نعم، وقال القوم: أنت آمن، غير عمرو بن عبيد الله بن العبّاس السلمي فإنّه قال: لا ناقةَ لي في هذا ولا جمل، وتنحّى.

و قال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم. وأُتي ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه من عنقه، فكأنّه عند ذلك آيس من نفسه، فدمعت عيناه، ثمّ قال: هذا أوّل الغدر.

قال محمّد بن الأشعث: أرجو ألّا يكون عليك بأس.

قال: ما هو إلّا الرجاء، أين أمانكم؟! إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! وبكى.

فقال له عمرو بن عبيد الله بن عبّاس: إنّ مَن يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبكِ!

قال: إنّي والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أُحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليَّ، أبكي لحسين وآل حسين!

ثمّ أقبل على محمّد بن الأشعث فقال: يا عبدالله، إنّي أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعثَ من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه إلّا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خرج غداً هو وأهل بيته، وأنّ ما ترى من جزعي لذلك، •فيقول: ٣٧٥/٥

إنّ ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن تمشي حتّى تُقتل، وهو يقول: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرّك أهلُ الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذّبوك وكذّبوني، وليس لمكذّب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله، لأفعلنّ، ولأُعلمنّ ابن زياد أنّي قد آمنتك.

قال أبو مخنف: فحدّثني جعفر بن حذيفة الطائي وقد عرف سعيد بن شيبان الحديث ـ قال: دعا محمّد بن الأشعث أياس بن العثل الطائي من بني مالك بن عمرو بن ثمامة وكان شاعراً، وكان لمحمّد زوّاراً فقال له: القِ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازك، ومتعة لعيالك، فقال: من أين لي براحلة، فإنّ راحلتي قد أَنضَيتُها؟ قال: هذه راحلة فاركبها برحلها، ثمّ خرج فاستقبله بزبالة لأربع ليال، فأخبره الخبر، وبلّغه الرسالة، فقال له حسين: كلّ ما حُمَّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أُمّتنا.

و قد كان مسلم بن عقيل حيث تحوّل إلى دار هانئ بن عروة وبايعه ثمانية عشر ألفاً، قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري:

أمّا بعد؛ فإنّ الرائد لا يَكذِبُ أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإنّ الناسَ كُلَّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام.

و أقبل محمّد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر، فاستأذن فأذن له، فأُخبر عبيد الله خبرَ ابن عقيل وضرب بكير إيّاه، فقال: بعداً له! فأخبره محمّد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إيّاه.

فقال عبيد الله: ما أنتَ والأمان؟! كأنّا أرسلناك تؤمنه؟! إنّما أرسلناك لتأتينا به، فسكت.

و انتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن، منهم: عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن حريث، ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب.

قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعد، أنّ مسلم بن عقيل حين •انتهى إلى باب ٣٧٦/٥
القصر فإذا قلّة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عقيل:

اسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو: أَ تَراها ما أبـردها! لا والله، لا تذوق منها قطرة أبداً حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم!

قال له ابن عقيل: ويحك! مَن أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونَصَحَ لإمامِهِ إذ غششتَه، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت، أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال ابن عقيل: لأُمّك الثكل! ما أجفاكَ، وما أفظّكَ، وأقسى قلبَكَ وأغلَظَكَ! أنت يا بن باهله أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي، ثمّ جلس متساناداً إلى حائط.

قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعد أنّ عمرو بن حريث بعث غلاماً يدعى: سليمان، فجاءه بماء في قلّة فسقاه.

قال أبو مخنف: وحدّثني سعيد بن مدرك بن عمارة، أنّ عمارة بن عقبة بـعث غلاماً له يدعى: قيساً، فجاءه بقلّة عليها منديل ومعه قدح، فصبّ فيه ماء، ثمّ سقاه، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً، فلمّا مـلأ القـدح المـرّة الثـالثة ذهب ليشـرب فسقطت ثنيتاه فيه، فقال: الحمد لله! لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

و أُدخِلَ مسلم على ابن زياد فلم يسلّم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلّم على الأمير؟!

فقال له: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فـلعمري ليكثرنّ سلامي عليه.

فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلنّ، قال: كَذلِكَ؟ قال: نعم، قال:

فدعني أُوصِ إلى بعض قومي، فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينكقرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عـليك نـجح

حاجتي، وهو سرّ، فأبى أن يمكّنه من ذكرها، فقال له عبيد الله:

لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابنُ زياد.

فقال له: إنّ عليَّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة، سبعمئة درهم، فاقضها عنّي، وانظر جثّتي فاستوهبها من ابن زياد، فوارها، وابعثْ إلى حسين من يردّه، فإنّي قد كتبت إليه أُعلمه أنّ الناس معه، ولا أراه إلّا مقبلاً. ٣٧٧/٥

فقال عمر لابن زياد: أ تدري ما قال لي؟ أنّه ذكر كذا وكذا.

قال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا مالك فهو لك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأمّا حسين فإنّه إن لم يُردنا لم نَرده، وإن أرادنا لم نَكُفَّ عنه، و أمّا جثّته فإنّا لن نشفّعك فيها، إنّه ليس بأهل منّا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا، وجهد على هلاكنا.

و زعموا أنّه قال: أمّا جثّته فإنّا لا نبالي إذ قتلناه ما صُنع بها.

ثمّ إنّ ابن زياد قال: إيه يا بن عقيل! أتيتَ الناس وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، لتشتّتهم، وتفرّق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض؟!

قال: كلّا، لست أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أنّ أباكَ قتل خيارهم، وسَفَكَ دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب.

قال: وما أنت وذاك يا فاسق! أو لم نكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر!

قال: أنا أشرب الخمر؟! والله، إنّ الله ليعلم أنّك غير صادق، وأنّك قلت بغير علم، وأنّي لستُ كما ذكرت، وإنّ أحقّ بشرب الخمر منّي وأولى بها من يلغ في دماء

المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إنّ نفسك تمنّيك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله.

قال: فمن أهله يا بن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد.

فقال: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم، قال: كأنّك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً؟ قال: والله، ما هو بالظنّ، ولكنّه اليقين.

قال: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام!

قال: أما انّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنّك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحقّ بها منك.

و أقبل ابن سميّة يشتمه ويشتم حسيناً وعليّاً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلّمه.

و زعم أهل العلم أنّ عبيد الله أمر له بماء فسقي بخزفة، ثمّ قال له: إنّه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلّا كراهة أن تحرَّم بالشرب فيها، •ثمّ نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا. ٣٧٨/٥

ثمّ قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثمّ أتبعوا جسده رأسه.

فقال: يا بن الأشعث، أما والله، لولا أنّك آمنتني ما استسلمت، قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمّتك، ثمّ قال: يا بن زياد، أما والله، لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتني!

ثمّ قال ابن زياد:

أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه؟ فدعي.

فقال: اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبّر ويستغفر ويصلّي

على ملائكة الله ورسله، وهو يقول: اللّهمّ احكم بيننا وبين قـوم غـرّونا وكـذّبونا وأذلّونا، وأشرف به على موضع الجزّارين اليوم، فَضُرِبت عُنقُه، وأتبع جسده رأسه.

قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة، قال: نزل الأحمري بكير بن حمران الذي قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قَتَلتَهُ؟ قال: نـعم، قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يكبّر ويسبّح ويستغفر، فلمّا أدنيته لأقتله قال: اللّهمّ احكم بيننا و بين قوم كذّبونا وغرّونا وخَذَلُونا وقَتَلُونا، فقلت له: ادن منّي، الحمد لله الذي أقادني منك، فضربته ضربة لم تغنِ شيئاً، فقال: أما ترى في خدشٍ تخدشنيه وفاء من دمك أيّها العبد؟

فقال ابن زياد: أو فخراً عند الموت؟! قال: ثمّ ضربته الثانية فقتلته.

قال: وقام محمّد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه في هانئ بن عروة، وقال: إنّك قد عرفت منزلة هانئ بن عروة في المصر، وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أنّي وصاحبي سُقناه إليك، فأنشدك الله لمّا وهبته لي، فإنّي أكره عداوة قومه، هم أعزّ أهل المصر، وعدد أهل اليمن.

قال: فوعده أن يفعل، فلمّا كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان بدا له فيه، وأبى أن يفي له بما قال.

قال: فأمر بهانئ بن عروة حين قتل مسلم بن عقيل، فقال: اخرجوا إلى السوق فاضربوا عنقه، قال: فأُخرج بهانئ حتّى انتهى إلى مكان من •السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف، فجعل يقول: وا مذحجاه! ولا مذحج لي اليوم؟! وا مذحجاه، وأين منّي مذحج؟! فلمّا رأى أنّ أحداً لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف، ثمّ قال: أما من عصا أو سكّين أو حجر أو عظم يجاحش[1] به رجل عن نفسه؟ ٣٧٩/٥

---

١. يجاحش: يدافع (العين: ج ٣ ص ٦٨ «جحش»).

قال: ووثبوا إليه فشدّوه وثاقاً، ثمّ قيل له: امدد عنقك، فقال: ما أنا بها مجدٍ سخيّ، وما أنا بمعينكم على نفسي.

قال: فضربه مولى لعبيد الله بن زياد ـ تركي يقال له: رشيد ـ بالسيف، فلم يصنع سيفه شيئاً، فقال هانئ: إلى الله المعاد! اللّهمّ إلى رحمتك ورضوانك! ثمّ ضربه أُخرى فقتله.

قال: فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بخازر، وهو مع عبيد الله بن زياد، فقال الناس: هذا قاتل هانئ بن عروة، فقال ابن الحصين: قتلني الله إن لم أقتله أو أقتل دونه! فحمل عليه بالرمح فطعنه فقتله.

ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد لمّا قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة دعا بعبد الأعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فتيان، فأُتي به، فقال له: أخبرني بأمرك.

فقال: أصلحك الله! خرجتُ لأنظر ما يصنع الناس، فأخذني كثير بن شهاب، فقال له: فعليك و عليك، من الأيمان المغلّظة، إن كان أخرجك إلّا ما زعمت؟ فأبى أن يحلف.

فقال عبيد الله: انطلقوا بهذا إلى جبّانة السبيع فاضربوا عنقه بها، قال: فانطُلِق به فضربت عُنُقه.

قال: وأخرج عمارة بن صلخب الأزدي ـ وكان ممّن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره ـ فأُتي به أيضاً عبيد الله، فقال له: ممّن أنت؟ قال: من الأزد. قال: انطلقوا به إلى قومه، فضُرِبَت عُنقُه فيهم، فقال عبدالله بن الزبير الأسدي في قتله مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المرادي ـ ويقال: قاله الفرزدق:

إن كُنتِ لا تَدرينَ ما الموتُ فانظُري ... إلى هانئٍ في السوقِ وابنِ عقيلِ
إلى بطَلٍ قد هَشَّمَ السيفُ وجهَهُ ... و آخر يهوِي مِن طَمارٍ قَتيلِ ٣٨٠/٥
أصابَهما أمرُ الأمير فأصبحا ... أحاديثَ من يسري بكُلّ سبيل

تَرى جَسَداً قد غيّر الموتُ لونَهُ و نَضحَ دمٍ قَد سَال كُلَّ مسيلِ
فتىً هو أحيا من فتاةٍ حَييّة و أقطعُ من ذي شَفرتَين صقيلِ
أ يركَبُ أسماءُ الهمالیج آمِناً و قد طلبته مَذحِجٌ بذُحولِ!
تُطِيفُ حواليه مُرادٌ وكلُّهُم على رِقبة من سائلٍ ومَسولِ
فإن أنتمُ لم تثأروا بأَخيكُمُ فكونوا بغايا أُرضِيَت بقليلِ

قال أبو مخنف: عن أبي جناب يحيى بن أبي حيّة الكلبي، قال: ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد لمّا قتلَ مسلماً وهانئاً بعث برؤوسهما مع هانئ بن أبي حيّة الوادعي والزبير بن الأروح التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه ـ وكان أوّل من أطال في الكتب ـ فلمّا نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه، وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ اكتب:

أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقّه، وكفاه مؤنة عدوّه، أخبر أميرَ المؤمنين أكرمه الله أنّ مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وأنّي جعلت عليهما العيون، ودسست إليهما الرجال، وكدتهما حتّى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدّمتهما فضربت أعناقهما، وقد بَعَثتُ إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حيّة الهمداني والزبير بن الأروح التميمي ـ وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة ـ فليسألهما أميرُ المؤمنين عمّا أحبّ من أمر، فإنّ عندهما علماً وصدقاً، وفهماً وورعاً، والسلام.

فكتب إليه يزيد: أمّا بعد؛ فإنّك لم تَعْدُ أن كنتَ كما أُحبّ، عملتَ عملَ الحازم، ومصُلتَ صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظنّي بك، ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، •فوجدتهما في رأيهما ٣٨١/٥
وفضلهما كما ذكرت، فاستوصِ بهما خيراً، وأنّه قد بلغني أنّ الحسين بن عليّ قد توجّه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، و احترس على الظنّ، وخذ على

التهمة، غير ألّا تقتل إلّا من قاتلك، واكتب إليَّ في كلّ ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله.

قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة، قال: كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجّة، سنّة ستّين ـ ويقال: يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستّين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكّة مقبلاً إلى الكوفة بيوم ـ قال: وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكّة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنّة ستّين، ودخل مكّة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكّة شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثمّ خرج منها لثمان مضين من ذي الحجّة، يوم الثلاثاء، يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل.

و ذكر هارون بن مسلم، عن عليّ بن صالح، عن عيسى بن يزيد، أنّ المختار بن أبي عبيد وعبدالله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبدالله براية حمراء، وعليه ثياب حمر، وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث، وقال: إنّما خرجت لأمنع عمراً، وأنّ ابن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشيّة سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً، وأنّ شبثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنّك قد سددت على الناس وجه مصيرهم، فأفرج لهم ينسربوا، وأنّ عبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبدالله بن الحارث، وجعل فيهما جعلاً، فأُتي بهما فحبسا.

• ذكر مسير الحسين إلى الكوفة ٣٨٢/٥

وفي هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً إلى الكوفة.

ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان من أمره في مسيره ذلك:

قال هشام عن أبي مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن عمر بن عبد الرحمن بن

الحارث بن هشام المخزومي، قال: لمّا قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين وتهيّأ للمسير إلى العراق، أتيته فدخلت عليه وهو بمكّة، فحمدت الله وأثنيت عليه، ثمّ قلت:

أمّا بعد؛ فإنّي أتيتك يا بن عمّ لحاجة أُريد ذكرها لك نصيحة، فإن كنت ترى أنّك تستنصحني و إلّا كففت عمّا أُريد أن أقول. فقال: قُل، فو الله، ما أظنّك بسيّئ الرأي، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل.

قال: قلت له: إنّه قد بلغني أنّك تريد المسير إلى العراق، وإنّي مشفق عليك من مسيرك، إنّك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، و لا آمن عليك أن يقاتلك مَن وعدك نصره، ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه.

فقال الحسين: جزاك الله خيراً يا بن عمّ، فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح، وتكلّمت بعقل، ومهما يُقضَ من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمدُ مشيرٍ، وأنصحُ ناصحٍ.

قال: فانصرفت من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام، فسألني: هل لقيتَ حسيناً؟ فقلت له: نعم، قال: فما قالَ لَكَ، وما قُلتَ له؟ قال: فقلت له: قلت: كذا وكذا، وقال: كذا وكذا، فقال: نصحتَهُ وربّ المروة الشهباء، أما وربّ البنيّة، أنّ الرأي لما رأيته، قبله أو تركه، ثمّ قال:

رُبّ مستنصحٍ يَغُشُّ ويُردِي و ظَنينٍ بالغيبِ يُلفَى نَصِيحَا

٣٨٣/٥ •قال أبو مخنف: وحدّثني الحارث بن كعب الوالبي، عن عقبة بن سمعان، أنّ حسيناً لمّا أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبدالله بن عبّاس فقال: يا بن عمّ، إنّكَ قد أرجفَ الناسُ أنّكَ سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟

قال: إنّي قد أجمعتُ المسير في أحد يوميَّ هذين إن شاء الله تعالى.

فقال له ابن عبّاس: فإنّي أُعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله! أ تسير إلى

قومٍ قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبى بلادهم، فإنّهم إنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذّبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك.

فقال له حسين: وإنّي أستخير الله وأنظر ما يكون.

قال: فخرج ابن عبّاس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدّثه ساعةً، ثمّ قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولاة هذا الأمر دونهم! خبّرني ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين: والله، لقد حدّثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليَّ شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله.

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها. قال: ثمّ إنّه خشي أن يتّهمه فقال: أما إنّك لو أقمت بالحجاز ثمّ أردت هذا الأمر هاهنا ما خولف عليك إن شاء الله.

ثمّ قام فخرج من عنده، فقال الحسين: ها أنّ هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنّه ليس له من الأمر معي شيء، وأنّ الناس لم يعدلوه بي، فَوَدَّ أنّي خرجت منها لتخلو له.

قال: فلمّا كان من العشيّ أو من الغد، أتى الحسينَ عبدالله بن العبّاس فقال: يا بن عمّ، إنّي أتصبّر ولا أصبر، إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنّ أهل العراق قومُ غَدرٍ، فلا تقربنَّهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم، ثمّ أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أنّه تخرج فسر إلى اليمن؛ •فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة ٣٨٤/٥
طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل، وتبثّ دُعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية.

فقال له الحسين: يا بن عمّ، إنّي والله لأعلم أنّك ناصح مشفق، ولكنّي قد أزمعت وأجمعت على المسير.

فقال له ابن عبّاس: فان كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فو الله، إنّي لخائف أن تقتل كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه، ثمّ قال ابن عباس: لقد أقررتَ عينَ ابنِ الزبير بتخليتك إيّاه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلّا هو، لو أعلم أنّك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتّى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعتني، لفعلت ذلك.

قال: ثمّ خرج ابن عبّاس من عنده، فمرّ بعبدالله بن الزبير، فقال: قرّت عينك يا بن الزبير! ثمّ قال:

يـــا لكِ مـــن قُـــبَّرة بـــمَعمرٍ خَلا لَكِ الجوّ فبيضي واصفري
و نَقِّري ما شئت أن تُنَقِّري

هذا حسين يخرج إلى العراق، وعليك بالحجاز.

قال أبو مخنف: قال أبو جناب يحيى بن أبي حيّة، عن عديّ بن حرملة الأسدي، عن عبدالله بن سليم والمذريّ بن المشمعل الأسديين، قالا: خرجنا حاجّين من الكوفة حتّى قدمنا مكّة، فدخلنا يوم التروية، فإذا نحن بالحسين وعبدالله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب، قالا: فتقرّبنا منهما، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين: إن شئت أن تقيم أقمت فولّيتَ هذا الأمر، فآزرناك وساعدناك، ونصحنا لك وبايعناك.

فقال له الحسين: إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش.

فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئتَ وتولّيني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى، فقال: وما أُريد هذا أيضاً، قالا: ثمّ إنّهما أخفيا •كلامهما دوننا، فما زالا يتناجيان حتّى سمعنا دعاء الناس رائحين متوجّهين إلى منى عند الظهر. ٣٨٥/٥

قالا: فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة، وقصّ من شعره، وحلّ من عمرته، ثمّ توجّه نحو الكوفة، وتوجّهنا نحو الناس إلى منى.

قال أبو مخنف: عن أبي سعيد عقيصى، عن بعض أصحابه، قال: سمعت الحسين بن عليّ وهو بمكّة وهو واقف مع عبدالله بن الزبير، فقال له ابن الزبير: إليَّ يا بن فاطمة، فأصغي إليه، فسارّه، قال: ثمّ التفت إلينا الحسين فقال: أ تدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري، جعلنا الله فداك! فقال: قال: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس.

ثمّ قال الحسين:

و الله، لأن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليّ من أن أُقتل داخلاً منها بشبر، وأيم الله، لو كنت في جحر هامّة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتّى يقضوا فيَّ حاجتهم، وو الله، ليَعتدُنّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت.

قال أبو مخنف: حدّثني الحارث بن كعب الوالبي، عن عقبة بن سمعان، قال: لمّا خرج الحسين من مكّة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص، عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب؟ فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان، فاضطربوا بالسياط، ثمّ إنّ الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قويّاً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: يا حسين، ألا تتّقي الله تخرج من الجماعة، وتفرّق بين هذه الأُمّة؟! فتأوّل حسين قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

قال: ثمّ إنّ الحسين أقبل حتّى مرّ بالتنعيم، فلقى بها عيراً قد أقبل بها من اليمن، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس و الحلل، ينطلق بها إلى يزيد،• فأخذها الحسين، فانطلق بها، ٣٨٦/٥
ثمّ قال لأصحاب الإبل: لا أُكرهكم، مَن أحبّ أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبته، ومَن أحبّ أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر

ما قطع من الأرض، قال: فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقّه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه.

قال أبو مخنف، عن أبي جناب، عن عديّ بن حرملة، عن عبدالله بن سليم والمذرى، قالا: أقبلنا حتّى انتهينا إلى الصفاح، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر، فواقف حسيناً، فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحبّ، فقال له الحسين: بيّن لنا نبأ الناس خلفك، فقال له الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أُميّة، والقضاء ينزل من السماء، واللهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ.

فقال له الحسين: صدقتَ، لله الأمر، واللهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ، وكُلَّ يَوْمٍ ربنا فِي شَأْنٍ، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يَعتدِ مَن كان الحقّ نيّتَهُ، والتقوى سريرتَهُ، ثمّ حرّك الحسين راحلته فقال: السلام عليك، ثمّ افترقا.

قال هشام، عن عوانة بن الحكم، عن لَبَطَة بن الفرزدق بن غالب، عن أبيه، قال: حججت بأُمّي، فأنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم في أيّام الحجّ، وذلك في سنة ستّين، إذ لقيت الحسينَ بن عليّ خارجاً من مكّة معه أسيافه وتِراسُهُ، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن عليّ، فأتيته فقلت: بأبي وأُمّي يا بن رسول الله! ما أُعجلك عن الحجّ؟

فقال: لو لم أعجل لأُخذتُ، قال: ثمّ سألني: ممّن أنت؟ فقلت له: امرؤ من العراق، قال: فو الله، ما فتّشني عن أكثر من ذلك، واكتفى بها منّي، فقال: أخبرني عن الناس خلفك؟ قال: فقلت له: القلوب معك، والسيوفُ مع بني أُميّة، والقضاء بيد الله.

قال: فقال لي: صدقت.

قال: فسألته عن أشياء، فأخبرني بها من نذور ومناسك، قال: وإذا هو ثقيل اللسان من برسام أصابه بالعراق. ٣٨٧/٥

قال: ثمّ مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم، وهيئته حسنة، فأتيته فإذا هو لعبدالله بن عمرو بن العاص، فسألني، فأخبرته بلقاء الحسين بن عليّ، فقال لي: ويلك! فهلّا اتّبعته، فو الله ليملكنّ، ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه.

قال: فهممت والله أن ألحق به، ووقع في قلبي مقالته، ثمّ ذكرت الأنبياء وقتلهم، فصدّني ذلك عن اللحاق بهم، فقدمت على أهلي بعسفان، قال: فو الله، إني لعندهم إذ أقبلت عير قد امتارت من الكوفة، فلمّا سمعت بهم خرجت في آثارهم حتّى إذا أسمعتهم الصوت وعجّلت عن إتيانهم صرخت بهم: ألا ما فعل الحسين بن عليّ؟ قال: فردّوا عليَّ: ألا قد قتل.

قال: فانصرفت وأنا ألعن عبدالله بن عمرو بن العاص. قال: وكان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر، وينتظرونه في كلّ يوم وليلة.

قال: وكان عبدالله بن عمرو يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتّى يظهر هذا الأمر، قال: فقلت له: فما يمنعك أن تبيع الوَهْط؟

قال: فقال لي: لعنة الله على فلان ـ يعني معاوية ـ وعليك، قال: فقلت: لا، بل عليك لعنة الله، قال: فزادني من اللعن ولم يكن عنده من حشمه أحدُ فألقى منهم شرّاً، قال: فخرجت وهو لا يعرفني.

و الوهط: حائط لعبدالله بن عمرو بالطائف، قال: وكان معاوية قد ساوم به عبدالله بن عمرو، وأعطاه به مالاً كثيراً، فأبى أن يبيعه بشيء.

قال: وأقبل الحسين مغذّاً لا يلوي على شيء حتّى نزل ذات عرق.

قال أبو مخنف: حدّثني الحارث بن كعب الوالبي، عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قال: لمّا خرجنا من مكّة كتب عبدالله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن عليّ مع ابنيه: عون ومحمّد:

أمّا بعد؛ فإنّي أسالك بالله لمّا انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنّي مشفق عليك من الوجه الذي توجّه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكتَ اليوم

٣٨٨/٥ طفئ نور الأرض، فإنّك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير• فإنّي في أثر الكتاب، والسلام.

قال: وقام عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه، وقال: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتُمنّيه فيه البرّ والصِلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع لعلّه يطمئنّ إلى ذلك فيرجع.

فقال عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وائتني به حتّى أختمه، فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب، ثمّ أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمه، وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنّه أحرى أن تطمئنّ نفسه إليه، ويعلم أنّه الجدّ منك، ففعل، وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكّة.

قال: فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب، وجهدنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال:

إنّي رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأُمرتُ فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليّ كان أولى، فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

قال: ما حدّثتُ أحداً بها، وما أنا محدّث بها حتّى ألقى ربّي.

قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد، إلى الحسين بن عليّ، أمّا بعد؛ فإنّي أسال الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنّك قد توجّهت إلى العراق، وإنّي أُعيذك بالله من الشقاق، فإنّي أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليَّ معهما، فإنَّ لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار لك، الله عليَّ بذلك شهيد وكفيل، ومراع ووكيل، والسلام عليك.

قال: وكتب إليه الحسين: أمّا بعد، فإنّه لم يشاقق الله ورسوله مَن دعا إلى الله عزّ وجلّ وعمل صالحاً، وقال: إنّني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلة،

فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم •القيامة، فإنّ كنتَ نويتَ بالكتاب صِلَتي ٣٨٩/٥
وبرّي، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام.

رجع الحديث إلى حديث عمّار الدهني عن أبي جعفر، فحدّثني زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدّثنا أحمد بن جناب المصيصيّ، قال: حدّثنا خالد بن يزيد بن عبدالله القسري، قال: حدّثنا عمّار الدهني، قال: قلت لأبي جعفر: حدّثني عن مقتل الحسين حتّى كأنّي حضرته، قال: فأقبل حسين بن عليّ بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه، حتّى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، لقيه الحرّ بن يزيد التميمي، فقال له: أين تريد؟

قال: أُريد هذا المصر، قال له: ارجع فانّي لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه، فهمّ أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله، لا نرجع حتّى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياه بعدكم! فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله، فلمّا رأى ذلك عدل إلى كربلاء فأسند ظهره إلى قصباء وخَلاً. كيلا يقاتل إلّا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومئه راجل، وكان عمر بن سعد بن أبي وقّاص قد ولاّه عبيد الله بن زياد الريّ، وعهد إليه عهده، فقال: اكفني هذا الرجل، قال: أعفني، فأبى أن يعفيه، قال: فانظرني الليلة، فأخّره، فنظر في أمره فلمّا أصبح غدا عليه راضياً بما أمر به، فتوجّه إليه عمر بن سعد.

فلمّا أتاه قال له الحسين: اختر واحدة من ثلاث: إمّا أن تدعوَني فأنصرف من حيث جئت، وإمّا أن تدعوَني فأذهب إلى يزيد، وإمّا أن تدعوَني فألحق بالثغور.

فقبل ذلك عمر، فكتب إليه عبيد الله: لا، ولا كرامة حتّى يضع يده في يدي!

فقال له الحسين: لا والله، لا يكون ذلك أبداً، فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلّهم، وفيهم بضعة عشر شابّاً من أهل بيته، وجاء سهم فأصاب ابناً له معه في حجره، فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللّهمّ احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا

٣٩٠/٥ فقتلونا، ثمّ أمر بحبرة فشققها، ثمّ •لبسها وخرج بسيفه، فقاتل حتّى قتل (صلوات الله عليه) قتله رجل من مذحج وحزّ رأسه، وانطلق به إلى عبيد الله وقال:

أوقِرْ ركابي فضّةً وذهبا ... فقد قَتَلتُ الملكَ المحجّبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أُمّاً وأبا ... و خَيرهُم إذ ينسبونَ نسبا

وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس، فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي، فجعل ينكت بالقضيب على فِيهِ ويقول:

يُفَلِّقن هاماً من رجالٍ أعزّة ... علَينا وهُم كانوا أعقَّ وأَظلَما

فقال له أبو برزة: ارفع قضيبك، فو الله، لربما رأيت فا رسول الله صلى الله عليه وآله على فيه يلثمه.

و سرّح عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى عبيد الله، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين بن عليّ عليه السلام إلّا غلام كان مريضاً مع النساء، فأمر به عبيد الله ليقتل، فطرحت زينب نفسها عليه وقالت: والله، لا يقتل حتّى تقتلوني! فرقّ لها، فتركه وكفّ عنه.

قال: فجهّزهم وحملهم إلى يزيد، فلمّا قدموا عليه جمع من كان بحضرته من أهل الشام، ثمّ أدخلوهم، فهنّئوه بالفتح.

قال رجل منهم أزرق أحمر ونظر إلى وصيفة من بناتهم، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه.

فقالت زينب: لا والله، ولا كرامة لك ولا له إلّا أن يخرج من دين الله.

قال: فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كُفّ عن هذا، ثمّ أدخلهم على عياله، فجهّزهم وحملهم إلى المدينة، فلمّا دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطّلب ناشرة شعرها، واضعة كمها على رأسها، تلقاهم وهي تبكي وتقول:

ماذا تَقولونَ إن قالَ النبيُّ لَكُم ... ماذا فَعلتُم وأنتم آخرُ الأُممِ!

بعترتي وبأهلي بعد مُفتَقَدي ... منهم أُسارى وقَتلَى ضرّجوا بدمِ

ما كانَ هذا جَزائي إذ نَصَحتُ لَكُم ... أن تُخلفوني بسوء في ذوي رحمي!

• حدّثني الحسين بن نصر، قال: حدّثنا أبو ربيعة، قال: حدّثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن، قال: بلغنا أن الحسين عليه السلام... ٣٩١/٥

و حدّثنا محمّد بن عمّار الرازي، قال: حدّثنا سعيد بن سليمان، قال: حدّثنا عبّاد بن العوّام، قال: حدّثنا حصين، أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام كتب إليه أهل الكوفة: أنّه معك مئة ألف، فبعث إليهم مسلم بن عقيل، فقدم الكوفة، فنزل دار هانئ بن عروة، فاجتمع إليه الناس، فأخبر ابن زياد بذلك.

زاد الحسين بن نصر في حديثه: فأرسل إلى هانئ فأتاه، فقال: أ لم أوقرك؟ أ لم أكرمك؟ أ لم أفعل بك؟ قال: بلى، قال: فما جزاء ذلك؟

قال: جزاؤه أن أمنعك، قال: تمنعني؟! قال: فأخذ قضيباً مكانه فضربه به، وأمر فكُتِف، ثمّ ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأُغلق، وأمر منادياً فنادى: يا خيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظنّ أنّه في ملأ من الناس.

قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف، قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شمالاً إلّا وذهبت منهم طائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك، قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله، ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثمّ أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمّد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إنّ مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين:

انطلقا فأتياني به، فدخلا عليه وهو عند امراة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا •له: انطلق، الأمير يدعوك. ٣٩٢/٥

فقال: اعقدا لي عقداً، فقالا: ما نملك ذاك، فانطلق معهما حتّى أتاه فأمر به فكتُفِ ثمّ قال: هِيهْ هِيهْ يا بن خليّة ـ قال الحسين في حديثه: يا بن كذا ـ جئت لتنزع سلطاني! ثمّ أمر به فضربت عُنقُه.

قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف أنّ ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يَدعونَّ أحداً يلج ولا أحداً يخرج، فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتّى لقى الأعراب، فسألهم، فقالوا:

لا والله ما ندري، غير أنّا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، قال: فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد، فلقيته الخيول بكربلاء، فنزل يناشدهم الله والإسلام.

قال: وكان بعث إليه عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحصين بن نميم، فناشدهم الحسين الله والإسلام أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، فقالوا: لا، إلّا على حكم ابن زياد.

و كان فيمن بعث إليه الحرّ بن يزيد الحنظلي ثمّ النهشلي على خيل، فلمّا سمع ما يقول الحسين قال لهم: ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم؟! والله، لو سألكم هذا الترك والديلم ما حلّ لكم أن تردّوه! فأبوا إلّا على حكم ابن زياد.

فصرف الحرّ وجه فرسه، وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنّوا أنّه إنّما جاء ليقاتلهم، فلمّا دنا منهم قلب ترسه وسلّم عليهم، ثمّ كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتل منهم رجلين، ثمّ قتل (رحمة الله عليه).

وذكر أنّ زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجّاً، فأقبل معه، وخرج إليه ابن أبي بحريّة المرادي ورجلان آخران وعمرو بن الحجّاج ومعن السلميّ، قال الحصين: وقد رأيتهما.

قال الحصين: وحدّثني سعد بن عبيدة، قال: إنّ أشياخاً من أهل الكوفة لَوُقوف

على التلّ يبكون ويقولون: اللّهمّ أنزل نصرك، قال: قلت: يا أعداء الله، ألا تنزلون فتنصرونه؟ قال: فأقبل الحسين يكلّم من بعث إليه ابن زياد، قال: وأنّي لأنظر إليه وعليه جبّة من برود، فلمّا كلّمهم انصرف، فرماه رجل من بني تميم يقال له: عمر الطهويّ بسهم، فإنّي لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلّقاً في جبّته، فلمّا أبوا عليه رجع إلى مصافّه، وإنّي لأنظر إليهم، • وإنّهم لقريب من مئة رجل، فيهم لصلب عليّ بن أبي ٣٩٣/٥
طالب عليه السلام خمسة، ومن بني هاشم ستّة عشر، و رجل من بني سليم حليف لهم، ورجل من بني كنانة حليف لهم، وابن عمر بن زياد.

قال: وحدّثني سعد بن عبيدة، قال: إنّا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد، إذ أتاه رجل فسارّه وقال له: قد بعث إليك ابن زياد جويرية بن بدر التميميّ، وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عُنقَك، قال: فوثب إلى فرسه فركبه، ثمّ دعا سلاحه فلبسه، وأنّه على فرسه، فنهض بالناس إليهم فقاتلوهم، فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد، فوضع بين يديه، فجعل ينكت بقضيبه، ويقول: إنّ أبا عبدالله قد كان شمط.[1]

قال: وجيء بنسائه وبناته وأهله، وكان أحسن شيء صنعه أن أمر لهنّ بمنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهنّ رزقاً، وأمر لهنّ بنفقة وكسوة.

قال: فانطلق غلامان منهم لعبدالله بن جعفر ـ أو ابن ابن جعفر ـ فأتيا رجلاً من طيّئ فلجأ إليه، فضرب أعناقهما، وجاء برؤوسهما حتّى وضعهما بين يدي ابن زياد، قال: فهمّ بضرب عنقه، وأمر بداره فهدمت.

قال: وحدّثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان، قال: لمّا أُتي يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه، قال: رأيته يبكي، وقال: لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا.

قال حصين: فلمّا قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة، كأنّما تلطّخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتّى ترتفع.

---

١. الشَّمَط: الشيب (النهاية: ج ٢ ص ٥٠١ «شمط»).

قال: وحدّثني العلاء بن أبي عاتة، قال: حدّثني رأس الجالوت، عن أبيه، قال: ما مررت بكربلاء إلّا وأنا أركُض دابّتي حتّى أخلّف المكان، قال: قلت: لم؟ قال: كنّا نتحدّث أنّ ولد نبيّ مقتول في ذلك المكان، قال: وكنت أخاف أن أكون أنا، فلمّا قتل الحسين قلنا: هذا الذي كنّا نتحدّث، قال: وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض.

٣٩٤/٥ حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: حدّثني عليّ بن محمّد، عن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: قال الحسين: والله، لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأمة، فقدم للعراق فقتل بنينوى يوم عاشوراء سنّة إحدى وستّين.

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمّد بن عمر، قال: قتل الحسين بن عليّ عليه السلام في صفر سنّة إحدى وستّين، وهو يومئذ ابن خمس وخمسين.

حدّثني بذلك أفلح بن سعيد، عن ابن كعب القرظيّ، قال الحارث: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمّد بن عمر، عن أبي معشر، قال: قتل الحسين لعشر خلون من المحرّم. قال الواقدي: هذا أثبت.

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمّد بن عمر، قال: أخبرنا عطاء بن مسلم، عمّن أخبره، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، قال: أوّل رأس رفع على خشبة رأس الحسين عليه السلام وصلّى الله على روحه.

قال أبو مخنف: عن هشام بن الوليد، عمّن شهد ذلك، قال: أقبل الحسين بن عليّ بأهله من مكّة ومحمّد بن الحنفية بالمدينة، قال: فبلغه خبره وهو يتوضّأ في طست، قال: فبكى حتّى سمعت وكفُ[1] دموعه في الطست.

قال أبو مخنف: حدّثني يونس بن أبي إسحاق السبيعي، قال: ولمّا بلغ عبيد الله

---

١. وَكَفَت العينُ بالدمع: إذا تقاطر (لسان العرب: ج ٩ ص ٣٦٣ «وكف»).

إقبال الحسين من مكّة إلى الكوفة، بعث الحصين بن تميم صاحب شُرَطه حتّى نزل القادسية، ونظم الخيلَ ما بين القادسية إلى خفّان، وما بين القادسية إلى القطقطانة وإلى لَعلَع، وقال الناس: هذا الحسين يريد العراق.

قال أبو مخنف: وحدّثني محمّد بن قيس أنّ الحسين أقبل حتّى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمّة بعث قيس بن مسهر الصيداويّ إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم ٣٩٥/٥

من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد؛ فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، و اجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شَخَصتُ إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم ووجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

و كان مسلم بن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة: أمّا بعد؛ فإنّ الرائد لا يَكذِبُ أهله، إنّ جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عليك.

قال: فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يلوي على شيء، وأقبل قيس بن مسهر الصيداويّ إلى الكوفة بكتاب الحسين، حتّى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن تميم، فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد إلى القصر فسبّ الكذّاب ابن الكذّاب، فصعد ثمّ قال:

أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجر، فأجيبوه، ثمّ لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعليّ بن أبي طالب.

قال: فأمر به عبيد الله بن زياد أن يُرمى به من فوق القصر، فَرُمي بـه، فـتقطّع فمات.

ثمّ أقبل الحسين سيراً إلى الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فـإذا عـليه عبدالله بن مطيع العدويّ، وهو نازل هاهنا، فلمّا رأى الحسين قام إليه، فقال: بأبي أنت وأُمّي يا بن رسول الله! ما أقدمك؟ واحتمله فأنزله، فقال له الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إليّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم.

فقال له عبدالله بن مطيع: أذكِّركَ اللهَ يا بن رسول الله وحُرمة الإسلام أن تنتهك! أنشدُك الله في حُرمة رسول الله صلى الله عليه وآله! أنشدك الله في حرمة العرب! فو الله، لئن طلبت ما فـي أيـدي بـني أُمـيّة ليـقتلنّك، ولئـن قـتلوك لا يـهابون بـعدك أحـداً ابـداً، والله، إنّها لَحُرمة الإسلام تُنتهك، وحُرمة قريش •وحُرمة العرب، فـلا تـفعل، ولا ٣٩٦/٥
تأتِ الكوفة، ولا تَعَرَّض لبني أُميّة.

قال: فأبى إلّا أن يمضي.

قال: فأقبل الحسين حتّى كان بالماء فوق زرود.

قال أبو مخنف: فحدّثني السدّيّ، عن رجل من بني فزارة، قال: لمّا كان زمـن الحجّاج بن يوسف كنّا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التّمارين، التي أُقطعت بعد زهير بن القين، من بني عمرو بن يشكـر مـن بـجيلة، وكـان أهـل الشـام لا يدخلونها، فكنّا مختبئين فيها، قال: فقلت للفزاري: حدّثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن عليّ، قال: كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّـة نسـاير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سـار الحسـين تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتّى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغدّى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين حتّى سلّم، ثمّ دخل فقال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبدالله الحسين بن عليّ بعثني إليك لتأتيه. قال: فطرح كـلّ

إنسان ما في يده حتّى كأنّنا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدّثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين، قالت: فقلت له: أيَبعثُ إليكَ ابنُ رسول الله ثمّ لا تأتيه؟ سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه، ثمّ انصرفت. قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه.

قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدّم، وحُمل إلى الحسين، ثمّ قال لامرأته: أنت طالق، الحقي بأهلك، فإنّي لا أُحبّ أن يصيبك من سببي إلّا خير.

ثمّ قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني وإلّا فإنّه آخر العهد، إنّي سأُحدّثكم حديثاً: غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم، فأمّا
•أنا فإنّي أستودعكم الله، قال: ثمّ والله ما زال في أوّل القوم حتّى قتل. ٣٩٧/٥

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جناب الكلبيّ، عن عديّ بن حرملة الأسديّ، عن عبدالله بن سليم والمذرى بن المشمعل الأسديّين، قالا: لمّا قضينا حجّنا لم يكن لنا همّة إلّا اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتّى لحقناه بزرود، فلمّا دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالا: فوقف الحسين كأنّه يريده، ثمّ تركه، ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنسأله، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه، فمضينا حتّى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك، قال: وعليكم السلام ورحمة الله، ثمّ قلنا: فَمَن الرجل؟ قال: أسدي: فقلنا: فنحن أسديّان، فَمَن أنت؟ قال: أنا بكير بن المثعبة، فانتسبنا له، ثمّ قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتّى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، فرأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السوق.

قالا: فأقبلنا حتّى لحقنا بالحسين، فسايرناه حتّى نزل الثعلبية ممسياً، فجئناه

حين نزل، فسلّمنا عليه فردّ علينا، فقلنا له: يرحمك الله، إنّ عندنا خبراً، فإن شئت حدّثنا علانية، وإن شئت سرّاً؟

قال: فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سر.

فقلنا له: أ رايت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟ قال: نعم، وقد أردت مسألته، فقلنا: قد استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ من أسد منّا، ذو رأي وصدق، وفضل وعقل، و أنه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتّى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، وحتّى رآهما يجرّان في السوق بأرجلهما!!

فقال: إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! رحمة الله عليهما، فردّد ذلك مراراً.

فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن تكون عليك! قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب.

قال أبو مخنف: حدّثني عمر بن خالد، عن زيد بن عليّ بن حسين، وعن داود بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس، أنّ بني عقيل قالوا: لا والله، لا نبرح حتّى ندرك ثأرنا، أو نذوق ما ذاق أخونا.

٣٩٨/٥ •قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عديّ بن حرملة، عن عبدالله بن سليم والمذرى بن المشمعل الأسديّين، قالا: فنظر إلينا الحسين فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء.

قالا: فعلمنا أنّه قد عزم له رأيه على المسير، قالا: فقلنا: خار الله لك، قالا: فقال: رحمكما الله.

قالا: فقال له بعض أصحابه: إنّك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع.

قال الأسديان: ثمّ انتظر حتّى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا، ثمّ ارتحلوا وساروا حتّى انتهوا إلى زبالة.

قال أبو مخنف: حدّثني أبو عليّ الأنصاري، عن بكر بن مصعب المزني، قال: كان الحسين لا يمرّ بأهل ماء إلّاتّبعوه حتّى إذا انتهى إلى زبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة، مقتل عبدالله بن بُقطُر، وكان سرّحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق، وهو لا يدري أنّه قد أُصيب، فتلقّاه خيل الحصين بن تميم بالقادسية، فسرّح به إلى عبيد الله بن زياد، فقال: اصعد فوق القصر فالعن الكذّاب ابن الكذّاب، ثمّ انزل حتّى أرى فيك رأيي! قال: فصعد، فلمّا أشرف على الناس قال:

أيّها الناس، إنّي رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة ابن سمية الدَعِيّ، فأمر به عبيد الله فأُلقي من فوق القصر إلى الأرض، فكسرت عظامه، وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له: عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فلمّا عيب ذلك عليه قال: إنّما أردت أن أُريحه.

قال هشام: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عمّن أخبره، قال: والله، ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه، ولكنّه قام إليه رجل جعد طوال يشبه عبد الملك بن عمير، قال: فأُتي ذلك الخبر حسيناً وهو بزباله، فأخرج للناس كتاباً، فقرا عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فإنّه قد أتانا خبرٌ فظيعٌ، قُتل مسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن •أحبّ منكم الانصراف ٣٩٩/٥
فلينصرف، ليس عليه منّا ذمام.

قال: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، وإنّما فعل ذلك لأنّه ظنّ إنّما اتّبعه الأعراب؛ لأنّهم ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون عَلامَ يقدمون، وقد علم أنّهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلّا من يريد مواساته والموت معه.

قال: فلمّا كان من السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء وأكثروا، ثمّ سار حتّى مرّ ببطن العقبة، فنزل بها.

قال أبو مخنف: فحدّثني لوذان أحد بني عكرمة أنّ أحد عمومته سأل

الحسين عليه السلام أين تريد؟ فحدّثه، فقال له: إني أنشدُك الله لمّا انصرفت، فو الله، لا تقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطّئوا لك الأشياء فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التي تذكرها فإنّي لا أرى لك أن تفعل.

قال: فقال له: يا عبدالله، إنّه ليس يخفى عليَّ، الرأي ما رأيت، ولكنّ الله لا يغلب على أمره، ثمّ ارتحل منها.

و نزع يزيد بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عتبة عن مكّة، وولاّها عمرو بن سعيد بن العاص، وذلك في شهر رمضان منها، فحجّ بالناس عمرو بن سعيد في هذه السنة. حدّثني بذلك أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

و كان عامله على مكّة والمدينة في هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عتبة عمرو بن سعيد، و على الكوفة والبصرة وأعمالهما عبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث، و على قضاء البصرة هشام بن هبيرة.

٤٠٠/٥ • **ثمّ دخلت سنة إحدى وستّين**

(ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث)

فمن ذلك مقتل الحسين رضوان الله عليه، قتل فيها في المحرّم لعشر خلون منه، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت، قال: حدّثني مُحدّث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وهشام بن الكلبي، وقد ذكرنا ابتداء أمر الحسين في مسيره نحو العراق و ما كان منه في سنة ستّين، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وستّين، وكيف كان مقتله.

حدّثت عن هشام، عن أبي مخنف، قال: حدّثني أبو جناب، عن عديّ بن حرملة، عن عبدالله بن سليم والمذرى بن المشمعل الأسديين، قالا: أقبل الحسين عليه السلام حتّى نزل شراف، فلمّا كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء

فأكثروا، ثمّ ساروا منها، فرسموا صدر يومهم حتّى انتصف النهار، ثمّ إنّ رجلاً قال: الله أكبر! فقال الحسين: الله أكبر ما كبّرت؟!

قال: رأيت النخل، فقال له الأسديّان: إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قطّ، قالا: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأى؟ قلنا: نراه رَأى هوادي الخيل، فقال: وأنا والله أرى ذلك.

فقال الحسين: أما لنا ملجأ نلجأ إليه، نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى، هذا ذو حسم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد.

قالا:

فأخذ إليه ذات اليسار، قالا: وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل، فتبيّناها، وعدنا، فلمّا رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنّتهم اليعاسيب، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير، قال: فاستبقنا إلى ذي حسم، فسبقناهم إليه، فنزل الحسين، فأمر بأبنيته فَضُربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظهيرة، والحسين و أصحابه معتمّون متقلّدو أسيافهم.

٤٠١/٥ فقال •الحسين لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتيانه فرشّفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتّى أرووهم، وأقبلوا يملئون القصاع و الأتوار والطساس من الماء، ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقوا آخر حتّى سقوا الخيل كلّها.

قال هشام: حدّثني لقيط، عن عليّ بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية ـ و الراوية عندي السقاء ـ ثمّ قال: يا بن أخ، أنخ الجمل، فأنخته،

فقال: اشرب، فجعلت كلمّا شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: اخنث السقاء ـ أي اعطفه ـ قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل؟ قال: فقام الحسين فَخَنَثَه، فشربت وسقيت فرسي.

قال: وكان مجيء الحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسية، وذلك أنّ عبيد الله بن زياد لمّا بلغه إقبال الحسين بعث الحصين بن تميم التميمي ـ وكان على شرطه ـ فأمره أن ينزل القادسية، وأن يضع المسالح، فينظم ما بين القطقطانة إلى خفّان، وقدم الحرّ بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسية، فيستقبل حسيناً.

قال: فلم يزل موافقاً حسيناً حتّى حضرت الصلاة، صلاة الظهر، فأمر الحسين الحجّاج بن مسروق الجعفي أن يؤذّن، فأذّن، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّها معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم، إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم، وقدمت على رسلكم: أن أقدم علينا، فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله يجمعنا بك على الهُدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمانّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم.

قال: فسكتوا عنه، وقالوا للمؤذّن: أقم، فأقام الصلاة، فقال الحسين عليه السلام للحرّ: أتُريد أن تصلّي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك، قال: فصلّى بهم الحسين، ثمّ إنّه دخل واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان به، فدخل خيمة قد ضربت له، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد أصحابه إلى صفّهم الذي كانوا فيه، فأعادوه، ثمّ أخذ كلّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلّها. ٤٠٢/٥

فلمّا كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيّئوا للرحيل، ثمّ إنّه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر، وأقام فاستقدم الحسين فصلّى بالقوم ثمّ سلّم، وانصرف إلى القوم بوجهه، فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ أيّها الناس، فإنّكم إن تتّقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا، وجهلتم حقّنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم، وقدمت به عليَّ رسلكم، انصرفت عنكم.

فقال له الحرّ بن يزيد: إنّا والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر! فقال الحسين: يا عقبة بن سمعان، اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليَّ، فأخرج خرجين مملوءين صحفاً، فنشرها بين أيديهم، فقال الحرّ: فإنّا لسنا مِن هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمِرنا إذا نحن لقيناك إلّا نفارقك حتّى نقدمك على عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك، ثمّ قال لأصحابه: قوموا فاركبوا، فركبوا وانتظروا حتّى ركبت نساؤهم، فقال لأصحابه: انصرفوا بنا، فلمّا ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف.

فقال الحسين للحرّ: ثكلتك أُمّك! ما تريد؟ قال: أما والله، لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أُمّه بالثكل أن أقوله كائناً مَن كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلّا بأحسن ما يقدر عليه!

فقال له الحسين: فما تريد؟ قال الحرّ: أُريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد، قال له الحسين: إذن والله لا أتبعك، فقال له الحرّ: إذن والله لا أدعك، فترادّا القول ثلاث مرّات.

ولمّا كثر الكلام بينهما قال له الحرّ: إنّي لم أُؤمر بقتالك، وإنّما أُمرت ألّا أُفارقك حتّى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة، ولا تردّك إلى المدينة، •تكون بيني وبينك نصفاً حتّى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد بن ٤٠٣/٥
معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت، فلعلّ الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك.

قال: فخذ هاهنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسية، وبينه وبين العذيب ثمانية

وثلاثون ميلاً، ثمّ إنّ الحسين سار في أصحابه والحرّ يسايره.

قال أبو مخنف: عن عقبة بن أبي العيزار، أنّ الحسين خَطَبَ أصحابه وأصحاب الحرّ بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعةَ الشيطان، وتركوا طاعةَ الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرامَ الله، وحَرّموا حلالَه، وأنا أحقُّ مَن غيّر، قد أتتني كتبُكُم، وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري، ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومَن نكثَ فإنّما ينكثُ على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

و قال عقبة بن أبي العيزار: قام حسين عليه السلام بذي حسم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وأنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها واستمرّت جدّاً، فلم يبقَ منها إلّا صُبابة •كصبابة الإناء، وخسيسُ عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برما. ٤٠٤/٥

قال: فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه؛ تكلّمون أم أتكلّم؟ قالوا: لا، بل تكلّم، فحمد الله فأثنى عليه، ثمّ قال: قد سمعنا هداك الله يا بن رسول الله مقالتك، والله، لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلّدين، إلّا أنّ فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها.

قال: فدعا له الحسين، ثمّ قال له خيراً، وأقبل الحرّ يسايره وهو يقول له: يا حسين، إنّي أُذكّرك اللهَ في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ، ولئن قوتلت لتهلكنّ فيما أرى.

فقال له الحسين: أ فبالموتِ تخوّفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني! ما أدري ما أقول لك؟! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ، فقال له:

أين تذهب فإنّك مقتول؟ فقال:

سَأَمضي وما بالَموتِ عارٌ عَلى الفَتى إذا ما نَوى حَقّاً وجَاهَدُ مُسلما
و آسى الرجالَ الصالحينَ بنفسِهِ و فارقَ مثبوراً يَغُشُّ ويُرغما

قال: فلمّا سمع ذلك منه الحرّ تنحّى عنه، وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أُخرى، حتّى انتهوا إلى عذيب الهجانات، وكان بها هجائن النعمان ترعى هنالك، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له: الكامل، ومعهم دليلهم الطرمّاح بن عديّ على فرسه، وهو يقول:

•يا ناقِتَي لا تُذعري مِن زَجري و شَمّري قَبلَ طلوعِ الفَجرِ ٤٠٥/٥
بِخَيرِ رُكبانٍ وخَير سَفرِ حتّى تَحِلّي بكريمِ النَّجرِ
الماجدِ الحرِّ رَحيبِ الصَدرِ أتى به الله لخيرِ أمرِ
ثُمّت أبقاه بقاءَ الدَّهرِ

قال: فلمّا انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات، فقال: أما والله، إنّي لأرجو أن يكون خيراً ما اراد الله بنا، قُتلنا أم ظَفرنا.

قال: وأقبل إليهم الحرّ بن يزيد فقال: إنّ هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا

ممّن أقبل معك، وأنا حابسهم أو رادّهم، فقال له الحسين: لأمنعنّهم ممّا أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني إلّا تعرض لي بشيء حتّى يأتيك كتاب من ابن زياد.

فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك، قال: هم أصحابي، وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تممت على ما كان بيني وبينك وإلّا ناجزتك. قال: فكفّ عنهم الحرّ.

قال: ثمّ قال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس وراءكم، فقال له مجمع بن عبدالله العائذي، و هو أحد النفر الأربعة الذين جاءوه: أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم، يستمال ودّهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم إلبٌ واحدٌ عليك، وأمّا سائر الناس بعد، فإنّ أفئدتهم تهوى إليك، وسيوفهم غداً مشهوره عليك!

قال: أخبروني، فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: مَن هو؟ قال: قيس بن مسهر الصيداويّ، فقالوا: نعم، أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلّى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك، وأخبرهم بقدومك، فأمر به ابن زياد فألقي من طمار القصر، فترقرقت عينا حسين عليه السلام ولم يملك دمعه، ثمّ قال: ﴿منهم مَنْ قَضى نَحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ اللّهمّ اجعل لنا ولهم الجنّة نزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك، ورغائب مذخور ثوابك.

٤٠٦/٥ • قال أبو مخنف: حدّثني جميل بن مرثد من بني معن، عن الطرماح بن عديّ، أنّه دنا من الحسين، فقال له: والله، إنّي لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلّا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة، وفيه من الناس ما لم تَر عيناي في صعيد واحدٍ جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم، فقيل: اجتمعوا ليُعرَضوا، ثمّ يسرّحون إلى الحسين، فأنشدك الله إن قدرت على ألّا تقدم عليهم شبراً إلّا فعلت! فإن أردت أن تنزل بلداً

يمنعك الله به حتّى ترى من رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتّى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجَأ، امتنعنا والله به من ملوك غسّان وحمير ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله، إن دخل علينا ذلّ قطّ، فأسير معك حتّى أُنزلك القرية، ثمّ نبعث إلى الرجال ممّن بأجأ وسَلمَى من طيّئ، فو الله، لا يأتي عليك عشرة أيّام حتّى تأتيك طيّئ رجالاً وركباناً، ثمّ أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، والله، لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف.

فقال له: جزاك الله وقومك خيراً! إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علامَ تنصرف بنا وبهم الأُمور في عاقبة.

قال أبو مخنف: فحدّثني جميل بن مرثد، قال: حدّثني الطرمّاح بن عديّ، قال: فودّعته وقلت له: دفع الله عنكشرّ الجن والإنس، إنّي قد امترت لأهلي من الكوفة ميرة، ومعي نفقة لهم، فآتيهم فأضع ذلك فيهم، ثمّ أقبل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك فو الله، لأكوننّ من أنصارك، قال: فإن كنت فاعلاً فعجّل رحمك الله، قال: فعلمت أنّه مستوحش إلى الرجال حتّى يسألني التعجيل، قال: فلمّا بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم، وأوصيت، فأخذ أهلي يقولون: إنّك لتصنع مَرّتك هذه شيئاً ما كنت •تصنعه قبل اليوم، فأخبرتهم بما أُريد، و أقبلت في طريق بني ثعل ٤٠٧/٥
حتّى إذا دنوت من عذيب الهجانات، استقبلني سماعة بن بدر، فنعاه إليَّ، فرجعت.

قال: ومضى الحسين عليه السلام حتّى انتهى إلى قصر بني مقاتل، فنزل به، فإذا هو بفسطاط مضروب.

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، أنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله بن الحرّ الجعفي، قال: ادعوه لي، وبعث إليه، فلمّا أتاه الرسول، قال: هذا الحسين بن عليّ يدعوك، فقال عبيد الله بن الحرّ: إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! و الله، ما خرجت من الكوفة إلّا كراهة أن يدخلها

الحسين وأنا بها، والله، ما أُريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين نعليه فانتعل، ثمّ قام فجاءه حتّى دخل عليه، فسلّم وجلس، ثمّ دعاه إلى الخروج معه، فأعاد إليه ابن الحرّ تلك المقالة.

فقال: فإلّا تنصرنا فاتّق الله أن تكون ممّن يقاتلنا، فو الله، لا يسمع واعيتنا أحد ثمّ لا ينصرنا إلّا هلك، قال: أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله، ثمّ قام الحسين عليه السلام من عنده حتّى دخل رحله.

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب، عن عقبة بن سمعان، قال: لمّا كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء، ثمّ أمرنا بالرحيل، ففعلنا، قال: فلمّا ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفقَ الحسين برأسه خفقة، ثمّ انتبه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين! قال: ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً.

قال: فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين على فرس له فقال: إِنَّا لِلهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، والحمد لله ربّ العالمين! يا أبتِ، جعلت فداك! مِمَّ حمدت الله واسترجعت؟

قال: يا بنيّ، إنّي خفقت برأسي خفقة فعنَّ لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا، قال له: يا أبت، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحقّ؟ ٤٠٨/٥

قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبتِ، إذاً لا نبالي، نموت محقّين، فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده.

قال: فلمّا أصبح نزل فصلّى الغداة، ثمّ عجّل الركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فيأتيه الحرّ بن يزيد فيردّهم فيردّه، فجعل إذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون حتّى انتهوا إلى نينوى، المكان الذي نزل به الحسين.

قال: فإذا راكب على نجيب له وعليه السلاح متنكّب قوساً مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلمّا انتهى إليهم سلّم على الحرّ بن يزيد وأصحابه، ولم يسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه، فدفع إلى الحرّ كتابا من عبيد الله بن زياد فإذا فيه:

أمّا بعد؛ فجَعجِع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

قال: فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحرّ: هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أُجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وهذا رسوله، وقد أمره ألّا يفارقني حتّى أُنفّذ رأيه وأمره.

فنظر إلى رسول عبيدِ الله يزيدُ بن زياد بن المهاصر أبو الشعثاء الكندي ثمّ البهدلي، فعنّ له، فقال: أ مالك بن النسير البدّيّ؟ قال: نعم ـ وكان أحد كندة ـ فقال له يزيد بن زياد: ثكلتك أُمّك! ماذا جئت فيه؟ قال: وما جئت فيه! أطعت إمامي، ووفيت ببيعتي، فقال له أبو الشعثاء: عصيت ربّك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك، كسبتَ العارَ والنارَ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لَايُنصَرُونَ﴾، فهو إمامك.

قال: وأخذ الحرّ بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقالوا: دعنا ننزل في هذه القرية يعنون نينوى ـ •أو هذه القرية ـ يعنون الغاضرية ـ أو هذه الأُخرى، يعنون شُفَيّة. ٤٠٩/٥

فقال: لا والله، ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إليَّ عيناً.

فقال له زهير بن القين: يا بن رسول الله، إنّ قتال هؤلاء أهون من قتال مَن يأتينا من بعدهم، فلعمري، ليأتينا من بعد من ترى ما لا قبل لنا به، فقال له الحسين: ما كنت لأبدأهم بالقتال، فقال له زهير بن القين: سر بنا إلى هذه القرية حتّى تنزلها فإنّها حصينة، وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهون علينا

من قتال من يجيء من بعدهم.

فقال له الحسين: وأيّة قرية هي؟ قال: هي العقر، فقال الحسين: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من العقر، ثمّ نزل، وذلك يوم الخميس، وهو اليوم الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين.

فلمّا كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص من الكوفة في أربعة آلاف.

قال: وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أنّ عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبى، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، فكتب إليه ابن زياد عهده على الريّ، وأمره بالخروج، فخرج معسكراً بالناس بحمّام أعين، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد، فقال: سر إلى الحسين، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرت إلى عملك.

فقال له عمر بن سعد: إن رأيت رحمك الله أن تعفيني فافعل، فقال له عبيد الله: نعم، على أن تردّ لنا عهدنا.

قال: فلمّا قال له ذلك قال عمر بن سعد: أمهلني اليوم حتّى أنظر، قال: فانصرف عمر يستشير نصحاءه، فلم يكن يستشير أحداً إلّا نهاه، قال: وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة ـ وهو ابن أُخته ـ فقال: أنشدُك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربّك، وتقطع رحمك! فو الله، لإن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها لو كان لك، خير لك من أن تلقى الله بدمِ الحسين! فقال له عمر بن سعد: فإنّي أفعل إن شاء الله.

٤١٠/٥ قال هشام: حدّثني عوانة بن الحكم، عن عمّار بن عبدالله بن يسار •الجهني، عن أبيه، قال: دخلت على عمر بن سعد، وقد أمر بالمسير إلى الحسين، فقال لي: إنّ الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين، فأبيت ذلك عليه، فقلت له: أصاب الله بك،

أَرشَدَك الله، أحِل فلا تفعل و لا تَسِر إليه.

قال: فخرجت من عنده، فأتاني آت وقال: هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين، قال: فأتيته فإذا هو جالس، فلمّا رآني أعرض بوجهه، فعرفت أنّه قد عزم على المسير إليه، فخرجت من عنده، قال: فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال: أصلحك الله! إنّك ولّيتَني هذا العمل، وكتبتَ لي العهد، وسمع به الناس، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة مَن لست بأغنى ولا أجزأ عنكفي الحرب منه، فسمّى له أُناساً.

فقال له ابن زياد: لا تُعلمني بأشراف أهل الكوفة، ولستُ أستامرك فيمن أُريد أن أبعث، إن سرت بجندنا، وإلّافابعث إلينا بعهدنا، فلمّا رآه قد لجّ قال: فإنّي سائر، قال: فاقبل في أربعة آلاف حتّى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى.

قال: فبعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عزرة بن قيس الأحمسي، فقال: ائته فسله ما الذي جاء به؟ وماذا يريد؟ وكان عزرة ممّن كتب إلى الحسين، فاستحيا منه أن يأتيه، قال: فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه، فكلّهم أبى وكرهه.

قال: وقام إليه كثير بن عبدالله الشعبي ـ وكان فارساً شجاعاً ليس يردّ وجهه شيء ـ فقال: أنا اذهب إليه، والله، لئن شئت لافتكنّ به، فقال له عمر بن سعد: ما أُريد أن يفتك به، ولكن ائته فسله ما الذي جاء به؟ قال: فأقبل إليه.

فلمّا رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين: أصلحك الله أبا عبدالله! قد جاءك شرّ أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه، فقام إليه، فقال: ضع سيفك، قال: لا والله ولا كرامة، إنّما أنا رسول، فإن سمعتم منّي أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم، فقال له: فإنّي آخذ بقائم سيفك، ثمّ تكلّم بحاجتك، قال: لا والله، لا تمسّه، فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أُبلغه عنك، ولا أدعك تدنو منه، فإنّك فاجر! قال: فاستبّا، ثمّ انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر.

قال: •فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظلي، فقال له: ويحك يا قرّة! القَ حسيناً فسله ٤١١/٥

ما جاء به؟ وما ذا يريد؟ قال: فأتاه قرّة بن قيس، فلمّا رآه الحسين مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة تميمي، وهو ابن أُختِنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد، قال: فجاء حتّى سلّم على الحسين، وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له.

فقال الحسين: كَتَبَ إليَّ أهل مصركم هذا أن أقدم، فأمّا إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم.

قال: ثمّ قال له حبيب بن مظاهر: ويحكَ يا قرّة بن قيس! أنّى ترجع إلى القوم الظالمين! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيّدك الله بالكرامة وإيّانا معك.

فقال له قرّة: ارجع إلى صاحبي بجواب رسالته، وأرى رأيي، قال: فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فقال له عمر بن سعد: إنّي لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدّثني النضر بن صالح بن حبيب بن زهير العبسي، عن حسّان بن فائد بن بكير العبسي، قال: أشهد أنّ كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فإنّي حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي، فسألته عمّا أقدمه، وما ذا يطلب ويسأل، فقال: كتب إليَّ أهلُ هذه البلاد وأتتني به رسلهم، فسألوني القدوم ففعلت، فأمّا إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رُسَلُهم فأنا منصرف عنهم، فلمّا قرئ الكتاب على ابن زياد قال:

الآنَ إذ عَلِقَت مخالبُنا بهِ ... يَرجو النجاةَ ولاتَ حِينَ مَناصِ!

قال: وكتب إلى عمر بن سعد:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا، والسلام.

•قال: فلمّا أتى عمر بن سعد الكتاب، قال: قد حسبت ألّا يقبل ابن زياد العافية. ٤١٢/٥

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم الأزدي، قال: جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أمّا بعد؛ فحُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقيّ الزكيّ المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفّان.

قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج على خمسمئة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أنْ يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث.

قال: ونازله عبدالله بن أبي حصين الأزدي ـ وعداده في بجيلة ـ فقال:

يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبد السماء! والله، لا تذوق منه قطرة حتّى تموت عطشاً!

فقال حسين: اللّهمّ اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً.

قال حميد بن مسلم: والله، لعدته بعد ذلك في مرضه، فو الله الذي لا إله إلّا هو، لقد رأيته يشرب حتّى بَغَر، ثمّ يقيء، ثمّ يعود فيشرب حتّى يبغر فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتّى لَفَظَ عصبه؛ يعني نفسه.

قال: ولمّا اشتدّ على الحسين وأصحابه العطش دعا العبّاس بن عليّ بن أبي طالب أخاه، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة، فجاءوا حتّى دنوا من الماء ليلاً، واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجّاج الزبيدي: مَن الرجل؟ فجيء، فقال: ما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه، قال: فاشرب هنيئاً، قال: لا والله، لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومَن ترى من أصحابه، فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنّما وضعنا بهذا المكان لنمنّعهم الماء، فلمّا دنا منه أصحابه

قال لرجاله: املئوا قربكم، فشدّ الرجّالة فملئوا قربهم، وثار إليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه، فحمل عليهم العبّاس بن عليّ ونافع بن هلال فكفّوهم، ثمّ انصرفوا إلى رحالهم، فقالوا: امضوا، ووقفوا دونهم، فعطف •عليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه ٤١٣/٥
واطّردوا قليلاً، ثمّ إنّ رجلاً من صداء طعن من أصحاب عِمرو بن الحجّاج، طعنه نافع بن هلال، فظنّ أنّها ليست بشيء، ثمّ إنّها انتقضت بعد ذلك، فمات منها، وجاء أصحاب حسين بالقرب فأدخلوها عليه.

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جناب، عن هانئ بن ثبيت الحضرمي ـ وكان قد شهد قتل الحسين، قال: بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري: أنّ القني الليل بين عسكري وعسكرك.

قال: فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً، وأقبل حسين في مثل ذلك، فلمّا التقوا أمَرَ حسين أصحابه أن يتنحّوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك، قال: فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما، فتكلّما فأطالا حتّى ذهب من الليل هزيع، ثمّ انصرف كلّ واحد منهما إلى عسكره بأصحابه، وتحدّث الناس فيما بينهما، ظنّاً يظنّونه أنّ حسيناً قال لعمر بن سعد: اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين، قال عمر: إذن تُهدم داري، قال: أنا أبنيها لك، قال: إذن تُؤخذ ضياعي، قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز، قال: فتكرّه ذلك عمر، قال: فتحدّث الناس بذلك، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه.

قال أبو مخنف: وأمّا ما حدّثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير الأزدي وغيرهما من المحدّثين، فهو ما عليه جماعة المحدّثين، قالوا: إنّه قال: اختاروا منّي خصالاً ثلاثاً: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية، فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإمّا أن تسيّروني إلي أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لي ما لهم وعليَّ ما عليهم.

قال أبو مخنف: فأمّا عبد الرحمن بن جندب فحدّثني عن عقبة بن سمعان، قال: صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم ٤١٤/٥
أُفارقه حتّى قتل، و ليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة، ولا بمكّة، ولا في الطريق، ولا بالعراق، ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلّا وقد سمعتها ألا والله، ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون، من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتّى ننظر ما يصير أمر الناس.

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير، أنّهما كانا التقيا مراراً ثلاثاً أو أربعاً، حسين وعمر بن سعد، قال: فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد:

أمّا بعد؛ فإنّ الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأُمّة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسيّره إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئنا، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضاً، وللأُمّة صلاح.

قال: فلمّا قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأميره، مشفق على قومه. نعم، قد قبلت.

قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: أ تقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك؟! والله، لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكوننّ أولى بالقوّة والعزّة ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزله فإنّها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت وليّ العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك، والله، لقد بلغني أنّ حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامّة الليل، فقال له ابن زياد: نِعَم ما رأيت! الرأي رأيك.

قال أبو مخنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن فقال له: اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إليَّ سلماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فأنت أمير الناس، وَثِبْ عليه فاضرب عنقه، وابعث إليَّ برأسه.

٤١٥/٥ • قال أبو مخنف: حدّثني أبو جناب الكلبي، قال: ثمّ كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أمّا بعد؛ فإنّي لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه ولا لتطاوله، ولا لتُمنّيه السلامة والبقاء، و لا لتقعد له عندي شافعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون، فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنّه عاقّ مشاقّ، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يضرّ بعد الموت شيئاً، ولكن على قول لو قد قتلته فعلت هذا، به إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنّا قد أمرناه بأمرنا، والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة، عن عبدالله بن شريك العامري، قال: لمّا قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قام هو وعبدالله بن أبي المحلّ ـ وكانت عمّته أُمّ البنين ابنة حزام عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له العبّاس وعبدالله وجعفراً وعثمان ـ فقال عبدالله بن أبي المحلّ بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إنّ بني أُختنا مع الحسين، فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت.

قال: نعم ونعمة عين، فأمر كاتبه، فكتب لهم أماناً، فبعث به عبدالله بن أبي المحلّ مع مولى له يقال له: كزمان، فلمّا قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمان بعث به خالكم، فقال له الفتية: أقرئ خالنا السلام، وقل له: أن لا حاجة لنا في أمانكم،

أمان الله خير من أمان ابن سميّة.

قال: فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلمّا قدم به عليه فقرأه قال له عمر: ما لك ويلك! لا قرّب الله دارك، وقبّح الله ما قدمت به عليَّ! والله، إنّي لأظنّك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا أمراً كنّا رجونا أن يصلح! لا يستسلم والله حسين، إنّ نَفَساً أبيّة لبين جنبيه.

فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع؟ أ تمضي لأمر أميرك وتقتل عدوّه؟ وإلّا فخلّ بيني وبين الجند •والعسكر. ٤١٦/٥

قال: لا ولا كرامة لك، وأنا أتولّى ذلك، قال: فدونك، وكن أنت على الرجال.

قال: فنهض إليه عشيّة الخميس لتسع مضين من المحرّم، قال: وجاء شمر حتّى وقف على أصحاب الحسين، فقال: أين بنو أُختنا؟

فخرج إليه العبّاس وجعفر وعثمان بنو عليّ، فقالوا له: مالك وما تريد؟

قال: أنتم يا بني أُختي آمنون، قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك! لئن كنت خالنا أ تؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟!

قال: ثمّ إنّ عمر بن سعد نادى: يا خيل الله، اركبي وابشري، فركب في الناس، ثمّ زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه؛ إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أُخته زينب الصيحة فدنت من أخيها، فقالت: يا أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟! قال: فرفع الحسين رأسه فقال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: إنّك تروح إلينا.

قال: فلطمت أُخته وجهها وقالت: يا ويلتا! فقال: ليس لك الويل يا أُخيّة، اسكني رحمكِ الرحمان! وقال العبّاس بن عليّ: يا أخي، أتاك القوم، قال: فنهض، ثمّ قال: يا عبّاس، اركب بنفسي أنت يا أخي حتّى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عمّا جاء بهم؟

فأتاهم العبّاس، فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العبّاس: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم، قال: فلا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبدالله فأعرض عليه ما ذكرتم.

قال: فوقفوا ثمّ قالوا: القه فأعلمه ذلك، ثمّ ألقنا بما يقول.

قال: فانصرف العبّاس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلّم القوم إن شئت وإن شئت كلّمتهم، فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلّمهم، فقال له حبيب بن مظاهر:

أما والله، لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرّيّة نبيّه صلى الله عليه وآله وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وآله وعبّاد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً، فقال له عزرة بن قيس: إنّك لتزكّي •نفسك ما استطعت، فقال له زهير: يا عزرة، إنّ ٤١٧/٥
الله قد زكّاها وهداها، فاتّق الله يا عزرة فإنّي لك من الناصحين، أنشدُك الله يا عزرة أن تكون ممّن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية!

قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنّما كنت عثمانياً.

قال: أ فلست تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم؟! أما والله، ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسولاً قطّ، ولا وعدته نصرتي قطّ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلمّا رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوّه وحزبكم، فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه؛ حفظاً لما ضيّعتم من حقّ الله وحقّ رسوله صلى الله عليه وآله.

قال: وأقبل العبّاس بن عليّ يركض حتّى انتهى إليهم، فقال: يا هؤلاء، إنّ أبا عبدالله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتّى يَنظر في هذا الأمر، فإنّ هذا أمر لم يجرِ بينكم وبينه فيه منطق، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فإمّا رضيناه فأتينا بالأمر

الذي تسألونه وتسومونه، أو كرهنا فرددناه، وإنّما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتّى يأمر بأمره، ويوصي أهله.

فلمّا أتاهم العبّاس بن عليّ بذلك قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر؟ قال: ما ترى أنت؟ أنت الأمير والرأي رأيك، قال: قد أردت ألّا أكون، ثمّ أقبل على الناس فقال: ما ذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجّاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله! والله، لو كانوا من الديلم ثمّ سألوك هذه المنزله لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها. وقال قيس بن الأشعث: أجبهم إلى ما سألوك، فلعمري، ليصبحنّك بالقتال غدوة، فقال: والله، لو اعلم أن يفعلوا ما أخرجتهم العشية، قال: وكان العبّاس بن عليّ حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشيّة لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد كنت أُحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.

٤١٨/٥ قال أبو مخنف: حدّثني الحارث بن حصيرة، عن عبدالله بن شريك العامري، عن عليّ بن الحسين، قال: أتانا رسول من قبل عمر بن سعد، فقام مثل حيث يسمع الصوت، فقال: إنّا قد أجّلناكم إلى غدٍ، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا تاركيكم.

قال أبو مخنف: وحدّثني عبدالله بن عاصم الفائشي، عن الضحّاك بن عبدالله المشرقي ـ بطن من همدان ـ أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام جمع أصحابه.

قال أبو مخنف: وحدّثني أيضاً الحارث بن حصيرة، عن عبدالله بن شريك العامري، عن عليّ بن الحسين، قالا: جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء، قال عليّ بن الحسين: فدنوت منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أُثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللّهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا

من المشركين.

أمّا بعد؛ فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً، ألا وأنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وأنّي قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، هذا ليل قد غشيكم، فاتّخذوهُ جملاً.

قال أبو مخنف: حدّثنا عبدالله بن عاصم الفائشي ـ بطن من همدان ـ عن الضحّاك بن عبدالله المشرقي، قال: قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين، فسلّمنا عليه، ثمّ جلسنا إليه، فردّ علينا، ورحّب بنا، وسألنا عمّا جئنا له، فقلنا: جئنا لنسلّم عليك، وندعو الله لك بالعافية، ونحدث بك عهداً، ونخبرك خبر الناس، وإنّا نحدّثك أنّهم قد جمعوا على حربك فَرَ رأيك.

فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل! قال: فتذمّمنا وسلّمنا عليه، ودعونا الله له، قال: فما يمنعكما من نصرتي؟ فقال مالك بن النضر: عليَّ دين، ولي عيال، فقلت له: إنّ عليَّ ديناً، وأنّ لي لعيالاً، ولكنّك إن جعلتني في حلّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلا قاتلت •عنك ما كان لك نافعاً، وعنك دافعاً! قال: قال: فأنت في حلّ، فأقمت معه. ٤١٩/٥

فلمّا كان الليل قال: هذا الليل قد غشيكم، فاتّخذوه جملاً، ثمّ ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتّى يفرّج الله، فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري.

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبدالله بن جعفر: لِمَ نفعل لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العبّاس بن عليّ، ثمّ إنّهم تكلّموا بهذا ونحوه.

فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم، قالوا: فما يقول الناس؟! يقولون إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خيرَ الأعمام ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما

صنعوا!! لا والله، لا نفعل، ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتّى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك!

قال أبو مخنف: حدّثني عبدالله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبدالله المشرقي، قال: فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أَ نحن نخلّي عنك ولمّا نعذر إلى الله في أداء حقّك؟! أما والله، حتّى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أُفارقك، و لو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتّى أموت معك.

قال: وقال سعيد بن عبدالله الحنفي: والله، لا نخلّيك حتّى يعلم الله أنّا حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، والله، لو علمت أنّي أُقتل، ثمّ أحيا، ثمّ أُحرق حيّاً، ثمّ أُذر، يفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك! وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟!.

قال: وقال زهير بن القين: والله، لوددت أنّي قُتلت، ثمّ نُشرت، ثمّ قُتلت حتّى أُقتل كذا ألف قتله، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس •هؤلاء الفتية من ٤٢٠/٥
أهل بيتك.

قال: وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، فقالوا: والله، لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قتلنا كنّا وفينا، وقضينا ما علينا.

قال أبو مخنف: حدّثني الحارث بن كعب وأبو الضحّاك، عن عليّ بن الحسين بن عليّ قال: إنّي جالس في تلك العشيّة التي قتل أبي صبيحتها، وعمّتي زينب عندي تمرّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده حُوَيّ، مولى أبي ذرّ الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دَهرُ أُفٍّ لَكَ من خـليلِ ... كَم لكَ بالإشراقِ والأصيلِ
مِن صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ ... و الدهرُ لا يَـقنَعُ بـالبديلِ

و إنّما الأمـرُ إلى الجـليلِ و كُلّ حيٍّ سالكُ السـبيل

قال: فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها، فعرفت ما أراد، فـخنقتني عـبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أنّ البلاء قد نزل.

فأمّا عمّتي فإنّها سمعتْ ما سمعتُ، وهي امرأة وفي النساء الرقّة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها، وأنّها لحاسرة حتّى انتهت إليه، فقالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أُمّي وعليّ أبي وحسـن أخـي، يـا خليفة الماضي، وثمال الباقي.

قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أُخيّة، لا يذهبنّ حلمك الشيطان. قـالت: بأبي أنت وأُمّي يا أبا عبدالله! استقتلت نفسي فداك؟

فردّ غصّته، وترقرقت عيناه، وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام. قالت: يـا ويـلتي، أفتغصب نفسك اغتصاباً! فذلك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي! ولطـمت وجـهها، وأهوت إلى جيبها وشقّته، وخرّت مغشيّاً عليها.

فقام إليها الحسين فصبَّ على وجهها الماء، وقال لها: يا أُخيّة، اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله،، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأنّ كُـلَّ شَيْءٍ هالِكٌ •إلّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو ٤٢١/٥
فرد وحده، أبي خير منّي، وأُمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة.

قال: فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أُخيّة، إنّي أُقسم عليك فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنـا هلكت.

قال: ثمّ جاء بها حتّى أجلسها عندي، وخرج إلى أصحابه فـأمرهم أن يـقرّبوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلّا الوجه الذي يأتيهم منه عدوّهم.

قال أبو مخنف: عن عبدالله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبدالله المشرقي، قال: فلمّا أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كلّه يصلّون ويستغفرون، ويدعون ويتضرّعون، قال: فتمرّ بنا خيل لهم تحرسنا، وأن حسيناً ليقرأ: ﴿وَلَايَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾، فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا، فقال: نحن وربّ الكعبة الطيّبون، ميّزنا منكم.

قال: فعرفته فقلت لبرير بن حضير: تدري من هذا؟ قال: لا، قلت: هذا أبو حرب السبيعي عبدالله بن شهر ـ و كان مضحاكاً بطّالاً، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية ـ فقال له برير بن حضير: يا فاسق! أنت يجعلك الله في الطيبين! فقال له: مَن أنت؟

قال: أنا برير بن حضير، قال: إنّا لله! عزّ عليَّ! هلكت والله، هلكت والله يا برير!

قال: يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام! فو الله، إنّا لنحن الطيّبون، ولكنّكم لأنتم الخبيثون، قال: وأنا على ذلك من الشاهدين، قلت: ويحك! أفلا ينفعك معرفتك؟! قال: جعلت فداك! فمن ينادم يزيد بن عذرة العنزي من عنز بن وائل! قال: ها هو ذا معي، قال: قبّح الله رأيك على كلّ حال! أنت سفيه.

قال: ثمّ انصرف •عنّا، وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عزرة بن قيس ٤٢٢/٥
الأحمسي، وكان على الخيل، قال: فلمّا صلّى عمر بن سعد الغداة يوم السبت ـ وقد بلغنا أيضاً أنّه كان يوم الجمعة، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء ـ خرج فيمن معه من الناس.

قال: وعبّأ الحسين أصحابه، وصلّى بهم صلاّة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته العبّاس بن عليّ أخاه، وجعلوا البيوت في

ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم.

قال: وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنّه ساقية، فحفروه في ساعة من الليل، فجعلوه كالخندق، ثمّ ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب، وقالوا: إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار؛ كيلا نؤتى من ورائنا، وقاتلنا القوم من وجه واحد ففعلوا، وكان لهم نافعاً.

قال أبو مخنف: حدّثني فضيل بن خديج الكندي، عن محمّد بن بشر، عن عمرو الحضرمي، قال: لمّا خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبدالله بن زهير بن سليم الأزدي، وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، وعلى ربع ربيعة و كندة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى ربع تميم وهمدان الحرّ بن يزيد الرياحي، فشهد هؤلاء كلّهم مقتل الحسين، إلّا الحرّ بن يزيد فإنّه عدل إلى الحسين، وقتل معه.

و جعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجّاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن بن شرحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية ـ وهو الضباب بن كلاب ـ وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجال شبث بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية ذويداً مولاه.

٤٢٣/٥ قال أبو مخنف: حدّثني عمرو بن مرّة الجملي، عن أبي صالح الحنفي، عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربّة الأنصاري، قال: كنت مع مولاي، فلمّا حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين، أمر الحسين بفسطاط فضرب، ثمّ أمر بمسك فميث في جفنة عظيمة أو صحفة.

قال: ثمّ دخل الحسين ذلك الفسطاط فتطلّى بالنورة، قال: ومولاي عبد الرحمن بن عبد ربّه و برير بن حُضَير الهمداني على باب الفسطاط تحتكّ مناكبهما، فازدحما أيّهما يُطلي على أثره، فجعل برير يهازل عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: دعنا،

فو الله، ما هذه بساعة باطل، فقال له برير: والله، لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل شابّاً ولا كهلاً، ولكن والله، إنّي لمستبشر بما نحن لاقون، والله، إنّ بيننا وبين الحور العين إلّاأن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنّهم قد مالوا علينا بأسيافهم.

قال: فلمّا فرغ الحسين دخلنا فأطلينا.

قال: ثمّ إنّ الحسين ركب دابّته ودعا بمصحف فوضعه أمامه، قال: فاقتتل أصحابه بين يديه قتالاً شديداً، فلمّا رأيت القوم قد صُرِعوا أفلّت وتركتهم.

قال أبو مخنف، عن بعض أصحابه، عن أبي خالد الكاهلي، قال: لمّا صبّحت الخيل الحسينَ رفع الحسين يديه، فقال: اللّهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم مِن همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة منّي إليك عمّن سواك، ففرّجته و كشفته، فأنت وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ رغبه].

قال أبو مخنف: فحدّثني عبدالله بن عاصم، قال: حدّثني الضحّاك المشرقي، قال: لمّا أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنّا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلاّ يأتونا من خلفنا، إذ أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة، فلم يكلّمنا حتّى مرّ على أبياتنا، فنظر إلى أبياتنا، فإذا هو لا يرى إلّا حطباً تلتهب النار فيه، فرجع راجعاً، فنادى بأعلى صوته: يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة!

٤٢٤/٥ فقال •الحسين: مَن هذا؟ كأنّه شمر بن ذي الجوشن؟ فقالوا: نعم، أصلحك الله! هو هو، فقال: يا بن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً.

فقال له مسلم بن عوسجة: يا بن رسول الله، جعلت فداك! ألا أرميه بسهم، فإنّه قد أمكنني، و ليس يسقط منّي سهم، فالفاسق من أعظم الجبّارين؟

فقال له الحسين: لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم، وكان مع الحسين فرس له يدعى لاحقاً حمل عليه ابنه عليّ بن الحسين.

قال: فلمّا دنا منه القوم عاد براحلته فركبها، ثمّ نادى بأعلى صوته دعاء يسمع جل الناس:

أيّها الناس، اسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتّى أعظكم بما لحقٍّ لكم عليّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النَصَفَ، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَايَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُـمَّ اقْـضُوا إِلَـيَّ وَلَاتُـنظِرُونِ﴾، ﴿إِنَّ وَلِـيِّيَ اللَّـهُ الَّـذِي نَـزَّلَ الْكِـتَابَ وَهُـوَ يَـتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

قال: فلمّا سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين، وبكى بناته فارتفعت أصواتهنّ، فأرسل إليهنّ أخاه العبّاس بن عليّ وعليّاً ابنه، وقال لهما: اسكتاهنّ، فلعمري ليكثرنّ بكاؤهنّ.

قال: فلمّا ذهبا ليسكتاهنّ قال: لا يبعد ابن عبّاس، قال: فظننّا أنّه إنّما قالها حين سمع بكاؤهنّ؛ لأنّه قد كان نهاه أن يخرج بهنّ. فلمّا سكتن حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلّى على محمّد صلى الله عليه وآله وعلى ملائكته وأنبيائه، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره.

قال: فو الله، ما سمعت متكلّما قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه.

ثمّ قال: أمّا بعد؛ فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله، وابن وصيّه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟! أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟! أ وليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي؟! أو لم يبلغكم قولٌ مستفيضٌ فيكم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ٤٢٥/٥

ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّه؟!

فإن صدّقتموني بما أقول ـ وهو الحقّ ـ فو الله، ما تعمّدت كذباً مذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي.

أ فما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!

فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يَعْبُدُاللهَ عَلى حَرْفٍ إن كان يدري ما يقول!

فقال له حبيب بن مظاهر: والله، إنّي لأراك تعبدالله على سبعينَ حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثمّ قال لهم الحسين: فإن كنتم في شكّ من هذا القول أَ فَتَشكّون أثرَاً مّا أنّي ابن بنت نبيكم؟ فو الله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيّكم خاصّة.

أخبروني، أ تطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلّمونه، قال: فنادى: يا شبث بن ربعي، ويا حجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، أ لم تكتبوا إليَّ أن قد أينعت الثمار، واخضرّ الجناب، وطمّت الجمام، وإنّما تقدم على جندٍ لكَ مجنّد، فاقبل؟! قالوا له: لم نفعل.

فقال: سبحان الله! بلى والله، لقد فعلتم، ثمّ قال: أيّها الناس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض، قال: فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لن يروك إلّا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أ تريدُ أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل، لا والله، لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد. عباد

٤٢٦/٥ الله، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب.

قال: ثمّ إنّه أناخ راحلته، وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه.

قال أبو مخنف: فحدّثني عليّ بن حنظلة بن أسعد الشامي، عن رجل من قومه شهد مقتل الحسين حين قتل، يقال له: كثير بن عبدالله الشعبي، قال: لمّا زحفنا قبل الحسين خرج إلينا زهير بن قَيْن على فرسٍ له ذنوب، شاكٍّ في السلاح، فقال:

يا أهل الكوفة، نَذارِ لكم من عذاب الله نَذارِ! إنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملّة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أُمّة وأنتم أُمّة، إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذرّيّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلّا بسوء عمر سلطانهما كلّه، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه.

قال: فسبّوه، وأثنوا على عبيد الله بن زياد، ودعوا له، وقالوا: والله، لا نبرح حتّى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً.

فقال لهم: عباد الله، إنّ ولد فاطمة (رضوان الله عليها) أحقّ بالودّ والنصر من ابن سميّة، فإن لم تنصروهم فأُعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاوية، فلعمري، إنّ يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: اسكت أسكت الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك!

فقال له زهير: يا بن البوّال على عقبيه، ما إيّاك أُخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله، ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين، فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال له

شمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

قال: أ فبالموت تخوّفني؟! •فو الله، للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم، قال: ٤٢٧/٥
ثمّ أقبل على الناس رافعاً صوته، فقال: عباد الله، لا يغرّنّكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فو الله، لا تنال شفاعة محمّدﷺ قوماً هراقوا دماء ذرّيّته وأهل بيته، وقتلوا مَن نصرهم وذبّ عن حريمهم.

قال: فناداه رجل فقال له: إنّ أبا عبدالله يقول لك: أقبل، فلعمري، لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ!

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عديّ بن حرملة، قال: ثمّ إنّ الحرّ بن يزيد لمّا زحف عمر بن سعد، قال له: أصلحك الله! مقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي، قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضاً؟ قال عمر بن سعد: أما والله، لو كان الأمر إليَّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك.

قال: فأقبل حتّى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يقال له: قرّة بن قيس، فقال: يا قرّة، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: إنّما تريد أن تسقيه؟ قال: فظننت والله أنّه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع ذلك، فيخاف أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فساقيه.

قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، قال: فو الله، لو أنّه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين.

قال: فأخذ يدنو من حسين قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا بن يزيد؟ أ تريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء، فقال له يا بن يزيد؟ أ تريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العُرَوَاء[1]، فقال له: يا بن يزيد،

---

١. العرواء كغلواء: الرعدة تكون من الحمّى (اُنظر: لسان العرب: ج ١٥ ص ٤٥ «عرو»).

والله، إنّ أمرك لمريب، والله، ما رأيت منك في موقف قطّ مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟!

قال: إنّي والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار، وو الله، لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطّعت وحرّقت، ثمّ ضرب فرسه فلحق بحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستُك عن الرجوع، وسايرتُك في الطريق، وجعجعتُ بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلّا هو، ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضتَ عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أُبالي أن أُطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنّي خرجت من طاعتهم، وأمّا هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم، وو الله، لو ظننت أنّهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، وإنّي قد جئتك تائباً ممّا كان منّي إلى ربّي، ومواسياً لك بنفسي حتّى أموت بين يديك، أ فترى ذلك لي توبة؟ ٤٢٨/٥

قال: نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟ قال: أنا الحرّ بن يزيد، قال: أنت الحرّ كما سمّتك أُمّك، أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل، قال: أنا لك فارساً خير منّي راجلاً، أُقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري.

قال الحسين: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك.

فاستقدم أمام أصحابه، ثمّ قال: أيّها القوم، ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عَرضَ عليكم؛ فيعافيكم الله مِن حربه وقتاله؟ قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلّمه، فكلّمه بمثل ما كلّمه به قبل، وبمثل ما كلّم به أصحابه، قال عمر: قد حرصت، لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت، فقال: يا أهل الكوفة، لأُمّكم الهبل والعبر إذ دعوتموه حتّى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنّكم قاتلو أنفسكم دونه، ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كلّ جانب، فمنعتموه التوجّه في بلاد الله العريضة حتّى يأمن و يأمن أهل بيته، وأصبح في

أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع ضرّاً، وحلأتموه و نساءه وأُصَيْبِيتَهُ وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم أولاء قد صرعهم العطش، بئسما خَلَفتم محمّداً في ذرّيّته! لا سقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عمّا أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه.

فحملت عليه رَجّالة •لهم ترميه بالنبل، فأقبل حتّى وقف أمام الحسين. ٤٢٩/٥

قال أبو مخنف، عن الصقعب بن زهير وسليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: وزحف عمر بن سعد نحوهم، ثمّ نادى: يا ذويد، ادن رايتك، قال: فأدناها، ثمّ وضع سهمه في كبد قوسه، ثمّ رمى، فقال: اشهدوا أنّي أوّل من رمى.

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جناب، قال: كان منّا رجل يُدعى عبدالله بن عمير، من بني عُلَيم، كان قد نزل الكوفة، واتّخذ عند بئر الجعد من همدان داراً، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط يقال لها: أُمّ وهب بنت عبد، فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين، قال: فسأل عنهم، فقيل له: يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول اللهﷺ، فقال: والله، لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإنّي لأرجو ألّا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيّهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إيّاي في جهاد المشركين، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع، وأعلمها بما يريد، فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أُمورك، افعل وأخرجني معك.

قال: فخرج بها ليلاً حتّى أتى حسيناً، فأقام معه، فلمّا دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس، فلمّا ارتموا خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان وسالم مولى عبيد الله بن زياد، فقالا: مَن يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم، قال: فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن حضير، فقال لهما حسين: اجلسا.

فقام عبدالله بن عمير الكلبي فقال: أبا عبدالله، رحمك الله! ائذن لي فلأخرج إليهما، فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً، شديدَ الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، فقال

حسين: إنّي لأحسبه للأقران قتّالاً، اخرج إن شئت، قال: فخرج إليهما، فقالا له: مَن أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك، ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن حضير، ويسار مستنتل[1] أمام سالم، فقال له الكلبي: يا بن الزانية، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، وما يخرج إليك أحد من النـاس إلّا وهـو
٤٣٠/٥ •خير منك! ثمّ شدّ عليه فضربه بسيفه حتّى برد، فإنّه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شدّ عليه سالم، فصاح به: قد رهقك العبد، قال: فلم يأبه له حتّى غشيه فَبَدَرَه الضربة، فاتّقاه الكلبي بيده اليسرى، فأطار أصابع كفّه اليسرى، ثمّ مال عليه الكلبي فضربه حتّى قتله، وأقبل الكلبي مرتجزاً وهو يقول، وقد قتلهما جميعاً:

إن تُنكِروني فـأنا ابـن كـلبِ ... حَسَبي بَيتي في عليم حَسبي
إنّـي امـروٌ ذو مِـرّة وعـصبِ ... و لستُ بالخَوّار عـند النَّكبِ
إنّـــي زعـــيمٌ لكِ اُمّ وهب ... بالطعنِ فيهم مُقدماً والضـربِ
ضَرب غُلامٍ مؤمنٍ بالربِّ

فأخذت اُمّ وهب امرأته عموداً، ثمّ أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبي واُمّي! قاتل دون الطيّبين ذرّيّة محمّد، فأقبل إليها يردّها نحو النسـاء، فـأخذت تـجاذب ثوبه، ثمّ قالت: إنّي لن أدعك دون أن أموت معك.

فناداها حسين، فقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهنّ، فإنّه ليس على النساء قتال، فانصرفت إليهنّ.

قال: وحمل عمرو بن الحجّاج وهو على ميمنة الناس في الميمنة، فلمّا أن دنا من حسين جثوا له على الركب، وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم عـلى الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرشقوهم بالنبل، فصرعوا منهم رجالاً، وجرحـوا منهم آخرين.

---

١. استَنتَلَ للأمر: استعدّ له وتقدّم (اُنظر: العين: ج ٨ ص ١٢٠ «نتل»).

قال أبو مخنف: فحدّثني حسين أبو جعفر، قال: ثمّ إنّ رجلاً من بني تميم ـ يقال له عبدالله بن حوزة ـ جاء حتّى وقف أمام الحسين، فقال: يا حسين، يا حسين!

فقال حسين: ما تشاء؟ قال: أبشر بالنار!

قال: كلا، إنّي أقدم على ربّ رحيم، وشفيع مطاع، من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة.

قال: ربّ حزه إلى النار، قال: فاضطرب به فرسه في •جدول فوقع فيه، وتعلّقت رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس، فأخذ يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجر وكلّ شجرة حتّى مات. ٥/ ٤٣١

قال أبو مخنف: وأمّا سويد بن حيّة، فزعم لي أنّ عبدالله بن حوزة حين وقع فرسه بقيت رجله اليسرى في الركاب، وارتفعت اليمنى فطارت، وعدا به فرسه يضرب رأسه كلّ حجر و أصل شجرة حتّى مات.

قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب، عن عبد الجبّار بن وائل الحضرمي، عن أخيه مسروق بن وائل، قال: كنت في أوائل الخيل ممّن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أُصيب رأس الحسين، فأُصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد، قال: فلمّا انتهينا إلى حسين تقدّم رجل من القوم يقال له: ابن حوزة، فقال: أ فيكم حسين؟ قال: فسكت حسين، فقالها ثانية، فأسكت، حتّى إذا كانت الثالثة قال: قولوا له: نعم، هذا حسين، فما حاجتك؟

قال: يا حسين، أبشر بالنار، قال: كذبت، بل أقدم على ربّ غفور وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حوزة.

قال: فرفع الحسين يديه حتّى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب، ثمّ قال: اللّهمّ حزه إلى النار.

قال: فغضب ابن حوزة، فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر، قال: فعلقت قدمه بالركاب، وجالت به الفرس فسقط عنها، قال: فانقطعت قدمه وساقه وفخذه،

وبقي جانبه الآخر متعلّقا بالركاب.

قال: فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه، قال: فسألته، فقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أُقاتلهم أبداً.

قال: ونشب القتال.

قال أبو مخنف: وحدّثني يوسف بن يزيد، عن عفيف بن زهير بن أبي الأخنس ـ وكان قد شهد مقتل الحسين ـ قال: وخرج يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس فقال: يا برير بن حضير، كيف ترى الله صَنَعَ بك؟ قال: صَنَعَ الله والله بي خيراً •وصنع الله بك شرّاً، قال: كذبت، وقبل اليوم ما ٤٣٢/٥
كنت كذّاباً، هل تذكر وأنا أُماشيك في بني لوذان وأنت تقول: إنّ عثمان بن عفّان كان على نفسه مسرفاً، وإنّ معاوية بن أبي سفيان ضالّ مضلّ، وإنّ إمام الهدى والحقّ عليّ بن أبي طالب؟

فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي، فقال له يزيد بن معقل: فإنّي أشهد أنّك من الضالّين.

فقال له برير بن حضير: هل لك فلأُباهلك، ولندعُ الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل، ثمّ اخرج فلأُبارزك، قال: فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه ان يلعن الكاذب، وأن يقتل المحقُّ المبطلّ، ثمّ برز كلّ واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بن معقل برير بن حضير ضربة خفيفة لم تضرّه شيئاً، وضربه برير بن حضير ضربة قدّت المغفر، وبلغت الدماغ، فخرّ كأنّما هوى من حالق، وأنّ سيف ابن حضير لثابتٌ في رأسه، فكأنّي أنظر إليه ينضنضه[1] من رأسه، وحمل عليه رضي بن منقذ العبدي فاعتنق بريراً، فاعتركا ساعة، ثمّ إنّ بريراً قعد على صدره، فقال رضي: أين أهل المصاع والدفاع؟

---

١. ينضنضه: أي يحرّكه (أُنظر: لسان العرب: ج ٧ ص ٢٣٨ «نضنض»).

قال: فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه، فقلت: إنّ هذا برير بن حضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد، فحمل عليه بالرمح حتّى وضعه في ظهره، فلمّا وجد مسّ الرمح برك عليه فعضّ بوجهه، وقطع طرف أنفه، فطعنه كعب بن جابر حتّى ألقاه عنه، وقد غيّب السنان في ظهره، ثمّ أقبل عليه يضربه بسيفه حتّى قتله، قال عفيف: كأنّي أنظر إلى العبدي الصريع قام ينفض التراب عن قبائه، ويقول: أنعمت عليّ يا أخا الأزد نعمة لن أنساها أبداً.

قال: فقلت: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم، رأى عيني وسمع أُذني.

فلمّا رجع كعب بن جابر قالت له امرأته أو أُخته النوار بنت جابر: •أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيّد القرّاء، لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله، لا أُكلّمك من رأسي كلمة أبداً. ٤٣٣/٥

و قال كعب بن جابر:

سَلي تُخبَري عنّي وأنتِ ذميمةٌ ... غداةَ حسينٍ والرماحُ شوارعُ
أ لم آتِ أقصى ما كرهتِ ولَم يُخِل ... عليَّ غداةَ الروع ما أنا صانعُ
معي يَزَنيٌّ لم تَخُنه كعوبُهُ ... و أبيضُ مخشوبُ الغِرارين قاطعُ
فَجَرَّدتُه في عُصبة ليس دينُهم ... بديني وإنّي بابن حربٍ لقانعُ
و لم تَرَ عيني مِثلَهُم في زمانِهِم ... و لا قَبلَهم في الناسِ إذ أنا يافعُ
أَشدَّ قِراعاً بالسيوف لَدى الوَغَى ... أَلا كُلُّ من يحمي الذِمارَ مُقارعُ
و قد صَبروا للطَعنِ والضَربِ حُسّراً ... و قد نازلوا لو أنَّ ذلك نافعُ
فأبلغ عبيد اللهِ إمّا لقيتَه ... بأنّي مُطيعٌ للخليفةِ سامعُ
قَتلتُ بريراً ثمّ حَمَّلتُ نِعمةً ... أبا مُنقذٍ لمّا دعا: مَن يُماصعُ؟

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمان بن جندب، قال: سمعته في إمارة مصعب بن الزبير، وهو يقول: يا ربّ، إنّا قد وفينا، فلا تجعلنا يا ربّ كمن قد غدر، فقال له

أبي: صدق، ولقد وفى وكرم، وكسبت لنفسك شرّاً! قال: كلّا، إنّي لم أكسب لنفسي شرّاً، ولكنّي كسبت لها خيراً.

قال: وزعموا أنّ رضي بن منقذ العبدي ردّ بعد على كعب بن جابر جواب قوله، فقال:

لَو شاءَ ربّي ما شهدتُ قِتالَهُم ... و لا جعلَ النعماءَ عندي ابنُ جابرِ
لقد كانَ ذاكَ اليوم عاراً وسُبَّةً ... يُعَيِّرُهُ الأبناءُ بعدَ المعاشرِ
فيا ليتَ أنّي كنت من قبل قَتلِهِ ... و يوم حُسينٍ كنتُ في رَمسِ قابرِ

٤٣٤/٥ •قال: وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري يقاتل دون حسين وهو يقول:

قد علمت كتيبةُ الأنصار ... أنّي سأحمي حوزةَ الذمارِ
ضَربَ غلامٍ غَيرِ نِكسٍ شاري ... دون حسينٍ مُهجتي وداري

قال أبو مخنف: عن ثابت بن هبيرة، فقتل عمرو بن قرظة بن كعب، وكان مع الحسين، وكان عليّ أخوه مع عمر بن سعد، فنادى عليّ بن قريظة: يا حسين، يا كذّاب ابن الكذّاب، أضللت أخي وغررته حتّى قتله.

قال: إنّ الله لم يضلّ أخاك، ولكنّه هدى أخاك وأضلّك.

قال: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك، فحمل عليه، فاعترضه نافع بن هلال المرادي، فطعنه فصرعه، فحمله أصحابه فاستنقذوه، فدووِيَ بعدُ فَبَرأ.

قال أبو مخنف: حدّثني النضر بن صالح أبو زهير العبسي أنّ الحرّ بن يزيد لمّا لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شقرة وهم بنو الحارث بن تميم يقال له: يزيد بن سفيان: أما والله، لو أنّي رأيت الحرّ بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان، قال: فبينا الناس يتجاولون و يقتتلون والحرّ بن يزيد يحمل على القوم مقدماً، ويتمثّل قول عنترة:

ما زِلتُ أرميهِم بُثغرَةِ نَحرِهِ ... وَ لَبانِهِ حتّى تَسَربَلَ بالدمِ

قال: وأنّ فرسه لمضروب على أُذنيه وحاجبه، وأن دماءه لتسيل، فقال الحصين بن تميم ـ وكان على شرطة عبيد الله، فبعثه إلي الحسين، وكان مع عمر بن سعد، فولّاه عمر مع الشرطة المجفّفة ـ ليزيد بن سفيان: هذا الحرّ بن يزيد الذي كنت تتمنّى.

قال: نعم، فخرج إليه فقال له: هل لك يا حرّ بن يزيد في المبارزة؟ قال: نعم قد شئت، فبرز له، قال: فأنا سمعت الحصين بن تميم يقول: والله، لأبرز له، فكأنّما كانت نفسه في يده، •فما لبثه الحرّ حين خرج إليه أن قتله. ٤٣٥/٥

قال هشام بن محمّد، عن أبي مخنف، قال: حدّثني يحيى بن هانئ بن عروة، أنّ نافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول: أنا الجملي، أنا على دين عليّ.

قال: فخرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث، فقال: أنا على دين عثمان، فقال له: أنت على دين شيطان، ثمّ حمل عليه فقتله، فصاح عمرو بن الحجّاج بالناس: يا حمقى! أ تدرون مَن تقاتلون؟ فرسان المصر، قوماً مستميتين، لا يبرزنّ لهم منكم أحد، فإنّهم قليل، وقلمّا يبقون، والله، لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم.

فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألّا يبارز رجل منكم رجلاً منهم.

قال أبو مخنف: حدّثني الحسين بن عقبة المرادي، قال: الزبيدي:

أنّه سمع عمرو بن الحجّاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول: يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام.

فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجّاج، أ عليَّ تحرّض الناس؟ أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه؟ أما والله، لتعلمنّ لو قد قبضت أرواحكم، ومتّم على أعمالكم، أيّنا مرق من الدين، ومَن هو أولى بصلّي النار!

قال: ثمّ إنّ عمرو بن الحجّاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أوّل أصحاب الحسين، ثمّ انصرف عمرو بن الحجّاج وأصحابه، وارتفعت الغبرة، فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين فإذا به رمق، فقال: رحمك ربّك يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

و دنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزّ عليَّ مصرعك يا مسلم، ابشر بالجنّة، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرّك الله بخير! فقال له حبيب: لو لا أنّي •أعلم أنّي في أثرك ٤٣٦/٥
لاحق بك من ساعتي هذه، لأحببت أن توصيني بكلّ ما أهمّك حتّى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين.

قال: بل أنا أُوصيك بهذا رحمك الله ـ وأهوى بيده إلى الحسين ـ أن تموت دونه، قال: أفعل وربّ الكعبة، قال: فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم.

و صاحت جارية له فقالت: يا بن عوسجتاه! يا سيّداه! فتنادى أصحاب عمرو بن الحجّاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي، فقال شبث لبعض من حوله من أصحابه: ثكلتكم أُمّهاتكم! إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلّلون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة! أما والذي أسلمت له لَرُبَّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم! لقد رأيته يوم سلق آذربيجان قتل ستّة من المشركين قبل تتامّ خيول المسلمين، أ فيقتل منكم مثله وتفرحون؟!

قال: وكان الذي قتل مسلمَ بن عوسجة مسلمُ بن عبدالله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي.

قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن في الميسرة على أهل الميسرة، فثبتوا له، فطاعنوه وأصحابه، وحمل على حسين وأصحابه من كلّ جانب، فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأوّلين، وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي وبكير بن حيّ التيمي من تيم الله بن ثعلبة، فقتلاه، وكان القتيل الثاني من

أصحاب الحسين، وقاتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديداً، وأخذت خيلهم تحمل وإنّما هم اثنان وثلاثون فارساً، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلّا كشفته، فلمّا رأى ذلك عزرة بن قيس ـ وهو على خيل أهل الكوفة ـ أنّ خيله تنكشف من كلّ جانب، بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن، فقال: أ ما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدّة اليسيرة! ابعث إليهم الرجال والرماة.

فقال لشبث بن ربعي: ألا تقدم إليهم؟ فقال: سبحان الله! أ تعمد إلى شيخ مضر وأهل المصر عامّة تبعثه في الرماه؟! لم تجد من تندب لهذا ويجزئ عنك غيري! قال: وما زالوا يرون من شبث الكراهة لقتاله.

٤٣٧/٥ قال: وقال أبو زهير العبسي: فأنا سمعته في إمارة مصعب •يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسدّدهم لرشد، أ لا تعجبون أنّا قاتلنا مع عليّ بن أبي طالب، ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثمّ عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سميّة الزانية؟! ضلال يا لكَ من ضلال! قال: ودعا عمر بن سعد الحصين بن تميم، فبعث معه المجفّفة وخمسمئة من المرامية، فأقبلوا حتّى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رجّالة كلّهم.

قال أبو مخنف: حدّثني نمير بن وعلة أنّ أيّوب بن مشرح الخيواني كان يقول: أنا والله عقرت بالحرّ بن يزيد فرسه، حشأتُه سهماً، فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا، فوثَب عنه الحرّ كأنّه ليث والسيف في يده وهو يقول:

إن تَعقِروا بي فأنا ابنُ الحُرِّ أَشجَعُ مِن ذي لِبَدٍ هَزبرِ

قال: فما رأيت أحداً قطّ يفري فريَهُ، قال: فقال له أشياخ من الحيّ: أنت قتلته؟ قال: لا والله، ما أنا قتلته، ولكن قتله غيري، وما أُحبّ أنّي قتلته، فقال له أبو الوداك: ولِمَ؟ قال: إنّه كان زعموا من الصالحين، فو الله، لئن كان ذلك إثماً لأن ألقى الله بإثم الجراحة والموقف أحبّ إليَّ من أن ألقاه بإثم قتلِ أحدٍ منهم، فقال له أبو

الوداك: ما أراك إلّا ستلقى الله بإثم قتلهم أجمعين، أ رايتَ لو أنّك رميتَ ذا فعقرت ذا، ورميت آخر، ووقفت موقفاً، وكررت عليهم، وحرّضت أصحابك، وكثرت أصحابك، وحمل عليك فكرهت أن تفرّ، وفعل آخر من أصحابك كفعلك، وآخر وآخر، كان هذا وأصحابه يقتلون؟ أنتم شركاء كلّكم في دمائهم.

فقال له: يا أبا الوداك، إنّك لتقنّطنا من رحمة الله، إن كنت وليّ حسابنا يوم القيامة فلا غفر الله لكَ إن غفرتَ لنا! قال: هو ما أقول لك.

٤٣٨/٥ قال: وقاتلوهم حتّى انتصف •النهار أشدّ قتال خلقه الله، وأخذوا لا يقدرون على أن يأتوهم إلّا من وجه واحد؛ لاجتماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض. قال: فلمّا رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوّضونها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم.

قال: فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض وينتهب، فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال: أحرقوها بالنار، ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوّضوه، فجاءوا بالنار، فأخذوا يحرقون.

فقال حسين: دعوهم فليحرقوها، فإنّهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها، و كان ذلك كذلك، وأخذوا لا يقاتلونهم إلّا من وجه واحدٍ.

قال: وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها حتّى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنّة! فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يُسمّى رستم: اضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها فَشَدَخَه، فماتت مكانها، قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن حتّى طعن فسطاطَ الحسين برمحِهِ، ونادى: عليَّ بالنار حتّى أحرق هذا البيت على أهله، قال: فصاح النساء وخرجن من الفسطاط.

قال: وصاح به الحسين: يا بن ذي الجوشن، أنتَ تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي، حَرَقَك الله بالنار!

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: قلت لشمر بن ذي الجوشن: سبحان الله! إنّ هذا لا يصلح لك، أُ تريد أن تجمع على نفسك خصلتين تعذّب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء! والله، إنّ في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك.

قال: فقال: من أنت؟ قال: قلت: لا أُخبرك مَن أنا، قال: وخشيت والله أن لو عرفني أن يضرّني عند السلطان، قال: فجاءه رجل كان أطوع له منّي، شبث بن ربعي، فقال: ما رأيت مقالاً أسوأ من قولك، ولا موقفاً أقبح من موقفك، أ مرعباً للنساء صرت؟! قال: فأشهد أنّه استحيا، فذهب لينصرف، وحمل عليه زهير بن القين في رجال من أصحابه عشرة، فشدّ على شمر بن ذي الجوشن •وأصحابه، ٤٣٩/٥
فكشفهم عن البيوت حتّى ارتفعوا عنها، فصرعوا أبا عزة الضبابي فقتلوه، فكان من أصحاب شمر، وتعطّف الناس عليهم فكثروهم، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل، فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبيّن فيهم، وأُولئك كثير لا يتبيّن فيهم ما يقتل منهم.

قال: فلمّا رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبدالله الصائدي، قال للحسين: يا أبا عبدالله، نفسي لك الفداء! إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله، لا تقتل حتّى أُقتل دونك إن شاء الله، وأُحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها.

قال: فرفع الحسين رأسه، ثمّ قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين! نعم، هذا أوّل وقتها، ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصلّي، فقال لهم الحصين بن تميم: إنّها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل زعمت! الصلاة من آل رسول الله ﷺ لا تقبل وتقبل منك يا حمار؟!

قال: فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبَّ ووقع عنه، وحمله أصحابه فاستنقذوه، وأخذ حبيب يقول:

أُقسِمُ لو كُنّا لكم أعدادا أو شَطرَكم ولَّيتم أكتادا

يا شرّ قوم حسباً وآدا

قال: وجعل يقول يومئذ:

أنـــا حـــبيبٌ وأبـــي مُـظاهِرُ فارِسُ هيجاءَ وحرب تُسـعَرُ
أنـــتم أعَـــدّ عُـــدّه وأكـــثرُ و نَحن أوفـى مِـنكُم وأُصـبَرُ
ونَـحنُ أعـلى حُـجّةً وأظـهرُ حـــقّاً وأتـقى مـنكم وأَعـذَرُ

وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله ـ وكان يقال له: بديل بن صريم من بني عقفان ـ وحمل •عليه آخر من بني ٤٤٠/٥
تميم، فطعنه فوقع، فذهب ليقوم، فضربه الحصين بن تميم عـلى رأسـه بـالسيف، فوقع، ونزل إليه التميمي فاحتزّ رأسه، فقال له الحصين: إنّي لشريكك في قتله، فقال الآخر: والله، ما قتله غيري، فقال الحصين: أعطنيه أُعلّقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنّي شركت في قتله، ثمّ خذه أنت بعد فامض به إلى عـبيد الله بـن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إيّاه، قال: فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به في العسكر قد علّقه في عنق فرسه، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه.

فلمّا رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب فعلّقه في لبان فرسه، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب، وهو يومئذ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، كلّما دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه، فارتاب به، فقال: ما لك يا بني تتبعني؟

قال: لا شيء، قال: بلى، يا بني أخبرني، قال له: إنّ هذا الراس الذي معك رأس أبي، أفتعطينيه حتّى أدفنه؟

قال: يا بنيّ، لا يرضى الأمير أن يدفن، وأنا أُريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً، قال له الغلام: لكنّ الله لا يثيبك على ذلك إلّا أسوأ الثواب، أما والله لقد قتلت خيراً منك، وبكى. فمكث الغلام حتّى إذا أدرك لم يكن له همّة إلّا اتّباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرّة فيقتله بأبيه، فلمّا كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميرا

دخل عسكر مصعب، فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرّته، فدخل عليه وهو قائل نصف النهار فضربه بسيفه حتّى برد.

قال أبو مخنف: حدّثني محمّد بن قيس، قال: لمّا قتل حبيب بن مظاهر هدّ ذلك حسيناً وقال عند ذلك: أحتَسِب نفسي وحماة أصحابي، قال: فأخذ الحرّ يرتجز ويقول:

آليتُ لا أُقتل حتّى أَقتُلا ... و لن أُصابَ اليومَ إلّا مُقبلا

•أضرِبُهُم بالسيفِ ضَرباً مِقصَلا ... لا ناكِلا عَنهم ولا مهلّلا ٤٤١/٥

وأخذ يقول أيضاً:

أضرِبُ في أعراضِهم بالسيفِ ... عن خيرِ مَن حَلّ مِنّى والخيف

فقاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً، فكان إذا شدّ أحدهما، فإن استلحم شدّ الآخر حتّى يخلّصه، ففعلا ذلك ساعة، ثمّ إنّ رجاله شدّت على الحرّ بن يزيد فقتل، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عمّ له كان عدوّاً له، ثمّ صلّوا الظهر، صلّى بهم الحسين صلاة الخوف، ثمّ اقتتلوا بعد الظهر فاشتدّ قتالهم، ووصل إلى الحسين، فاستقدم الحنفي أمامه، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه، فما زال يرمي حتّى سقط.

وقاتل زهير بن القين قتالاً شديداً، وأخذ يقول:

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ ... أذودُهم بالسيفِ عن حسينِ

قال: وأخذ يضرب على منكب حسين ويقول:

أقدم هُديتَ هادياً مهديّاً ... فاليومَ تَلقَى جدَّكَ النبيّا

وحَسناً والمرتضَى عليّا ... و ذا الجَناحَينِ اَلفتى الكَميا

وأسدَ الله الشهيدَ الحيّا

قال: فشدّ عليه كثير بن عبدالله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه، قال: وكان نافع

بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمي بها مسوّمة وهو يقول: أنا الجملي، أنا على دين عليّ.

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح، قال: فضرب حتّى كسرت عضداه وأُخذ أسيراً، قال: فأخذه شمر بن ذي الجوشن •ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتّى أُتي به عمر بن سعد، فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع! ما حَمَلَكَ على ما صنعتَ بنفسك؟! ٤٤٢/٥

قال: إنّ ربّي يعلم ما أردت، قال: والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله، لقد قتلتُ منكم اثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني، فقال له شمر: اقتله أصلحك الله! قال: أنت جئتَ به، فإن شئت فاقتله، قال: فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أمّا والله، أن لو كنت من المسلمين لَعَظُمَ عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه، فقتله.

قال: ثمّ أقبل شمر يحمل عليهم وهو يقول:

خَلُّوا عُداةَ اللهِ خلّوا عن شَمر ... يَضرِبُهُم بسيفه ولا يَفِرّ

وَ هو لكم صابٌ وسَمّ ومَقِر

قال: فلمّا رأى أصحاب الحسين أنّهم قد كُثِروا، وأنّهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم، تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه، فجاءه عبدالله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاريّان، فقالا: يا أبا عبدالله، عليك السلام، حازنا العدوّ إليك، فأحببنا أن نقتل بين يديك، نمنعك وندفع عنك، قال: مرحباً بكما! ادنوا منّي، فدنوا منه، فجعلا يقاتلان قريباً منه، وأحدهما يقول:

قد عَلِمَتْ حقّاً بنو غِفارِ ... وَ خِندِفٌ بعد بني نزارِ

لَنَضرِبَنَّ معشَرَ الفُجّار ... بِكُلّ عضبٍ صارمٍ بتّار

يا قوم ذُودوا عن بني الأحرارِ ... بالمشرَفيّ والقَنا الخطّار

قال: وجاء الفتيان الجابريّان: سيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبد بن سريع، وهما ابنا عمّ، وأخَوان لأُمّ، فأتيا حسيناً فدنوا منه وهما •يبكيان. ٤٤٣/٥

فقال: أي ابني أخي، ما يبكيكما؟ فو الله، إنّي لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عين، قالا: جعلنا الله فداك! لا والله، ما على أنفسنا نبكي، ولكنا نبكي عليك، نراك قد أُحيط بك، ولا نقدر على أن نمنعك.

فقال: جزاكما الله يا بني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما إيّاي بأنفسكما أحسن جزاء المتّقين.

قال: وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي، فقام بين يدي حسين، فأخذ ينادي: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ * وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يا قوم، تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾

فقال له حسين: يا بن أسعد، رحمك الله، إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟!

قال: صدقت، جعلت فداك! أنت أفقه منّي وأحقّ بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟

فقال: رُح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى، فقال: السلام عليك أبا عبدالله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرّف بيننا وبينك في جنّته، فقال: آمين آمين، فاستقدم فقاتل حتّى قُتِلَ.

قال: ثمّ استقدم الفتيان الجابريّان يلتفتان إلى حسين ويقولان: السلام عليك يا بن رسول الله، فقال: وعليكما السلام ورحمة الله، فقاتلا حتّى قُتِلا.

قال: وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر، فقال: يا

شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟ قال: ما أصنع! أُقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أُقتل، قال: ذلك الظنّ بك، أمّا لا فتقدّم بين يدي أبي عبدالله حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتّى أحتسبك أنا، فإنّه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أولى •به منّي بك لسرّني أن يتقدّم بين يدي حتّى أحتسبه، فإنّ هذا ٤٤٤/٥
يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما قدرنا عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم، وإنّما هو الحساب، قال: فتقدّم فسلّم على الحسين، ثمّ مضى فقاتل حتّى قُتل.

ثمّ قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبدالله، أما والله، ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليَّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ على من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبدالله، أُشهد الله أنّي على هديك وهدي أبيك، ثمّ مشى بالسيف مصلتاً نحوهم وبه ضربة على جبينه.

قال أبو مخنف: حدّثني نمير بن وعلة، عن رجل من بني عبد من همدان يقال له: ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم، قال: لمّا رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس، فقلت: أيّها الناس، هذا الأسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجنّ إليه أحد منكم، فأخذ ينادي:

ألا رجل لرجل؟! فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، قال: فَرُمي بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلكألقى درعَهُ ومِغفرَه، ثمّ شدّ على الناس، فو الله، لرأيته يكرُد[1] أكثر من مئتين من الناس، ثمّ إنّهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب، فَقُتل.

قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة، هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد، ففرّق بينهم بهذا القول.

قال أبو مخنف: حدّثني عبدالله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبدالله المشرقي،

---

١. يكرُد: أي يطرد (اُنظر: العين: ج ٥ ص ٣٢٦ «كرد»).

قال: لمّا رأيت أصحاب الحسين قد أُصيبوا، وقد خلص إليه وإلى أهل بيته، ولم يبقَ معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي، قلت له: يا بن رسول الله، قد علمت ما كان بيني وبينك، قلت لك: أُقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً، فإذا لم أرَ مقاتلاً، فأنا في حلّ من الانصراف، فقلت لي: نعم، قال: فقال: صدقت، وكيف لك •بالنجاء؟! إن قدرت على ذلك فأنت في حلّ، قال: فأقبلت إلى ٤٤٥/٥
فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر، أقبلت بها حتّى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت، وأقبلت أُقاتل معهم راجلاً، فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين، وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين يومئذ مراراً: لا تشلل، لا يقطع الله يدك، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيّكﷺ!

فلمّا أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط، ثمّ استويت على متنها، ثمّ ضربتها حتّى إذا قامت على السنابكرميت بها عرض القوم، فأفرجوا لي، واتّبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتّى انتهيت إلى شُفَيَّة، قرية قريبة من شاطئ الفرات، فلمّا لحقوني عطفت عليهم، فعرفني كثير بن عبدالله الشعبي وأيّوب بن مشرح الخيواني وقيس بن عبدالله الصائدي، فقالوا: هذا الضحّاك بن عبدالله المشرقي، هذا ابن عمّنا، ننشدكم الله لمّا كففتم عنه! فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم: بلى والله، لنجيبنّ إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبّوا من الكفّ عن صاحبهم، قال: فلمّا تابع التميميّون أصحابي كفّ الآخرون، قال: فنجّاني الله.

قال أبو مخنف: حدّثني فضيل بن خديج الكندي أنّ يزيد بن زياد وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة جثا على ركبتيه بين يدي الحسين، فرمى بمئة سهم ما سقط منها خمسة أسهم، وكان رامياً، فكان كلمّا رمى قال:

أنا ابن بهدلة، فرسان العرجلة، ويقول حسين: اللّهمّ سدّد رميته، واجعل ثوابه الجنّة، فلمّا رمى بها قام فقال: ما سقط منها إلّا خمسة أسهم، ولقد تبيّن لي أنّي قد قتلت خمسة نفر، وكان في أوّل مَن قتل، وكان رجزه يومئذ:

أنـا يـزيدُ وأبـي مـهاصرُ أشجعُ من ليثٍ بغيلٍ خادرْ
يا رَبِّ إنّي للحسينِ ناصرْ و لابن سعد تاركٌ وهاجرْ

٤٤٦/٥ وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممّن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين، فلمّا ردّوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتّى قُتل.

فأمّا الصيداوي عمر بن خالد، وجابر بن الحارث السلماني، وسعد مولى عمر بن خالد، ومجمع بن عبدالله العائذي، فإنّهم قاتلوا في أوّل القتال، فشدّوا مقدمين بأسيافهم على الناس، فلمّا وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم، وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد، فحمل عليهم العبّاس بن عليّ فاستنقذهم، فجاءوا قد جرحوا، فلمّا دنا منهم عدوّهم شدّوا بأسيافهم، فقاتلوا في أوّل الأمر حتّى قتلوا في مكان واحد.

قال أبو مخنف: حدّثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمي، قال:

كان آخر من بقي مع الحسين من أصحابه سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي.

قال: وكان أوّل قتيل من بني أبي طالب يومئذ عليّ الأكبر بن الحسين بن عليّ، وأُمّه ليلى ابنة أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وذلك أنّه أخذ يشدّ على الناس وهو يقول:

أنا عليُّ بن حسين بن عليّ نحنُ وربِّ البيت أولى بالنبيّ
تاللهِ لا يَحكُم فينا ابنُ الدَعي

قال: ففعل ذلك مراراً، فبصر به مرّة بن منقذ بن النعمان العبدي ثمّ الليثي، فقال: عليَّ آثام العرب إن مرّ بي يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أثكله أباه، فمرّ يشدّ على الناس بسيفه، فاعترضه مرّة بن منقذ، فطعنه فُصرع، واحتَوَله الناس فقطّعوه بأسيافهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم الأزدي،

قال: سماع أُذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بنيّ! ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العفاء.

قال: وكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنّها الشمس الطالعة تنادي: يا أُخيّاه! ويا بن أُخيّاه! قال: فسألت عليها، فقيل: هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، فجاءت حتّى أكبّت عليه، فجاءها •الحسين فأخذ بيدها ٤٤٧/٥
فردّها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه، وأقبل فتيانه إليه، فقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حتّى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

قال: ثمّ إنّ عمرو بن صبيح الصدائي رمى عبدالله بن مسلم بن عقبل بسهم فوضع كفّه على جبهته، فأخذ لا يستطيع أن يحرّك كفّيه، ثمّ انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه، فاعتَوَرَهم الناس من كلّ جانب، فحمل عبدالله بن قطبة الطائي ثمّ النبهاني على عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، وحمل عامر بن نهشل التيمي على محمّد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، قال: وشدّ عثمان بن خالد بن أسير الجهني، وبشر بن سوط الهمداني ثمّ القابضي على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتلاه، ورمى عبدالله بن عزرة الخثعمي جعفر بن عقيل بن أبي طالب فقتله.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: خرج إلينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر، في يده السيف، عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسعُ أحدهما ما أنسى أنها اليسرى، فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله، لأشدّنّ عليه، فقلت له: سبحان الله! وما تريد إلى ذلك؟! يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم، قال: فقال: والله، لأشدّنّ عليه، فشدّ عليه فما ولّى حتّى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه، فقال: يا عمّاه! قال: فجلّى الحسين كما يجلّي الصقر، ثمّ شدّ شدّة ليث غضب، فضرب عمراً بالسيف، فاتّقاه بالساعد، فأطنّها من

لدن المرفق، فصاح، ثمّ تنحّى عنه، وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من حسين، فاستقبلت عمراً بصدورها، فحرّكت حوافرها وجالت الخيل بفرسانها عليه، فوطئته حتّى مات.

و انجلت الغبرة، فإذا أنا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجليه، وحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك، ومَن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك! ثمّ قال: عزّ ـ والله ـ على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثمّ لا ينفعك! صوت والله كثر واتره، وقلّ ناصره! ثمّ احتمله فكأني أنظر إلى رجلي الغلام يخطّان في الأرض، •وقد وضع حسين صدره على صدره، قال: فقلت في نفسي: ما يصنع به؟! ٤٤٨/٥
فجاء به حتّى ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين وقتلى قد قتلت حوله من أهل بيته، فسألت عن الغلام، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب.

قال: ومكث الحسين طويلاً من النهار كلّما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه، وكره أن يتولّى قتله وعظيم إثمه عليه.

قال: وإنّ رجلاً من كنده يقال له: مالك بن النسير من بني بداء، أتاه فَضَرَبه على رأسه بالسيف، وعليه بُرنس له، فقطع البرنس، وأصاب السيف رأسه، فأدمى رأسه، فامتلأ البرنس دماً.

فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين! قال: فألقى ذلك البرنس، ثمّ دعا بقلنسوه فلبسها، واعتمّ، وقد أعيا وبلد، وجاء الكندي حتّى أخذ البرنس ـ و كان من خزّ ـ فلمّا قدم به بعد ذلك على امرأته أُمّ عبدالله ابنة الحرّ أُخت حسين بن الحرّ البدي، أقبل يغسل البرنس من الدم، فقالت له امرأته: أَسَلَبَ ابنِ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تدخل بيتي؟! أخرجه عنّي، فذكر أصحابه أنّه لم يزل فقيراً بشرّ حتّى مات، قال: و لمّا قعد الحسين أُتي بصبّي له فأجلسه في حجره، زعموا أنّه عبدالله بن الحسين.

قال أبو مخنف: قال عقبة بن بشير الأسدي: قال لي أبو جعفر محمّد بن عليّ بن

الحسين: إنّ لنا فيكم يا بني أسد دماً، قال: قلت: فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر! وما ذلك؟ قال: أُتي الحسين بصبيّ له، فهو في حجره، إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين دمه، فلمّا ملأ كفّيه صبّه في الأرض، ثمّ قال: ربّ إن تَكُن حَبَستَ عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين.

قال: ورمى عبدالله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهم فقتله، فلذلك يقول الشاعر، وهو ابن أبي عقب:

وعِندَ غَنيٍّ قَطرةٌ مِن دِمائنا و في أَسدٍ أُخرى تُعَدُّ وتُذكرُ

قال: وزعموا أنّ العبّاس بن عليّ قال لإخوته من أُمه عبدالله، وجعفر •وعثمان: ٤٤٩/٥
يا بني أُمّي، تقدّموا حتّى أرثكم، فإنّه لا ولد لكم، ففعلوا، فقتلوا.

و شدّ هانئ بن ثبيت الحضرمي على عبدالله بن عليّ بن أبي طالب فقتله، ثمّ شدّ على جعفر بن عليّ فقتله وجاء برأسه، ورمى خَوَلّي بن يزيد الأصبحي عثمان بن عليّ بن أبي طالب بسهم، ثمّ شدّ عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله، وجاء برأسه، ورمى رجل من بني أبان بن دارم محمّد بن عليّ بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه.

قال هشام: حدّثني أبو الهذيل ـ رجل من السكون ـ عن هانئ بن ثبيت الحضرمي، قال: رأيته جالساً في مجلس الحضرميّين في زمان خالد بن عبدالله وهو شيخ كبير، قال: فسمعته وهو يقول: كنتُ ممّن شهد قَتلَ الحسين، قال: فو الله، إنّي لواقف عاشر عشرة ليس منّا رجلٌ إلّا على فرس، وقد جالت الخيل وتصعصعت، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية، عليه إزار وقميص، وهو مذعور، يتلفّت يميناً وشمالاً، فكأنّي أنظر إلى درّتين في أُذنيه تذبذبان كلّما التفت، إذ أقبل رجل يركض، حتّى إذا دنا منه مال عن فرسه، ثمّ اقتصد الغلام فقطعه بالسيف.

قال هشام: قال السكوني: هانئ بن ثبيت هو صاحب الغلام، فلمّا عُتب عليه كنى عن نفسه.

قال هشام: حدّثني عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: عطش الحسين حتّى اشتدّ عليه العطش، فدنا ليشرب من الماء، فرماه حصين بن تميم بسهم، فوقع في فمه، فجعل يتلقّى الدم من فمه، ويرمي به إلى السماء، ثمّ حمد الله وأثنى عليه، ثمّ جمع يديه فقال: اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً.

قال هشام، عن أبيه محمّد بن السائب، عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة، قال: حدّثني مَن شهد الحسين في عسكره، أنّ حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات، قال: فقال رجل من بني أبان بن دارم: ويلكم! حولوا بينه وبين الماء لا تتامّ إليه شيعته، قال: و ضرب •فرسه، وأتبعه الناس حتّى حالوا بينه ٤٥٠/٥
وبين الفرات، فقال الحسين: اللّهمّ أظمه، قال: وينتزع الأباني بسهم، فأثبته في حنك الحسين، قال: فانتزع الحسين السهم، ثمّ بسط كفّيه فامتلأت دماً، ثمّ قال الحسين: اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك، قال: فو الله، إن مكث الرجل إلّا يسيراً حتّى صبّ الله عليه الظمأ، فجعل لا يروى.

قال القاسم بن الأصبغ: لقد رأيتني فيمن يروّح عنه، والماء يبرّد له فيه السكر وعساس فيها اللبن، وقلال فيها الماء، وأنّه ليقول: ويلكم! اسقوني قتلني الظمأ، فيعطى القلّة أو العس كان مرويّاً أهل البيت فيشربه، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهنيهة، ثمّ يقول: ويلكم! اسقوني قتلني الظمأ، قال: فو الله، ما لبث إلّا يسيراً حتّى انقدّ بطنه انقداد بطن البعير.

قال أبو مخنف في حديثه: ثمّ إنّ شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو من عشرة من رجّالة أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله، فمشى نحوه، فحالوا بينه وبين رحله.

فقال الحسين: ويلكم! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهّالكم، فقال ابن ذي الجوشن: ذلك لك يا بن فاطمة.

قال: وأقدم عليه بالرجّالة، منهم أبو الجنوب ـ واسمه عبد الرحمن الجعفي ـ والقشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي، وصالح بن وهب اليزني، وسنان بن أنس النخعي، وخوليّ بن يزيد الأصبحي، فجعل شمر بن ذي الجوشن يحرّضهم، فمرّ بأبي الجنوب وهو شاكٍ في السلاح فقال له: أقدم عليه، قال: وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟ فقال له شمر: إليَّ تقول ذا؟ قال: وأنت لِي تقول ذا؟ فاستبّا، فقال له أبو الجنوب ـ وكان شجاعاً: والله، لهممت أن أخضخض السنان في عينك.

قال: فانصرف عنه شمر وقال: والله، لئن قدرت على أن أضرّك لأضرّنّك.

قال: ثمّ إنّ شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجّالة نحو الحسين، فأخذ الحسين يشدّ عليهم فينكشفون عنه.

ثمّ إنّهم أحاطوا به إحاطة، وأقبل إلى الحسين غلامٌ من أهله، فأخذته أُخته
• زينب ابنة عليّ لتحبسه، فقال لها الحسين: احبسيه، فأبى الغلام، وجاء يشتدّ إلى ٤٥١/٥
الحسين، فقام إلى جنبه، قال: وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيد الله ـ من بني تيم الله بن ثعلبه بن عكابة ـ إلي الحسين بالسيف، فقال الغلام:

يا بن الخبيثة، أ تقتل عمي؟! فضربه بالسيف، فاتّقاه الغلام بيده فأطنّها إلّا الجلدة، فإذا يده معلّقة، فنادى الغلام: يا أُمّتاه! فأخذه الحسين فضمّه إلى صدره، وقال: يا بن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين، برسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن عليّ صلى الله عليهم أجمعين.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: سمعت الحسين يومئذ وهو يقول: اللّهمّ أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض،

اللّهمّ فإن متّعتهم إلى حين ففرّقهم فرقاً، واجعلهم طرائقَ قدداً، ولا ترض عنهم الولاة أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا فقتلونا.

قال: وضارب الرجّالة حتّى انكشفوا عنه، قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة، دعا بسراويل محقّقة يلمع فيها البصر، يماني محقّق، ففزره ونكثه لكيلا يسلبه، فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحته تُبّاناً! قال: ذلك ثوب مذلّة، ولا ينبغي لي أن ألبسه، قال: فلمّا قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرّداً.

قال أبو مخنف: فحدّثني عمرو بن شعيب، عن محمّد بن عبد الرحمن أنّ يدي بحر بن كعب كانتا في الشتاء تنضحان الماء، وفي الصيف تيبسان كأنّهما عود.

قال أبو مخنف: عن الحجّاج، عن عبدالله بن عمّار بن عبد يغوث البارقي، ٤٥٢/٥ •وعُتِبَ على عبدالله بن عمّار بعد ذلك مشهده قتل الحسين، فقال عبدالله بن عمّار: إنّ لي عند بني هاشم ليداً، قلنا له: وما يدك عندهم؟ قال: حملت على حسين بالرمح فانتهيت إليه، فو الله، لو شئت لطعنته، ثمّ انصرفتُ عنه غير بعيد، وقلت: ما أصنع بأن أتولّى قتله! يقتله غيري.

قال: فشدّ عليه رجّالة ممّن عن يمينه وشماله، فحمل على مَن عن يمينه حتّى ابذعرُّوا، وعلى مَن عن شمالهِ حتّى ابذعرّوا، وعليه قميص له من خزّ وهو معتمّ، قال: فو الله، ما رأيت مكسوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً، ولا أمضى جناناً، ولا أجرأ مقدماً منه، والله، ما رأيت قبله ولا بعده مثله، أن كانت الرجّالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب.

قال: فو الله، إنّه لكذلك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أُخته، وكأنّي أنظر إلى قرطها يجول بين أذنيها وعاتقها، وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض! وقد دنا عمر بن سعد من حسين، فقالت: يا عمر بن سعد، أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟!

قال: فكأنّي أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خدّيه ولحيته، قال: وصرف

بوجهه عنها.

قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن حميد بن مسلم، قال: كانت عليه جبّة من خزّ، وكان معتمّاً، وكان مخضوباً بالوسمة، قال: وسمعته يقول قبل أن يُقتل، وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع يتّقي الرمية، ويفترص[1] العورة، ويشدّ على الخيل، وهو يقول: أعلى قتلي تَحاثّون؟! أما والله، لا تقتلون بعدي عبداً من عباد اللهِ اللهُ أسخط عليكم لقتله منّي، وأيم الله، إنّي لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله، أن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثمّ لا يرضى لكم حتّى يضاعف لكم العذاب الأليم.

قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنّهم كان يتّقي بعضهم ببعض، ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء.

قال: •فنادى شمر في الناس: ويحكم! ماذا تنظرون بالرجل؟! اقتلوه ثكلتكم أُمّهاتكم! ٤٥٣/٥

قال: فحمل عليه من كلّ جانب، فضربت كفّه اليسرى ضربة، ضربها زرعة بن شريك التميمي، وضرب على عاتقه، ثمّ انصرفوا وهو ينوء ويكبو.

قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي، فطعنه بالرمح فوقع.

ثمّ قال لخوليّ بن يزيد الأصبحي: احتزّ رأسه، فأراد أن يفعل، فضعف فأرعد، فقال له سنان بن أنس: فتَّ اللهُ عضديك، وأبانَ يديك! فنزل إليه فذبحه واحتزّ رأسه، ثمّ دفع إلى خوليّ بن يزيد، وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف.

قال أبو مخنف عن جعفر بن محمّد بن عليّ، قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قُتل

---

١. افترص العورة: انتهزها (لسان العرب: ج ٧ ص ٦٥ «فرص»).

ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة.

قال: وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحدٌ من الحسين إلّا شدّ عليه مخافة أن يغلب على رأسه، حتّى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خولّي.

قال: وسلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته ـ وكانت من خزّ، وكان يسمّى بعد قيس قطيفة ـ وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له: الأسود، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم، فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل.

قال: ومال الناس على الورس والحلل والإبل وانتهبوها، قال: ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه، فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتّى تغلب عليه، فيذهب به منها.

قال أبو مخنف: حدّثني زهير بن عبد الرحمن الخثعمي، أنّ سويد بن عمرو بن أبي المطاع كان صُرع فأُثخن، فوقع بين القتلى مثخناً، فسمعهم يقولون: قتل الحسين، فوجد إفاقة، فإذا معه سكّين وقد أخذ سيفه، فقاتلهم بسكينه ساعة، ثمّ إنّه قتل، قتله عروة بن بطار التغلبي، وزيد بن رقاد الجنبي، وكان آخر قتيل.

٤٥٤/٥ قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، •قال، انتهيت إلى عليّ بن الحسين بن عليّ الأصغر وهو منبسط على فراش له، وهو مريض، وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجّالة معه يقولون: ألا نقتل هذا؟

قال: فقلت: سبحان الله! أنقتل الصبيان؟! إنّما هذا صبيّ، قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كلّ من جاء حتّى جاء عمر بن سعد، فقال: ألا لا يدخلنّ بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضنّ لهذا الغلام المريض، ومَن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم. قال: فو الله، ما ردّ أحدٌ شيئاً.

قال: فقال عليّ بن الحسين: جزيت من رجل خيراً! فو الله، لقد دفع الله عنّي بمقالتك شرّاً.

قال: فقال الناس لسنان بن أنس: قتلتَ حسينَ بن عليّ وابن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، قتلتَ أعظمَ العرب خطراً، جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأتِ أُمراءك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوكبيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً، فأقبل على فرسه، وكان شجاعاً شاعراً، وكانت به لوثة، فأقبل حتّى وقف على باب فسطاطِ عمر بن سعد، ثمّ نادى بأعلى صوته:

أَوقِر رِكابي فضّةً وذَهَبا ... أَنا قَتَلتُ الملكَ المُحَجَّبا

قَتَلتُ خَيرُ الناسِ أُمّاً وأبا ... و خَيرَهُم إذ يَنسِبونَ نَسَبا

فقال عمر بن سعد: أشهد أنّك لمجنون ما صحت قطّ! ادخلوه عليَّ، فلمّا أُدخل حذفه بالقضيب، ثمّ قال: يا مجنون، أَ تَتكلّم بهذا الكلام؟! أما والله، لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك.

قال: وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان ـ وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبية، وهي أُمّ سكينة بنت الحسين ـ فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبد مملوك، فخلّى سبيله، فلم ينج منهم أحد غيره، إلّا أنّ المرقع بن ثمامة الأسدي كان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه، فقاتل، فجاءه نفر من قومه، فقالوا له: أنت آمن، اخرج إلينا، فخرج إليهم، فلمّا قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبره سيّره إلى الزارة.

قال: ثمّ إنّ عمر بن سعد نادى في أصحابه: من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة، منهم: إسحاق بن حيوه الحضرمي، • ـ وهو الذي سلب قميص الحسين؛ فبرص بعد ـ وأحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي، فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتّى رضّوا ظهره وصدره، فبلغني أنّ أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهم غرب، وهو واقف في قتال ففلق قلبه، فمات. ٤٥٥/٥

قال: فقتل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً، ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم.

و قتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم.

قال: وما هو إلّا أن قتل الحسين، فسرّح برأسه من يومه ذلك مع خوليّ بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، فأقبل به خوليّ، فأراد القصر، فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى منزله فوضعه تحت إجانة في منزله، وله امرأتان: امرأة من بني أسد، والأُخرى من الحضرميّين يقال لها: النوار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية.

قال هشام: فحدّثني أبي، عن النوار بنت مالك، قالت: أقبل خوليّ برأس الحسين، فوضعه تحت إجانة في الدار، ثمّ دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معكِ في الدار، قالت: فقلت: ويلك، جاء الناس بالذهب والفضّة، وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟! لا والله، لا يجمع رأسي و رأسك بيت أبداً، قالت: فقمت من فراشي، فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية فأدخلها إليه، و جلست انظر، قالت: فو الله، ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة، ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها.

قال: فلمّا أصبح غدا بالراس إلى عبيد الله بن زياد.

و أقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثمّ أمر حميد بن بكير الأحمري فأذّن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعليّ ابن الحسين مريض.

٤٥٦/٥ قال أبو مخنف: فحدّثني أبو زهير العبسي، عن قرّة بن قيس التميمي، قال: نظرت إلى تلك النسوة لمّا مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههنّ، قال: فاعترضتهنّ على فرس، فما رأيت منظراً من نسوة قطّ كان أحسن من منظر رأيته

منهنّ ذلك اليوم، والله لهنّ أحسن من مَهَا[1] يَبرِينَ.

قال: فما نسيت من الأشياء، لا أنس قول زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمّداه! يا محمّداه! صلّى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء! مرمّل بالدماء! مقطّع الأعضاء! يا محمّداه! وبناتك سبايا! وذرّيّتك مقتّلة، تسفي عليها الصبا! قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق.

قال: وقطف رؤوس الباقين، فسرّح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتّى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى أهله لأُبشّرهم بفتح الله عليه وبعافيته، فأقبلت حتّى أتيت أهله، فأعلمتهم ذلك، ثمّ أقبلت حتّى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه، فأدخلهم، وأذّن للناس، فدخلت فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة.

فلمّا رآه زيد بن أرقم: لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فو الذي لا إله غيره، لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبّلهما، ثمّ انفضخ الشيخ يبكي.

فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فو الله، لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك.

قال: فنهض فخرج، فلمّا خرج سمعت الناس يقولون: والله، لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله، قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا وهو يقول: ملّك عبدٌ عبداً، فاتّخذهم تلداً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابنَ

---

١. المها: البلّور (لسان العرب: ج ١٥ ص ٢٩٩ «مهو»).

فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضي بالذل!

٤٥٧/٥ •قال: فلمّا دخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها، وتنكّرت، وحفّت بها إماؤها، فلمّا دخلت جلست، فقال عبيد الله بن زياد: مَن هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال ذلك ثلاثاً، كلّ ذلك لا تكلّمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة.

قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم!

فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد صلى الله عليه وآله وطهّرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّون إليه، وتخاصمون عنده.

قال: فغضب ابن زياد واستشاط، قال: فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير! إنّما هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها! إنّها لا تؤاخذ بقول، ولا تلام على خطل.

فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك!

قال: فبكت ثمّ قالت: لعمري، لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

فقال لها عبيد الله: هذه شجاعة، قد لعمري كان أبوك شاعراً شجاعاً.

قالت: ما للمرأة والشجاعة! إنّ لي عن الشجاعة لشغلاً، ولكن نفثي ما أقول.

قال أبو مخنف، عن المجالد بن سعيد: إن عبيد الله بن زياد لمّا نظر إلى عليّ بن الحسين قال... انطلقوا به فاضربوا عنقه، فقال له عليّ: إن كان بينك وبين هؤلاء

النسوة قرابة فابعث معهنّ رجلاً يحافظ عليهنّ، فقال له ابن زياد: تعال أنت، فبعثه معهنّ.

قال أبو مخنف: وأمّا سليمان بن أبي راشد، فحدّثني عن حميد بن مسلم، قال: إنّي لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه عليّ بن الحسين فقال له: ما اسمك؟ ٤٥٨/٥
قال: أنا عليّ بن الحسين، قال: أو لم يقتل الله عليّ بن الحسين؟ فسكت، فقال له ابن زياد: ما لك لا تتكلّم؟ قال: قد كان لي أخ يقال له أيضاً عليّ، فقتله الناس، قال: إنّ الله قد قتله، قال: فسكت عليّ، فقال له: ما لك لا تتكلّم؟!

قال: ﴿اَللَّهُ يَتَوَفَّى اَلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اَللَّهِ﴾.

قال: أنت والله منهم، ويحك!... فقال: اقتله.

فقال عليّ بن الحسين: من توكل بهؤلاء النسوة؟ وتعلّقت به زينب عمّته فقالت: يا بن زياد، حسبك منّا! أما رَويتَ من دمائنا؟! وهل أبقيتَ منّا أحداً؟! قال: فاعتنقته فقالت: أسالك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلتَه لمّا قَتَلتَني معه!

قال: وناداه عليّ فقال: يا بن زياد، إن كانت بينك وبينهنّ قرابة فابعث معهنّ رجلاً تقيّاً يصحبهنّ بصحبة الإسلام.

قال: فنظر إليها ساعة، ثمّ نظر إلى القوم فقال: عجباً للرحم! والله، إنّي لأظنّها ودّت لو أنّي قتلته أنّي قتلتها معه، دعوا الغلام، انطلق مع نسائك.

قال حميد بن مسلم: لمّا دخل عبيد الله القصر ودخل الناس، نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب، الحسين بن عليّ وشيعته، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتّى وثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدي ثمّ الغامدي، ثمّ أحد بني والبة ـ وكان من شيعه عليّ كرّم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع عليّ، فلمّا كان يوم صفّين ضرب على رأسه ضربه، وأُخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأُخرى، فكان لا

يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلّي فيه إلى الليل، ثمّ ينصرف ـ قال: فلمّا سمع مقالة ابن زياد، قال:

٤٥٩/٥ • يا بن مرجانة، إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك والذي ولاّك وأبوه، يا بن مرجانة، أ تقتلون أبناء النبيّين، وتكلّمون بكلام الصدّيقين؟! فقال ابن زياد: عليَّ به، قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه، قال: فنادى بشعار الأزد: يا مبرور ـ قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس ـ فقال:

ويح غيرك! أهلكت نفسك، وأهلكت قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزد سبعمئة مقاتل، قال: فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه فأتوا به أهله، فأرسل إليه مَن أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في السبخة، فصلب هنالك.

قال أبو مخنف: ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة، فجعل يدار به في الكوفة، ثمّ دعا زحر بن قيس فسرّح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي، فخرجوا حتّى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية.

قال هشام: فحدّثني عبدالله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي، عن أبيه، عن الغاز بن ربيعة الجرشي، من حمير، قال: والله، أنا لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتّى دخل على يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: ويلك! ما وراءك؟ وما عندك؟

فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته وستّين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال على الاستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كلّ ناحية، حتّى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم، يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منّا بالآكام والحفر لواذاً كما لاذَ الحمائم من صقر، فو الله يا أمير المؤمنين، ما كان إلّا جزر

•جزور أو نومة قائل حتّى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجرّدة، وثيابهم مرمّلة، وخدودهم معفّرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوّارهم العقبان والرخم بِقَيّ سبسب.[1] ٤٦٠/٥

قال: فدمعت عين يزيد، وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سميّة! أما والله، لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين! ولم يصله بشيء.

قال: ثمّ إنّ عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجهّزن، وأمر بعليّ بن الحسين فغلّ بغلّ إلى عنقه، ثمّ سرّح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذي، عائذة قريش، ومع شمر بن ذي الجوشن، فانطلقا بهم حتّى قدموا على يزيد، فلم يكن عليّ بن الحسين يكلّم أحداً منهما في الطريق كلمة حتّى بلغوا، فلمّا انتهوا إلى باب يزيد رفع محفز بن ثعلبة صوته، فقال: هذا محفز بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة، قال: فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدت أُمّ محفز شرّ و ألأم.

قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية، قال: لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد ـ رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه ـ قال يزيد:

يفلّقنَ هاماً مِن رِجالٍ أعزّة ... عَلَينا وهُم كانوا أعقَّ وأظلَما

أما والله يا حسين، لو أنا صاحبك ما قتلتك.

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جعفر العبسي، عن أبي عمارة العبسي، قال: فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

لهامٌ بِجُنبِ الطَفِّ أدنى قَرابةً ... مِن ابنِ زياد العَبدِ ذي الحَسَبِ الوَغل

سُمَيَّةُ أمسَى نَسلَها عَددَ الحصى ... و بِنتُ رسول الله لَيسَ لها [من] نَسلِ

---

١. القي من القواء وهي الأرض القفر الخالية. (أُنظر: لسان العرب: ج ١٥ ص ٢١٠ «قوي»). والسبسب: المفازة (لسان العرب: ج ١ ص ٤٦٠ «سبسب»).

٤٦١/٥ •قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت.

قال: ولمّا جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثمّ دعا بعليّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه، فأُدخلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعليّ: يا عليّ، أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقّي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت!

قال: فقال عليّ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾.

فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه، قال: فما درى خالد ما يردّ عليه، فقال له يزيد: قل: ﴿وَمَا أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾، ثمّ سكت عنه.

قال: ثمّ دعا بالنساء والصبيان فأُجلسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة، فقال: قبّح الله ابن مرجانة! لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم هكذا.

قال أبو مخنف، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت عليّ، قالت: لمّا أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقّ لنا، وأمر لنا بشيء، وألطفنا، قالت: ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه ـ يعنيني، وكنت جارية وضيئة ـ فأرعدت وفرقت، وظننت أنّ ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أُختي زينب، قالت: وكانت أُختي زينب أكبر منّي وأعقل، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون، فقالت: كذبت والله ولؤمت! ما ذلك لك وله.

فغضب يزيد، فقال: كذبتِ والله، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت، قالت: كلاّ والله، ما جعل الله ذلك لكإلّا أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغير ديننا.

قالت: فغضب يزيد واستطار، ثمّ قال: إيّاي تستقبلين بهذا؟! انّما خرج من الدين
٤٦٢/٥ أبوك •و أخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديت أنتَ

وأبوك وجدّك، قال: كذبتِ يا عدوّة الله، قالت: أنت أمير مسلّط، تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك، قالت: فو الله، لكأنه استحيا، فسكت.

ثمّ عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية، قال: اعزب، وَهَبَ الله لَكَ حتفاً قاضياً!

قالت: ثمّ قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير، جهزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معه خيلاً وأعواناً، فيسير بهم إلى المدينة، ثمّ أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدَة، معهنّ ما يصلحهنّ، وأخوهنّ معهنّ عليّ بن الحسين، في الدار التي هنّ فيها.

قال: فخرجن حتّى دخلن دار يزيد فلم تبقَ من آل معاوية امرأه إلّا استقبلتهنّ تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً، وكان يزيد لا يتغدّى ولا يتعشّى إلّا دعا عليّ بن الحسين إليه، قال: فدعاه ذات يوم، ودعا عمر بن الحسن بن عليّ وهو غلام صغير فقال لعمر بن الحسن: أ تقاتل هذا الفتى؟ يعني خالداً ابنه، قال: لا، ولكن أعطني سكّيناً وأعطه سكّيناً، ثمّ أُقاتله، فقال له يزيد، وأخذه فضمّه إليه، ثمّ قال: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحيّة إلّا حيّة!

قال: ولمّا أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد عليّ بن الحسين ثمّ قال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله، لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلّا أعطيتها إيّاه، ولدفعت الحتف عنه بكلّ ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني وأنّه كلّ حاجة تكون لك، قال: وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول.

قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا، ويسألهم عن حوائجهم، ويُلطِفهم حتّى دخلوا المدينة.

و قال الحارث بن كعب: فقالت لي فاطمة بنت عليّ: قلت لأُختي زينب: يا

أُختيّة، لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ فقالت:
٤٦٣/٥ والله، ما معنا شيء نصله به إلّا حليّنا، قالت •لها: فنعطيه حليّنا، قالت: فأخذت سواري ودملجي وأخذت أُختي سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه، واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيّانا بالحسن من الفعل، قال: فقال: لو كان الذي صنعت إنّما هو للدنيا كان في حليكنّ ما يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلّا لله، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال هشام: وأمّا عوانة بن الحكم الكلبي فإنّه قال: لمّا قتل الحسين وجيء بالأثقال والأُسارى حتّى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله، فبينا القوم محتبسون إذ وقع حجر في السجن، معه كتاب مربوط، وفي الكتاب خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله، قال: فلمّا كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد أُلقي في السجن، ومعه كتاب مربوط وموسى، وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا، فإنّما ينتظر البريد يوم كذا وكذا فجاء، البريد ولم يسمع التكبير، وجاء كتاب بأن سرّح الأُسارى إليَّ.

قال: فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن، فقال: انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قال: فخرجوا حتّى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم!!

فقال يزيد: ما ولدت أُمّ محفز ألأم وأحمق، ولكنّه قاطع ظالم، قال: فلمّا نظر يزيد إلى رأس الحسين، قال:

يفلِّقنَ هاماً مِن رِجالٍ أعزّة ... عَلَينا وهُم كانوا أعقَّ وأظلَما

ثمّ قال: أ تدرون من أين أُتي هذا؟ قال: أبي عليٌّ خيرٌ من أبيه، وأُمّي فاطمة خير
٤٦٤/٥ من أُمّه، وجدّي رسول الله خير من جدّه، وأنا خير منه وأحقّ •بهذا الأمر منه؛ فأمّا

قوله: أبوه خير من أبي، فقد حاجّ أبي أباه، وعلم الناس أيّهما حكم له، وأمّا قوله: أُمّي خير من أُمّه، فلعمري فاطمة ابنه رسول اللهﷺ خير من أُمّي، وأمّا قوله: جدّي خير من جدّه، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عِدلاً ولا ندّاً، ولكنّه إنّما أُتي من قبل فقهه، ولم يقرا: «قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

ثمّ أُدخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن. ثمّ إنّهنّ أُدخلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين ـ وكانت أكبر من سكينة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟!

فقال يزيد: يا ابنة أخي، أنا لهذا كنت أكره.

قالت: والله، ما ترك لنا خرص، قال: يا ابنة أخي ما آت إليك أعظم ممّا أُخذ منك.

ثمّ أُخرجن فأُدخلن دار يزيد بن معاوية، فلم تبقَ امرأة من آل يزيد إلّا أتتهنّ، وأقمن الماتم، و أرسل يزيد إلى كلّ امرأة: ما ذا أُخذ لك؟ وليس منهنّ امرأة تدعي شيئاً بالغاً ما بلغ إلّا قد أضعفه لها، فكانت سكينة تقول: ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية! ثمّ أُدخل الأُسارى إليه وفيهم عليّ بن الحسين، فقال له يزيد:

إيه يا عليّ! فقال عليّ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فقال يزيد: ﴿وَمَا أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾، ثمّ جهّزه وأعطاه مالاً، وسرّحه إلى المدينة.

•قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدّثني أبو حمزة الثمالي، عن عبدالله ٤٦٥/٥

الثمالي، عن القاسم بن بخيت، قال: لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق، فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟

قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً، فأتينا والله على آخرهم، وهذه الرؤوس والسبايا، فوثب مروان فانصرف، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم، فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حجبتم عن محمّد يوم القيامة، لن أُجامعكم على أمر أبداً، ثمّ قام فانصرف، ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه، وحدّثوه الحديث. قال: فسمعت دور الحديث هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز ـ وكانت تحت يزيد بن معاوية ـ فتقنّعت بثوبها، وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، أراس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟!

قال: نعم فاعولي عليه، وحدّي على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصريحة قريش، عجّل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله! ثمّ أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره، ثمّ قال: إنّ هذا وإيّانا كما قال الحصين بن الحُمام المري:

يفلِّقنَ هاماً مِن رِجالٍ أحبّةٍ ... إلينا وهُم كانوا أعقَّ وأَظلَما

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقال له أبو برزه الأسلمي: أ تنكت بقضيبك في ثغر الحسين؟! أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً، لربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يرشفه، أما إنّك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد صلى الله عليه وآله شفيعه، ثمّ قام فولّى.

قال هشام: حدّثني عوانة بن الحكم، قال: لمّا قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن عليّ وجيء برأسه إليه، دعا عبد الملك بن أبي الحارث السلمي فقال: انطلق حتّى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص، فبشّره بقتل الحسين ـ وكان عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة يومئذ ـ قال: فذهب ٥/٤٦٦ ليعتلّ له، فزجره ـ وكان عبيد الله لا يصطلي بناره ـ فقال: انطلق حتّى تأتي المدينة، ولا يسبقك الخبر،

وأعطاه دنانير، وقال: لا تعتلّ، وإن قامت بك راحلتك فاشتر راحلة.

قال عبد الملك: فقدمت المدينة، فلقيني رجل من قريش، فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير، فقال: إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! قتل الحسين بن عليّ، فدخلت على عمرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما سرّ الأمير، قتل الحسين بن عليّ، فقال: ناد بقتله، فناديت بقتله، فلم أسمع والله واعية قطّ مثل واعية نساء بني هاشم في دورهنّ على الحسين، فقال عمرو بن سعيد وضحك:

عَجَّت نِساءُ بني زياد عَجّةً كَعَجيجِ نِسوتِنا غَداةَ الأرنَبِ

والأرنب: وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب، من رهط عبد المدان، وهذا البيت لعمرو بن معديكرب، ثمّ قال عمرو:

هذه واعية بواعية عثمان بن عفّان، ثمّ صعد المنبر فأعلم الناس قتله.

قال هشام، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: لمّا بلغ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنيه مع الحسين، دخل عليه بعض مواليه والناس يعزّونه ـ قال: ولا أظنّ مولاه ذلك إلّا أبا اللسلاس ـ فقال: هذا ما لقينا و دخل علينا من الحسين! قال: فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله، ثمّ قال: يا بن اللخناء، أَ للحسين تقول هذا؟! والله لو شهدته لأحببت إلّا أُفارقه حتّى أُقتل معه، والله، إنه لممّا يسخي بنفسي عنهما، ويهوّن عليّ المصاب بهما، أنّهما أُصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيين له، صابرين معه، ثمّ أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله ﷻ على مصرع الحسين، إلّا تكن آست حسيناً يدي، فقد آساه ولدي.

قال: ولمّا أُتي أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها، وهي حاسره تلوي بثوبها وهي تقول:

•ما ذا تَقولونَ إن قالَ النبيُّ لَكُم ماذا فَعَلتُم وأَنتُم آخرُ الأُممِ ٤٦٧/٥

بِعِترَتي وبِأَهلي بَعدَ مُفتقدِي مِنهُم أُسارى ومِنهُم ضُرِّجوا بِدَمِ!

قال هشام: عن عوانة، قال: قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين: يا عمر، أين الكتاب الذي كتبت به إليك في قتل الحسين؟

قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب، قال: لتجيئنّ به! قال: ضاع، قال: والله، لتجيئني به! قال: ترك والله يقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهنّ بالمدينة، أما والله، لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص كنت قد أدّيت حقّه.

قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوددت أنّه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم يقتل، قال: فو الله، ما أنكر ذلك عليه عبيد الله.

قال هشام: حدّثني بعض أصحابنا، عن عمرو بن أبي المقدام، قال:

حدّثني عمرو بن عكرمة، قال: أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة، فإذا مولى لنا يحدّثنا، قال: سمعت البارحة منادياً ينادي وهو يقول:

أَيُّها القاتِلونَ جَهلاً حسيناً ... أَبشِروا بالعَذابِ والتَنكيلِ

كُلُّ أَهلِ السماءِ يَدعو عَلَيكُمُ ... مِن نبيٍّ ومَلاكٍ وقَبيلِ

قَد لُعِنتُم على لِسانِ ابنِ داودَ ... وَ موسى وحامِلِ الإنجيل

قال هشام: حدّثني عمر بن حيزوم الكلبي، عن أبيه، قال: سمعت هذا الصوت.

ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام وعدد من قتل من كلّ قبيلة من القبائل التي قاتلته

٤٦٨/٥ قال هشام: قال أبو مخنف: ولمّا قُتِلَ الحسين بن عليّ عليه السلام جيء برؤوس مَن قُتِلَ معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً وصاحبهم شمر

بن ذي الجوشن، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستّة أرؤس، وجاءت مذحج بسبعة أرؤس، وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس، فذلك سبعون رأساً.

قال: وقتل الحسين ـ وأُمّه فاطمة بنت رسول اللهﷺ ـ قتله سنان بن أنس النخعي ثمّ الأصبحي، وجاء برأسه خوليّ بن يزيد.

وقتل العبّاس بن عليّ بن أبي طالب ـ وأُمّه أُمّ البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد ـ قتله زيد بن رقّاد الجنبي، وحكيم بن الطفيل السنبسي.

وقتل جعفر بن عليّ بن أبي طالب، وأُمّه أُمّ البنين أيضاً.

وقتل عبدالله بن عليّ بن أبي طالب، وأُمّه أُمّ البنين أيضاً.

وقتل عثمان بن عليّ بن أبي طالب ـ وأُمّه أُمّ البنين أيضاً ـ رماه خوليّ بن يزيد بسهم فقتله.

وقتل محمّد بن عليّ بن أبي طالب ـ وأُمّه أُمّ ولد ـ قتله رجل من بني أبان بن دارم.

وقتل أبو بكر بن عليّ بن أبي طالب، وأُمّه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم، وقد شكّ في قتله.

وقتل عليّ بن الحسين بن عليّ ـ وأُمّه ليلى ابنة أبي مرّة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي؛ وأُمّها ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب ـ قتله مرّة بن منقذ بن النعمان العبدي.

وقتل عبدالله بن الحسين بن عليّ ـ وأُمّه الرباب ابنة امرئ القيس ابن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من كلب ـ قتله هانئ بن ثبيت الحضرمي.

واستصغر عليّ بن الحسين بن عليّ، فلم يقتل.

وقتل أبو بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ وأُمّه أُمّ ولد ـ قتله عبدالله بن

عقبة الغنوي.

وقتل عبدالله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ وأُمّه أُمّ ولد ـ قتله حرملة بن الكاهن، رماه بسهم.

وقتل القاسم بن الحسن بن عليّ ـ وأُمّه أُمّ ولد ـ قتله سعد بن عمرو بن نفيل الأزدي.

٤٦٩/٥ وقتل عون بن عبدالله •بن جعفر بن أبي طالب ـ وأُمّه جمانة ابنة المسيّب بن نجبة بن ربيعة بن رياح من بني فزارة ـ قتله عبدالله بن قطبة الطائي ثمّ النبهاني.

وقتل محمّد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ـ وأُمّه الخوصاء ابنة خصفة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل ـ قتله عامر بن نهشل التيمي.

وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب ـ وأُمّه أُمّ البنين ابنة الشقر بن الهضاب ـ قتله بشر بن حوط الهمداني.

وقتل عبد الرحمن بن عقيل ـ وأُمّه أُمّ ولد ـ قتله عثمان بن خالد بن أسير الجهني.

وقتل عبدالله بن عقيل بن أبي طالب ـ وأُمّه أُمّ ولد ـ رماه عمرو بن صبيح الصدائي فقتله.

وقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأُمّه أُمّ ولد، ولد بالكوفة.

وقتل عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب ـ وأُمّه رقيّة ابنة علي بن أبي طالب وأُمّها أُمّ ولد ـ قتله عمرو بن صبيح الصدائي، وقيل: قتله أُسيد بن مالك الحضرمي.

و قتل محمّد بن أبي سعيد بن عقيل ـ وأُمّه أُمّ ولد ـ قتله لقيط بن ياسر الجهني.

واستصغر الحسن بن الحسن بن عليّ، وأُمّه خولة ابنة منظور بن زبان بن سيار الفزاري.

واستصغر عمر بن الحسن بن عليّ، فترك فلم يقتل، وأُمّه أُمّ ولد.

وقتل من الموالي سليمان مولى الحسين بن عليّ، قتله سليمان بن عوف الحضرمي، وقتل منجح مولى الحسين بن عليّ، وقتل عبدالله بن بقطر رضيع الحسين بن عليّ.

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، أن عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين تفقّد أشراف أهل الكوفة، فلم يرَ عبيد الله بن الحرّ، ثمّ جاءه بعد أيّام حتّى دخل عليه، فقال: أين كنت يا بن الحرّ؟ قال: كنت مريضاً، قال: مريض القلب، أو مريض البدن؟ قال: أمّا قلبي فلم يمرض، وأمّا بدني فقد مَنَّ الله عليَّ بالعافية، فقال له ابن زياد: كذبت، ولكنّك كنت مع عدوّنا، قال: لو كنت مع عدوّك لرئي مكاني، وما كان مثل مكاني يخفى، قال: وغفل عنه ابن زياد غفلة، فخرج ابن الحرّ فقعد •على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحرّ؟ قالوا: خرج الساعة، قال: ٤٧٠/٥
عليَّ به، فأُحضرت الشرط فقالوا له: أجب الأمير، فدفع فرسه ثمّ قال: ابلغوه أنّي لا آتيه والله طائعاً أبداً، ثمّ خرج حتّى أتى منزل أحمر بن زياد الطائي، فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثمّ خرج حتّى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم، فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثمّ مضى حتّى نزل المدائن، وقال في ذلك:

يَقولُ أميرٌ غادرٌ حَقّ غادرِ: أَلا كُنتَ قَاتَلتَ الشَهيدَ ابنَ فاطِمَة!
فَيا نَدمي إلّا أَكونَ نَصَرتُهُ أَلا كُلُّ نَفسٍ لا تُسَدّد نادِمَه
و إنّي لأنّي لم أكن مِن حُماتِهِ لَذو حَسرَةٍ ما إن تفارقُ لازمَه
سَقَى اللهُ أرواحَ الذين تأزّروا عَلى نَصرِهِ سُقياً من الغَيثِ دائمَه
وَقَفتُ على أجداثِهِم ومجالِهِم فَكاد الحَشا ينفَضُّ والعينُ ساجمَه
لَعَمري لَقد كانوا مَصالِيتَ في الوَغى سِراعاً إلى الهَيجا حُماةً خَضارمَه
تآسّوا على نَصرِ ابن بِنتِ نبيِّهِم بَأَسيافِهِم آسادَ غيلٍ ضَراغِمَه

فـــإن يُـقتلوا فكُـلّ نـفسٍ تـقيَّةٍ ... على الأرض قَد أضحَت لِذلكَ واجِمه
و مـــا إن رأَى الراءُونَ أَفـضَل مـنهُمُ ... لدى الموتِ ساداتٍ وزُهـراً قـماقِمَه
أَ تَـقتلهم ظُـلماً وتَـرجـو ودادَنـا ... فَـدَع خُـطَّةً ليست لنـا بـملائمَه!
لعـمري لَـقد راغـمتُمونا بِـقَتلِهِم ... فَكَـم نـاقِمٍ مـنّا عـليكم ونـاقِمَه
أَهُـمّ مِـراراً أن أسـيرَ بِـجَحفَلٍ ... إلى فِـئَةٍ زاغَت عَـنِ الحـقِّ ظـالمه
فَكُـفُّوا وإلّا ذُدتكُـم فـي كَـتائبٍ ... أَشَـدَّ عـليكم مـن زُحـوفِ الدَيـالِمَه

الفصل الثاني

مَقْتَلُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ بِرِوَايَةِ كِتَابِ الإِرْشَادِ لِلْمُفِيدِ

الإرشاد لأبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ. ق) المعروف بالشيخ المفيد، من أبرز شخصيّات الشيعة منذ القديم وحتّى اليوم. واستطاع بفضل نبوغه ومواهبه الإلهيّة ومثابرته المستمرّة ليلاً ونهاراً، وبفضل وجوده في المركز العلمي الكبير بغداد، أن يبرز باعتباره متكلّماً، فقيهاً، محدّثاً، وأن يتولّى الزعامة العلمية للشيعة، ويؤسّس خطّ الاعتدال والتشيّع الحقيقي في خِضمّ الغلوّ والتقصير والنزاع بين الفرقتين المتنازعتين، بسبب الولاء للمذهب الشيعيّ أو المذهب السنّي.

ورغم أنّ الشيخ المفيد كان غزير التأليف حيث ألّف أكثر من مئتي كتاب بين صغير وكبير، إلّا أنّ مؤلّفاته تتمتّع بمكانة ورصانة خاصّة، حيث اعتمد فيها على مصادر أساسيّة في علوم، مثل: الكلام والعقائد، والفقه، والحديث، والسيرة. وكتابه المهمّ والشهير الإرشاد في مَعرفة حجج الله على العباد يضمّ تراجم جميع أئمّة الشيعة، وقد ألّفه في السنوات الأخيرة من عمره بعد حوالي سبعين عاماً قضاها في تلقّي العلم وتربية الطلاب والبحث والمناظرة.

وقد استطاع المفيد ﷺ من خلال الاستناد إلى مصادر؛ مثل: مقتل أبي مخنف وهشام الكلبي، وكذلك تاريخ الطبري والمدائني التي كانت في متناوله، ونقل عنها بشكل مباشر أو غير مباشر، وكذلك عن طريق سلسلة إسناده إلى المؤرّخين

والمحدّثين قبله، استطاع أن يعدّ تاريخاً صالحاً للاعتماد عليه بشأن حياة أئمّة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

وقد أدّى الأُسلوب التلفيقي للمؤلّف في ذكر مجموع الحوادث والإشارة الإجماليّة إلى إسناد الروايات، بالإضافة إلى مكانة الشيخ المفيد وشهرته إلى أن يحظى كتاب الإرشاد منذ تأليفه ونشره بالإقبال، ويتحوّل إلى مرجع للكثير من استنادات العلماء، وأن تعتمد عليه المصادر التالية له.

خصّص المفيد رحمه الله حوالي سُبْع كتاب الإرشاد لحياة الإمام الحسين عليه السلام ونهضة عاشوراء. وقد جاء هنا جميع ما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله في هذا الكتاب فيما يتعلق بحياة الإمام الحسين عليه السلام وثورته وشهادته.[1]

باب ذكر الإمام بعد الحسن بن عليّ عليهما السلام وتاريخ مولده، ودلائل إمامته، ومبلغ سنّه، ومدّة خلافته، ووقت وفاته وسببها، وموضع قبره، وعدد أولاده، ومختصر من أخباره

٢٧/٢ • والإمام بعد الحسن بن عليّ عليهما السلام أخوه الحسين بن عليّ، ابن فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليهم) بنصّ أبيه وجدّه عليه، ووصيّة أخيه الحسن إليه.

كنيته: أبو عبدالله.

ولد بالمدينة لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وجاءت به أُمّه فاطمة عليها السلام إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستبشر به وسمّاه حسيناً، وعقّ عنه كبشاً، وهو وأخوه بشهادة الرسول (صلّى الله عليه وعليهما) سيّدا شباب أهل الجنّة، وبالاتّفاق الذي لا مرية فيه سبطا نبيّ الرحمة.

وكان الحسن بن عليّ عليهما السلام يشبه بالنبيّ صلى الله عليه وآله من صدره إلى رأسه، والحسين يشبه به من صدره إلى رجليه، وكانا حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع أهله وولده.

---

١. الإرشاد: ج ٢ ص ٢٧ ـ ١٣٥.

روى زاذان عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في الحسن والحسين عليهما السلام:

•«اللّهمّ إنّي أُحبّهما فأحبّهما وأحبّ من أحبّهما». ٢٨/٢

وقال عليه وآله السلام: من أحبّ الحسن والحسين عليهما السلام أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله عزّ وجلّ أدخله الجنّة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله خلّده في النار.

وقال عليه وآله السلام: إنّ ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا.

وروى زر بن حبيش عن ابن مسعود، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يصلّي فجاءه الحسن والحسين عليهما السلام فارتدفاه، فلمّا رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً، فلمّا عاد عادا، فلمّا انصرف أجلس هذا على فخذه وهذا على فخذه، وقال: من أحبّني فليحبّ هذين.

•وكانا عليهما السلام حجّة الله تعالى لنبيّه عليه وآله السلام في المباهلة، وحجّة الله من بعد ٢٩/٢ أبيهما أمير المؤمنين ـ عليه وعليهم السلام ـ وعلى الأُمّة في الدين والإسلام والملّة.

وروى محمّد بن أبي عمير عن رجاله عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الحسن بن عليّ عليهما السلام لأصحابه: إنّ لله تعالى مدينتين: إحداهما في المشرق، والأُخرى في المغرب، فيهما خلق لله عزّ وجلّ لم يهمّوا بمعصية له قطّ، والله، ما فيهما وما بينهما حجّة لله على خلقه غيري وغير أخي الحسين.

وجاءت الرواية بمثل ذلك عن الحسين عليه السلام أنّه قال لأصحاب ابن زياد: ما بالكم تناصرون عليَّ؟! أَمَ والله، لئن قتلتموني لتقتلنَّ حجّة الله عليكم، لا والله، ما بين جابلقا وجابرسا ابن نبيّ احتجّ الله به عليكم غيري.

يعني بجابلقا وجابرسا المدينتين اللتين ذكرهما الحسن أخوه عليه السلام.

وكان من برهان كمالهما وحجّة اختصاص الله لهما ـ بعد الذي ذكرناه من مباهلة رسول الله صلى الله عليه وآله بهما ـ بيعة رسول الله لهما، ولم يبايع صبيّاً في ظاهر الحال غيرهما، ونزول القرآن بإيجاب •ثواب الجنّة لهما على عملهما مع ظاهر الطفولية فيهما، ولم ٣٠/٢

ينزل بذلك في مثلهما، قال الله عز اسمه في سورة هل أتى:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَانُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.[1]

فعمّهما هذا القول مع أبيهما وأُمّهما عليهم السلام، وتضمّن الخبر نطقهما في ذلك وضميرهما الدالّين على الآية الباهرة فيهما، والحجّة العظمى على الخلق بهما، كما تضمّن الخبر عن نطق المسيح عليه السلام في المهد وكان حجّة لنبوّته، واختصاصه من الله بالكرامة الدالّة على محلّه عنده في الفضل ومكانه.

وقد صرّح رسول الله صلى الله عليه وآله بالنصّ على إمامته وإمامة أخيه من قبله بقوله: ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا.

ودلّت وصيّة الحسن عليه السلام إليه على إمامته، كما دلّت وصيّة أمير المؤمنين إلى الحسن على إمامته، بحسب ما دلّت وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين على إمامته من بعده.

فصل

فكانت إمامة الحسين عليه السلام بعد وفاة أخيه بما قدّمناه ثابتة، وطاعته ـ لجميع الخلق ـ لازمة، وإن لم يدع إلى نفسه عليه السلام؛ •للتقيّة التي كان عليها، والهدنة الحاصلة بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، فالتزم الوفاء بها، وجرى في ذلك مجرى أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وثبوت إمامته بعد النبيّ صلى الله عليه وآله مع الصموت، وإمامة أخيه الحسن عليه السلام بعد الهدنة مع الكفّ والسكوت، وكانوا في ذلك على سنن نبيّ الله صلى الله عليه وآله وهو في الشعب محصور، وعند خروجه مهاجراً من مكّة مستخفياً في الغار، وهو من أعدائه مستور. ٣١/٢

---

١. الإنسان: ٨ـ١٢.

فلمّا مات معاوية وانقضت مدّة الهدنة التي كانت تمنع الحسين بن عليّ عليه السلام من الدعوة إلى نفسه، أظهر أمره بحسب الإمكان، وأبان عن حقّه للجاهلين به حالاً بحال، إلى أن اجتمع له في الظاهر الأنصار، فدعا عليه السلام إلى الجهاد، وشمّر للقتال، وتوجّه بولده وأهل بيته من حرم الله وحرم رسوله نحو العراق؛ للاستنصار بمن دعاه من شيعته على الأعداء.

وقدّم أمامه ابن عمّه مسلم بن عقيل (رضي الله عنه وأرضاه) للدعوة إلى الله والبيعة له على الجهاد، فبايعه أهل الكوفة على ذلك وعاهدوه، وضمنوا له النصرة والنصيحة، ووثّقوا له في ذلك وعاقدوه، ثمّ لم تطل المدّة بهم حتّى نكثوا بيعته وخذلوه وأسلموه، فقتل بينهم ولم يمنعوه، وخرجوا إلى الحسين عليه السلام فحصروه، ومنعوه المسير في بلاد الله، واضطرّوه إلى حيث لا يجد ناصراً ولا مهرباً منهم، وحالوا بينه وبين ماء الفرات حتّى تمكّنوا منه وقتلوه، فمضى عليه السلام ظمآن، مجاهداً صابراً، •محتسباً مظلوماً، قد نُكِثَت بيعتُهُ، واستحلّت حرمته، ولم يوفَ له بعهد، ولا رُعِيَت فيه ذمّة عقد، شهيداً على ما مضى عليه أبوه وأخوه عليهما أفضل الصلاة والرحمة والتسليم.

فصل

فمن مختصر الأخبار التي جاءت بسبب دعوته عليه السلام، وما أخذه على الناس في الجهاد من بيعته، وذكر جملة من أمره وخروجه ومقتله، ما رواه الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السيرة، قالوا:

لمّا مات الحسن بن عليّ عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المدّة، فإن مات معاوية نظر في ذلك.

فلمّا مات معاوية ـ وذلك للنصف من رجب سنة ستّين من الهجرة ـ كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ وكان على المدينة من قبل معاوية ـ أن يأخذ

الحسين عليه السلام بالبيعة له، ولا يرخّص له في التأخّر عن ذلك.

فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه، فعرف الحسين الذي أراد، فدعا
٣٣/٢ جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إنّ الوليد قد •استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلّفني فيه أمراً لا أُجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه منّي.

فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد، فوجد عنده مروان بن الحكم، فنعى الوليد إليه معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام، ثمّ قرأ كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال له الحسين: إنّي لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتّى أُبايعه جهراً، فيعرف الناس ذلك.

فقال الوليد له: أجل.

فقال الحسين عليه السلام: فتصبح وترى رأيك في ذلك.

فقال له الوليد: انصرف على اسم الله حتّى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان: والله، لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتّى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه.

فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: أنت ـ يا ابن الزرقاء ـ تقتلني أو هو؟! كذبت والله وأثمت. وخرج يمشي ومعه مواليه حتّى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني! لا والله، لا يمكّنك مثلها من نفسه أبداً.

فقال الوليد: الويح لغيرك يا مروان! إنّك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله، ما أُحبّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأنّي قتلت
٣٤/٢ حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن •قال: لا أُبايع؟! والله، إنّي لأظنّ أنّ امرءاً يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت. يقول هذا وهو غير الحامد له في رأيه.

فأقام الحسين عليه السلام في منزله تلك الليلة، وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستّين.

واشتغل الوليد بن عتبة بمراسلة ابن الزبير في البيعة ليزيد وامتناعه عليه. وخرج ابن الزبير من ليلته عن المدينة متوجّهاً إلى مكّة، فلمّا أصبح الوليد سرّح في أثره الرجال، فبعث راكباً من موالي بني أُميّة في ثمانين راكباً، فطلبوه فلم يدركوه فرجعوا.

فلمّا كان آخر نهار يوم السبت بعث الرجال إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية، فقال لهم الحسين: أصبحوا ثمّ ترون ونرى. فكفّوا تلك الليلة عنه ولم يلحّوا عليه، فخرج عليه السلام من تحت ليلته ـ وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب ـ متوجّهاً نحو مكّة ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجلّ أهل بيته إلّا محمّد بن الحنفية (رضوان الله عليه) فإنّه لمّا علم عزمه على الخروج عن المدينة لم يدرِ أين يتوجّه، فقال له:

يا أخي، أنت أحبّ الناس إليَّ وأعزّهم عليَّ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق إلّا لك وأنت أحقّ بها، تَنَحَّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن تابعك الناسُ وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن •أجمع الناسُ على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ٣٥/٢
ولا عقلك، ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك، إنّي أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك وأُخرى عليك، فيقتتلون فتكون أنت لأوّل الأسنّة، فإذا خير هذه الأُمّة كلّها نفساً وأباً وأُمّاً أضيعها دماً وأذلّها أهلاً.

فقال له الحسين عليه السلام: فأين أذهب يا أخي؟

قال: انزل مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار بها فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت

بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد، حتّى تنظر ما يصير أمر الناس إليه، فإنّك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالاً.

فقال: يا أخي، قد نصحت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفّقاً.

فسار الحسين عليه السلام إلى مكّة وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تَنَكَّبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير؛ لئلّا يلحقك الطلب، فقال: لا والله، لا أُفارقه حتّى يقضي الله ما هو قاض.

ولمّا دخل الحسين مكّة كان دخوله إليها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، دخلها وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ٣٦/٢ ثمّ نزلها وأقبل أهلها يختلفون إليه، ومَن كان بها مِن المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة، فهو قائم يصلّي عندها ويطوف، ويأتي الحسين عليه السلام فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كلّ يومين مرّة، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، قد عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين عليه السلام في البلد، وأنّ الحسين أطوع في الناس منه وأجلّ.

وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد، وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه من بيعته، وما كان من ابن الزبير في ذلك، وخروجهما إلى مكّة، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد، فذكروا هلاك معاوية، فحمدوا الله عليه، فقال سليمان:

إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض[1] على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فأعلموه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغرّوا الرجل في نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل

---

١. تقبّض ببيعته: توقّف وانزوى بها ولم يعطهم إيّاها (اُنظر: لسان العرب: ج ٧ ص ٢١٥ (قبض)).

عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه.

قال: فكتبوا:

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧/٢ للحسين بن عليّ عليه السلام، من سليمان بن صرد، والمسيّب •بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة: سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد، الذي انتزى على هذه الأُمّة فابتزّها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضىً منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله.

ثمّ سرّحوا الكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمداني وعبدالله بن وال، وأمروهما بالنجاء، فخرجا مسرعين حتّى قدما على الحسين عليه السلام بمكّة، لعشر مضين من شهر رمضان.

ولبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، وأنفذوا قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبدالله الأرحبي وعمارة •بن عبد السلولي إلى ٣٨/٢ الحسين عليه السلام ومعهم نحو من مئة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

ثمّ لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليه هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي، وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ، من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد؛ فحيهلا، فإنّ الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل، والسلام.

وكتب شبث بن ربعي وحجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجّاج الزبيدي ومحمّد بن عمرو التيمي:

أمّا بعد؛ فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجنّد، والسلام.

وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس، ثمّ كتب مع هانئ بن هانئ وسعيد بن عبدالله وكانا آخر الرسل:

٣٩/٢ •بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين، أمّا بعد؛ فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر مَن قدم عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كلَّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: أنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ. وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليَّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري، ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام.

ودعا الحسين بن عليّ عليه السلام مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام، فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعُمارة بن عبد السلولي وعبد الرحمن بن عبدالله الأرحبي، وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتّى أتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وودّع من أحبّ
٤٠/٢ من أهله، ثمّ استأجر دليلين من قيس، •فأقبلا به يتنكّبان الطريق، فضلّا وأصابهم عطش شديد، فعجزا عن السير، فأومئا له إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلم ذلك السنن ومات الدليلان عطشاً.

فكتب مسلم بن عقيل‌ﷺ من الموضع المعروف بالمضيق مع قيس بن مسهر:

أمّا بعد؛ فإنّني أقبلت من المدينة مع دليلين لي فجارا عن الطريق فضلّا، واشتدّ علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتّى انتهينا إلى الماء، فلم نَنْجُ إلّا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت، وقد تطيّرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري، والسلام.

فكتب إليه الحسين بن عليّ‌ﷺ:

أمّا بعد؛ فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليَّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجّهتك له إلّا الجبن، فامض لوجهك الذي وجّهتك له، والسلام.

فلمّا قرأ مسلم الكتاب قال: أمّا هذا فلست أتخوّفه على نفسي. فأقبل حتّى مرّ بماء لطئ فنزل به، ثمّ ارتحل منه، فإذا رجل يرمي الصيد، فنظر إليه قد رمى ظبياً حين أشرف •له فصرعه، فقال مسلم: نقتل عدوّنا إن شاء الله. ٢/ ٤١

ثمّ أقبل حتّى دخل الكوفة، فنزل في دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار سلم بن المسيّب. وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلّما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين بن عليّ‌ﷺ وهم يبكون، وبايعه الناس حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً. فكتب مسلمﷺ إلى الحسينﷺ يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً، ويأمره بالقدوم.

وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيلﷺ حتّى علم مكانه، فبلغ النعمان بن بشير ذلك ـ وكان والياً على الكوفة من قبل معاوية فأقرّه يزيد عليها ـ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، فاتّقوا الله ـ عباد الله ـ ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيها يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغتصب الأموال، إنّي لا أُقاتل مَن لا يقاتلني، ولا آتي على مَن لم يأتِ عليَّ، ولا أُنبّه نائمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقرف[1] ولا

---

١. القَرَف: الظنّ بالسوء والرمي به (العين: ج ٥ ص ١٤٦ (قرف)).

الظنّة ولا التهمة، ولكنّكم إن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره، لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أمّا إنّي أرجو أن يكون مَن يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يرديه الباطل.

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي، حليف بني أُميّة، •فقال: إنّه لا يصلح ما ترى إلّا الغشم، إنّ هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك رأي المستضعفين.

فقال له النعمان: أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليَّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله، ثمّ نزل.

وخرج عبدالله بن مسلم فكتب إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد؛ فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين بن عليّ، فإن يك لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويّاً، ينفّذ أمرك ويعمل مثل عملكفي عدوّك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف.

ثمّ كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثمّ كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقّاص مثل ذلك.

فلمّا وصلت الكتب إلى يزيد دعا سرجون مولى معاوية، فقال: ما رأيك؟ إنّ حسيناً قد وجّه إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له، وقد بلغني عن النعمان بن بشير ضعف وقول سيّئ، فمن ترى أن أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: أَرَأَيتَ معاوية لو نشر لك حيّاً أما كنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم.

قال: فأخرج سرجون عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة وقال: هذا رأي معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب، فضمّ المصرين إلى عبيد الله بن زياد، فقال له يزيد: أفعل، ابعث بعهد عبيد الله إليه.

ثمّ دعا مسلم بن عمرو الباهلي وكتب إلى عبيد الله بن زياد معه:

أمّا بعد: فإنّه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبروني أنّ ابن •عقيل بها يجمع ٤٣/٢
الجموع ويشقّ عصا المسلمين، فَسِرْ حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام. وسلّم إليه عهده على الكوفة.

فسار مسلم بن عمرو حتّى قدم على عبيد الله بالبصرة، فأوصل إليه العهد والكتاب، فأمر عبيد الله بالجهاز من وقته، والمسير والتهيّؤ إلى الكوفة من الغد، ثمّ خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن أعور الحارثي وحشمه وأهل بيته، حتّى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو متلثّم، والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين رأوا عبيد الله أنّه الحسين، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلاّ سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساءه.

فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخّروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد، وسار حتّى وافى القصر في الليل، ومعه جماعة قد التفّوا به لا يشكّون أنّه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير عليه وعلى حامّته[1]، فناداه بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فاطّلع إليه النعمان وهو يظنّه الحسين، فقال: أنشدك الله إلّا تَنَحَّيتَ، والله، ما أنا مسلّم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من أَرَبٍ، فجعل لا يكلّمه، ثمّ إنّه دنا وتدلّى
•النعمان من شرف فجعل يكلّمه، فقال: افتح لا فتحت، فقد طال ليلك. وسمعها ٤٤/٢
إنسان خلفه فنكص إلى القوم الذين اتّبعوه من أهل الكوفة على أنّه الحسين، فقال: أي قوم! ابن مرجانة والذي لا إله غيره، ففتح له النعمان ودخل وضربوا الباب في وجوه الناس فانفضّوا.

---

١. حامّته: خاصّته وأقرباؤه (الصحاح: ج ٥ ص ١٩٠٧ (حمم)).

وأصبح فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أما بعد؛ فإنّ أمير المؤمنين ولاّني مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على مَن ترك أمري وخالف عهدي، فليُبقِ امرؤ على نفسه، الصدق ينبي عنك لا الوعيد.

٤٥/٢ ثمّ نزل فأخذ العرفاء[١] والناس أخذاً شديداً فقال: اكتبوا إلى العرفاء •ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب، الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن يجيء بهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما في عرافته ألّا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغِ علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا دمه وماله، وأيّما عريف وجد في عرافته من بُغيَةِ أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا، صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء.

ولمّا سمع مسلم بن عقيل عليه السلام بمجيء عبيد الله بن زياد الكوفة، ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتّى انتهى إلى دار هانئ بن عروة فدخلها، وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ على تستّر واستخفاء من عبيد الله، وتواصوا بالكتمان.

فدعا ابن زياد مولى له يقال له: معقل، فقال: خذ ثلاثة آلاف درهم، ثمّ اطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بواحد منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم، وقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوّكم، وأعلمهم أنّك منهم، فإنّك لو قد أعطيتها إيّاهم لقد اطمأنّوا إليك، ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم، ثمّ اغدُ عليهم ورح حتّى تعرف مستقرّ مسلم بن عقيل، وتدخل عليه.

ففعل ذلك وجاء حتّى جلس إلى مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم

---

١. العرفاء: جمع عريف، وهو القَيّم بأُمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يلي أُمورهم، ويتعرّف الأمير منه أحوالهم، وهو دون الرئيس (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٢٠٠ (عرف)».

وهو يصلّي، فسمع قوماً يقولون:

هذا يبايع للحسين، فجاء فجلس إلى جنبه حتّى فرغ من صلاته، ثمّ قال: يا عبدالله، إنّي امرؤ من أهل الشام، أنعم الله عليَّ بحبّ أهل هذا البيت •وحبّ من ٤٦/٢
أحبّهم؟ وتباكى له وقال: معي ثلاثة آلاف درهم، أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنّه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله، فكنت أُريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلّني عليه ولا أعرف مكانه، فإنّي لجالس في المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإنّي أتيتك لتقبض منّي هذا المال وتدخلني على صاحبك، فإنّما أنا أخ من إخوانك وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه.

فقال له مسلم بن عوسجة﵁: احمد الله على لقائك إيّاي فقد سرّني ذلك، لتنال الذي تحبّ، ولينصر الله بك أهل بيت نبيّه عليه وآله السلام، ولقد ساءني معرفة الناس إيّاي بهذا الأمر قبل أن يتمّ؛ مخافة هذا الطاغية وسطوته.

فقال له معقل: لا يكون إلّا خيراً، خذ البيعة عليَّ، فأخذ بيعته وأخذ عليه المواثيق المغلّظة ليناصحنّ وليكتمنّ، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثمّ قال له: اختلف إليَّ أياماً في منزلي فأنا طالب لك الإذن على صاحبك. فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن فأذن له، فأخذ مسلم بن عقيل﵁ بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي فقبض المال منه، وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً، ويشتري لهم السلاح، وكان بصيراً ومن فرسان العرب ووجوه الشيعة. وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، وهو أوّل داخل وآخر خارج، حتّى فهم ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم، وكان يخبره به وقتاً فوقتاً.

وخاف هانئ بن عروة عبيدَ الله بن زياد على نفسه، فانقطع من حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هانئاً؟ فقالوا: هو •شاكٍ. فقال: لو ٤٧/٢
علمت بمرضه لعدته، ودعا محمّد بن الأشعث وأسماء بن خارجة وعمرو بن

الحجّاج الزبيدي، وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانئ بن عروة، وهي أُمّ يحيى بن هانئ، فقال لهم: ما يمنع هانئ بن عروة من إتياننا؟ فقالوا: ما ندري وقد قيل إنّه يشتكي، قال: قد بلغني أنّه قد برئ وهو يجلس على باب داره، فألقوه ومروه ألّا يدع ما عليه من حقّنا، فإنّي لا أُحبّ أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

فأتوه حتّى وقفوا عليه عشيّة وهو جالس على بابه، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير، فإنّه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنّه شاكٍ لعدته؟

فقال لهم: الشكوى تمنعني، فقالوا له: قد بلغه أنّك تجلس كلّ عشيّة على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لمّا ركبت معنا.

فدعا بثيابه فلبسها، ثم دعا ببغلته فركبها، حتّى إذا دنا من القصر كأنّ نفسه أحسّت ببعض الذي كان، فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: يا ابن أخي، إنّي والله لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟

قال: أي عم! والله، ما أتخوّف عليك شيئاً، ولِمَ تجعل على نفسك سبيلاً؟! ولم يكن حسّان يعلم في أيّ شيء بعث إليه عبيد الله. فجاء هانئ حتّى دخل على ابن زياد ومعه القوم، فلمّا طلع قال ابن زياد: أتتك بحائن[1] رجلاه. فلمّا دنا من ابن زياد ـ وعنده شريح القاضي ـ التفت نحوه فقال:

٤٨/٢ •أُريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان أوّل ما دخل عليه مكرماً له ملطفاً، فقال له هانئ: وما ذلك أيّها الأمير؟ قال: إيه يا هانئ بن عروة، ما هذه الأُمور التي تربّص في دارك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى عليَّ؟!

---

١. الحائن: الهالك (لسان العرب: ج ١٣ ص ١٣٦ (حين)».

فقال: ما فعلت، وما مسلم عندي. قال: بلى قد فعلت، فلمّا كثر ذلك بينهما، وأبى هانئ إلّا مجاحدته ومناكرته، دعا ابن زياد معقلاً ـ ذلك العين ـ فجاء حتّى وقف بين يديه، فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم، وعلم هانئ عند ذلك أنّه كان عيناً عليهم، وأنّه قد أتاه بأخبارهم، فأُسقط في يده ساعة، ثمّ راجعته نفسه فقال: اسمع منّي وصدّق مقالتي، فوالله لا كذبت، والله، ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره حتّى جاءني يسألني النزول فاستحييت من ردّه، ودخلني من ذلك ذمام فضيّفته وآويته، وقد كان من أمره ما كان بلغك، فإن شئت أن أُعطيك الآن موثقاً مغلّظاً ألّا أبغيك سوءاً ولا غائلة، ولآتينّك حتّى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من ذمامه وجواره.

فقال له •ابن زياد: والله، لا تفارقني أبداً حتّى تأتِيَنِي به، قال: لا والله، لا آتيك به ٤٩/٢
أبداً، أجيئك بضيفي تقتله؟! قال: والله، لتأتينَّ به، قال: لا والله، لا آتيك به.

فلمّا كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي ـ وليس بالكوفة شاميّ ولا بصريّ غيره ـ فقال: أصلح الله الأمير، خلّني وإيّاه حتّى أُكلّمه، فقام فخلا به ناحية من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، وإذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان، فقال له مسلم: يا هانئ إنّي أنشُدُك الله أن تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء على عشيرتك، فوالله، إنّي لأنفس بك عن القتل، إنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه فإنّه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنّما تدفعه إلى السلطان.

فقال هانئ: والله، إنّ عليَّ في ذلك للخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيفي وأنا حيّ صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد، كثير الأعوان؟! والله، لو لم أكن إلّا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه. فأخذ يناشده وهو يقول: والله، لا أدفعه

أبداً.

فسمع ابن زياد ذلك فقال: أدنوه منّي، فأُدني منه فقال: والله، لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك، فقال هانئ: إذا والله تكثر البارقة حول دارك، فقال ابن زياد: وا لهفاه عليك! أبالبارقة تخوّفني؟ وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه؟ ثمّ قال: أدنوه منّي، فأُدني، فاعترض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب وجهه وأنفه وجبينه وخدّه
٥٠/٢ حتّى كسر •أنفه، وسِيل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خدّه وجبينه على لحيته، حتّى كسر القضيب.

وضرب هانئ يده إلى قائم سيف شرطي، وجاذبه الرجل ومنعه، فقال عبيد الله: أحروريّ سائر اليوم؟ قد حلّ لنا دمك، جرّوه، فجرّوه فألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، فقال: اجعلوا عليه حرساً، ففعل ذلك به.

فقام إليه حسّان بن أسماء فقال له: أَرُسُلُ غدر سائر اليوم؟ أمرتنا أن نجيئك بالرجل، حتّى إذا جئناك به هَشَمت وجهه، وسيّلت دماءه على لحيته، وزعمت أنّك تقتله؟!

فقال له عبيد الله: وإنّك لهاهنا، فأمر به فلهز وتعتع، ثمّ أُجلس ناحية.

فقال محمّد بن الأشعث: قد رضينا بما رآه الأمير، لنا كان أو علينا، إنّما الأمير مؤدّب.

وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانئاً قد قتل، فأقبل في مذحج حتّى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثمّ نادى: أنا عمرو بن الحجّاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قد قتل فأعظموا ذلك.

فقيل لعبيد الله بن زياد: هذه مذحج بالباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ اخرج وأعلمهم أنّه حيّ لم يقتل.

فدخل فنظر شريح إليه، فقال هانئ لمّا رأى شريحاً: يا لله! يا للمسلمين! أَهَلَكَت
٥١/٢ عشيرتي؟! أين أهل الدين؟! أين أهل البصر؟! والدماء تسيل على •لحيته، إذ سمع

الرجّة على باب القصر فقال: إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل عليَّ عشرة نفر أنقذوني.

فلمّا سمع كلامه شريح خرج إليهم فقال لهم: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم، أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأن أُعلمكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قتله باطل.

فقال عمرو بن الحجّاج وأصحابه: أمّا إذ لم يقتل فالحمد لله، ثمّ انصرفوا.

وخرج عبيد الله بن زياد فصعد المنبر، ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه، فقال: أمّا بعد؛ أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم ولا تفرّقوا، فتهلكوا وتَذِلّوا وتُقتَلُوا وتُجفَوا وتُحرَبوا[1]، إنّ أخاكَ من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

ثمّ ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النظّارة المسجد من قبل باب التمّارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً وأغلق أبوابه. قال عبدالله بن حازم: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر ما فعل هانئ، فلمّا حبس وضرب ركبت فرسي فكنت أوّل أهل الدار
•دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، فإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عبرتاه! يا ٥٢/٢
ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل فأخبرته، فأمرني أن أُنادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، وكانوا فيها أربعة آلاف رجل، فناديت: (يا منصور أمت)، فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا عليه، فعقد مسلم لرؤوس الأرباع على القبائل: كندة ومذحج وأسد وتميم وهمدان، وتداعى الناس واجتمعوا، فما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكثر عمله أن يمسك باب القصر وليس معه في القصر إلّا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته وخاصّته، وأقبل مَن نأى عنه

---

١. الحَرَب: أخذ المال قهراً (الصحاح: ج ١ ص ١٠٨ (حرب)).

من أشراف الناس يأتونه من قبل الباب الذي يلي دار الروميّين، وجعل مَن في القصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم وهم يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم ويفترون على عبيد الله وعلى أبيه.

ودعا ابن زياد كثير بن شهاب وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير في الكوفة ويخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم الحرب، ويحذّرهم عقوبة السلطان، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس باقي وجوه الناس عنده؛ استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس.

٥٣/٢ •فخرج كثير بن شهاب يخذّل الناس عن ابن عقيل، وخرج محمّد ابن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، فبعث ابن عقيل إلى محمّد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشبامي، فلمّا رأى ابن الأشعث كثرة من أتاه تأخّر عن مكانه، وجعل محمّد بن الأشعث وكثير بن شهاب والقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي يردّون الناس عن اللحوق بمسلم ويخوّفونهم السلطان، حتّى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد من قبل دار الروميّين ودخل القوم معهم.

فقال له كثير بن شهاب: أصلح الله الأمير، معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله وعقد لشبث بن ربعي لواء فأخرجه.

وأقام الناس مع ابن عقيل يكثرون حتّى المساء وأمرهم شديد، فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثمّ أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا أهل العصيان الحرمان والعقوبة، وأعلموهم وصول الجند من الشام إليهم.

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيّها الناس، الحقوا بأهاليكم

ولا تَعَجَّلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى اللهَ الأميرُ عهداً: لئن تَمَّمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي الشام، وأن يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حتّى لا •تبقى له بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما ٥٤/٢
جنت أيديها.

وتكلّم الأشراف بنحو من ذلك.

فلمّا سمع الناس مقالهم أخذوا يتفرّقون، وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف، فيذهب به فينصرف، فما زالوا يتفرّقون حتّى أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وما معه إلّا أُولئك النفر، خرج من المسجد متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان، فالتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزله، ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ.

فمضى على وجهه متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة أُمّ ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس فأُمّه قائمة تنتظره فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماء، فسقته وجلس، وأدخلت الإناء ثمّ خرجت فقالت: يا عبدالله، ألم تشرب ؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثمّ أعادت مثل ذلك، فسكت.

ثمّ قالت له في الثالثة: سبحان الله! يا •عبدالله، قم عافاك الله إلى أهلك فإنّه لا ٥٥/٢
يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أُحلّه لك.

فقام وقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لكِ في أجر ومعروف، لعلّي مكافئك بعد اليوم؟

فقالت: يا عبدالله، وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم، قالت: ادخل، فدخل بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشَّ.

ولم يكن بأسرع أن جاء ابنها، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال لها: والله، إنّه ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه، إنّ لك لشأناً؟

قالت: يا بني، إِلْهَ عن هذا، قال: والله، لتخبرينني، قالت: أقبل علي شأنك ولا تسألني عن شيء.

فألحّ عليها، فقالت: يا بني، لا تخبرنَّ أحداً من الناس بشيء ممّا أُخبرك به، قال: نعم، فأخذت عليه الأيمان فحلف لها، فأخبرته فاضطجع وسكت.

ولمّا تفرق الناس عن مسلم بن عقيل طال على ابن زياد، وجعل لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمع قبل ذلك، قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا، هل ترون منهم أحداً؟ فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلّهم تحت الظلال وقد كمنوا لكم، •فنزعوا تخاتج المسجد، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم ٥٦/٢
وينظرون، فكانت أحياناً تضيء لهم وأحيانا لا تضيء كما يريدون، فدلّوا القناديل وأطنان القصب تشدّ بالحبال، ثمّ تجعل فيها النيران، ثمّ تدلى حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعل ذلك بالظلّة التي فيها المنبر.

فلمّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد بتفرّق القوم، ففتح باب السُّدَّة التي في المسجد، ثمّ خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا قبيل العتمة،

وأمر عمرو بن نافع فنادى:

ألا برئت الذمّة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب أو المقاتلة صلّى العتمة إلّا في المسجد، فلم يكن إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد من الناس، ثمّ أمر مناديه فأقام الصلاة، وأقام الحرس خلفه، وأمرهم بحراسته من أن يدخل عليه أحد يغتاله، وصلّى بالناس، ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

٥٧/٢ أمّا بعد؛ فإنّ ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من •الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله دينه، واتّقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. يا حصين بن نمير، ثكلتك أُمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به! وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أهل السكك، وأصبح غداً فاستبر الدور وجسّ خلالها حتّى تأتيني بهذا الرجل. وكان الحصين بن نمير على شرطه وهو من بني تميم.

ثمّ دخل ابن زياد القصر، وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمره على الناس، فلمّا أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمّد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يُستَغَشّ ولا يُتَّهَم، ثمّ أقعده إلى جنبه.

وأصبح ابن تلك العجوز فغدا إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أُمّه، فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسارّه، فعرف ابن زياد سراره، فقال له ابن زياد بالقضيب في جنبه: قم فائتني به الساعة، فقام وبعث معه قومه؛ لأنّه قد علم أنّ كلّ قوم يكرهون أن يصاب فيهم مسلم بن عقيل، فبعث معه عبيد الله بن عبّاس السلمي في سبعين رجلاً من قيس، حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل.

٥٨/٢ فلمّا سمع وقع حوافر •الخيل وأصوات الرجال علم أنّه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ

عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمري، فضرب فَمَ مسلم فشقّ شفته العليا وأسرع السيف في السفلى، ونصلت[1] له ثنيتاه، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكرة وثنّاه بأُخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه، فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثمّ يلقونها عليه من فوق البيت، فلمّا رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكّة، فقال له محمّد بن الأشعث: لك الأمان، لا تقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول:

أَقسَمتُ لا أُقتل إلّا حرّا ... إنّي رأيتُ الموتَ شيئاً نكرا
ويجعل البارد سخناً مرّا ... ردّ شعاع الشمس فاستقرّا
كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شرّا ... أخاف أن أُكذب أو أُغرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لا تكذّب ولا تغرّ، فلا تجزع، إنّ القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضائريك. وكان قد أُثخن بالحجارة •وعجز عن القتال، فانبهر ٥٩/٢
وأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فأعاد ابن الأشعث عليه القول: لك الأمان.

فقال: آمن أنا؟ قال: نعم. فقال للقوم الذين معه: لي الأمان؟ فقال القوم له: نعم، إلّا عبيد الله بن العبّاس السلمي فإنّه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وتنحّى.

فقال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم. وأُتي ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه، فكأنّه عند ذلك أيس من نفسه ودمعت عيناه، ثمّ قال: هذا أوّل الغدر، قال له محمّد بن الأشعث: أرجو ألّا يكون عليك بأس.

فقال: وما هو إلّا الرجاء، أين أمانكم؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون! وبكى.

فقال له عبيد الله بن العبّاس السلمي: إنّ مَن يطلب مثل الذي تطلب، إذا نزل به

---

١. نصلت: أي سقطت وزالت (أُنظر: الصحاح: ج ٥ ص ١٨٣٠ (نصل)).

مثل الذي نزل بك لم يبكِ.

قال: إنّي والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أُحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليَّ، أبكي للحسين عليه السلام وآل الحسين!

ثمّ أقبل على محمّد بن الأشعث فقال: يا عبدالله، إنّي أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً؟ فإنّي لا أراه إلّا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً أو هو خارجٌ غداً وأهل بيته، ويقول له: إنّ ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم، لا يرى أنّه يمسي حتّى يُقتل، وهو يقول: •ارجع فداك أبي وأُمّي بأهل بيتك ولا يغرّك أهل الكوفة، ٦٠/٢
فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذّبوك وليس لمكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله، لأفعلنَّ ولأعلمنَّ ابن زياد أنّي قد آمنتك.

وأقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر، فاستأذن فأذن له، فدخل على ابن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل وضرب بكر إيّاه، وما كان من أمانه له، فقال له عبيد الله: وما أنت والأمان؟! كأنّا أرسلناك لتؤمنه؟! إنّما أرسلناكلتأتينا به، فسكت ابن الأشعث.

وانتهي بابن عقيل إلى باب القصر وقد اشتدّ به العطش، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن، فيهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن حريث، ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب، وإذا قلّة باردة موضوعة على الباب، فقال مسلم: أسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو: أتراها؟ ما أبردها! لا والله، لا تذوق منها قطرة أبداً حتّى تذوق الحميمَ في نار جهنّم.

فقال له ابن عقيل عليه السلام: ويلك من أنت؟ قال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وأطاعه إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال له مسلم بن عقيل: لأُمّك الثكل، ما أجفاك وأفظّك وأقسى قلبك! أنت يا ابن

باهلة، أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي، ثمّ جلس فتساند إلى حائط.

٦١/٢ وبعث عمرو بن حريث غلاماً له، فجاءه بقلّة عليها منديل وقدح، •فصبّ فيه ماء فقال له: اشرب، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً من فيه فلا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرّة ومرّتين، فلمّا ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله إليه، فلمّا دخل لم يسلّم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلّم على الأمير؟

فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي ليكثرنّ سلامي عليه.

فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلنّ، قال: كذلك؟ قال: نعم، قال: فدعني أُوص إلى بعض قومي، قال: افعل، فنظر مسلم إلى جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نجح حاجتي وهي سرّ، فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيد الله: لِمَ تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟ فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد، فقال له: إنّ عليَّ ديناً بالكوفة استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمئة درهم، فاقضها عنّي، وإذا قتلت فاستوهب جثّتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين من يردّه، فإنّي قد كتبت إليه أُعلمه أنّ الناس معه، ولا أراه إلّا مقبلاً.

فقال عمر لابن زياد: أتدري أيّها الأمير ما قال لي؟ إنّه ذكر كذا وكذا.

فقال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين ولكنّ قد يؤتمن الخائن! أمّا مالك فهو لك ولِسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأمّا جثّته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها،

٦٢/٢ وأمّا حسين فإن هو لم يردنا لم •نرده.

ثمّ قال ابن زياد. إيه يا ابن عقيل، أتيتَ الناسَ وهم جميع فشتّت بينهم، وفرّقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض.

قال: كلا، لَسْتُ لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارَهم وسَفَكَ دماءَهُم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناه لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب.

فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لِمَ لَمْ تعمل فيهم بذاك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟!

قال: أنا أشرب الخمر؟! أَمَ والله، إنّ الله ليعلم أنّك تعلم أنّك غير صادق، وأنّك قد قلت بغير علم، وأنّي لست كما ذكرت، وأنّك أحقّ بشرب الخمر منّي، وأولى بها مَن يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفسَ التي حرّم الله قتلها، ويسفك الدمَ الحرام على الغصب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنّيك ما حال الله دونه، ولم يرك الله له أهلا.

فقال مسلم: فمن أهله إذا لم نكن نحن أهله؟! فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد.

فقال مسلم: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

٦٣/٢ فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في *الإسلام من الناس!

قال له مسلم: أما إنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة.

فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعليّاً وعقيلاً عليهم الصلاة والسلام، وأخذ مسلم لا يكلّمه.

ثمّ قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثمّ أتبعوه جسده.

فقال مسلم بن عقيل (رحمة الله عليه): لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتني!

فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فَدُعي بكر بن

حمران الأحمري، فقال له: اصعد فلتكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبّر ويستغفر الله ويصلّي على رسوله ويقول: اللّهمّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذّبونا وخذلونا، وأشرفوا به على موضع الحذّائين اليوم، فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه.

وقام محمّد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه في هانئ بن عروة فقال: إنّك قد عرفت منزلة هانئ في المصر وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أنّي أنا وصاحبي سقناه إليك، فأنشدك الله لما وهبته لي، فإنّي أكره عداوة المصر وأهله.

فوعده أن يفعل، ثمّ بدا له فأمر بهانئ في •الحال فقال: أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه. فأُخرج هانئ حتّى انتهي به إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم، وهو مكتوف، فجعل يقول: وا مذحجاه! ولا مذحج لي اليوم، يا مذحجاه! يا مذحجاه! وأين مذحج؟! فلمّا رأى أنّ أحداً لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف، ثمّ قال: أما من عصا أو سكّين أو حجر أو عظم يحاجز به رجل عن نفسه، ووثبوا إليه فشدّوه وثاقاً، ثمّ قيل له امدد عنقك، فقال: ما أنا بها سخيّ، وما أنا بمعينكم على نفسي، فضربه مولى لعبيد الله تركي ـ يقال له: رشيد ـ بالسيف فلم يصنع شيئاً، فقال هانئ: إلى الله المعاد، اللّهمّ إلى رحمتك ورضوانك، ثمّ ضربه أُخرى فقتله.

وفي مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (رحمة الله عليهما) يقول عبدالله بن الزبير الأسدي:

إن كُنتِ لا تدرين ما الموتُ فانظري ... إلى هانئ في السوقِ وابنِ عقيلِ

إلى بَطلٍ قد هَشَّمَ السيفُ وَجهَهُ ... وآخر يهوي مِن طمارٍ قتيلِ

أصابهما أمرُ الأميرِ فأصبحا ... أحاديث من يسري بكلّ سبيلِ

تَري جسداً قد غيّرَ الموتُ وجهَهُ ... ونَضحَ دمٍ قَد سالَ كُلَّ مسيلِ

فتىً هو أحيا من فتاة حييّةٍ ... وأقطع من ذي شفرتينِ صَقيلِ

أيركبُ أسماء الهمالیج آمناً ... وقد طلبته مذحجٌ بذحول

•تـطيف حـواليـه مـراد وكـلّهم عـلى رقـبة مـن سـائلٍ ومسـولِ ٦٥/٢
فـإن أنـتم لم تـثأروا بـأخيكمُ فكـونوا بـغايا أُرضـيت بـقليلِ

ولما قُتِلَ مسلم وهانئ (رحمة الله عليهما) بَعَثَ عبيد الله بن زياد برؤوسهما مع هانئ بن أبي حيّة الوادعي والزبير بن الأروح التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه أن يكتب إلى يزيد بما كان من أمر مسلم وهانئ، فكتب الكاتب ـ وهو عمرو بن نافع ـ فأطال، وكان أوّل من أطال في الكتب.

فلمّا نظر فيه عبيد الله تكرّهه، وقال: ما هذا التطويل؟ وما هذه الفصول؟ اكتب:

أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقّه، وكفاه مؤنة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين أنّ مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وأنّي جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتّى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدّمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حيّة والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحبّ من أمرهما، فإنّ عندهما علماً وصدقاً وورعاً، والسلام.

فكتب إليه يزيد: أمّا بعد؛ فإنّك لم تعد أن كنت كما أُحبّ، عملت عمل الحازم، وصِلْتَ صولةَ الشجاع الرابط الجأش، وقد أغنيت وكفيت، •وصدقت ظنّي بكَ ٦٦/٢
ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوصِ بهما خيراً، وإنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد توجّه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظنّة واقتل على التهمة، واكتب إليّ فيما يحدث من خبر إن شاء الله.

فصل

وكان خروج مسلم بن عقيل (رحمة الله عليهما) بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة سنة ستّين، وقتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفة، وكان توجّه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة ـ وهو يوم

التروية ـ بعد مقامه بمكّة بقيّة شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وثماني ليال خلون من ذي الحجّة سنة ستّين، وكان قد اجتمع إليه مدّة مقامه بمكّة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، انضافوا إلى أهل بيته ومواليه.

٦٧/٢ •ولمّا أراد الحسين عليه السلام التوجّه إلى العراق، طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة؛ لأنّه لم يتمكّن من تمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكّة فينفذ إلى يزيد بن معاوية، فخرج عليه السلام مبادراً بأهله وولده ومن انضمّ إليه من شيعته، ولم يكن خبر مسلم قد بلغه لخروجه يوم خروجه على ما ذكرناه.

فروي عن الفرزدق الشاعر أنّه قال: حججت بأُمّي في سنة ستّين، فبينا أنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم إذ لقيت الحسين بن عليّ عليهما السلام خارجاً من مكّة معه أسيافه وتِراسُهُ[1]، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن عليّ، فأتيته فسلّمت عليه وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحبّ، بأبي أنت وأُمّي يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الحجّ؟

فقال: لو لم أعجل لأُخذت. ثمّ قال لي: من أنت؟ قلت: امرؤ من العرب، فلا والله، ما فتّشني عن أكثر من ذلك، ثمّ قال لي: أخبرني عن الناس خلفك، فقلت: الخبير سألت، قلوبُ الناس معكَ وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

فقال: صدقت، لله الأمر، وكلّ يوم ربّنا هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحقّ نيّته والتقوى سريرته.

٦٨/٢ فقلت له: أجل، بلّغك الله ما تحبّ وكفاك ما تحذر، وسألته •عن أشياء من نذور ومناسك، فأخبرني بها، وحرّك راحلته وقال: السلام عليك، ثمّ افترقنا.

---

١. تِراس: جمع ترس، وهو ما يستتر به المقاتل من عدوّه في الحرب (اُنظر: الصحاح: ج ٣ ص ٩١٠ (ترس)).

وكان الحسين بن عليّ عليه السلام لمّا خرج من مكّة اعترضه يحيى بن سعيد بن العاص، ومعه جماعة أرسلهم عمرو بن سعيد إليه، فقالوا له: انصرف، إلى أين تذهب، فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط، وامتنع الحسين وأصحابه منهم امتناعاً قويّاً.

وسار حتّى أتى التنعيم فلقيَ عيراً قد أقبلت من اليمن، فاستأجر من أهلها جمالاً لرحله وأصحابه، وقال لأصحابها: مَن أحبّ أن ينطلق معنا إلى العراق وفيناه كراءه وأحسنّا صحبته، ومن أحبّ أن يفارقنا في بعض الطريق أعطيناه كراء على قدر ما قطع من الطريق. فمضى معه قوم وامتنع آخرون.

وألحقه عبدالله بن جعفر رضي الله عنه بابنيه عون ومحمّد، وكتب على أيديهما إليه كتاباً يقول فيه: أمّا بعد؛ فإنّي أسألك بالله لمّا انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنّي مشفق عليك من الوجه الذي توجّهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنّك •علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالمسير، فإنّي في أثر كتابي، والسلام.

وصار عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد، فسأله أن يكتب للحسين أماناً ويمنّيه ليرجع عن وجهه، فكتب إليه عمرو بن سعيد كتاباً يمنّيه فيه الصلة ويؤمنه على نفسه، وأنفذه مع أخيه يحيى بن سعيد، فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر بعد نفوذ ابنيه، ودفعا إليه الكتاب وجهدا به في الرجوع.

فقال: إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وأمرني بما أنا ماضٍ له، فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

قال: ما حدّثت أحداً بها، ولا أنا محدّث أحداً حتّى ألقى ربّي عزّ وجلّ.

فلمّا أيس منه عبدالله بن جعفر أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكّة.

وتوجّه الحسين عليه السلام نحو العراق مغذّاً لا يلوي على شيء حتّى نزل ذات عرق.

ولمّا بلغ عبيد الله بن زياد إقبال الحسينعليه السلام من مكّة إلى الكوفة، بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتّى نزل القادسية، ونظم الخيل بين القادسية إلى خفّان، وما بين القادسية إلى القطقطانة. •وقال الناس: هذا الحسين يريد العراق. ولمّا بلغ الحسينعليه السلام الحاجر من بطن الرمّة، بعث قيس بن مسهر الصيداوي ـ ويقال: بل بعث أخاه من الرضاعة عبدالله بن يقطر ـ إلى أهل الكوفة، ولم يكنعليه السلام علم بخبر مسلم بن عقيل (رحمة الله عليهما) وكتب معه إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ، إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد؛ فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقّنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا؛ فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله.

•وكان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، وكتب إليه أهل الكوفة: إنّ لك هاهنا مئة ألف سيف فلا تتأخّر.

فأقبل قيس بن مسهر إلى الكوفة بكتاب الحسينعليه السلام حتّى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فأنفذه إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد فسبّ الكذّاب الحسين بن عليّ، فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم فأجيبوه، ثمّ لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعليّ بن أبي طالبعليه السلام وصلّى عليه، فأمر به عبيد الله أن يرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطّع.

فصل

وروي: أنّه وقع إلى الأرض مكتوفاً فتكسّرت عظامه وبقي به رمق، فجاء رجل

يقال له: عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فقيل له في ذلك وعيب عليه، فقال: أردت أن أُريحه.

ثمّ أقبل الحسين عليه السلام من الحاجر يسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي وهو نازل به، فلمّا رأى الحسين عليه السلام قام إليه فقال: بأبي أنت وأُمّي يا ابن رسول •الله، ما أقدمك؟ واحتمله وأنزله. ٧٢/٢

فقال له الحسين عليه السلام: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إليَّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم.

فقال له عبدالله بن مطيع: أُذكّرك الله يا بن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله، لئن طلبت ما في أيدي بني أُميّة ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله، إنّها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأتِ الكوفة، ولا تعرّض نفسك لبني أُميّة.

فأبى الحسين عليه السلام إلّا أن يمضي.

وكان عبيد الله بن زياد أمر فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعونّ أحداً يلج ولا أحداً يخرج، وأقبل الحسين عليه السلام لا يشعر بشيء حتّى لقي الأعراب فسألهم، فقالوا: لا والله، ما ندري، غير إنّا لا نستطيع أن نلج أو نخرج. فسار تلقاء وجهه عليه السلام.

وحدّث جماعة من فزارة ومن بجيلة قالوا: كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّة، فكنّا نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن ننازله في منزل، فإذا سار الحسين عليه السلام ونزل منزلاً لم نجد بدّاً من أن ننازله، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغذّى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتّى سلّم، ثمّ دخل، فقال: يا •زهير بن القين، إنّ أبا عبدالله الحسين بعثني إليك لتأتيه. ٧٣/٢

فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتّى كأنّ على رؤوسنا الطير.

فقالت له امرأته: سبحان الله! أَيَبعَثُ إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه؟! لو أتيته فسمعت من كلامه، ثمّ انصرفت.

فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقوّض وحمل إلى الحسين عليه السلام، ثمّ قال لامرأته: أنتِ طالق، الحقي بأهلك، فإنّي لا أُحبّ أن يصيبك بسببي إلّا خير.

ثمّ قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني، وإلّا فهو آخر العهد، إنّي سأُحدّثكم حديثاً: إنّا غزونا البحر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي رحمه الله: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال: إذا أدركتم شباب آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم ممّا أصبتم اليوم من الغنائم. فأما أنا فأستودعكم الله. قالوا: ثمّ والله، ما زال في القوم مع الحسين عليه السلام حتّى قُتِلَ رحمة الله عليه.

وروى عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديّان، قالا: لمّا قضينا حجّنا لم تكن لنا همّة إلّا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق، لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل بنا •نياقنا مسرعين حتّى لحقنا بزرود، فلمّا دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الحسين كأنّه يريده، ثمّ تركه ومضى، ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا لنسأله فإنّ عنده خبر الكوفة، فمضينا حتّى انتهينا إليه فقلنا: السلام عليك، فقال: وعليكم السلام، قلنا: ممّن الرجل؟ قال: أسديّ، قلت: ونحن أسديّان، فمن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان، وانتسبنا له ثمّ قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتّى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيتهما يجرّان بأرجلهما في السوق. ٧٤/٢

فأقبلنا حتّى لحقنا الحسين (صلوات الله عليه) فسايرناه حتّى نزل الثعلبية

ممسياً، فجئناه حين نزل فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إنّ عندنا خبراً إن شئت حدّثناك علانية، وإن شئت سرّاً؟

فنظر إلينا وإلى أصحابه، ثمّ قال: ما دون هؤلاء ستر.

فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلته عشيّ أمس؟ قال: نعم، وقد أردت مسألته، فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منّا ذو رأي وصدق وعقل، وإنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتّى قُتِلَ مسلم وهانئ، ورآهما يجرّان في السوق بأرجلهما.

فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما، •يكرّر ذلك مراراً. ٧٥/٢

فقلنا له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك. فنظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون فقد قتل مسلم؟ فقالوا: والله، لا نرجع حتّى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق، فأقبل علينا الحسين عليه السلام وقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء.

فعلمنا أنّه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا له: خارَ الله لك، فقال: رحمكما الله.

فقال له أصحابه: إنّك والله، ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع.

فسكت، ثمّ انتظر حتّى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا، ثمّ ارتحلوا، فسار حتّى انتهى إلى زبالة، فأتاه خبر عبدالله بن يقطر، فأخرج إلى الناس كتاباً فقرأه عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فإنّه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبدالله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام.

فتفرّق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً، حتّى بقي في أصحابه •الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفر يسير ممّن انضووا إليه. ٧٦/٢

وإنّما فعل ذلك؛ لأنّه عليه السلام علم أنّ الأعراب الذين اتّبعوه إنّما اتّبعوه وهم يظنّون أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون.

فلمّا كان السحر أمر أصحابه فاستقوا ماء وأكثروا، ثمّ سار حتّى مرّ ببطن العقبة فنزل عليها، فلقيه شيخ من بني عكرمة يقال له: عمرو بن لوذان، فسأله: أين تريد؟ فقال له الحسين عليه السلام: الكوفة.

فقال الشيخ: أنشدك الله لمّا انصرفت، فوالله، ما تقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك، لو كانوا كفوك مؤونة القتال، ووطّؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التي تذكر فإنّي لا أرى لك أن تفعل.

فقال له: يا عبدالله، ليس يخفى عليَّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره، ثمّ قال عليه السلام: والله، لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ فرق الأُمم.

ثمّ سار عليه السلام من بطن العقبة حتّى نزل شراف، فلمّا كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثمّ سار منها حتّى •انتصف النهار، فبينا هو يسير إذ كبّر ٧٧/٢
رجل من أصحابه فقال له الحسين عليه السلام: الله أكبر! لِمَ كبّرت؟ قال: رأيت النخل، فقال له جماعة من أصحابه: والله، إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قطّ.

فقال الحسين عليه السلام: فما ترونه؟ قالوا: نراه والله آذان الخيل، قال: أنا والله أرى ذلك، ثمّ قال عليه السلام: ما لنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم بوجه واحد؟ فقلنا: بلى، هذا ذو حسمى[1] إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت إليه فهو كما تريد.

---

١. في بعض المقاتل «ذو حسم».

فأخذ إليه ذات اليسار وملنا معه، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبيّناها وعدلنا، فلمّا رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنّتهم اليعاسيب، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير، فاستبقنا إلى ذي حسمى، فسبقناهم إليه، وأمر الحسين عليه السلام بأبنيته فضُرِبَت.

٧٨/٢ •وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمّون متقلّدوا أسيافهم.

فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً، ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء، ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر، حتّى سقوها كلّها.

فقال عليّ بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذ فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الراوية ـ والراوية عندي السقاء ـ ثمّ قال: يا ابن أخي أنخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: اخنث السقاء، أي اعطفه، فلم أدرِ كيف أفعل؟ فقام فخنثه، فشربت وسقيت فرسي.

وكان مجيء الحرّ بن يزيد من القادسية، وكان عبيد الله بن زياد بعث الحصين بن نمير وأمره أن ينزل القادسية، وتقدّم الحرّ بين يديه في ألف فارس يستقبل بهم حسيناً، فلم يزل الحرّ مواقفاً للحسين عليه السلام حتّى حضرت صلاة الظهر، وأمر الحسين الحجّاج بن مسرور أن يؤذّن، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين عليه السلام ٧٩/٢ •في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس، إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم: أن أقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فاعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم، فسكتوا عنه ولم يتكلّم

أحد منهم بكلمة.

فقال للمؤذّن: أقم فأقام الصلاة، فقال للحرّ: أتريد أن تصلّي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك، فصلّى بهم الحسين بن عليّعليه السلام، ثمّ دخل فاجتمع إليه أصحابه وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه، فدخل خيمة قد ضربت له واجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد الباقون إلى صفّهم الذي كانوا فيه فأعادوه، ثمّ أخذ كلّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلّها.

فلمّا كان وقت العصر أمر الحسين بن عليّعليه السلام أن يتهيّؤوا للرحيل ففعلوا، ثمّ أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقام الحسينعليه السلام فصلّى بالقوم، ثمّ سلّم وانصرف إليهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ أيّها الناس، فإنّكم إن تتّقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمّد، وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، •وإن أبيتم إلّا كراهية لنا والجهل بحقّنا، فكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقدمت به عليّ رسلكم، انصرفت عنكم. ٨٠/٢

فقال له الحرّ: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر، فقال الحسينعليه السلام لبعض أصحابه: يا عقبة بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليَّ، فأخرج خرجين مملوءين صحفاً، فنثرت بين يديه، فقال له الحرّ: إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك ألّا نفارقك حتّى نقدمك الكوفة على عبيد الله.

فقال له الحسينعليه السلام: الموت أدنى إليك من ذلك، ثمّ قال لأصحابه: قوموا فاركبوا، فركبوا وانتظر حتّى ركب نساؤهم، فقال لأصحابه: انصرفوا، فلمّا ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسينعليه السلام للحرّ: ثكلتك أُمّك، ما تريد؟

فقال له الحرّ: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت

عليها، ما تركت ذكر أُمّه بالثكل كائناً من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلّا بأحسن ما يقدر عليه!

فقال له الحسين عليه السلام: فما تريد؟ قال: أُريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد، قال: إذا والله لا أتبعك، قال: إذا والله لا أدعك. فترادّا القول ثلاث مرّات.

فلمّا كثر الكلام بينهما قال له الحرّ: إنّي لم أُؤمر بقتالك، إنّما أُمرت ألّا أُفارقك حتّى أقدمك الكوفة، فإذ أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة، تكون بيني وبينك نصفاً، حتّى أكتب إلى الأمير، وتكتب إلى يزيد أو إلى عبيد الله، فلعلّ الله إلى ذلك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى •بشيء من أمرك، ٨١/٢
فخذ هاهنا.

فتياسر عن طريق العذيب والقادسية، وسار الحسين عليه السلام وسار الحرّ في أصحابه يسايره وهو يقول له: يا حسين، إنّي أُذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ.

فقال له الحسين عليه السلام: أفبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب؟ فإنّك مقتول، فقال:

سَأَمضي فما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا ما نَوى حقّاً وجاهدَ مسلما
وآسى الرجالَ الصالحينَ بنفسِهِ ... وفارقَ مَثبوراً وباعد مجرما
فإن عشتُ لم أُندم وإن متُّ لم أُلم ... كفى بك ذلّاً أن تعيشَ وتُرغما

فلمّا سمع ذلك الحرّ تنحّى عنه، فكان يسير بأصحابه ناحية، والحسين عليه السلام في ناحية أُخرى، حتّى انتهوا إلى عذيب الهجانات.

ثمّ مضى الحسين عليه السلام حتّى انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل به، فإذا هو بفسطاط مضروب، فقال: لمن هذا؟ فقيل: لعبيد الله بن الحرّ الجعفي، فقال: ادعوه إليَّ فلمّا أتاه الرسول قال له: هذا الحسين بن عليّ يدعوك، فقال عبيد الله: إنّا لله وإنّا إليه

راجعون، والله! ما خرجت من الكوفة إلّا كراهية أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله، ما أُريد أن أراه ولا يراني! فأتاه الرسول فأخبر، فقام الحسين عليه السلام ٨٢/٢ •فجاء حتّى دخل عليه فسلّم وجلس، ثمّ دعاه إلى الخروج معه، فأعاد عليه عبيد الله بن الحرّ تلك المقالة واستقاله ممّا دعاه إليه، فقال له الحسين عليه السلام: فإن لم تنصرنا فاتّق الله أن تكون ممّن يقاتلنا، والله، لا يسمع واعيتنا أحدٌ ثمّ لا ينصرنا إلّا هلك، فقال: أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله، ثمّ قام الحسين عليه السلام من عنده حتّى دخل رحله.

ولمّا كان في آخر الليل أمر فتيانه بالاستقاء من الماء، ثمّ أمر بالرحيل، فارتحل من قصر بني مقاتل، فقال عقبة بن سمعان: سرنا معه ساعة فخفق وهو على ظهر فرسه خفقة، ثمّ انتبه، وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين عليه السلام على فرس فقال: مِمَّ حمدت الله واسترجعت؟

فقال: يا بني، إنّي خفقت خفقة فعنّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا.

فقال له: يا أبتِ لا أراكَ الله سوءاً، ألسنا على الحقّ؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد.

قال: فإنّنا إذا لا نبالي أن نموت محقّين، فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده.

فلمّا أصبح نزل فصلّى الغداة، ثمّ عجّل الركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فيأتيه الحرّ بن يزيد فيردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم ٨٣/٢ •يزالوا يتياسرون كذاك حتّى انتهوا إلى نينوى ـ المكان الذي نزل به الحسين عليه السلام ـ فإذا راكب على نجيب له عليه السلاح متنكّب قوساً مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلمّا انتهى إليهم سلّم على الحرّ وأصحابه ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن

زياد فإذا فيه:

أمّا بعد؛ فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، فقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحرّ: هذا كتاب الأمير عبيد الله يأمرني أن أُجعجع بكم في المكان الذي يأتي كتابه، وهذا رسوله وقد أمره ألّا يفارقني حتّى أُنفّذ أمره.

فنظر يزيد بن المهاجر الكناني ـ وكان مع الحسين عليه السلام ـ إلى رسول ابن زياد فعرفه، فقال له يزيد: ثكلتك أُمّك، ماذا جئت فيه؟ قال: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي، فقال له ابن المهاجر: بل عصيتَ ربَّك وأطعت إمامك في هلاك نفسك وكسبت العار والنار، وبئس الإمام إمامك! قال الله عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾، فإمامك منهم. ٨٤/٢

وأخذهم الحرّ بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا قرية، فقال له الحسين عليه السلام: دعنا ـ ويحك ـ ننزل في هذه القرية أو هذه ـ يعني نينوى والغاضرية ـ أو هذه ـ يعني شفنة ـ قال: لا والله، ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إليَّ عيناً عليَّ، فقال له زهير بن القين: إنّي والله، ما أراه يكون بعد هذا الذي ترون إلّا أشدّ ممّا ترون، يا ابن رسول الله، إنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم، فلعمري، ليأتينا بعدهم ما لا قبل لنا به.

فقال الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال، ثمّ نزل، وذلك يوم الخميس، وهو اليوم الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين.

فلمّا كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص من الكوفة في أربعة آلاف فارس، فنزل بنينوى وبعث إلى الحسين عليه السلام عروة بن قيس الأحمسي، فقال له: ائته فسله ما الذي جاء بك؟ وماذا تريد؟ وكان عروة ممّن كتب إلى الحسين عليه السلام فاستحيا منه أن يأتيه، فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه، فكلّهم أبى ذلك ٨٥/٢

وكرهه، فقام إليه كثير بن عبدالله الشعبي وكان فارساً شجاعاً لا يردّ وجهه شيء فقال: أنا أذهب إليه، ووالله، لئن شئت لأفتكنَّ به، فقال له عمر: ما أُريد أن تفتك به، ولكن ائته فسله ما الذي جاء بك؟ فأقبل كثير إليه.

فلمّا رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين عليه السلام: أصلحك الله يا أبا عبدالله، قد جاءك شرّ أهل الأرض، وأجرؤهم على دم، وأفتكهم، وقام إليه فقال له: ضع سيفك، قال: لا ولا كرامة، إنّما أنا رسول، فإن سمعتم منّي بلّغتكم ما أُرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم، قال: فإني آخذ بقائم سيفك، ثمّ تكلّم بحاجتك، قال: لا والله لا تمسّه، فقال له: أخبرني بما جئت به وأنا أبلغه عنك، ولا أدعك تدنو منه فإنّك فاجر!

فاستبّا وانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر.

فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظلي فقال له: ويحك يا قرّة، القِ حسيناً فسله ما جاء به؟ وماذا يريد؟ فأتاه قرّة، فلمّا رآه الحسين مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟ فقال له حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة تميم، وهو ابن أُختنا، وقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد. فجاء حتّى سلّم على الحسين عليه السلام وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه، فقال له الحسين: كتب إليَّ أهلُ مصركم هذا أن أقدم، فأمّا إذ كرهتموني فأنا أنصرف عنكم.

ثمّ قال حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرّة أين ترجع؟! إلى القوم الظالمين؟! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيّدك الله بالكرامة، فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي •بجواب ٨٦/٢
رسالته، وأرى رأيي.

قال: فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر؟ فقال عمر: أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله، وكتب إلى عبيد الله بن زياد:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فإنّي حين نزلت بالحسين بعثت إليه رسلي، فسألته عمّا أقدمه، وماذا يطلب ؟ فقال: كتب إليَّ أهل هذه البلاد، وأتتني رسلهم

يسألونني القدوم ففعلت، فأمّا إذ كرهوني وبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم، فأنا منصرف عنهم.

قال حسّان بن قائد العبسي: وكنت عند عبيد الله حين أتاه هذا الكتاب، فلمّا قرأه قال:

ألآن إذ عَلَقَت مخالبُنا بِهِ يَرجو النجاةَ ولاتَ حينَ مناصِ

وكتب إلى عمر بن سعد: أمّا بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه، فإذا فعل هو ذلك رأينا رأينا، والسلام.

فلما ورد الجواب على عمر بن سعد قال: قد خشيت ألّا يقبل ابن زياد العافية، وورد كتاب ابن زياد في الأثر إلى عمر بن سعد: أن حُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقيّ الزكيّ عثمان بن عفان.

فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجّاج في خمسمئة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يستقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة •أيّام، ونادى عبدالله بن الحصين الأزدي ـ وكان عداده في ٨٧/٢
بجيلة ـ بأعلى صوته: يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبد السماء، والله، لا تذوقون منه قطرة واحدة حتّى تموتوا عطشاً.

فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً.

قال حميد بن مسلم: والله، لعدته بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله غيره، لقد رأيته يشرب الماء حتّى يبغر، ثمّ يقيئه ويصيح: العطش العطش، ثمّ يعود فيشرب الماء حتّى يبغر، ثمّ يقيئه ويتلظّى عطشاً، فما زال ذلك دأبه حتّى لفظ نفسه.

ولمّا رأى الحسين نزول العساكر مع عمر بن سعد بنينوى ومددهم لقتاله أنفذ إلى عمر بن سعد: إنّي أُريد أن ألقاك فاجتمعا ليلاً فتناجيا طويلاً، ثمّ رجع عمر بن سعد إلى مكانه وكتب إلى عبيد الله بن زياد: أمّا بعد؛ فإنّ الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة

وأصلح أمر الأُمّة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضى وللأُمّة صلاح.

٨٨/٢ •فلمّا قرأ، عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب ناصح مشفق على قومه، فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ والله، لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك، ليكوننّ أولى بالقوّة ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت أولى بالعقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك.

قال له ابن زياد: نعم ما رأيت، الرأي رأيك، اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إليَّ سلماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الجيش، واضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه!

وكتب إلى عمر بن سعد: إنّي لم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنّيه السلامة والبقاء، ولا لتعتذر له، ولا لتكون له عندي شافعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إليَّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون، وإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنّه عاتٍ ظلوم، وليس أرى أنّ هذا يضرّ بعد الموت شيئاً، ولكن عليَّ قول قد قلته: لو قتلته لفعلت هذا به، فإن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك
٨٩/٢ جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخلِّ •بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإنّا قد أمرناه بأمرنا، والسلام.

فأقبل شمر بكتاب عبيد الله إلى عمر بن سعد، فلمّا قدم عليه وقرأه قال له عمر: ما لَكَ ويلك؟! لا قرّب الله دارك، قبّح الله ما قدمت به عليَّ، والله، إنّي لأظنّك أنّك

نهيته أن يقبل ما كتبت به إليه، وأفسدت علينا أمرنا، قد كنّا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفس أبيه لبين جنبيه.

فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوّه؟ وإلّا فخلِّ بيني وبين الجند والعسكر.

قال: لا، لا والله ولا كرامة لك، ولكن أنا أتولّى ذلك، فدونك فكن أنت على الرجّالة.

ونهض عمر بن سعد إلى الحسين عشية الخميس لتسع مضين من المحرّم، وجاء شمر حتّى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال: أين بنو أُختنا؟

فخرج إليه العبّاس وجعفر وعثمان بنو عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وقالوا: ما تريد؟

فقال: أنتم يا بني أُختي آمنون، فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمانَ له؟!

ثمّ نادى عمر بن سعد: يا خيل الله، اركبي وأبشري، فركب الناس ثمّ زحف نحوهم بعد العصر، وحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتبٍ بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أُخته •الصيحة فدنت من أخيها، فقالت: يا أخي، أما تسمع ٩٠/٢
الأصوات قد اقتربت؟ فرفع الحسين عليه السلام رأسه، فقال: إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله الساعة في المنام، فقال لي: إنّك تروح إلينا، فلطمت أُخته وجهها ونادت بالويل، فقال لها: ليس لك الويل يا أُخيّة، اسكتي رحمك الله.

وقال له العبّاس بن عليّ (رحمة الله عليه): يا أخي أتاك القوم، فنهض ثمّ قال: يا عبّاس، اركب ـ بنفسي أنت يا أخي ـ حتّى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عمّا جاء بهم.

فأتاهم العبّاس في نحو من عشرين فارساً، منهم: زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العبّاس: ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض

عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم، قال: فلا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبدالله فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا وقالوا: القه فأعلمه، ثمّ القنا بما يقول لك.

فانصرف العبّاس راجعاً يركض إلى الحسين عليه السلام يخبره الخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويعظونهم، ويكفّونهم عن قتال الحسين، فجاء العبّاس إلى الحسين عليه السلام فأخبره بما قال القوم، فقال: ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى الغدوة وتدفعهم عنّا العشيّة، لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد أُحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار. ٩١/٢

فمضى العبّاس إلى القوم ورجع من عندهم ومعه رسول من قبل عمر بن سعد يقول: إنّا قد أجّلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرّحناكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا تاركيكم، وانصرف.

فجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء، قال عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه:

أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضراء، اللّهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين.

أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإنّي قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً.

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبدالله بن جعفر: لِمَ نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العبّاس بن عليّ (رضوان الله عليه) واتّبعته الجماعة عليه فتكلّموا بمثله ونحوه.

٩٢/٢ •فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم. قالوا: سبحان الله! فما يقول الناس؟! يقولون: إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا ـ خير الأعمام ـ ولم نرمِ معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا!! لا والله، ما نفعل ذلك، ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتّى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أَنَخلّي عنك ولمّا نُعذِر إلى الله سبحانه في أداء حقّك؟! أما والله، حتّى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، والله، لا نخلّيك حتّى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله، لو علمت أنّي أُقتل، ثمّ أُحيا، ثمّ أُحرق، ثمّ أُحيا، ثمّ أُذرّى، يفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟!

وقام زهير بن القين البجلي (رحمة الله عليه) فقال: والله، لوددت أنّي قتلت، ثمّ نشرتُ، ثمّ قتلتُ حتّى أُقتل هكذا ألف مرّة، وأنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.

٩٣/٢ •وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، فجزّاهم الحسين عليه السلام خيراً وانصرف إلى مضربه.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّي لجالس في تلك العشيّة التي قُتِلَ أبي في صبيحتها، وعندي عمّتي زينب تمرّضني، إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جوين مولى أبي ذرّ الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهرُ أُفٍّ لك من خليلِ ... كم لك بالإشراقِ والأصيلِ
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ ... والدهرُ لا يَقنعُ بالبديلِ
وإنّما الأمرُ إلى الجليلِ ... وكُلّ حيٍّ سالكُ سبيلي

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت، وعلمت أنّ البلاء قد نزل.

وأمّا عمّتي فإنّها سمعت ما سمعت، وهي امرأة ومن شأن النساء الرقّة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وإنها لحاسرة، حتّى انتهت إليه، فقالت: وا ثكلاه! ليتَ الموتُ أعدمني الحياة! اليوم ماتت أُمّي فاطمة وأبي عليّ وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أُخيّة، لا يذهبنَّ حلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو ترك القطا لنام، فقالت: يا ويلتاه! •أفتغتصب نفسك اغتصاباً؟! فذاك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ثمّ لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقّته وخرّت مغشياً عليها. ٩٤/٢

فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ على وجهها الماء وقال لها: يا أُختاه، اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أُسوة.

فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أُخيّة، إنّي أقسمت فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت. ثمّ جاء بها حتّى أجلسها عندي.

ثمّ خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّب بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت، فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، قد حفّت بهم إلّا الوجه الذي يأتيهم منه عدوّهم.

ورجع عليه السلام إلى مكانه، فقام الليل كلّه يصلّي ويستغفر ويدعو ويتضرّع، وقام

أصحابه كذلك يصلّون ويدعون ويستغفرون.

٩٥/٢ •قال الضحّاك بن عبدالله: ومرّ بنا خيل لابن سعد يحرسنا، وإنّ حسيناً ليقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾، فسمعها من تلك الخيل رجل يقال له عبدالله بن سمير، وكان مضحاكاً، وكان شجاعاً بطلاً، فارساً فاتكاً شريفاً، فقال: نحن وربّ الكعبة الطيّبون، ميزنا منكم.

فقال له برير بن خضير: يا فاسق، أنت يجعلك الله من الطيّبين؟! فقال له: من أنت ويلك؟ قال: أنا برير بن خضير، فتسابّا.

وأصبح الحسين بن عليّ عليه السلام فعبّأ أصحابه بعد صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته العبّاس أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في خندق كان قد حفر هناك وأن يحرق بالنار، مخافة أن يأتوهم من ورائهم.

وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة وقيل يوم السبت، فعبّأ أصحابه وخرج فيمن معه من الناس نحو الحسين عليه السلام، وكان على ميمنته عمرو بن الحجّاج، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عروة بن قيس، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، ٩٦/٢ •وأعطى الراية دريداً مولاه.

فروي عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّه قال: لمّا صبّحت الخيل الحسين رفع يديه وقال: اللّهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدوّ، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة منّي إليك عمّن سواك، ففرّجته وكشفته، وأنت وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ

رغبة.

قال: وأقبل القوم يجولون حول بيوت الحسين عليه السلام، فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان أُلقي فيه، فنادى شمر بن ذي الجوشن (عليه اللعنة) بأعلى صوته: يا حسين، أَتَعَجَّلتَ النار قبل يوم القيامة؟! فقال الحسين عليه السلام: من هذا؟ كأنّه شمر بن ذي الجوشن. فقالوا له: نعم، فقال له: يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صليّاً.

ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين من ذلك، فقال له: دعني حتّى أرميه فإنّ الفاسق من عظماء الجبّارين، وقد أمكن الله منه.

فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم.

٩٧/٢ • ثمّ دعا الحسين براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته: يا أهل العراق ـ وجلّهم يسمعون ـ فقال: أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما يحقّ لكم عليَّ وحتّى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النَصَفَ كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثمّ اقضوا إليَّ ولا تنظرون، إنّ وليَّ الله الذي نزّل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين. ثمّ حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يسمع متكلّم قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثمّ قال:

أمّا بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ أَلستُ ابن بنت نبيكم، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأوّل المؤمنين، المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه؟!

أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟!

أوليس جعفر الطيّار في الجنّة بجناحين عمّي؟! أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟!

فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله، ما تعمّدت كذباً منذ علمت أنّ الله

يمقت عليه أهله، وإن كذّبتموني فإن فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول اللهﷺ لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟! ٩٨/٢

فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبدالله على حرف إن كان يدري ما تقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله، إنّي لأراك تعبدالله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثمّ قال لهم الحسينؑ: فإن كنتم في شكّ من هذا، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم؟! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟!

فأخذوا لا يكلّمونه، فنادى: يا شبث بن ربعي، يا حجّار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ أن قد أينعت الثمار وأخضرّ الجناب، وإنما تقدّم على جند لك مجنّد؟!

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لن يروك إلّا ما تحبّ.

فقال له الحسين: لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد.

ثمّ نادى: يا عباد الله ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب.

ثمّ إنّه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه. ٩٩/٢

فلمّا رأى الحرّ بن يزيد أنّ القوم قد صمّموا على قتال الحسينؑ قال لعمر بن سعد: أي عمر، أَمُقاتِلٌ أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضىً؟ قال عمر: أمّا لو كان الأمر إليَّ لفعلت،

ولكن أميرك قد أبى.

فأقبل الحرّ حتّى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يقال له: قرّة بن قيس، فقال: يا قرّة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فما تريد أن تسقيه؟ قال قرّة: فظننت والله أنّه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال. ويكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له: لم أسقه وأنا منطلق فأسقيه، فاعتزل ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله، لو أنّه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين بن عليّ عليه السلام.

فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد، أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه وأخذه مثل الأفكل ـ وهي الرعدة ـ فقال له المهاجر: إنّ أمرك لمريب، والله، ما رأيت منك في موقف قطّ مثل هذا، ولو قيل لي: مَن أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟!

فقال له الحرّ: إنّي والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار، فوالله، لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قطّعت وحرّقت. ثمّ ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام فقال له: جعلت فداك ـ يا ابن رسول الله ـ أنا صاحبك الذي حبستك عن •الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله، لو علمت أنّهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت منك الذي ركبت، وإنّي تائب إلى الله تعالى ممّا صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، يتوب الله عليك فانزل، قال: فأنا لك فارساً خير منّي راجلاً، أُقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري.

فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع ـ يرحمك الله ـ ما بدا لك.

فاستقدم أمام الحسين عليه السلام، ثمّ أنشأ رجل من أصحاب الحسين عليه السلام يقول:

لنِعمَ الحرّ حُرٌّ بني رِياحِ ... وحُرّ عند مُختلفِ الرِماح

ونِعمَ الحرّ إذ نادى حُسينٌ ... وجادَ بنفسِهِ عند الصباح

ثمّ قال: يا أهل الكوفة، لأُمّكم الهبل والعبر، أدعوتم هذا العبد الصالح حتّى إذا

أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنّكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كلّ جانب لتمنعوه التوجّه في بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم، لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرّاً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات •الجاري، يشربه اليهود والنصارى ١٠١/٢
والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم قد صرعهم العطش؟! بئس ما خلّفتم محمّداً في ذرّيّته، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر.

فحمل عليه رجال يرمون بالنبل، فأقبل حتّى وقف أمام الحسين عليه السلام.

ونادى عمر بن سعد: يا ذو يد، أدنِ رأيتك، فأدناها ثمّ وضع سهمه في كبد قوسه، ثمّ رمى وقال: اشهدوا أنّي أوّلُ من رمى، ثمّ ارتمى الناس وتبارزوا، فبرز يسار مولى زياد بن أبي سفيان، وبرز إليه عبدالله بن عمير، فقال له يسار: من أنت؟ فانتسب له، فقال: لست أعرفك، ليخرج إليَّ زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر، فقال له عبدالله بن عمير: يا ابن الفاعلة، وَبِكَ رغبة عن مبارزة أحد من الناس؟! ثمّ شدّ عليه فضربه بسيفه حتّى برد، فإنّه لمشتغل بضربه إذ شدّ عليه سالم مولى عبيد الله بن زياد، فصاحوا به: قد رَهَقَكَ العبد، فلم يشعر حتّى غَشِيَهَ فَبَدَرَهُ ضربة اتّقاها ابن عمير بكفّه اليسرى فأطارت أصابع كفّه، ثمّ شدّ عليه فضربه حتّى قتله، وأقبل وقد قتلهما جميعاً وهو يرتجز ويقول:

إن تَنكروني فأنا ابنُ كلب إنّي امرؤٌ ذو مِرّة وعضبِ
ولستُ بالخوّار عندَ النكبِ

•وحمل عمرو بن الحجّاج على ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام فيمن كان معه من ١٠٢/٢
أهل الكوفة، فلمّا دنا من الحسين عليه السلام جثوا له على الركب وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع فرشقهم أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل، فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا منهم آخرين.

وجاء رجل من بني تميم يقال له: عبدالله بن حوزة، فأقدم على عسكر

الحسين عليه السلام فناداه القوم: إلى أين ثكلتك أُمّك؟! فقال: إنّي أقدم على ربّ رحيم وشفيع مطاع.

فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: من هذا؟ قيل: هذا ابن حوزة، قال: اللّهمّ حزه إلى النار. فاضطربت به فرسه في جدول فوقع وتعلّقت رجله اليسرى بالركاب وارتفعت اليمنى، فشدّ عليه مسلم بن عوسجة فضرب رجله اليمنى فطارت، وعدا به فرسه يضرب برأسه كلّ حجر وكلّ شجر حتّى مات وعجّل الله بروحه إلى النار.

ونشب القتال فقتل من الجميع جماعة.

وحمل الحرّ بن يزيد على أصحاب عمر بن سعد وهو يتمثّل بقول عنترة:

ما زِلتُ أَرمِيهِم بِغُرَّةِ وجهِهِ ... وَلَبَانِهِ حتّى تَسَربَلَ بالدمِ

١٠٣/٢ • فبرز إليه رجل من بلحارث يقال له: يزيد بن سفيان، فما لبثه الحرّ حتّى قتله.

وبرز نافع بن هلال وهو يقول:

أنا ابن هلال البجلي ... أنا على دين عليّ

فبرز إليه مزاحم بن حريث، فقال له: أنا على دين عثمان، فقال له نافع: أنت على دين شيطان، وحمل عليه فقتله.

فصاح عمرو بن الحجّاج بالناس: يا حمقى، أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر، وتقاتلون قوماً مستميتين، لا يبرز إليهم منكم أحد، فإنّهم قليل وقلّما يبقون، والله، لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم.

فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت، فأرسل في الناس من يعزم عليهم ألّا يُبارز رجلٌ منكم رجلاً منهم.

ثمّ حمل عمرو بن الحجّاج في أصحابه على الحسين عليه السلام من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي (رحمة الله عليه) وانصرف عمرو وأصحابه، وانقطعت الغبرة، فوجدوا مسلماً صريعاً، فمشى إليه الحسين عليه السلام، فإذا به رمق، فقال: رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا

بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزّ عليَّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنّة، فقال مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير. فقال له حبيب: لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك من ساعتي هذه، لأحببت •أن توصيني بكلّ ما أهمّك. ١٠٤/٢

ثمّ تراجع القوم إلى الحسين عليه السلام، فحمل شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) على أهل الميسرة فثبتوا له فطاعنوه، وحُمِلَ على الحسين وأصحابه من كلّ جانب، وقاتلهم أصحابُ الحسين قتالاً شديداً، فأخذت خيلهم تحمل وإنّما هي اثنان وثلاثون فارساً، فلا تحمل على جانب من خيل الكوفة إلّا كشفته.

فلمّا رأى ذلك عروة بن قيس ـ وهو على خيل أهل الكوفة ـ بعث إلى عمر بن سعد: أَما تَرى ما تَلقى خيلي منذ اليوم من هذه العدّة اليسيرة، ابعث إليهم الرجال والرماة.

فبعث عليهم بالرماة فعقر بالحرّ بن يزيد فرسه، فنزل عنه وجعل يقول:

إِن تَعقِروا بي فأنا ابنُ الحُرِّ أَشجُعُ مِن ذي لِبَدٍ هِزَبْرِ

ويضربهم بسيفه وتكاثروا عليه، فاشترك في قتله أيّوب بن مسرح ورجل آخر من فرسان أهل الكوفة.

وقاتل أصحابُ الحسين بن عليّ عليه السلام القومَ أشدَّ قتال حتّى انتصف النهار. فلمّا رأى الحصين بن نمير ـ وكان على الرماة ـ صبر أصحاب الحسين عليه السلام تقدّم إلى أصحابه ـ وكانوا خمسمئة نابل ـ أن يرشقوا أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل، فرشقوهم، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وجرحوا الرجال، وأرجلوهم.

واشتدّ القتال •بينهم ساعة، وجاءهم شمر بن ذي الجوشن في أصحابه، فحمل ١٠٥/٢ عليهم زهير بن القين رحمه الله في عشرة رجال من أصحاب الحسين، فكشفهم عن البيوت، وعطف عليهم شمر بن ذي الجوشن فقتل من القوم وردّ الباقين إلى مواضعهم.

وأنشأ زهير بن القين يقول مخاطباً للحسين عليه السلام:

اليـومَ نَـلقَى جَـدَّك النـبيّا وحَسَناً والمـرتضى عَـليّا
وذا الجناحينِ الفَتى الكَمِيا

وكان القتل يبين في أصحاب الحسين عليه السلام؛ لقلّة عددهم، ولا يبين في أصـحاب عمر بن سعد؛ لكثرتهم.

واشتدّ القتال والتحم وكثر القتل والجراح في أصحاب أبي عبدالله الحسين عليه السلام إلى أن زالت الشمس، فصلّى الحسين بأصحابه صلاة الخوف.

وتقدَّم حنظلة بن سعد الشبامي بين يدي الحسين عليه السلام، فنادى أهل الكوفة:

يا قوم، إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، يا قوم، إنّي أخاف عـليكم يـوم التناد، يا قوم، لا تقتلوا حسيناً فَيَسحَتُكُم الله بعذاب وقد خاب من افترى، ثمّ تَقدّم فقاتل حتّى قُتِلَ رحمه الله.

وتَقدّم بعده شوذب مولى شاكر، فقال: السلام عليك يا أبا عبدالله ورحـمة الله وبركاته، أستودعك الله وأسترعيك، ثمّ قاتل حتّى قُتِلَ رحمه الله.

١٠٦/٢ • وتقدّم عابس بن أبي شبيب الشاكري، فسلّم على الحسين عليه السلام وودّعه وقـاتل حتّى قُتِل رحمه الله. ولم يزل يتقدّم رجلٌ رجلٌ من أصـحابه فَـيُقتَل، حـتّى لم يـبقَ مـع الحسين عليه السلام إلّا أهل بيته خاصّة.

فتقدّم ابنه عليّ بن الحسين عليه السلام ـ وأُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بـن مسـعود الثقفي ـ وكان من أصبح الناس وجهاً، وله يومئذ بضع عشرة سنة، فشدّ على الناس، وهو يقول:

أنا عليُّ بن الحسينِ بـن عـليّ نَـحنُ وبـيتِ اللهِ أولى بـالنبيّ
تاللهِ لا يَحكُم فينا ابـنُ الدعـي أضرِبُ بالسيفِ أُحامي عن أبي
ضَرْبَ غلامٍ هاشميّ قرشيّ

ففعل ذلك مراراً وأهل الكوفة يتّقون قتله، فبصر به مرّة بن منقذ العبدي فـقال: عليَّ آثام العرب إن مرّ بي يفعل مثل ذلك إن لم أثكله أباه، فمرّ يشتدّ على الناس كما مرّ في الأوّل، فاعترضه مرّة بن منقذ فطعنه فصرع، واحـتواه القـوم فـقطّعوه بأسيافهم، فجاء الحسين عليه السلام حتّى وقف عليه فقال: قَتَلَ اللهُ قوماً قَتَلوكَ يا بنيّ، ما أجرأهم على الرحمان وعلى انتهاك حرمة الرسول! وانهملت عيناه بالدموع، ثـمّ قال: على الدنيا بعدك العفاء!!

•وخرجت زينب أُخت الحسين مسرعة تنادي: يا أُخياه وابن أُخياه! وجـاءت ١٠٧/٢
حتّى أكبّت عليه، فأخذ الحسين برأسها فردّها إلى الفسطاط، وأمر فـتيانه فـقال: احملوا أخاكم، فحملوه حتّى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

ثمّ رمى رجل من أصحاب عمر بن سعد يقال له: عمرو بن صبيح عبدالله بـن مسلم بن عقيل عليه السلام بسهم، فوضع عبدالله يده على جبهته يتّقيه، فأصاب السهم كـفّه ونفذ إلى جبهته فَسَمَرَها به، فلم يستطع تحريكها، ثمّ انتحى عليه آخر برمحه فطعنه في قلبه فقتله.

وحمل عبدالله بن قطبة الطائي على عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فَقَتَلَه. وحمل عامر بن نهشل التيمي على محمّد بن عـبدالله بـن جـعفر بـن أبـي طالب رضي الله عنه فَقَتَله.

وشد عثمان بن خالد الهمداني على عبد الرحمن بن عقيل بـن أبـي طـالب رضي الله عنه فَقَتَلَه.

قال حميد بن مسلم: فإنّا لكذلك إذ خرج علينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر، في يده سيف، وعليه قميص وإزار ونعلان، قد انقطع شسع إحداهما، فقال لي عمر بن سعيد بن نفيل الأزدي: والله، لأشدّنّ عليه، فقلت: سبحان الله! وما تريد بـذلك؟! دعه يكفيكه هؤلاء القوم الذين ما يبقون على أحد منهم، فقال: والله، لأشدّنّ عليه، فشدّ عليه فما ولّى حتّى ضرب رأسه بالسيف فَفَلَقَهُ، ووقع •الغلام لوجهه فقال: يا ١٠٨/٢

عمّاه! فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر، ثمّ شدّ شدّة ليثٍ أغضب، فضرب عمر بن سعيد بن نفيل بالسيف، فاتّقاها بالساعد فأطنّها من لدن المرفق، فصاح صيحة سمعها أهل العسكر، ثمّ تنحّى عنه الحسين عليه السلام. وحملت خيل الكوفة لتستنقذه فتوطّأته بأرجلها حتّى مات.

وانجلت الغبرة فرأيت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام ـ وهو يفحص برجله والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك ومَن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك، ثمّ قال: عزّ ـ والله ـ على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبكفلا ينفعك، صوت ـ والله ـ كثر واتروه، وقل ناصروه، ثمّ حمله على صدره، فكأنّي أنظر إلى رجلي الغلام تخطّان الأرض، فجاء به حتّى ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين والقتلى من أهل بيته، فسألت عنه فقيل لي: هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

ثمّ جلس الحسين عليه السلام أمام الفسطاط فأُتي بابنه عبدالله بن الحسين وهو طفل، فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسد بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام دمه، فلمّا ملأ كفّه صبّه في الأرض، ثمّ قال: ربّ إن تكن حبست عنّا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء القوم الظالمين، ثمّ حمله حتّى وضعه مع قتلى أهله.

١٠٩/٢ • ورمى عبدالله بن عقبة الغنوي أبا بكربن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فَقَتَلَه.

فلمّا رأى العبّاس بن عليّ (رحمة الله عليه) كثرة القتلى في أهله، قال لإخوته من أُمّه ـ وهم عبدالله وجعفر وعثمان ـ: يا بني أُمّي، تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، فإنّه لا ولد لكم.

فتقدّم عبدالله فقاتلَ قتالاً شديداً، فاختلف هو وهانئ بن ثبيت الحضرمي ضربتين فقتله هانئ (لعنه الله).

وتقدّم بعده جعفر بن عليّ رضي الله عنه فقتله أيضاً هانئ.

وتعمّد خوليّ بن يزيد الأصبحي عثمان بن عليّ رضي الله عنه وقد قام مقام إخوته فرماه

بسهم فصرعه، وشدّ عليه رجل من بني دارم فاحتزّ رأسه.

وحملت الجماعة على الحسين عليه السلام فغلبوه على عسكره، واشتدّ به العطش، فركب المسنّاة يريد الفرات وبين يديه العبّاس أخوه، فاعترضته خيل ابن سعد وفيهم رجل من بني دارم فقال لهم: ويلكم حولوا بينه وبين الفرات ولا تمكّنوه من الماء، فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ أظمئه، فغضبَ الدارميّ ورماه بسهم فأثبته في حنكه، فانتزع الحسين عليه السلام السهم وبسط يده تحت حنكه فامتلأت راحتاه بالدم، فرمى به، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك.

ثمّ رجع إلى مكانه وقد اشتدّ به العطش.

وأحاط القوم بالعبّاس فاقتطعوه عنه، فجعل يقاتلهم وحده حتّى قتل •(رضوان الله عليه) وكان المتولّي لقتله زيد بن ورقاء الحنفي وحكيم بن الطفيل السنبسي بعد أن أُثخن بالجراح فلم يستطع حراكاً. ١١٠/٢

ولمّا رجع الحسين عليه السلام من المسنّاة إلى فسطاطه تقدّم إليه شمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحابه فأحاط به، فأسرع منهم رجل يقال له: مالك بن النسر الكندي، فَشَتَم الحسينَ وضربه على رأسه بالسيف، وكان عليه قلنسوة فقطعها حتّى وصل إلى رأسه فأدماه، فامتلأت القلنسوة دماً، فقال له الحسين: لا أكلت بيمينك ولا شربت بها، وحشرك الله مع الظالمين، ثمّ ألقى القلنسوة ودعا بخرقة فشدّ بها رأسه، واستدعى قلنسوة أُخرى فلبسها واعتمّ عليها، ورجع عنه شمر بن ذي الجوشن ومن كان معه إلى مواضعهم، فمكث هنيهة، ثمّ عاد وعادوا إليه وأحاطوا به. فخرج إليهم عبدالله بن الحسن بن عليّ عليهما السلام ـ وهو غلام لم يراهق ـ من عند النساء يشتدّ حتّى وقف إلى جنب الحسين، فلحقته زينب بنت عليّ عليهما السلام لتحبسه، فقال لها الحسين: أحبسيه يا أُختي، فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً وقال: والله، لا أُفارق عمّي، وأهوى أبجر بن كعب إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمّي؟! فضربه أبجر بالسيف فاتّقاها الغلام بيده، فأطنّها إلى

الجلدة، فإذا يده معلّقة، ونادى الغلام: يا أُمّتاه! فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: يا ابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين.

١١١/٢ ثمّ رفع الحسين عليه السلام يده وقال: اللّهمّ إن متّعتهم إلى •حين ففرّقهم فرقاً، واجعلهم طرائقَ قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا فقتلونا.

وحملت الرجّالة يميناً وشمالاً على من كان بقي مع الحسين، فقتلوهم حتّى لم يبقَ معه إلّا ثلاثة نفر أو أربعة.

فلمّا رأى ذلك الحسين دعا بسراويل يمانية يلمع فيها البصر، فَفَزَرَها، ثمّ لبسها، وإنّما فزرها لكي لا يسلبها بعد قتله.

فلمّا قتل عمد أبجر بن كعب إليه فسلبه السراويل وتركه مجرّداً، فكانت يدا أبجر بن كعب بعد ذلك تيبسان في الصيف حتّى كأنّهما عودان، وتترطّبان في الشتاء فتنضحان دماً وقيحاً إلى أن أهلكه الله.

فلمّا لم يبقَ مع الحسين عليه السلام أحد إلّا ثلاثة رهط من أهله، أقبل على القوم يدفعهم عن نفسه والثلاثة يحمونه، حتّى قتل الثلاثة وبقي وحده وقد أُثخن بالجراح في رأسه وبدنه، فجعل يضاربهم بسيفه وهم يتفرّقون عنه يميناً وشمالاً.

فقال حميد بن مسلم: فوالله، ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه عليه السلام، إن كانت الرجّالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه، فتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب.

فلمّا رأى ذلك شمر بن ذي الجوشن استدعى الفرسان، فصاروا في ظهور الرجّالة، وأمر الرماة أن يرموه، فرشقوه بالسهام حتّى صار •كالقنفذ فأحجم عنهم، ١١٢/٢ فوقفوا بإزائه، وخرجت أُخته زينب إلى باب الفسطاط فنادت عمر بن سعد بن أبي وقاص: ويحك يا عمر! أَيُقتَلُ أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟ فلم يجبها عمر بشيء،

فنادت: ويحكم أما فيكم مسلم؟! فلم يجبها أحد بشيء.

ونادى شمر بن ذي الجوشن الفرسان والرجّالة، فقال: ويحكم ما تنتظرون بالرجل؟ ثكلتكم أُمّهاتكم! فَحُمِلَ عليه من كلّ جانب فضربه زرعة بن شريك على كفّه اليسرى فقطعها، وضربه آخر منهم على عاتقه فكبا منها لوجهه، وطعنه سنان بن أنس بالرمح فصرعه، وبدر إليه خوليّ بن يزيد الأصبحي لعنه الله فنزل ليحتزّ رأسه فأرعد، فقال له شمر: فَتَّ اللهُ في عضدكَ، ما لك ترعد؟

ونزل شمر إليه فذبحه، ثمّ دفع رأسه إلى خوليّ بن يزيد، فقال: أحمله إلى الأمير عمر بن سعد.

ثمّ أقبلوا على سلب الحسين عليه السلام، فأخذ قميصه إسحاق بن حياة الحضرمي، وأخذ سراويله أبجر بن كعب، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد، وأخذ سيفه رجل من بني دارم، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله، وسلبوا نساءه.

قال حميد بن مسلم: فوالله، لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتّى تغلب عليه، فيذهب به منها، ثمّ انتهينا إلى عليٍّ بن الحسين عليه السلام، وهو منبسط على فراش، وهو •شديد المرض، ومع شمر جماعة من ١١٣/٢
الرجّالة فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟ فقلت: سبحان الله! أيقتل الصبيان؟ إنّما هو صبّي وإنّه لما به، فلم أزل حتّى رددتهم عنه.

وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تعرّضوا لهذا الغلام المريض، وسألته النسوة ليسترجع ما أخذ منهنّ ليتسترن به، فقال: من أخذ من متاعهنَّ شيئاً فليردّه عليهنّ؟ فوالله، ما ردّ أحد منهم شيئاً، فوكل بالفسطاط وبيوت النساء وعليّ بن الحسين جماعة ممّن كانوا معه، وقال: احفظوهم لئلّا يخرج منهم أحد، ولا تسيئنَّ إليهم.

ثمّ عاد إلى مضربه ونادى في أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة، منهم: إسحاق بن حياة، وأخنس بن مرثد، فداسوا الحسين عليه السلام بخيولهم حتّى رضّوا ظهره.

وسرّح عمر بن سعد من يومه ذلك ـ وهو يوم عاشوراء ـ برأس الحسين عليه السلام مع خوليّ بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فَنُظِّفَت، وكانت اثنين وسبعين رأساً، وسرّح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج، فأقبلوا حتّى
١١٤/٢ قدموا بها على •ابن زياد.

وأقام بقيّة يومه واليوم الثاني إلى زوال الشمس، ثمّ نادى في الناس بالرحيل وتوجّه إلى الكوفة ومعه بنات الحسين وأخواته، ومن كان معه من النساء والصبيان، وعليّ بن الحسين فيهم، وهو مريض بالذرب[1] وقد أشفى.[2]

ولمّا رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين وأصحابه (رحمة الله عليهم) فصلّوا عليهم، ودفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه عليّ بن الحسين الأصغر عند رجليه، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً، ودفنوا العبّاس بن عليّ عليهما السلام في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن.

ولمّا وصل رأس الحسين عليه السلام ووصل ابن سعد (لعنه الله) من غد يوم وصوله ومعه بنات الحسين وأهله، جلس ابن زياد للناس في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عامّاً، وأمر بإحضار الرأس فوضع بين يديه، فجعل ينظر إليه ويتبسّم، وفي يده قضيب يضرب به ثناياه، وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهو شيخ كبير ـ فلمّا رآه يضرب بالقضيب ثناياه قال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين،
١١٥/٢ فوالله الذي لا إله غيره، لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما ما لا أحصيه •كثرة تقبّلهما، ثمّ انتحب باكياً.

---

١. الذَّرَب: المرض الذي لا يبرأ (لسان العرب: ج ١ ص ٣٨٦ (ذرب)».

٢. أَشفَي المريض: قرب من الموت (أُنظر: الصحاح: ج ٦ ص ٢٣٩٤ (شفا)».

فقال له ابن زياد: أبكى اللهُ عينيكَ، أتبكي لفتح الله؟! والله، لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فنهض زيد بن أرقم من بين يديه وصار إلى منزله.

وأُدخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد، فدخلت زينب أُخت الحسين في جملتهم متنكّرة وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتّى جلست ناحية من القصر وحفّت بها إماؤها، فقال ابن زياد: مَن هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها، فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله، فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وطهّرنا من الرجس تطهيراً، وإنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله.

فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت: كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّون إليه وتختصمون عنده.

فغضب ابن زياد واستشاط، فقال عمرو بن حريث: أيّها الأمير، إنّها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، ولا تذمّ على خطابها.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك!!

• فَرَقَت[1] زينب عليها السلام وبكت وقالت له: لعمري، لقد قتلت كهلي، وأَبَدتَ أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت. ١١٦/٢

فقال ابن زياد: هذه سجاعة، ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فقالت: ما للمرأة والسجاعة؟ إن لي عن السجاعة لشغلاً، ولكن صدري نفث بما

---

١. فَرَقَتْ: أي صاحت (الصحاح: ج ٦ ص ٢٣٦٨ (زقا)). وفي بعض النسخ: «فَرَقّت».

قلت.

وعرض عليه عليّ بن الحسينعليه السلام فقال له: من أنت؟ فقال: أنا عليّ بن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله عليَّ بن الحسين؟

فقال له عليّعليه السلام: قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس. فقال له ابن زياد: بل الله قتله.

فقال عليّ بن الحسينعليه السلام: ﴿اَللَّهُ يَتَوَفَّى اَلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقيّة للردّ عليَّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه، فتعلّقت به زينب عمّته وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله، لا أفارقه فإن قتلته •فاقتلني معه؟ فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة، ثمّ قال: عجباً للرحم! والله، إني لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه، دعوه فإنّي أراه لما به. ١١٧/٢

ثمّ قام من مجلسه حتّى خرج من القصر، ودخل المسجد فصعد المنبر فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب وشيعته.

فقام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي ـ وكان من شيعة أمير المؤمنينعليه السلام ـ فقال: يا عدوّ الله، إنّ الكذّاب أنت وأبوك، والذي ولّاك وأبوه، يا ابن مرجانة، تقتل أولاد النبيّين وتقوم على المنبر مقام الصدّيقين؟! فقال ابن زياد: عليَّ به؟ فأخذته الجلاوزة، فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمئة رجل فانتزعوه من الجلاوزة، فلمّا كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته، فضرب عنقه وصلبه في السبخةرحمه الله.

ولمّا أصبح عبيد الله بن زياد بعث برأس الحسينعليه السلام فدير به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها، فروي عن زيد بن أرقم أنّه قال: مُرَّ به عليَّ وهو على رمح وأنا في غرفة، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ اَلْكَهْفِ وَاَلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

﴿ءَايَـتِنَا عَـجَبًا﴾ فَقَفَّ[1] ـ والله ـ شعري وناديت: رأسك والله ـ يـا ابـن رسـول الله ـ أعجب وأعجب.

١١٨/٢ •ولمّا فرغ القوم من التطواف به بالكوفة، ردّوه إلى باب القصر، فدفعه ابن زياد إلى زحر بن قيس، ودفع إليه رؤوس أصحابه، وسرّحه إلى يزيد بن معاوية عليهم لعائن الله ولعنة اللاعنين في السماوات والأرضين، وأنفذ معه أبا بـردة بـن عـوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة، حتّى وردوا بها على يزيد بدمشق.

فروى عبدالله بن ربيعة الحميري فقال: إنّي لعند يزيد بن معاوية بدمشق، إذ أقبل زحر بن قيس حتّى دخل عليه، فقال له يزيد: ويلك ما وراءك وما عندك؟ قـال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته وستّين من شيعته، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا أو ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال على الاستسلام، فـغدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كلّ ناحية، حتّى إذا أخـذت السـيوف مآخذها من هام القوم، جعلوا يهربون إلى غير وزر، ويَلوذونَ منّا بالآكام والحفر لواذاً كما لاذَ الحمائم من صقر، فوالله يا أمير المؤمنين، ما كانوا إلّا جزر جزور أو نومة قائل، حتّى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مـجرّدة، وثـيابهم مـرمّلة، وخدودهم معفّرة، تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الرياح، زوّارهم العقبان والرخم.

١١٩/٢ فأطرق يزيد هنيهة، ثمّ رفع رأسه فقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون •قتل الحسين، أما لو أنّي صاحبه لعفوت عنه.

ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد بعد إنفاذه برأس الحسين عليه السلام أمر بنسائه وصبيانه فجهّزوا، وأمر بعليّ بن الحسين فَغُلّ بغلّ إلى عنقه، ثمّ سرّح بهم في أثر الرأس مع مجفر بن

---

١. قَفَّ شعري: أي قام من الفزع (الصحاح: ج ٤ ص ١٤١٨ (قفف)).

ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن، فانطلقوا بهم حتّى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس، ولم يكن عليّ بن الحسينعليه السلام يكلّم أحداً من القوم في الطريق كلمة حتّى بلغوا.

فلمّا انتهوا إلى باب يزيد رفع مجفر بن ثعلبة صوته فقال: هذا مجفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة!

فأجابه عليّ بن الحسينعليه السلام: ما وَلَدَتْ أُمُّ مجفر أَشَرُّ وأَلأَمُ.

قال: ولمّا وضعت الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحسينعليه السلام قال يزيد:

نفلّق هاماً مِن رجالٍ أعزّة ... علينا وَهُم كانوا أعقَّ وأَظلَما

فقال يحيى بن الحكم ـ أخو مروان بن الحكم ـ وكان جالساً مع يزيد:

لَهامٌ بأَدنَى الطفِّ أدنَى قَرابةً ... من ابنِ زياد العبدِ ذي الحَسَب الرذلِ

أُميّةُ أَمسَى نَسلُها عَدَدَ الحصى ... وبنتُ رسولِ الله لَيسَ لها نسلُ[1]

فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت، ثمّ قال لعليّ بن الحسين: يا ابن حسين، أبوك قطع رحمي، وجهل حقّي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت.

فقال عليّ بن الحسين: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

فقال يزيد لابنه خالد: أُردد عليه، فلم يدر خالد ما يردّ عليه. فقال له يزيد: قل: ﴿وَمَا أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾.

ثمّ دعا بالنساء والصبيان فأُجلسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة فقال: قبّح الله ابن مرجانة، لو كانت بينكم وبينه قرابة رحم ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم على هذه

---

١. لا يخفي أنّ وحدة القافية في هذه الأبيات تقتضي أن تكون كلمة «نسل» مجرورة، فقد جاءت في بعض المقاتل هكذا: «من نسل»، وفي بعضها هكذا: «وبنت رسول الله ليست بذي نسل».

الصورة.

١٢١/٢ •قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: فلمّا جلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية ـ يعنيني، وكنت جارية وضيئة ـ فأرعدت وظننت أنّ ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمّتي زينب، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون.

فقالت عمّتي للشامي: كذبت ـ والله ـ ولؤمت، والله، ما ذلك لك ولا له.

فغضب يزيد وقال: كذبت، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت.

قالت: كلا والله، ما جعل الله لك ذلك إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها.

فاستطار يزيد غضباً وقال: إيّاي تستقبلين بهذا؟! إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك.

قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدّك وأبوك إن كنت مسلماً.. قال: كذبتِ يا عدوّة الله.

قالت له: أنت أمير، تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، فكأنّه استحيا وسكت.

فعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية. فقال له يزيد: اغرب، وَهَبَ اللهُ لَكَ حتفاً قاضياً.

١٢٢/٢ •ثمّ أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهنّ أخوهن عليّ بن الحسين عليه السلام، فأفرد لهم داراً تتّصل بدار يزيد، فأقاموا أيّاماً، ثمّ ندب يزيدُ النعمانَ بن بشير وقال له: تجهّز لتخرج بهؤلاء النسوان إلى المدينة.

ولمّا أراد أن يجهّزهم، دعا عليّ بن الحسين عليه السلام فاستخلاه، ثمّ قال له: لعن اللهُ ابنَ مرجانة، أَمَ والله، لو أنّي صاحب أبيك ما سألني خصلة أبداً إلّا أعطيته إيّاها، ولدفعت الحتفَ عنه بكلِّ ما استطعت، ولكنّ اللهَ قضى ما رأيت؟ كاتبني من المدينة وأنّه كلّ حاجة تكون لك. وتقدّم بكسوته وكسوة أهله، وأنفذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولاً تقدّم إليه أن يسير بهم في الليل، ويكونوا أمامه حيث لا

يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم حيث إذا أراد إنسان من جماعتهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم. فسار معهم في جملة النعمان، ولم يزل ينازلهم في الطريق ويرفق بهم ـ كما وصّاه يزيد ـ ويرعونهم حتّى دخلوا المدينة.

فصل

١٢٣/٢ • ولمّا أنفذ ابن زياد برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، تقدّم إلى عبد الملك بن أبي الحديث السلمي فقال: انطلق حتّى تأتي عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة فبشّره بقتل الحسين، فقال عبد الملك: فركبت راحلتي وسرت نحو المدنية، فلقيني رجل من قريش، فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير تسمعه، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! قتل ـ والله ـ الحسين.

ولمّا دخلت على عمرو بن سعيد قال: ما وراءك؟ فقلت: ما سرّ الأمير، قتل الحسين بن علي، فقال: اخرج فناد بقتله، فناديت، فلم أسمع والله واعية قطّ مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن عليّ عليهما السلام حين سمعوا النداء بقتله، فدخلت على عمرو بن سعيد، فلمّا رآني تبسّم إليَّ ضاحكاً، ثمّ أنشأ متمثّلاً بقول عمرو بن معدي كرب:

عجّت نساءُ بني زياد عَجَّةً ... كعجيجِ نِسوتنا غداةَ الأرنبِ

ثمّ قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان. ثمّ صعد المنبر فأعلم الناس قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام، ودعا ليزيد بن معاوية ونزل.

١٢٤/٢ • ودخل بعض موالي عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فنعى إليه ابنيه، فاسترجع، فقال أبو السلاسل مولى عبدالله: هذا ما لقينا من الحسين بن عليّ! فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله، ثمّ قال: يا ابن اللخناء، أللحسين تقول هذا؟! والله، لو شهدته لأحببت ألّا أُفارقه حتّى أُقتل معه، والله، إنّه لمّما يسخي بنفسي عنهما ويعزّيني عن المصاب بهما أنّهما أُصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيين له، صابرين

معه. ثمّ أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله، عزّ عليَّ مصرع الحسين، إن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولديَّ.

وخرجت أُمّ لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين عليه السلام حاسرة ومعها أخواتها: أُمّ هانئ، وأسماء، ورملة، وزينب، بنات عقيل بن أبي طالب (رحمة الله عليهنّ) تبكي قتلاها بالطفّ، وهي تقول:

ماذا تقولونَ إذ قالَ النبيُّ لَكُم ... ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأُمم
بِعِترَتي وبأهلي بعد مُفتقَدي ... منهم أُسارى وَمِنهم ضُرّجوا بدمِ
ما كانَ هذا جَزائي إذ نَصَحتُ لكم ... أَن تخلفوني بسوء في ذوي رَحِمي

فلمّا كان الليل من ذلك اليوم الذي خطب فيه عمرو بن سعيد بقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام بالمدينة، سمع أهل المدينة في جوف الليل منادياً ينادي، يسمعون صوته ولا يرون شخصه:

•أيُّها القاتِلونَ جهلاً حُسيناً ... أَبشِروا بالعذابِ والتَنكيلِ ١٢٥/٢
كلُّ أَهلِ السماء يَدعو عَليكم ... من نبيٍّ وملاك وقبيلِ
قد لُعِنتم على لِسانِ ابن داود ... وموسى وصاحبِ الإنجيلِ

فصل

أسماء من قتل مع الحسين بن عليّ عليه السلام من أهل بيته بطفّ كربلاء، وهم سبعة عشر نفساً، الحسين بن عليّ عليه السلام ثامن عشر، منهم: العبّاس وعبدالله وجعفر وعثمان بنو أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام، أُمّهم أُمّ البنين.

و عبدالله وأبو بكر ابنا أمير المؤمنين عليهما السلام، أُمّهما ليلى بنت مسعود الثقفية.

وعليّ وعبدالله ابنا الحسين بن عليّ عليهما السلام.

والقاسم وأبو بكر وعبدالله بنو الحسن بن عليّ عليهما السلام.

ومحمّد وعون ابنا عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رحمة الله عليهم.

١٢٦/٢ وعبدالله وجعفر وعبد الرحمان بنو عقيل بن أبي طالب. •ومحمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب رحمة الله عليهم أجمعين.

فهؤلاء سبعة عشر نفساً من بني هاشم (رضوان الله عليهم أجمعين) إخوة الحسين وبنو أخيه وبنو عمّيه جعفر وعقيل، وهم كلّهم مدفونون ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام في مشهده حفر لهم حفيرة، وأُلقوا فيها جميعاً وسوّي عليهم التراب، إلّا العبّاس بن عليّ (رضوان الله عليه) فإنّه دفن في موضع مقتله على المسنّاة بطريق الغاضرية وقبره ظاهر، وليس لقبور إخوته وأهله الذين سقيناهم أثر، وإنّما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين عليه السلام ويومئ إلى الأرض التي نحو رجليه بالسلام، وعليّ بن الحسين عليهما السلام في جملتهم، ويقال: إنّه أقربهم دفناً إلى الحسين عليه السلام.

فأمّا أصحاب الحسين (رحمة الله عليهم) الذين قتلوا معه، فإنّهم دفنوا حوله، ولسنا نحصل لهم أجداثاً على التحقيق والتفصيل، إلّا أنّا لا نشكّ أنّ الحائر محيط بهم رضي الله عنهم وأرضاهم وأسكنهم جنّات النعيم.

باب طرف من فضائل الحسين عليه السلام وفضل زيارته وذكر مصيبته

١٢٧/٢ •روى سعيد بن راشد، عن يعلى بن مرّة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط.

وروى ابن لهيعة، عن أبي عوانة رفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله: إنّ الحسن والحسين شنفا[1] العرش، وإنّ الجنّة قالت: يا ربّ أسكنتني الضعفاء والمساكين؟ فقال الله لها: ألا ترضين أنّي زَيَّنتُ أركانك بالحسن والحسين، قال:
١٢٨/٢ فماست[2] كما تميس العروس •فرحاً.

وروى عبدالله بن ميمون القدّاح، عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: اصطرع الحسن والحسين عليهما السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله: إيهاً حسن، خذ

---

١. الشنف: قرط يلبس في أعلي الأُذن (اُنظر: الصحاح: ج ٤ ص ١٣٨٣ «شنف»).

٢. الميس: التبختر (الصحاح: ج ٣ ص ٩٨٠ (ميس)».

حسيناً، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله، أتستنهض الكبير على الصغير؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل عليه السلام يقول للحسين: إيهاً يا حسيناً، خذ الحسن.

وروى إبراهيم بن الرافعي، عن أبيه، عن جدّه، قال: رأيت الحسن والحسين عليهما السلام يمشيان إلى الحجّ، فلم يمرّا براكب إلّا نزل يمشي، فثقل ذلك على بعضهم، فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد ثقل علينا المشي، ولا نستحسن أن نركب وهذان السيّدان يمشيان، فقال سعد للحسن عليه السلام: يا أبا محمّد، إنّ المشي قد ثقل على جماعة ممّن معك، والناس إذا رأوكما تمشيان لم تطب أنفسهم أن يركبوا، فلو ركبتما، فقال ١٢٩/٢
الحسن عليه السلام: لا نركب، قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على أقدامنا، ولكنّنا نتنكّب الطريق، فأخذا جانباً من الناس.

وروى الأوزاعي، عن عبدالله بن شدّاد عن أُمّ الفضل بنت الحارث: أنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، رأيت الليلة حلماً منكراً، قال: وما هو؟ قالت: إنّه شديد، قال: ما هو؟

قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك، فولدت فاطمة الحسين عليه السلام.

فقالت: وكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخلت به يوماً على النبيّ صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره، ثمّ حانت منّي التفاتة، فإذا عينا رسول الله عليه وآله السلام تهراقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، ما لكَ؟!

قال: أتاني جبرئيل عليه السلام، فأخبرني أن أُمّتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمراء.

وروى سمّاك، عن ابن مخارق، عن أُمّ سلمة (رضي الله عنها) قالت: بينا رسول ١٣٠/٢
الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس والحسين عليه السلام جالس في حجره، إذ همّلت عيناه بالدموع، فقلت له: يا رسول الله، ما لي أراك تبكي، جعلت فداك؟! فقال: جاءني جبرئيل عليه السلام

فعزّاني بابني الحسين، وأخبرني أنّ طائفة من أُمّتي تقتله، لا أنالهم الله شفاعتي.

وروي بإسناد آخر عن أُمّ سلمة (رضي الله عنها) أنّها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً، ثمّ جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت: يا رسول الله، ما لي أراك شعثاً مغبرّاً؟!

فقال: أُسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له: كربلاء، فأُريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم فها هي في يدي وبسطها إليَّ، فقال: خذيها واحتفظي بها، فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وسددت رأسها واحتفظت به، فلمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً نحو العراق، كنت أخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة، فأشمّها وأنظر إليها، ثمّ أبكي لمصابه، فلمّا كان في اليوم •العاشر من المحرّم ـ وهو اليوم الذي قتل فيه عليه السلام ـ أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها، ثمّ عدت إليها آخر النهار، فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت حتّى جاء الناعي ينعاه، فحقّق ما رأيت. ١٣١/٢

وروي: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان ذات يوم جالساً وحوله عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال لهم: كيف بكم إذا كنتم صرعى وقبوركم شتّى؟

فقال له الحسين عليه السلام: أنموت موتاً أو نقتل؟ فقال: بل تقتل يا بني ظلماً، ويقتل أخوك ظلماً، وتشرّد ذراريكم في الأرض.

فقال الحسين عليه السلام: ومن يقتلنا يا رسول الله؟ قال: شرار الناس، قال: فهل يزورنا بعد قتلنا أحد؟ قال: نعم، طائفة من أُمّتي يريدون بزيارتكم برّي وصلتي، فإذا كان يوم القيامة جِئتُهُم إلى الموقف حتّى آخذ بأعضادهم، فأُخلّصهم من أهواله وشدائده.

وروى عبدالله بن شريك العامري، قال: كنت أسمع أصحاب عليّ عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا •قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام، وذلك قبل ١٣٢/٢

قتله بزمان.

وروى سالم بن أبي حفصة، قال: قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام: يا أبا عبدالله، إن قبلنا ناساً سفهاء، يزعمون أنّي أقتلك، فقال له الحسين عليه السلام: إنّهم ليسوا بسفهاء ولكنّهم حلماء، أما إنّه يقرّ عيني ألّا تأكل برّ العراق بعدي إلّا قليلاً.

وروى يوسف بن عبدة، قال: سمعت محمّد بن سيرين يقول: لم تر هذه الحمرة في السماء إلّا بعد قتل الحسين عليه السلام.

وروى سعد الإسكاف، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: كان قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا، وقاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ولد زنا، ولم تحمرّ السماء إلّا لهما.

وروى سفيان بن عيينة، عن عليّ بن يزيد، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام، فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلّا ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل.

• وتظاهرت الأخبار بأنّه لم ينج أحد من قاتلي الحسين عليه السلام وأصحابه (رضي الله عنهم) من قتل أو بلاء افتضح به قبل موته. ١٣٣/٢

فصل

ومضى الحسين عليه السلام في يوم السبت العاشر من المحرّم سنة إحدى وستّين من الهجرة بعد صلاة الظهر منه قتيلاً مظلوماً ظمآن صابراً محتسباً ـ على ما شرحناه ـ وسنّه يومئذ ثمان وخمسون سنة، أقام منها مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثين سنة، ومع أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين، وكانت مدّة خلافته بعد أخيه إحدى عشره سنة، وكان عليه السلام يخضّب بالحنّاء والكتم، وقتل عليه السلام وقد نصل الخضاب من عارضيه.

وقد جاءت روايات كثيرة في فضل زيارته عليه السلام، بل في وجوبها، فروي عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: زيارة الحسين بن عليّ عليهما السلام واجبة على كلّ من

يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ.

• وقال عليه السلام: زيارة الحسين عليه السلام تعدل مئة حجّة مبرورة، ومئة عمرة متقبّلة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زار الحسين عليه السلام بعد موته فله الجنّة. والأخبار في هذا الباب كثيرة، وقد أوردنا منها جملة كافية في كتابنا المعروف بمناسك المزار.

باب ذكر ولد الحسين بن عليّ عليهما السلام

وكان للحسين عليه السلام ستّة أولاد: عليّ بن الحسين الأكبر، كنيته أبو محمّد، وأُمّه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد. وعليّ بن الحسين الأصغر، قتل مع أبيه بالطفّ، وقد تقدّم ذكره فيما سلف، وأُمه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفية. وجعفر بن الحسين، لا بقيّة له، وأُمه قضاعية، وكانت وفاته في حياة الحسين. وعبدالله بن الحسين، قتل مع أبيه صغيراً، جاءه سهم وهو في حجر أبيه فذبحه، وقد تقدّم ذكره فيما مضى. وسكينة بنت الحسين، وأُمّها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي، كلبية، وهي أُمّ عبدالله بن الحسين. وفاطمة بنت الحسين، وأُمّها أُم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، تيمية.

الفصل الثالث

مَقْتَلُ سَيِّدِ الشُّهَداءِ بِرِوايَةِ كِتابِ الفُتُوحِ

الفتوح لأبي محمّد أحمد بن أعثم الكوفي (المتوفّى حوالي ٣١٤ هـ. ق)، مؤرّخ شهير، وفي عداد المؤرّخين القدامى؛ نظير اليعقوبي، والطبري، والدينوري. وقد ذكر في كتابه الفتوح أخبار المسلمين من وفاة النبيّ الأعظمﷺ وحتّى قرن من بدء الخلافة العبّاسية (حوالي منتصف القرن الثالث الهجري) وقد خصّص قسماً لا يستهان به يبلغ حوالي تُسع كتابه للنهضة الحسينيّة.

ورغم أنّه لم يذكر إسناد كلّ واحد من الأخبار على الطريقة المتعارف عليها بين المؤرّخين، إلّا أنّه قدّم عنها فهرساً قصيراً في بداية الكتاب وفي تضاعيفه أحياناً.[1]

وقد استند ابن أعثم إلى المصادر القصصيّة إلى جانب المصادر التاريخيّة، بل قد يكون هو نفسه قد حوّل بعضها إلى أُسلوب قصصي، رغم أنّ ذلك قد يقلّل من قيمة الكتاب العامّة، إلّا أنّه أدّى إلى أن تذكر في الفتوح أحياناً روايات دقيقة ومفصّلة بشكل فريد من نوعه، أو أن يقدّم خلال المقارنة مع النصوص الأُخرى، روايات أكثر كمالاً وتفصيلاً عن وقائع عاشوراء. والملاحظة المهمّة في هذا المجال أنّ بعض روايات ابن أعثم لا نجدها في الكتب التاريخيّة إلّا قليلاً، ولكنّها

---

١. راجع: ج ٣ ص ٨٧ (القسم السابع / الفصل الرابع / كلام حول رواية قدوم ابن زياد إلى الكوفة بعد انطلاق الإمامؑ من مكّة).

جاءت بين الحين والآخر في المصادر الأُخرى مثل كتب الحديث والسيرة بنفس الشكل، أو مع بعض الاختلافات وبشكل إجمالي.[١]

وقد ذكرنا هنا القسم المتعلق بثورة الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده من هذا الكتاب بصورة كاملة وفي موضع واحد.[٢] ويبدأ من موت معاوية وإن يزيد كان قد خرج للصيد إلى خارج دمشق ورجع إلى دمشق بعد ثلاثة أيّام من دفن معاوية. وينتهي بالاحداث المتعلقة بمجيء اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله إلى الشام.

قال [ابن أعثم]:

وسار يزيد ومعه جماعة إلى قبر معاوية، فجلس وانتحب ساعة وبكى، وبكى الناس معه، ثمّ قام عن القبر وأنشأ يقول:

جاءَ البريدُ بِقرطاسٍ يَحثُّ بِهِ ... فَأَوجَسَ القَلبُ مِن قرطاسِهِ فزعا

قُلنا لَكَ الوَيلُ ماذا في كِتابِكِم ... قالَ الخَليفةُ أَمسى مُدنفاً وجعا

٧/٥ مادَت بنا الأرضُ أو كادت تميدُ بنا ... كأنّما العِزّ من أركانها انقَطعا

إنّا نسيرُ على جردٍ مسوّمة ... يغشى العجاج بنا والنجمُ ما طَلعا

لسنا نُبالي إذا بلّغنَ أرحلنا ... ما ماتَ منهنَّ بالبيداءِ أو ظَلعا

حَتَّى دَفَنّا لخيرِ الناسِ كُلُّهِم ... و خيرهم منتمى جِدّاً ومضطجعا

أَغرُّ أبلجُ يُستسقى الغمام به ... لو صارَعَ الناس عَن أَحلامِهِم صُرعا

مَن لا تَزالُ له نفسٌ على شرفٍ ... و شدّ مقدار تِلكَ النفسِ أن تَقَعا

---

١. راجع: الفتوح (ج ٥ ص ١٩) الرؤيا الصادقة للإمام الحسين عليه السلام في ليلة الخروج من المدينة، حيث يذكّر النبي صلى الله عليه وآله بشهادته، وكذلك قوله المعروف: «لم أخرج أشراً ولا بطراً...» في الفتوح (ج ٥ ص ٢١) ومقارنته مع رواية ابن شهر آشوب في المناقب (ج ٤ ص ٨٩).

٢. الفتوح: ج ٥ ص ٦ ـ ١٣.

لمّـــا انـــتهينا وبـــابُ الدار مُـــنصَفِقٌ و صـوتُ رمـلة راعَ القَـلبَ فـانصدَعا
أَودَى ابن هـندٍ فـأودَى المَـجد يَـتبعه كـــانا يكـــونان دهـــراً قـاطعينَ مـعا

قال: ثمّ ركب يزيد وسار إلى قبّة لأبيه خضراء، فدخلها وهو معتمّ بعمامة خزّ سوداء، متقلّداً بسيف أبيه معاوية حتّى وصل إلى باب الدار، ثمّ جعل يسير والناس عن يمينه وشماله قد نزلوا عن دوابّهم، وقد ضربت له القباب والفساطيط المدنجة، حتّى صار إلى القبّة الخضراء، فلمّا دخلها نظر، فإذا قد نصبت له فيها فرش كثيرة بعضها على بعض، ويزيد يحتاج أن يرقى عليها بالكراسي.

قال: فصعد حتّى جلس على تلك الفرش، والنـاس يـدخلون عـليه يـهنّئونه بالخلافة ويعزّونه في أبيه، وجعل يزيد يقول: نحن أهـل الحـقّ وأنـصار الديـن، وابشروا يا أهل الشام! فإنّ الخير لم يزل فيكم، وسيكون بيني وبين أهـل العـراق حرب شديد، وقد رأيت في منامي كأنّ نهراً يجري بيني وبينهم دماً عبيطاً، وجعلت أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر، فلم أقدر على ذلك حتّى جاءني عبيد الله بن زياد، فجازه بين يدي وأنا أنظر إليه.

قال:

فأجابه أهل الشام وقالوا: يا أمير المؤمنين، امضِ بنا حيث شئت وأقدم بنا على من •أحببت فنحن بين يديك، وسيوفنا تعرفها أهل العراق في يوم صفّين. ٨/٥

فقال لهم يزيد: أنتم لعمري كذلك، وقد كان أمير المؤمنين معاوية لكم كالأب البارّ بالولد، و كان من العرب أمجدها وأحمدها وأهمدها، وأعظمها خطراً، وأرفعها ذكراً، وأنداها أنامل، و أوسعها فواضل، وأسـماها إلى الفـرع البـاسق، لا يـعتريه الفهاهة في بلاغته، ولا تدخله اللكنة في منطقه، حتّى إذا انقطع من الدنـيا أثـره، وصار إلى رحمة الله تعالى ورضوانه.

قال: فصاح به صائح من أقاصي الناس وقال: كذبت ـ والله ـ يا عدوّ الله! ما كان معاوية والله بهذه الصفة، وإنّما كانت هذه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه أخلاقه وأخلاق أهل بيته، لا معاوية و لا أنت.

قال: فاضطرب الناس، وطلب الرجل فلم يقدروا عليه، وسكت الناس، وقام إلى يزيد رجل من شيعته يقال له: عطاء بن أبي صيفي، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تلتفت إلى مقالة الأعداء و قد أُعطيت خلافة الله من بعد أبيك، فأنت خليفتنا، وابنك معاوية وليّ العهد بعدك، لا نريد به بدلاً، ولا نبغي عنه حولاً، والسلام.

قال: ثمّ أنشأ يقول:

يزيدُ بن أبـي سـفيانَ هَـل لَكُـم ... إلى ثَـنـاءٍ وودٍّ غـير مُـنصَرِمِ
إنّـا نـقولُ ويـقضي (الله) مـعتذراً ... مهما يشار بـنا مـن صـالحِ نـدمِ
أفـتديها بِـلَكْم خَـدَّها يـزيد ... و قالَ خُذها بـلا نكس ولا بَـرَمِ
لا تَـمَهَّدَها فـي دار غـيركُمُ ... إنّي أَخافُ عليكم حسـرةَ النـدمِ
إنَّ الخلافةَ لم تـعرف لِـناكـثكم ... بـينا دعـائمها فـيكم ولم تـرمِ
لا يـزال وفـودٌ فـي ديـاركم ... يَـغشَونَ أبـلَجَ سـبّاقاً إلى الكـرم

قال: فأمر له يزيد بجائزة حسناء، ثمّ قام يزيد على قدميه.

٩/٥ • ذكر كلام يزيد بن معاوية

فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ معاوية كان عبداً من عباد الله، أنعم الله عليه ثمّ قبضه إليه، وهو خير ممّن كان بعده، ودون ممّن كان قبله، ولا أُزكّيه على الله، هو أعلم به منّي، فإن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه، وقد وليت هذا الأمر من بعده، ولست أقصر عن طلب حقّ، ولا أعذر من تفريط في باطل، فإذا

أراد الله شيئاً كان، والسّلام.

قال: ثمّ جلس فصاح الناس من كلّ جانب: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين.

قال: ثمّ تقدم إليه رجل من وجوه أهل الشام حتّى وقف بين يديه رافعاً صوته، وهو يقول:

اصبر يزيدُ فارقتَ ذا ثقةٍ ... و اشكر حباءَ الذي بالملك أصفاكا
رُزءَ أعظم في الأقوام نعلمه ... كما رزئت ولا عُقبى كَعُقباكا
أُعطيت طاعةَ أهل الأرضِ كُلّهم ... فأنتَ ترعاهم واللهُ يَرعاكا
في معاويةَ الباقي لنا خلفٌ ... أما هلكت ولا نسمع بمنعاكا

قال: وبايع الناس بأجمعهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده، وفتح يزيد بيوت الأموال، فأخرج لأهل الشام أموالاً جزيلة، ففرّقها عليهم، ثمّ عزم على الكتب إلى جميع البلاد بأخذ البيعة له. قال: وكان على المدينة يومئذ مروان بن الحكم فعزله يزيد وولّى مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكتب إليه.

ذكر الكتاب إلى أهل البيعة بأخذ البيعة

من عبدالله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، إلى الوليد بن عتبة، أمّا بعد، فإنّ
• معاوية كان عبدالله من عباده، أكرمه الله واستخلفه، وخوّله ومكّن له، ثمّ قبضه إلى ١٠/٥
روحه وريحانه ورحمته وغفرانه، عاش بقدر ومات بأجل، عاش برّاً تقيّاً، وخرج من الدنيا رضيّاً زكيّاً، فنعم الخليفة كان، لا أُزكّيه على الله، هو أعلم به منّي، وقد كان عهد إليَّ عهداً، وجعلني له خليفة من بعده، وأوصاني أن أحدث آل أبي تراب بآل أبي سفيان؛ لأنّهم أنصار الحقّ وطلاّب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة، والسلام.

قال: ثمّ كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنّها أُذن فأرة:

أمّا بعد؛ فخذ الحسين بن عليّ وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن الزبير

وعبدالله بن عمر بن الخطّاب أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه.

قال: فلمّا ورد كتاب يزيد على الوليد بن عتبة وقرأه، قال: إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! يا ويح الوليد بن عتبة! مَن أدخله في هذه الإمارة؟ ما لي وللحسين ابن فاطمة؟! قال: ثمّ بعث إلى مروان بن الحكم فأراه الكتاب فقرأه واسترجع، ثمّ قال: يرحم الله أمير المؤمنين معاوية.

فقال الوليد: أشر عليّ برأيك في هؤلاء القوم، كيف ترى أن أصنع؟

فقال مروان: ابعث إليهم في هذه الساعة، فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا قدّمهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت بمعاوية؛ فإنّهم إن علموا ذلك وثب كلّ رجل منهم، فأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به، وما لا يقوم له إلّاعبدالله بن عمر، فإنّي لا أراه ينازع في هذا الأمر أحداً إلّا أن تأتيه الخلافة فيأخذها عفواً، فذر عنك ابن عمر وابعث إلى الحسين بن عليّ وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن الزبير، فادعهم إلى البيعة، مع أنّي أعلم أنّ الحسين بن عليّ ١١/٥ خاصّة لا يجيبك إلى بيعة يزيد أبداً، ولا يرى له عليه طاعة، وو الله، أن لو كنت في موضعك لم أُراجع الحسين بكلمة واحدة حتّى أضرب رقبته كائناً في ذلك ما كان.

قال: فأطرق الوليد بن عتبة إلى الأرض ساعة، ثمّ رفع رأسه وقال: يا ليتَ الوليد لم يولد ولم يكن شيئاً مذكوراً!

قال: ثمّ دمعت عيناه فقال له عدوّ الله مروان: أوّه أيّها الأمير! لا تجزع ممّا قلت لك فإنّ آل أبي تراب هم الأعداء في قديم الدهر لم يزالوا، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفّان، ثمّ ساروا إلى أمير المؤمنين فحاربوه، وبعد فإنّي لستُ آمن أيها

الأمير! إنّك إن لم تعاجل الحسين بن عليّ خاصّة أن تسقط منزلتك عند أمير المؤمنين يزيد!

فقال له الوليد بن عتبة: مهلاً! ويحك يا مروان عن كلامك هذا! وأحسن القول في ابن فاطمة؛ فإنّه بقيّة ولد النبيّين.

قال: ثمّ بعث الوليد بن عتبة إلى الحسين بن عليّ وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير فدعاهم، فأقبل إليهم الرسول ـ والرسول عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ـ لم يصب القوم في منازلهم، فمضى نحو المسجد، فإذا القوم عند قبر النبيّ ﷺ، فسلّم عليهم، ثمّ قام وقال: أجيبوا الأمير!

فقال الحسين: يفعل الله ذلك إذا نحن فرغنا عن مجلسنا هذا إن شاء الله.

قال: فانصرف الرسول إلى الوليد فأخبره بذلك.

و أقبل عبدالله بن الزبير على الحسين بن عليّ، وقال: يا أبا عبدالله، إنّ هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإنّي قد أنكرت ذلك وبعثه في هذه الساعة إلينا ودعاءه إيّانا لمثل هذا الوقت، أ ترى في أيٍّ طَلَبَنا؟

فقال له الحسين: إذاً •أخبرك أبا بكر! إنّي أظنّ بأنّ معاوية قد مات، وذلك أنّي ١٢/٥
رأيت البارحة في منامي كأنّ منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتعل ناراً، فأوّلت ذلك في نفسي أنّه مات.

فقال له ابن الزبير: فاعلم يا ابن عليّ أنّ ذلك كذلك، فما ترى أن تصنع إن دُعيت إلى بيعة يزيد أبا عبدالله؟

قال: أصنع أنّي لا أُبايع له أبداً؛ لأنّ الأمر إنّما كان لي من بعد أخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع وحلف لأخي الحسن أنّه لا يجعل الخلافة لأحد من بعده من ولده، وأن يردّها إليَّ إن كنت حيّاً، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه ولم يفي لي ولا لأخي الحسن بما كان ضمن، فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به. أُنظر أبا بكر أنّي أُبايع ليزيد ويزيد رجل فاسق، معلن الفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود،

ويبغض بقيّة آل الرسول؟! لا والله، لا يكون ذلك أبداً.

قال: فبينما هما كذلك في هذه المحاورة إذ رجع إليهما الرسول، فقال: أبا عبدالله، إنّ الأمير قاعد لكما خاصّة تقوما إليه! قال: فزبره الحسين بن عليّ، ثمّ قال: انطلق إلى أميرك لا أُمّ لك! فمن أحبّ أن يصير إليه منّا، فإنّه صائر إليه، وأمّا أنا فإنّي أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالى.

قال: فرجع الرسول أيضاً إلى الوليد بن عتبة، فقال: أصلح الله الأمير! أمّا الحسين بن عليّ خاصّة، فقد أجاب وها هو صائر إليك في إثري.

فقال مروان بن الحكم: غدر والله الحسين! فقال الوليد: مهلاً! فليس مثل الحسين يغدر ولا يقول شيئاً ثمّ لا يفعل.

قال: ثمّ أقبل الحسين على من بحضرته فقال: قوموا إلى منازلكم فإنّي صائر إلى هذا الرجل، فأنظر ما عنده وما يريد.

فقال له ابن الزبير: جعلت فداك يا ابن بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، إنّي خائف عليك أن يحبسوك عندهم، فلا يفارقونك أبداً دون أن تبايع أو تقتل!

فقال الحسين: إنّي لست أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إليَّ وخدمي وأنصاري وأهل الحقّ من شيعتي، ثمّ آمرهم أن يأخذ كلّ واحد سيفه مسلولاً تحت ثيابه، ثمّ يصيروا بإزائي، فإذا أنا أومأت إليهم وقلت: يا آل الرسول، ادخلوا دخلوا، وفعلوا ما أمرتهم به، فأكون على الامتناع، ولا أُعطي المقادة والمذلّة من •نفسي، ١٣/٥
فقد علمت والله أنّه جاء من الأمر ما لا قوام به، ولكنّ قضاء الله ماضٍ فيَّ، وهو الذي يفعل في بيت رسولهعليه السلام ما يشاء ويرضى.

قال: ثمّ صار الحسين بن عليّ إلى منزله، ثمّ دعا بماء، فلبس وتطهّر بالماء وقام فصلّى ركعتين ودعا ربّه بما أحبّ في صلاته، فلمّا فرغ من ذلك أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه و أهل بيته، فأعلمهم بشأنه، ثمّ قال:

كونوا بباب هذا الرجل، فإنّي ماضٍ إليه ومكلّمه، فإن سمعتم أنّ صوتي قد علا

وسمعتم كلامي وصحت بكم، فادخلوا يا آل الرسول واقتحموا من غير إذن، ثـمّ اشهروا السيوف ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم، ثمّ اقتلوا من يريد قتلي!

ثمّ خرج الحسين من منزله، وفي يده قضيب رسول اللهﷺ، وهو في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه وشيعته، حتّى أوقفهم على باب الوليد بن عتبة، ثمّ قال: انظروا ما ذا أوصيتكم فلا تتعدّوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاء الله.

قال: ثمّ دخل الحسين على الوليد بن عتبة، فسلّم عليه فردّ عليه ردّاً حسناً، ثمّ أدناه وقرّبه، قال: ومروان بن الحكم هناك جالس في مجلس الوليد، وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة، فأقبل الحسين على الوليد فـقال: أصـلح الله الأمير! والصلاح خير من الفساد، والصلة خير من الخشناء والشحناء، وقد آن لكما أن تجتمعا، فالحمد لله الذي ألّف بينكما. قال: فلم يجيباه في هذا بشيء.

فقال الحسين: هل أتاكم من معاوية كائنة خبر فإنّه كان عليلاً وقد طالت علّته، فكيف حاله الآن؟

قال: فتأوّه الوليد وتنفّس الصعداء، وقال: أبا عبدالله! آجرك الله في معاوية فقد كان لك عمّ صدق وقد ذاق الموت، وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد.

فقال الحسين: إِنَّا لِلهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! وعظّم الله لك الأجر أيّها الأمير، ولكن لماذا دعوتني؟ فقال: دعوتكللبيعة، فقد اجتمع عليه الناس.

فقال الحسين: إنّ مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا مـعهم، فيكون أمرنا واحداً.

١٤/٥ •فقال له الوليد: أبا عبدالله، لقد قلت فأحسنت في القول وأحببت جواب مثلك، وكذا ظنّي بك، فانصرف راشداً على بركة الله حتّى تأتيني غداً مع الناس.

فقال مروان بن الحكم: أيّها الأمير، إنّه إذا فارقك في هذه الساعة لم يبايع، فإنّك

لن تقدر منه و لا تقدر على مثلها، فاحبسه عندك ولا تدعه يخرج أو يـبايع وإلّا فاضرب عنقه.

قال: فالتفت إليه الحسين وقال: ويلي عليك يا ابن الزرقاء! أتأمر بضرب عنقي، كذبت والله، و الله، لو رام ذلكأحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقاً!

قال: ثمّ أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال: أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بـالفسق، مـثلي لا يـبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة؟!

قال: وسمع مَن بالباب الحسين، فهمّوا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعاً، فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله.

فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة: عصيتني حتّى انفلت الحسين من يدك، أما والله، لا تقدر على مثلها أبداً، وو الله، ليخرجنّ عليك وعلى أمير المؤمنين فاعلم ذلك.

فقال له الوليد بن عتبة: ويحك! أشرت عليّ بقتل الحسين، وفي قتله ذهاب ديني ودنياي، والله، ما أُحبّ أن أملك الدنيا بأسرها وأنّي قتلت الحسين بـن عـليّ ابـن فاطمة الزهراء، والله، ما أظن أحداً يلقى الله بقتل الحسين إلّا وهو خفيف المـيزان عند الله يوم القيامة، لا ينظر إليه و لا يزكّيه، وله عذاب أليم.

قال: فسكت مروان.

١٥/٥ و بعث الوليد إلى عبدالله بن الزبير فدعاه، فأرسل إليه ابن الزبير: أيّها •الأمير، لا تعجل فإنّي لك على ما تحبّ وأنا صائر إليك إن شاء الله!

قال: فأبى الوليد بن عتبة ذلك وجعل يرسل إليه رسولاً بعد رسول حتّى أكـثر عليه من الرسل.

قال: وجعل أصحاب الوليد بن عتبة ينادون عبدالله بن الزبير ويقولون: يا ابن الكاهلية! والله، لتأتينّ الأمير ولتبايعنّه أو لنقتلنّك.

قال: فأقبل جعفر بن الزبير حتّى دخل على الوليد بن عتبة، فسلّم وقال: أصلح الله الأمير، كفّ عن عبدالله، فإنّك قد دعوته وأنا صائر به إليك غداً إن شاء الله، ولا تلجّ به، ومر أصحابك أن ينصرفوا عنه، فإنّك لن ترى منه إلّا ما تحبّ.

فأقبل الوليد على جعفر بن الزبير، فقال الوليد لجعفر: إنّ مثلي ومثل أخيك كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ فأمسك الوليد عن عبدالله بن الزبير يومه ذلك، وأرسل إلى الرسل فأمرهم بالانصراف عنه.

فلمّا كان في نصف الليل وهدأت العيون خرج عبدالله بن الزبير ومعه إخوته بأجمعهم، فقال عبدالله لإخوته: خذوا عليهم غير المحجّة، فإنّي أيضاً آخذ عليها مخافة أن يلحقنا الطلب.

قال: فتفرّق عنه إخوته ومضى عبدالله ومعه أخوه جعفر، ليس معهما ثالث، فأخذ على مجهول الطريق إلى مكّة.

و أصبح الوليد ففقد أولاد الزبير وعلم أنّ عبدالله قد هرب إلى مكّة، فغضب لذلك وضاق به ذرعاً، فقال له مروان: إنّ الأمير أبقاه الله إذا استشار أُمراء المعرفة والنصيحة وأشاروا عليه فلم يقبل، فيكون قد أخطأ وضيّع الحزم! والآن فأنا أعلم أنّه ما أخطأ طريق مكّة فسرّح في طلبه الرجال من قبل أن يمعن في المسير.

قال: فدعا الوليد برجل يقال له: حبيب بن كزبر، فوجّه به في ثلاثين راكباً من موالي بني أُميّة في طلب عبدالله بن الزبير.

ثمّ أرسل إلى كلّ مَن كان من شيعة عبدالله بن الزبير، فأخذه وحبسه، وفيمن
• حبس يومئذ ابن عمّ لعمر بن الخطّاب يقال له: عبدالله بن مطيع بن الأسود العدوي، ١٦/٥
وأُمّه يقال لها: العجماء بنت عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب الخزاعية.

قال: وحبس أيضاً مصعب بن عبد الرحمن بن عوف.

قال: فمشى رجال من بني عدي إلى عبدالله بن عمر بن الخطّاب فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، إنّ صاحبنا عبدالله بن مطيع قد حبس مظلوماً لا ذنب له، والله، لتخرجنّه أو لتموتنّ من دونه. فقال لهم ابن عمر: لا تعجلوا بالفتنة ولا تسارعوا إليها، فكم من رجل قد أفسدت الفتنة عليه دينه ودنياه.

قال: ثمّ أرسل ابن عمر إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه، وقال: يا معشر بني أُميّة، استعينوا بالله وبالحقّ على إقامة دينكم ودنياكم، ولا تظلموا؛ فإنّ الظلم مرتعه وخيم، ولا تأخذوا بالظنّة والتهمة، فإنّكم إن استقمتم أعانكم الله، وإن ظلمتم وكلكم الله إلى أنفسكم، فكفّوا عن صاحبنا هذا عبدالله بن مطيع وخلّوا سبيله، فإنّا لا نعلم أنّ لكم عليه سبيلاً ولا حقّاً تحبسونه به، فإن زعمتم أنّكم ما حبستموه إلّا لحقٍّ فافعلوا ذلك، وإن كنتم إنّما حبستموه على الظنّ فإنّا لا ندع صاحبنا يحبس مظلوماً.

فقال مروان: إنّما نحن حبسناه بأمر أمير المؤمنين يزيد، وعليكم أن تكتبوا في ذلك إلى أمير المؤمنين ونكتب نحن أيضاً، فإنّه لا يكون إلّا ما تحبّون.

قال: فوثب أبو جهم بن حذيفة العدوي فقال: نكتب وتكتبون وابن العجماء محبوس؟! لا والله، لا يكون ذلك أبداً.

ثمّ وثب بنو عدي فجعلوا يحضرون حتّى صاروا إلى باب السجن، فاقتحموا على عبدالله بن مطيع، فأخرجوه وأخرجوا كلّ من كان في السجن ولم يتعرّض إليهم أحد.

فاغتمّ لذلك الوليد بن عتبة وأراد أن يكتب بذلك إلى يزيد، فلبث ولم يكتب.

قال: وأصبح الحسين من الغد خرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبدالله، إنّي لك ناصح فأطعني ترشد وتسدّد. ١٧/٥

فقال الحسين: وما ذلك قل حتّى أسمع! فقال مروان: أقول إنّي آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد، فإنّه خولك في دينك ودنياك، قال: فاسترجع الحسين وقال: إِنَّا لِلّهِ

وإنَّا إلَيْهِ راجِعُونَ! و على الإسلام السلام إذ قد بليت الأُمّة براع مثل يزيد! ثمّ أقبل الحسين على مروان وقال: ويحك! أ تأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق؟! لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزلل! لا ألومك على قولك؛ لأنّك اللعين الذي لعنك رسول اللهﷺ وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإنّ مَن لعنه رسول اللهﷺ لا يمكن له ولا منه إلّا أن يدعو إلى بيعة يزيد.

ثمّ قال: إليك عنّي يا عدوّ الله! فإنّا أهل بيت رسول اللهﷺ، والحقّ فينا وبالحقّ تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول اللهﷺ يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فافقروا بطنه! فو الله، لقد رآه أهل المدينة على منبر جدّي فلم يفعلوا ما أُمروا به، قاتلهم الله بابنه يزيد! زاده الله في النار عذاباً.

قال: فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين، ثمّ قال: والله! لا تفارقني أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغراً، فإنّكم آل أبي تراب قد ملئتم كلاماً وأشربتم بغض آل بني سفيان، وحقّ عليكم أن تبغضوهم وحقّ عليهم أن يبغضوكم.

قال: فقال له الحسين: ويلك يا مروان! إليك عنّي فإنّك رجس وإنّا أهل بيت الطهارة الذين أنزل اللهﷻ على نبيه محمّدﷺ، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قال: فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء، فقال له الحسين: أبشر يا بن الزرقاء! بكلّ ما تكره من الرسولﷺ يوم تقدم على ربّك فيسألك جدّي عن حقّي وحقّ يزيد.

قال: فمضى مروان مغضباً حتّى دخل على الوليد بن عتبة، فخبّره بما سمع من الحسين بن عليّ.

قال: فعندها كتب الوليد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما كان من أهل المدينة، وما كان من ابن الزبير وأمر السجن، ثمّ ذكر له بعد ذلك أمر الحسين بن عليّ أنّه ١٨/٥

ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة.

قال: فلمّا ورد الكتاب على يزيد غضب لذلك غضباً شديداً، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول، قال: فكتب إلى الوليد بن عتبة.

ذكر كتاب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة

من عبدالله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أمّا بعد؛ فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبدالله بن الزبير فإنّه لن يفوتنا ولن ينجو منّا أبداً ما دام حيّاً، وليكن مع جوابك إليَّ رأس الحسين بن عليّ، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنّة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر والنعمة واحدة، والسلام.

قال: فلمّا ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه تعاظم ذلك، وقال: لا والله، لا يراني الله قاتل الحسين بن عليّ! وأنا [لا] أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها.

قال: وخرج الحسين بن عليّ من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين ابن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك وسبطك في الخلف الذي خلّفت على أُمّتك، فاشهد عليهم يا نبيّ الله أنّهم قد خذلوني وضيّعوني، وأنّهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتّى ألقاك صلى الله عليه وآله، ثمّ وثب قائماً وصفّ قدميه ولم يزل راكعاً و ساجداً.

قال: وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله فقال: الحمد لله الذي لم يطالبني الله عزّ وجلّ بدمه! وظنّ أنّه خرج من المدينة.

قال: ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح، فلمّا كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلّى ركعتين، فلمّا فرغ من صلاته جعل يقول: اللّهمّ إنّ هذا قبر نبيّك محمّد وأنا ابن بنت محمّد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهم وإنّي أُحبّ ١٩/٥

المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ هذا القبر ومن فيه إلّا[1] ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى.

قال: ثمّ جعل الحسين يبكي حتّى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النبيﷺ قد أقبل في كبكبة من الملائكة، عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه و من خلفه، حتّى ضمّ الحسين إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال: يا بنيّ يا حسين! كأنّك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أُمّتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إنّ أباك وأُمّكو أخاك قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وأنّ لك في الجنّة درجات لن تنالها إلّا بالشهادة.

قال: فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جدّهﷺ ويسمع كلامه وهو يقول: يا جدّاه! لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا أبداً، فخذني إليك واجعلني معك إلى منزلك.

قال: فقال له النبيّﷺ: يا حسين! إنّه لا بدّ لك من الرجوع إلى الدنيا حتّى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنّك وأباك وأخاك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتّى تدخلوا الجنّة.

قال: فانتبه الحسين من نومه فزعاً مذعوراً فقصّ رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطّلب، فلم يكن ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشدّ غمّاً من أهل بيت الرسولﷺ ولا أكثر منه باكياً و باكية.

و تهيّأ الحسين بن عليّ وعزم على الخروج من المدينة، ومضى في جوف الليل إلى قبر أُمّه فصلّى عند قبرها وودّعها، ثمّ قام عن قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن

---

١. هكذا في الأصل وهو المناسب، وفي المطبوع لم ترد كلمة «إلّا».

٢٠/٥ •ففعل مثل ذلك، ثمّ رجع إلى منزله. وفي وقت الصبح أقبل إليه أخوه محمّد ابن الحنفية.

ذكر وصيّة الحسين بن عليّ إلى أخيه محمّد ابن الحنفية

قال: فلمّا[1] جاء إليه محمّد ابن الحنفية رضي الله عنه قال: يا أخي فدتك نفسي! أنت أحبّ الناس إليَّ وأعزّهم عليَّ، ولست ـ والله ـ أدّخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحقّ بها منك، فإنّك كنفسي وروحي وكبير أهل بيتي ومن عليه اعتمادي، وطاعته في عنقي؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قد شرّفك وجعلك من سادات أهل الجنّة. وإنّي أُريد أن أُشير عليك برأيي فاقبله منّي.

فقال له الحسين: قل ما بدا لك. فقال: أُشير عليك أن تنجو نفسك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، وأن تبعث رسلك إلى الناس وتدعوهم إلى بيعتك فإنّي إن بايعك الناس وتابعوك حمدت الله على ذلك، وقمت فيهم بما يقوم فيهم النبيّ صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدون المهديّون من بعده، حتّى يتوفّاك الله وهو عنك راض والمؤمنون كذلك، كما رضوا عن أبيك وأخيك، وإن أجمع الناس على غيرك حمدت الله على ذلك، وإنّي خائف عليك أن تدخل مصراً من الأمصار أو تأتي جماعة من الناس، فيقتتلون فتكون طائفة منهم معك وطائفة عليك، فتقتل منهم.

فقال له الحسين: يا أخي، إلى أين أذهب؟ قال: اخرج إلى مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار فذاك الذي تحبّ وأُحبّ، وإن تكن الأُخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنّهم أنصار جدّك وأخيك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقّهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولاً، فإن اطمأنّت بك أرض اليمن وإلّا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلى بلد لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين.

---

١. في المطبوع «فلم» وهو تصحيف ولا معنى له.

٢١/٥ فقال له الحسين: •يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبداً، وقد قالﷺ: اللّهمّ لا تبارك في يزيد.

قال: فقطع عليه محمّد ابن الحنفية الكلام وبكى، فبكى معه الحسين ساعة، ثمّ قال: جزاك الله يا أخي عنّي خيراً! ولقد نصحتَ وأَشرتَ بالصوابِ، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفّقاً مسدّداً، وإنّي قد عزمت على الخروج إلى مكّة، وقد تهيّأت لذلك أنا وإخوتي وبنو إخوتي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي. وأمّا أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً عليهم، ولا تخفِ عليّ شيئاً من أُمورهم.

قال: ثمّ دعا الحسين بدواة وبياض وكتب فيه.

وصيّة الحسينؑ لأخيه محمّدؑ

فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ بن أبي طالب لأخيه محمّد ابن الحنفية المعروف ولد عليّ بن أبي طالبؑ:

إنّ الحسين بن عليّ يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعثُ مَن في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أُمّة جدّي محمّدﷺ، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، و أسير بسيرة جدّي محمّدﷺ، وسيرة أبي عليّ بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ، ويحكم بيني وبينهم بالحقّ وهو خير الحاكمين، هذه وصيّتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أُنيب، والسلام عليك وعلى من اتّبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

قال: ثمّ طوى الكتابَ الحسينُ وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمّد ابن

الحنفية، ثمّ ودّعه و خرج في جوف الليل يريد مكّة بجميع أهله، وذلك لثلاث ليال
٢٢/٥ •مضين من شهر شعبان في سنة ستّين، فجعل يسير ويقرأ هذه الآية: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾، فقال له ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة كما فعل عبدالله بن الزبير كان عندي الرأي، فإنّا نخاف أن يلحقنا الطلب! فقال له الحسين: لا والله يا بن عمّي، لا فارقت هذا الطريق أبداً أو أنظر إلى أبيات مكّة، أو يقضي الله في ذلك ما يحبّ ويرضى، ثمّ جعل الحسين يتمثّل بشعر يزيد بن المفرغ الحميري وهو يقول:

لا سَهَرَتُ السوامَ في فَلَقِ الصُبـ ـحِ مُضيئاً ولا دُعيتُ يزيدا
قومَ أُعطى مِنَ المَخافةِ ضَيـ ـماً والمَنايا يَرصُدنني أَن أَحِيدا

قال: فبينما الحسين كذلك بين المدينة ومكّة إذا استقبله عبدالله بن مطيع العدوي فقال: أين تريد أبا عبدالله جعلني الله فداك!؟

قال: أمّا في وقتي هذا أُريد مكّة، فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك.

٢٣/٥ فقال له •عبدالله بن مطيع: خارَ الله لك يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، غير أنّي أُشير عليك بمشورة فاقبلها منّي.

فقال له الحسين. وما هي يا ابن مطيع؟ قال: إذا أتيت مكّة فاحذر أن يغرّك أهل الكوفة؛ فيها قتل أبوك وأخوكبطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم فأنت سيّد العرب في دهرك هذا، فو الله، لئن هلكت ليهلكنّ أهل بيتك بهلاكك، والسلام.

قال: فودعه الحسين ودعا له بخير وسار حتّى وافى مكّة، فلمّا نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

و دخل الحسين إلى مكّة ففرح به أهلها فرحاً شديداً. قال: وجعلوا يختلفون إليه بكرة وعشيّة، واشتدّ ذلك على عبدالله بن الزبير؛ لأنّه قد كان طمع أن يبايعه أهل مكّة، فلمّا قدم الحسين شقّ ذلك عليه، غير أنّه لا يبدي ما في قلبه إلى الحسين، لكنّه يختلف إليه ويصلّي بصلاته ويقعد عنده ويسمع من حديثه، وهو مع ذلك يعلم أنّه لا يبايعه أحد من أهل مكّة والحسين بن عليّ بها؛ لأنّ الحسين عندهم أعظم في أنفسهم من ابن الزبير.

قال: وبلغ ذلك أهل الكوفة أنّ الحسين بن عليّ قد صار إلى مكّة. وأقام الحسين بمكّة باقي شهر شعبان ورمضان وشوّال وذي القعدة.

قال: وبمكّة يومئذ عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر بن الخطّاب (رضي الله عنهم) فأقبلا جميعاً حتّى دخلا على الحسين، وقد عزما على أن ينصرفا إلى المدينة، فقال له ابن عمر: أبا عبدالله رحمك الله! اتّق الله الذي إليه معادك! فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم و ظلمهم إيّاكم، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية، ولست •آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء، ٢٤/٥
فيقتلونك ويهلك فيك بشر كثير؛ فإنّي قد سمعت رسول اللهﷺ وهو يقول: حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة! وأنا أُشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعلّ الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين.

فقال له الحسين: أبا عبد الرحمن، أنا أُبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبيّﷺ فيه وفي أبيه ما قال؟!

فقال ابن عبّاس: صدقت أبا عبدالله، قال النبيّﷺ في حياته: ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد! وإنّه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسينعليه السلام، والذي نفسي بيده، لا يقتل ولدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم!

ثمّ بكى ابن عبّاس وبكى معه الحسين وقال: يا ابن عبّاس، تعلم أنّي ابن بنت

رسول الله ﷺ؟! فقال ابن عباس: اللّهمّ نعم، نعلم ونعرف أنّ ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله ﷺ غيرك، وأنّ نصرك لفرض على هذه الأُمّة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الأُخرى.

قال الحسين: يا ابن عبّاس، فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله ﷺ من داره وقراره ومولده وحرم رسوله ومجاورة قبره ومولده ومسجده وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقرّ في قرار، ولا يأوي في موطن، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتّخذ من دونه وليّاً، ولم يتغيّر عمّا كان عليه رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده؟!

فقال ابن عبّاس: ما أقول فيهم إلّا ﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾، وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأمّا أنت يا ابن بنت رسول الله ﷺ فإنّك رأس الفخار برسول الله ﷺ وابن نظيره البتول، فلا تظنّ يا ابن بنت رسول الله أنّ الله غافل عمّا يعمل الظالمون، وأنا أشهد أنّ من رغب عن مجاورتك وطمع في ٢٥/٥
محاربتك ومحاربة نبيّك محمّد ﷺ فما له من خلاق.

فقال الحسين: اللّهمّ اشهد! فقال ابن عبّاس: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنّك تريدني إلى نفسك وتريد منّي أن أنصرك؟! والله الذي لا إله إلّا هو، أن لو ضربت بين يديك سيفي هذا حتّى أنخلع جميعاً من كفّي لما كنت ممّن أوفي من حقّك عشر العشر! وها أنا بين يديك مرني بأمرك.

فقال ابن عمر: مهلاً! ذرنا من هذا يا ابن عبّاس.

قال: ثمّ أقبل ابن عمر على الحسين فقال: أبا عبدالله، مهلاً عمّا قد عزمت عليه! وارجع من هنا إلى المدينة، وادخل في صلح القوم ولا تغب عن وطنك وحرم جدّك رسول الله ﷺ، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجّة وسبيلاً، وإن

أحببت أن لا تبايع فأنت متروك حتّى ترى برأيك، فإنّ يزيد بن معاوية (لعنه الله) عسى أن لا يعيش إلّا قليلاً فيكفيك الله أمره.

فقال الحسين: أُفّ لهذا الكلام أبداً ما دامت السماوات والأرض! أسألك بالله يا عبدالله أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ فردّني فإنّي أخضع وأسمع وأُطيع.

فقال ابن عمر: اللّهمّ لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسولﷺ على مثل يزيد بن معاوية (لعنه الله) باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأُمّة ما لا تحبّ، فارجع معنا إلى المدينة، وإن لم تحبّ أن تبايع فلا تبايع أبداً واقعد في منزلك.

فقال الحسين: هيهات يا ابن عمر! إنّ القوم لا يتركوني وإن أصابوني، وإن لم يصيبوني فلا يزالون حتّى أُبايع وأنا كاره أو يقتلوني! أما تعلم يا عبدالله أنّ من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنّه أُتي برأس يحيى بن زكريا﵇ إلى بغيّة من بغايا بني إسرائيل والرأس ينطق بالحجّة عليهم؟! أما تعلم أبا عبد الرحمن أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيّاً ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كلّهم كأنّهم لم يصنعوا شيئاً! فلم يعجّل الله عليهم، ثمّ أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر؟ اتّق الله أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي واذكرني في صلاتك، فو الذي بعث جدّي •محمّداً﵇ بشيراً ونذيراً، لو أنّ أباك عمر ٢٦/٥
بن الخطاب أدرك زماني لنصرني كنصرته جدّي، وأقام من دوني قيامه بين يدي جدّي، يا ابن عمر، فإن كان الخروج معي ممّا يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تتركنّ لي الدعاء في دبر كلّ صلاة، واجلس عن القوم ولا تعجل بالبيعة لهم حتّى تعلم إلى ما تؤول الأُمور.

قال: ثمّ أقبل الحسين على عبدالله بن عبّاس﵄ فقال: يا بن عبّاس، إنّك ابن عمّ

والدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدي تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك، فتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه، ولا يخفى عليّ شيء من أخبارك، فإنّي مستوطن هذا الحرم ومقيم فيه أبداً ما رأيت أهله يحبّوني وينصروني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل عليه السلام يوم أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل؛ فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

قال: فبكى ابن عبّاس وابن عمر في ذلك الوقت بكاء شديداً، والحسين يبكي معهما ساعة، ثمّ ودّعهما، وصار ابن عمر وابن عبّاس إلى المدينة، وأقام الحسين بمكّة قد لزم الصوم والصلاة.

و اجتمعت الشيعة بالكوفة.

٢٧/٥ ذكر أخبار الكوفة وما كان من كتبهم إلى الحسين بن عليّ رضي الله عنهما

قال: واجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي، فلمّا تكاملوا في منزله قام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته، ثمّ ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فترحّم عليه وذكر مناقبه الشريفة، ثمّ قال: يا معشر الشيعة، إنّكم قد علمتم بأنّ معاوية قد صار إلى ربّه وقدم على عمله، وسيجزيه الله تبارك وتعالى بما قدّم من خير أو شرّ، وقد قعد في موضعه ابنه يزيد ـ زاده الله خزياً ـ وهذا الحسين بن عليّ قد خالفه وصار إلى مكّة خائفاً من طواغيت آل أبي سفيان، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه.

فقال القوم: بل ننصره ونقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه حتّى ينال حاجته.

فأخذ عليهم سليمان بن صرد بذلك ميثاقاً وعهداً أنّهم لا يغدرون ولا ينكثون، ثمّ

قال: اكتبوا إليه الآن كتاباً من جماعتكم أنّكم له كما ذكرتم، وسلوه القدوم عليكم.

قالوا: أ فلا تكفينا أنت الكتاب إليه؟ قال: لا، بل يكتب جماعتكم.

قال: فكتب القوم إلى الحسين بن عليّ رضي الله عنهما.

ذكر الكتاب الأوّل إلى الحسين عليه السلام

٢٨/٥ بسم الله الرحمن الرحيم، إلى الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما)، من •سليمان بن صرد، و المسيّب بن نجبة، وحبيب بن مظاهر، ورفاعة بن شدّاد، وعبدالله بن وال، وجماعة شيعته من المؤمنين، أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي قصم عدوّك وعدوّ أبيك من قبلك، الجبّار العنيد، الغشوم الظلوم، الذي أبتر هذه الأُمة وعضاها، وتأمّر عليها بغير رضاها، ثمّ قتل خيارها واستبقى أشرارها، فبعداً له كما بعدت ثمود! ثمّ إنّه قد بلغنا أنّ ولده اللعين قد تأمّر على هذه الأُمّة بلا مشورة ولا إجماع ولا علم من الأخبار، ونحن مقاتلون معك وباذلون أنفسنا من دونك، فاقبل إليه فرحاً مسروراً مأموناً مباركاً، سديداً وسيّداً، أميراً مطاعاً إماماً، خليفة علينا مهديّاً، فإنّه ليس عليك إمام ولا أمير إلّا النعمان بن بشير، وهو في قصر الإمارة وحيد طريد، ليس يجتمع معه في جمعة، ولا يخرج معه إلى عيد، ولا يؤدّى إليه الخراج، يدعو فلا يجاب، ويأمر فلا يطاع، ولو بلغنا أنّكقد أقبلت إلينا أخرجناه عنّا حتّى يلحق بالشام، فاقدم إلينا فلعل الله عزّ وجلّ أن يجمعنا بك على الحقّ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن رسول الله، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

ثمّ طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى عبدالله بن سبع الهمداني وعبدالله بن مسمع البكري، ووجّهوا بهما إلى الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما). فقرأ الحسين كتاب أهل الكوفة فسكت ولم يجبهم بشيء.

٢٩/٥ •ثمّ قدم عليه بعد ذلك قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبدالله الأرحبي وعمارة بن عبيد السلولي وعبدالله بن وال التميمي، ومعهم جماعة نحو

خمسين ومئة، كلّ كتاب من رجلين وثلاثة وأربعة، ويسألوه القدوم عليهم، والحسين يتأنّي في أمره فلا يجيبهم بشيء.

ثمّ قدم عليه بعد ذلك هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي بهذا الكتاب، وهو آخر ما ورد على الحسين من أهل الكوفة.

ذكر الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ أمير المؤمنين، من شيعته وشيعة أبيه، أمّا بعد؛ فحيهلا، فإن الناس منتظرون لا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله! قد اخضرّت الجنّات، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقدم إذا شئت فإنّما تقدم إلى جند لك مجنّد، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك.

٣٠/٥ •فقال الحسين لهانئ وسعيد بن عبدالله الحنفي: خبّراني مَن اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب معكما إليَّ؟

فقالا: يا أمير المؤمنين! اجتمع عليه شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجّاج ومحمّد بن عمير بن عطارد.

قال: فعندها قام الحسين فتطهّر وصلّى ركعتين بين الركن والمقام، ثمّ انفتل من صلاته وسأل ربّه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة، ثمّ جمع الرسل فقال لهم:

إنّي رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمرني بأمر وأنا ماضٍ لأمره، فعزم الله لي بالخير، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه إن شاء الله تعالى

ذكر كتاب الحسين بن عليّ إلى أهل الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ إلى الملأ من المؤمنين، سلام عليكم، أمّا بعد؛ فإنّ هانئ بن

هانئ وسعيد بن عبدالله قدما عليّ بكتبكم، فكانا آخر من قدم عليّ من عندكم، وقد فهمت الذي قد قصصتم وذكرتم، ولست أُقصّر عمّا أحببتم، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عَنه، وقد أمرته أن يكتب إليَّ بحالكم ورأيكم ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجّه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى، والسلام ولا قوة إلّا بالله، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم •فقوموا مع ابن عمّي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوه، ٣١/٥
فلعمري! ليس الإمام العادل بالكتاب والعادل بالقسط كالذي يحكم بغير الحقّ ولا يهدي ولا يهتدي، جَمَعَنا الله وإيّاكم على الهدى وألزمنا وإيّاكم كلمة التقوى، إنّه لطيف لما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: ثمّ طوى الكتاب وختمه ودعا مسلم بن عقيلﷺ فدفع إليه الكتاب وقال له: إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليَّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامضِ على بركة الله حتّى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي، واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجّل لي بالخبر حتّى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى. ثمّ عانقه وودّعه وبكيا جميعاً.

ذكر خروج مسلم بن عقيلﷺ نحو العراق• ٣٢/٥

قال: فخرج مسلم بن عقيل من مكّة نحو المدينة مستخفياً؛ لئلّا يعلم به أحد من بني أُميّة، فلمّا دخل المدينة بدأ بمسجد رسول اللهﷺ فصلّى فيه ركعتين، ثمّ أقبل في جوف الليل حتّى ودّع من أحبّ من أهل بيته، ثمّ إنّه استأجر دليلين من قيس عيلان يدلّانه على الطريق و يصحبانه إلى الكوفة على غير الجادّة.

قال: فخرج به الدليلان من المدينة ليلاً وسارا، فغلطا الطريق وجارا عن القصد واشتدّ بهما العطش فماتا جميعاً عطشاً.

قال: وكتب مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الحسين:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ، من مسلم بن عقيل، أمّا بعد؛ فإنّي خرجت من المدينة مع الدليلين استأجرتهما فضلّا عن الطريق وماتا عطشاً، ثمّ إنّا صرنا إلى الماء بعد ذلك وكدنا أن نهلك فنجونا بحشاشة أنفسنا، وأخبرك يا ابن بنت رسول الله إنّا أصبنا الماء بموضع يقال له المضيق، وقد تطيّرت من وجهي هذا الذي وجّهتني به، •فرأيك في إعفائي منه، والسلام. ٣٣/٥

قال: فلمّا قرأ كتاب مسلم بن عقيل عليه السلام علم أنّه قد تشاءم وتطيّر من موت الدليلين وأنّه جزع، فكتب إليه الحسين:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ، إلى مسلم بن عقيل، أمّا بعد؛ فإنّي خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليَّ والاستعفاء من وجهك هذا الذي أنت فيه إلّا الجبن والفشل، فامضِ لما أُمرت به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلمّا ورد الكتاب على مسلم بن عقيل كأنّه وجد من ذلك في نفسه، ثمّ قال: والله، لقد نسبني أبو عبدالله الحسين إلى الجبن والفشل، وهذا شيء لم أعرفه من نفسي أبداً.

ثمّ سار مسلم بن عقيل من موضعه ذلك يريد الكوفة، فإذا برجل يرمي الصيد، فنظر إليه مسلم، فرآه وقد رمى ظبياً فصرعه، فقال مسلم: نقتل أعداءنا إن شاء الله تعالى.

قال: ثمّ أقبل مسلم حتّى دخل الكوفة، فنزل دار سالم بن المسيّب، وهي دار المختار بن أبي عبيد الثقفي

٣٤/٥ •**ذكر نزول مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة إليه للبيعة**

قال: وجعلت الشيعة تختلف إلى دار مسلم، وهو يقرأ عليهم كتاب الحسين، والقوم

يبكون شوقاً منهم إلى قدوم الحسين. ثمّ تقدّم إلى مسلم بن عقيل رجل من همدان يقال له عابس بن أبي شبيب الشاكري فقال:

أمّا بعد؛ فإنّي لا أخبرك عن الناس بشيء فإنّي أعلم ما في أنفسهم، ولكنّي أخبرك عمّا أنا موطّن عليه نفسي، والله، أُجيبكم إذا دعوتم وأُقاتل معكم عدوّكم، وأضرب بسيفي دونكم أبداً حتّى ألقى الله وأنا لا أُريد بذلك إلّاما عنده.

ثمّ قام حبيب بن مظاهر الأسدي الفقعسي قال: وأنا والله الذي لا إله إلّا هو، على ما أنت عليه.

و تبايعت الشيعة على كلام هذين الرجلين، ثمّ بذلوا الأموال، فلم يقبل مسلم بن عقيل منها شيئاً.

قال: وبلغ ذلك النعمان بن بشير قدوم مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة عليه ـ والنعمان يومئذ أمير الكوفة ـ فخرج من قصر الإمارة مغضباً حتّى دخل
•المسجد الأعظم فنادى في الناس، فاجتمعوا إليه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى ٣٥/٥
عليه، ثمّ قال: أمّا بعد؛ يا أهل الكوفة، فاتّقوا الله ربّكم ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيها سفك الدماء وذهاب الرجال والأموال، واعلموا أنّي لست أُقاتل إلّا مَن قاتلني، ولا أثب إلّا على مَن وَثَبَ عليَّ، غير أنّكم قد أبديتم صفحتكم، ونقضتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فإن رأيتم أنّكم رجعتم عن ذلك، وإلّا فو الله الذي لا إله إلّا هو، لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصر، مع أنّي أرجو أنّ من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يريد الباطل.

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي فقال: أيّها الأمير أصلحك الله! إنّ هذا الذي أنت عليه من رأيكإنّما هو رأي المستضعفين؟ فقال له النعمان بن بشير: يا هذا والله، لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليَّ من أن أكون من المغلوبين[1] في معصية الله.

---

١. في بعض المقاتل الأُخري: «الأعزّين» بدل «المغلوبين».

قال: ثمّ نزل عن المنبر ودخل قصر الإمارة، وكتب عبدالله بن مسلم إلى يزيد بن معاوية يخبره بذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من شيعته من أهل الكوفة، أمّا بعد؛ فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، وقد بايعه الشيعة للحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) وهم خلق كثير، فإن كان لكفي الكوفة حاجة، فابعث إليها رجلاً قوياً ينفّذ فيها أمرك ويعمل فيها بعملك من عدوّك، فإنّ النعمان بن بشير
٣٦/٥ رجل •ضعيف أو هو مضعّف، و السلام.

قال: ثمّ كتب أيضاً عمارة بن عقبة بن أبي معيط بنحو من ذلك، فكتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقّاص بمثل ذلك.

قال: فلمّا اجتمعت الكتب عند يزيد بن معاوية دعا بغلام أبيه، وكان اسمه سرجون، فقال: يا سرجون، ما الذي عندك في أهل الكوفة فقد قدم مسلم بن عقيل، وقد بايعه الترابية للحسين بن عليّ (رضي الله عنهما)؟

فقال له سرجون: أتقبل منّي ما أُشير به عليك؟ فقال يزيد: قل حتّى أسمع، فقال: أُشير عليك أن تكتب إلى عبيد الله بن زياد فإنّه أمير البصرة، فتجعل له الكوفة زيادة في عمله حتّى يكون هو الذي يقدم الكوفة، فيكفيك أمرهم.

فقال يزيد: هذا لعمري هو الرأي.

ثمّ كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد: أمّا بعد؛ فإنّ شيعتي من أهل الكوفة كتبوا إليَّ، فخبّروني أنّ مسلم بن عقيل يجمع الجموع ويشقّ عصا المسلمين، وقد اجتمع عليه خلق كثير من شيعة أبي تراب، فإذا وصل إليك كتابي هذا فسر حين تقرأه حتّى تقدم الكوفة، فتكفيني أمرها، فقد جعلتها زيادة في عملك وضممتها إليك، فانظر أين تطلب مسلم بن عقيل بن أبي طالب بها؟ فاطلبه طلب الخرزة، فإذا ظفرت به
٣٧/٥ فاقتله ونفّذ إليَّ رأسه! واعلم أنّه لا عذر لك عندي دون ما أمرتك به، •فالعجل العجل، والوحا الوحا، والسلام.

ثمّ دفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي، ثمّ أمره أن يجدّ السير إلى عبيد الله بن زياد.

قال: فلمّا ورد الكتاب على عبيد الله بن زياد وقرأه أمر بالجهاز إلى الكوفة.

قال: وقد كان الحسين بن عليّ قد كتب إلى رؤساء أهل البصرة، مثل: الأحنف بن قيس، ومالك بن مسمع، والمنذر بن الجارود، وقيس بن الهيثم، ومسعود بن عمرو، وعمر بن عبيد الله بن معمر، فكتب إليهم كتاباً يدعوهم فيه إلى نصرته والقيام معه في حقّه، فكان كلّ مَن قرأ كتاب الحسين كتمه، ولم يخبر به أحد إلّا المنذر بن الجارود، فإنّه خشي أن يكون هذا الكتاب دسيساً من عبيد الله بن زياد وكانت حومة بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد الله بن زياد فأقبل إلى عبيد الله بن زياد فخبّره بذلك.

قال: فغضب عبيد الله بن زياد وقال: مَن رسول الحسين بن عليّ إلى البصرة؟ فقال المنذر بن الجارود: أيّها الأمير، رسوله إليهم مولى يقال له: سليمان، فقال عبيد الله بن زياد: عليّ به! فأُتي بسليمان مولى الحسين وقد كان متخفّياً عند بعض الشيعة بالبصرة، فلمّا رآه عبيد الله بن زياد لم يكلّمه دون أن أقدمه فضرب عنقه صبراً! ثمّ أمر بصلبه.

ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أمّا بعد؛ يا أهل البصرة، إنّي لنكل لمن عاداني وسمّ لمن •حاربني، فقد أنصف القارّة من راماها، يا أهل البصرة، ٣٨/٥
إنّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد ولّاني الكوفة، وأنا سائر إليها غداً إن شاء الله تعالى، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فإيّاكم والخلاف والإرجاف، فو الذي لا إله إلّا هو، لو بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنّه ولأقتلنّ عريفه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتّى يستقيموا لي، فاحذروا أن يكون فيكم مخالف أو مشاقّ، فأنا ابن زياد الذي لم ينازعني عمّ ولا خال، والسلام. قال: ثم نزل عن المنبر.

فلمّا كان من الغد نادى في الناس وخرج من البصرة يريد الكوفة، ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، والمنذر بن الجارود العبدي، وشريك بن الأعور الحارثي، وحشمه وأهل بيته، فلم يزل يسير حتّى بلغ قريباً من الكوفة.

ذكر مسير عبيد الله بن زياد ونزوله الكوفة وما فعل بها

قال: فلمّا تقارب عبيد الله بن زياد من الكوفة نزل، فلمّا أمسى وجاء الليل دعا بعمامة غبراء و اعتجر بها، ثمّ تقلّد سيفه وتوشّح قوسه، وتكنّن كنانته، وأخذ في يده قضيباً، واستوى على بغلته الشهباء، وركب معه أصحابه، وأقبل حتّى دخل
٣٩/٥ الكوفة من •طريق البادية، وذلك في ليلة مقمرة والناس متوقّعون قدوم الحسين عليه السلام، قال: فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو في ذلك يسلّم عليهم، فيردّون عليه السلام، وهم لا يشكّون أنّه الحسين، وهم يمشون بين يديه، وهم يقولون: مرحباً بك يا ابن بنت رسول الله، قدمت خير مقدم.

قال: فرأى عبيد الله بن زياد من تباشير الناس بالحسين بن عليّ ما ساءه ذلك، وسكت ولم يكلّمهم ولا ردّ عليهم شيئاً.

قال: فتكلّم مسلم بن عمرو الباهلي وقال: إليكم عن الأمير يا ترابية! فليس هذا من تظنّون، هذا الأمير عبيد الله بن زياد.

قال: فتفرّق الناس عنه، ودخل عبيد الله بن زياد قصر الإمارة وقد امتلأ غيظاً وغضباً.

فلمّا أصبح نادى: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس إلى المسجد الأعظم، فلمّا علم أنّهم قد تكالموا خرج إليهم متقلّداً بسيف متعمّماً بعمامة، حتّى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أما بعد؛ يا أهل الكوفة، فإنّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ولّاني مصركم وثغركم، وأمرني أن أغيث مظلومكم، وأن أعطي محرومكم، وأن أحسن إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم، وأنا متّبع في ذلك أمره، ومنفّذ فيكم

عهده، والسلام. ثمّ نزل ودخل القصر.

فلمّا كان اليوم الثاني خرج إلى الناس ونادى بالصلاة جامعة، فلمّا اجتمع الناس خرج إليهم بزيّ خلاف ما خرج به أمس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ فإنّه لا يصلح هذا الأمر إلّا في شدّة من غير عنف، وليـن فـي غـير ضعف، وأن آخذ منكم البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والوليّ بالوليّ. ٤٠/٥

قال: فقام إليه رجل من أهل الكوفة يقال له: أسد بن عبدالله المري، فقال: أيّها الأمير، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وإنّما المرء بجدّه، والسيف بحدّه، والفرس بشدّه، وعليك أن تقول وعلينا أن نسمع، فـلا تـقدّم فـينا السيّئة قبل الحسنة.

قال: فسكت عبيد الله بن زياد ونزل عن المنبر فدخل قصر الإمارة.

و سمع بذلك مسلم بن عقيل بقدوم عبيد الله بن زياد وكلامه، فكأنّه اتّقى على نفسه، فخرج من الدار التي هو فيها في جوف الليل حتّى أتى دار هانئ بن عروة المذحجيﷺ فدخل عليه، فلمّا رآه هانئ قام إليه وقال: ما وراءك جعلت فداك؟

فقال مسلم: ورائي ما علمت، هذا عبيد الله بن زياد الفاسق ابن الفاسق قد قدم الكوفة فاتّقيته على نفسي، وقد أقبلت إليك لتجيرني وتأويني حتّى أنـظر إلى مـا يكون.

فقال له هانئ بن عروة: جعلت فداك! والله لقد كلّفتني شـططاً! ولولا دخـولك داري لأحببت أن تنصرف، غير أنّي أرى ذلك عاراً عـليّ أن يكـون رجـل أتـاني مستجيراً، فانزل على بركة الله. قال: فنزل مسلم بن عقيل في دار هانئ المذحجي.

و جعل عبيد الله بن زياد يسأل عنه فلم يجد من يرشده عليه، وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلمﷺ في دار هانئ ويبايعون للحسين سرّاً، ومسلم بن عقيل يكتب أسماءهم ويأخذ عليهم العهود والمواثيق، لا يركنون ولا يعذرون، حتّى بايع مسلم

بن عقيل نيّف وعشرون ألفاً.

٤١/٥ قال: وهمّ مسلم بن •عقيل أن يثب إلى عبيد الله بن زياد فيمنعه هانئ من ذلك ويقول: لا تعجل؛ فإن العجلة لا خير فيها.

و دعا عبيد الله بن زياد بمولى له: يقال له: معقل فقال: هذه ثلاثة آلاف درهم خذها إليك والتمس لي مسلم بن عقيل حيث كان من الكوفة، فإذا عرفت موضعه، فادخل إليه وأعلمه أنّك من شيعته وعلى مذهبه، وادفع إليه هذه الثلاثة آلاف درهم وقل له: استعن بهذه على عدوّك، فإنّك إذا دفعت إليه الثلاثة آلاف درهم وثق بناحيتك واطمأنّ عليك، ولم يكتمك من أمره شيئاً، وفي غداة غد تعدو عليّ بالأخبار.

قال: فأقبل معقل مولى عبيد الله بن زياد حتّى دخل المسجد الأعظم، فرأى رجلاً من الشيعة يقال له: مسلم بن عوسجة الأسدي، فجلس إليه فقال: يا عبدالله، إنّي رجل من أهل الشام غير أنّي أُحبّ أهل هذا البيت وأُحبّ من أحبّهم، ومعي ثلاثة آلاف درهم أُريد أن أدفعها إلى رجل قد بلغني عنه أنّه يقدم إلى بلدكم هذا، يأخذ البيعة لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الحسين بن عليّ، فإن رأيت هل تدلّني عليه حتّى أدفع إليه المال الذي معي وأُبايعه؟ وإن شئت فخذ بيعتي له قبل أن تدلّني عليه.

قال: فظنّ مسلم بن عوسجة أنّ القول على ما يقول، فأخذ عليه الأيمان المغلّظة والمواثيق و العهود، وأنّه يناصح ويكون عوناً لمسلم بن عقيل عليه السلام على عبيد الله بن
٤٢/٥ زياد، قال: فأعطاه موثقاً من الأيمان ما وثق به مسلم بن عوسجة، ثمّ •قال له: انصرف عنّي الآن يومي هذا حتّى أنظر ما يكون! قال: فانصرف معقل مولى زياد.

قال: ومرض شريك بن عبدالله الأعور الهمداني في منزل هانئ بن عروة، وعزم عبيد الله بن زياد على أن يصير إليه فيجتمع به، ودعا شريكُ بن عبدالله مسلمَ بن عقيل فقال له: جعلت فداك، غداً يأتيني هذا الفاسق عائداً وأنا مشغله لك بالكلام، فإذا فعلت ذلك فقم أنت اخرج إليه من هذه الداخلة فاقتله! فإن أنا عشت فسأكفيك

أمر النصرة إن شاء الله.

قال: فلمّا أصبح عبيد الله بن زياد ركب وسار يريد دار ابن[1] هانئ ليعود شريك بن عبدالله، قال: فجلس وجعل يسأل منه. قال: وهمّ مسلم أن يخرج إليه ليقتله، فمنعه من ذلك صاحب المنزل هانئ، ثمّ قال: جعلت فداك، في داري صبية وإماء وأنا لا آمن الحدثان. قال: فرمى مسلم بن عقيل السيف من يده وجلس ولم يخرج، وجعل شريك بن عبدالله يرمق الداخلة و هو يقول:

ما تَنظرونَ بسلمَى عندَ فـرصتِها فقد وَفَى ودّها واستوسقَ الصَّـرَمُ

٤٣/٥ •فقال له: عبيد الله بن زياد: ما يقول الشيخ؟ فقيل له: إنّـه مـبرسم أصـلح الله الأمير!

قال: فوقع في قلب عبيد الله بن زياد أمر من الأُمور، فركب من ساعته ورجع إلى القصر.

وخرج مسلم بن عقيل إلى شريك بن عبدالله من داخل الدار، فقال له شريك: يا مولاي جعلت فداك، ما الذي منعك من الخروج إلى الفاسق، وقد كنت أمرتك بقتله وشغلته لك بالكلام؟ فقال: منعني من ذلك حديث سمعته من عمّي عليّ بـن أبـي طالب عليه السلام أنّه قال: الإيمان قيد الفتك، فلم أحبّ أن أقتل عبيد الله بن زياد في منزل هذا الرجل.

فقال له شريك: والله، لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً منافقاً.

قال: ثمّ لم يلبث شريك بن عبدالله إلّا ثلاثة أيّام حتّى مات رحمه الله، وكان من خيار الشيعة غير أنّه يكتم ذلك إلّا عمّن يثق به من إخوانه.

قال:

وخرج عبيد الله بن زياد فصلّى عليه ورجع إلى قصره.

---

١. كذا في المصدر، والظاهر أنّها زائدة.

فلمّا كان من الغد أقبل معقل مولى عبيد الله بن زياد إلى مسلم بن عوسجة، فقال له: إنّك كنت وعدتني أن تدخلني على هذا الرجل فأدفع إليه هذا المال، فما الذي
٤٤/٥ •بدا لك في ذلك؟ فقال: إذاً أُخبرك يا أخا أهل الشام! إنّا شُغلنا بموت هذا الرجل شريك بن عبدالله، وقد كان من خيار الشيعة وممّن يتولّى أهل هذا البيت.

فقال معقل مولى عبيد الله بن زياد: ومسلم بن عقيل في دار هانئ؟ فقال: نعم، قال: فقال معقل: فقم بنا إليه حتّى ندفع إليه هذا المال وأُبايعه.

قال: فأخذ مسلم بن عوسجة بيده فأدخله على مسلم بن عقيل فرحّب به مسلم وقرّبه وأدناه وأخذ بيعته، وأمر أن يقبض منه ما معه من المال. فأقام معقل مولى عبيد الله بن زياد في منزل هانئ يومه ذلك، حتّى إذا أمسى انصرف إلى عبيد الله بن زياد معجباً لما قد ورد عليه من الخبر.

ثمّ قال عبيد الله لمولاه: انظر إن تختلف إلى مسلم بن عقيل في كلّ يوم لئلّا يستريبك وينتقل من منزل ابن[1] هانئ إلى مكان غيره، فأحتاج أن ألقى في طلبه عتباً.

قال: ثمّ دعا عبيد الله بن زياد محمّد بن الأشعث بن قيس وأسماء بن خارجة الفزاري وعمرو بن الحجّاج الزبيدي، فقال: خبّروني عنكم ما الذي يمنع هانئ بن عروة من المصير إلينا؟ فقالوا: إنّه مريض، فقال عبيد الله بن زياد: قد كان مريضاً غير أنّه قد برئ من علّته ويجلس على باب داره، فعليكم أن تصيروا إليه وتأمروه أن لا يدع ما يجب عليه من حقّنا، فإنّي لا أُحبّ أن أستفسر رجلاً مثله؛ لأنّي لم أزل له مكرّماً.

فقالوا: نفعل أصلح الله الأمير، نلقاه في ذلك ونأمره بما تحبّ.

قال: فبينا عبيد الله بن زياد من هؤلاء القوم في محاورة إذ دخل عليه رجل من

---

١. كذا في المصدر.

•أصحابه يقال له: عبدالله بن يربوع التميمي، فقال: أصلح الله الأمير، ههنا خير، فقال له ابن زياد: وما ذاك؟ قال: كنت خارج الكوفة أجول على فرسي وأقلبه، إذ نظرت إلى رجل قد خرج من الكوفة مسرعاً يريد البادية، فأنكرته ثمّ لحقته وسألته عن حاله وأمره، فذكر أنّه من أهل المدينة، ثمّ نزلت عن فرسي ففتّشته فأصبت معه هذا الكتاب. ٤٥/٥

قال: فأخذ عبيد الله بن زياد الكتاب ففضّه وقرأه وإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ، أمّا بعد؛ فإنّي أُخبرك أنّه قد بايعك من أهل الكوفة نيّف وعشرون ألفاً، فإذا بلغك كتابي هذا فالعجل العجل، فإنّ الناس كلّهم معك، وليس لهم في يزيد بن معاوية رأي و لا هوى، والسلام.

قال: فقال ابن زياد:

أين هذا الرجل الذي أصبت معه هذا الكتاب؟ قال: بالباب. فقال: ائتوني به! فلمّا دخل ووقف بين يدي ابن زياد فقال له: مَن أنت؟ قال: أنا مولى لبني هاشم، قال: فما اسمك؟ قال: اسمي عبدالله بن يقطين، قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟ قال: دفعه إليَّ امرأة لا أعرفها.

قال: فضحك عبيد الله بن زياد وقال: أخبرني واحدة من ثنتين: إمّا أن تخبرني مَن دفع إليك هذا الكتاب، فتنجو من يدي، وإمّا أن تقتل!

فقال: أمّا الكتاب فإنّي لا أُخبرك مَن دفعه إليَّ، وأمّا القتل فإنّي لا أكرهه، فإنّي لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم ممّن يقتله مثلك.

قال: فأمر عبيد الله بن زياد بضرب عنقه، فضربت رقبته صبراً.

ثمّ أقبل على محمّد بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج وأسماء بن خارجة فقال: صيروا إلى هانئ بن عروة فاسألوه أن يصير إلينا، فإنا نريد مناظرته.

ذكر هانئ وعبيد الله بن زياد

قال: فركب القوم وساروا إلى هانئ وإذا به جالس على باب داره، فسلّموا عليه وقالوا له: ما الذي يمنعك من إتيان هذا الأمير، فقد ذكرك غير مرّة؟

فقال: والله، ما يمنعني من المصير إليه إلّا العلّة.

٤٦/٥ فقالوا له: صدقت، ولكنّه بلغه •عنك أنّك تقعد على باب دارك عشيّة واستبطأك، والإبطاء و الجفاء لا يحتمله السلطان من مثلك؛ لأنّك سيّد في عشيرتك، ونحن نقسم عليك إلّا ركبت معنا إليه.

قال: فدعا هانئ ثيابه ولبسها، ودعا ببغلة له فركبها، وسار مع القوم حتّى إذا صار إلى باب قصر الإمارة كأنّ نفسه أحسّت بالشرّ، فالتفت إلى حسّان بن أسماء بن خارجة فقال له: يا ابن أخي، إنّ نفسي تحدّثني بالشرّ!

فقال له حسّان: سبحان الله! يا عم لا أتخوّف عليك، فلا تحدّثك نفسك بشيء من هذا.

ثمّ دخل القوم على عبيد الله بن زياد وشريح القاضي جالس عنده، فلمّا نظر إليهم من بعيد التفت إلى شريح القاضي فقال:

أُريد حياتَه ويُريد قتلي خَليلي مِن عَذيري مِن مُراد

فقال له هانئ بن عروة: وما ذاك أيّها الأمير؟ فقال: بالله يا هانئ جئت بمسلم بن عقيل، وجمعت له الجموع من السلاح والرجال في الدار حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى عليّ وأنّي لا أعلم؟

فقال: ما فعلت، قال ابن زياد: بلى قد فعلت، قال: ما فعلت، فقال ابن زياد: أين معقل؟

فجاء معقل حتّى وقف بين يديه، فنظر هانئ إلى معقل مولى زياد فعلم أنّه كان عيناً عليهم، و أنّه هو الذي أخبر ابن زياد عن مسلم، فقال: أصلح الله الأمير! والله،

ما دعوت مسلم بن عقيل ولا •آويته، ولكنّه جاءني مستجيراً، فاستحييت من ردّه وأخذني من ذلك ذمام، فأمّا إذا قد علمت فخلّ سبيلي حتّى أرجع إليه وآمره أن يخرج من داري فيذهب حيث شاء. ٤٧/٥

فقال ابن زياد: لا والله، ما تفارقني أو تأتيني بمسلم بن عقيل!

فقال: إذاً والله لا آتيك به أبداً، آتيك بضيفي؟! فقال: والله، لا تفارقني حتّى تأتي به، فقال: والله، لا كان ذلك أبداً.

قال فتقدّم مسلم بن عمرو الباهلي وقال: أصلح الله الأمير، ائذن لي في كلامه، فقال: كلّمه بما أحببت ولا تخرجه من القصر. قال: فأخذ مسلم بن عمرو بيد هانئ فنحّاه ناحية، ثمّ قال: ويلك يا هذا! أنشدك بالله أن تقتل نفسك أو تدخل البلاء على عشيرتك في سبب مسلم بن عقيل، يا هذا! سلّمه إليه، فإنّه لن يقدم عليه بالقتل أبداً، واُخرى فإنّه سلطان، وليس عليك في ذلك عار ولا منقصة.

قال هانئ: بلى والله، عليّ في ذلك من أعظم العار أن يكون مسلم في جواري وضيفي، وهو رسول ابن بنت رسول اللهﷺ وأنا حيّ صحيح الساعدين كثير الأعوان، والله، لو لم أكن إلّا وحدي ـ لكن وأنا كثير الأعوان ـ لما سلّمته إليه أبداً حتّى أموت.

قال: فردّه مسلم بن عمرو وقال: أيّها الأمير، إنّه قد أبى أن يسلّم مسلم بن عقيل أو يقتل.

قال: فغضب ابن زياد وقال: والله، لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك! فقال: إذاً والله تكثر البارقة حول دارك.

فقال له ابن زياد: أ بالبارقة تخوّفني؟ ثمّ أخذ قضيباً كان بين يديه فضرب به وجه هانئ، فكسر به وجهه وأنفه وشقّ حاجبه.

•قال: فضرب هانئ بيده إلى قائم سيف من سيوف أصحاب ابن زياد، فجاذبه ذلك الرجل ومنعه من السيف، وصاح عبيد الله بن زياد: خذوه! فأخذوه وألقوه في بيت من بيوت القصر وأغلقوا عليه الباب. ٤٨/٥

قال: ثمّ وثب أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد فقال: أيّها الأمير، أمرتنا أن نأتيك بالرجل فلمّا جئناك به وأدخلناه إليك هشمت وجهه وأسلت دمه، وزعمت أنّك تقتله؟! قال: فغضب ابن زياد وقال: وأنت ههنا أيضاً؟ ثمّ أمر بأسماء بن خارجة فضرب حتّى وقع لجنبه.

قال: فحبس أسماء ناحية من القصر وهو يقول: إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! إلى نفسي أنعاك يا هانئ.

قال: وبلغ ذلك بني مذحج، فركبوا جميعهم عن آخرهم حتّى وافوا باب القصر، فضجّوا وارتفعت أصواتهم.

فقال عبيد الله بن زياد: ما هذا؟ فقيل له: أيّها الأمير، هؤلاء عشيرة هانئ بن عروة يظنّون أنّه قد قتل.

فقال ابن زياد للقاضي شريح: قم فادخل إليه وانظر حاله واخرج إليهم وأعلمهم أنّه لم يقتل.

قال: فدخل شريح إلى هانئ فنظر إليه، ثمّ خرج إلى القوم فقال: يا هؤلاء! لا تعجلوا بالفتنة فإنّ صاحبكم لم يقتل، والذي أبلغكم فإنّه أبلغكم باطلاً. ٤٩/٥

قال: فرجع القوم وانصرفوا.

قال: وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتّى دخل المسجد الأعظم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدة والسيوف المسلّلة، فقال: أمّا بعد؛ يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمّد صلى الله عليه وآله وطاعة أئمّتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا؛ فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلنّ أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

قال: فما أتمّ عبيد الله بن زياد ذلك الخطبة حتّى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أيّها الأمير، الحذر الحذر! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جميع مَن بايعه! قال: فنزل عبيد الله بن زياد عن المنبر مسرعاً وبادر فدخل القصر وأغلق الأبواب.

ذكر مسلم بن عقيلﷺ وخروجه على عبيد الله بن زياد

قال: وأقبل مسلم بن عقيلﷺ في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكو السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه. قال: وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس.

٥٠/٥ •قال: وجعل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد اسمه كثير بن شهاب ينادي من أعلى القصر بأعلى صوته: ألا يا شيعة مسلم بن عقيل، ألا يا شيعة الحسين بن عليّ، الله الله في أنفسكم وفي أهاليكم وأولادكم، فإنّ جنود أهل الشام قد أقبلت، وأنّ الأمير عبيد الله بن زياد قد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنّكم العطاء، وليفرّقنّ مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخذنّ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقي منكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال أمرها.

قال: فلمّا سمع الناس ذلك تفرّقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيلﷺ، ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة، وغداً تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم.

قال: ثمّ جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة.

فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقة الكوفة، وقد أثخن بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها: طوعة، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي، فتزوّجها رجل من حضرموت يقال له: أسد بن البطين، فأولدها ولداً

٥١/٥ يقال له: أسد. وكانت المرأة واقفة على باب •دارها، فسلّم عليها مسلم بن عقيل، فردّت عليه السلام، ثمّ قالت: ما حاجتك؟

قال: اسقيني شربة من الماء فقد بلغ منّي العطش! قال: فسقته حتّى روي فجلس على بابها، فقالت: يا عبدالله! ما لك جالس أما شربتِ؟

فقال: بلى والله ولكنّي ما لي بالكوفة منزل، وإنّي غريب قد خذلني مَن كنت أثق به، فهل لَكِ في معروف تصطنعيه إليَّ، فإنّي رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافئ بالإحسان.

فقالت: وكيف ذلك؟ ومَن أنت؟

فقال مسلم عليه السلام: خلّي هذا الكلام وأدخليني منزلك عسى الله أن يكافئك غدا بالجنّة.

فقالت: يا عبدالله، خبّرني اسمك ولا تكتمني شيئاً من أمرك، فإنّي أكره أن يدخل منزلي من قبل معرفة خبرك وهذه الفتنة قائمة، وهذا عبيد الله بن زياد بالكوفة.

فقال لها مسلم بن عقيل:

إنّك لو عرفتني حقّ المعرفة لأدخلتني دارك، أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب!

فقالت المرأة: قم فادخل رحمك الله! فأدخلته منزلها وجاءته بالمصباح وبالطعام فأبى أن يأكل.

فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فلمّا أتى وجد أُمّه تكثر دخولها وخروجها إلى بيت هناك و هي باكية، فقال لها: يا أمّاه، إنّ أمرك يريبني لدخولك هذا البيت وخروجك منه باكية، ما قصّتك؟ فقالت: يا ولداه، إنّي مخبرتك بشيء لا تفشه لأحد، فقال لها: قولي ما أحببت، فقالت له: يا بنيّ، إنّ مسلم بن عقيل في ذلك البيت، وقد كان من قصّته كذا وكذا. قال: فسكت الغلام ولم يقل شيئاً، ثمّ أخذ مضجعه ونام.

فلمّا كان من الغد نادى عبيد الله بن زياد في الناس أن يجتمعوا، ثمّ خرج من

القصر وأتى إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها
•الناس، إنّ مسلم بن عقيل أتى هذا البلاد وأظهر العناد وشقّ العصا، وقد برئت الذمّة ٥٢/٥
من رجل أصبناه في داره، ومَن جاء به فله ديته، اتّقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، ومَن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية، وله في كلّ يوم حاجة مقضيّة، والسلام.

ثمّ نزل عن المنبر ودعا الحصين بن نمير السكوني فقال: ثكلتك أُمّك إن فاتتك سكّة من سكك الكوفة لم تطبق على أهلها أو يأتوك بمسلم بن عقيل! فو الله، لئن خرج من الكوفة سالماً لنريقنّ أنفسنا في طلبه، فانطلق الآن فقد سلّطتك على دور الكوفة وسككها، فانصب المراصد وجدّ الطلب حتّى تأتيني بهذا الرجل.

قال: وأقبل محمّد بن الأشعث حتّى دخل على عبيد الله بن زياد، فلمّا رآه قال: مرحباً بمن لا يُتَّهم في مشورة! ثمّ أدناه وأقعده إلى جنبه. وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم بن عقيل في دارها إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فخبّره بمكان مسلم بن عقيل عند أُمّه. فقال له عبد الرحمن: اسكت الآن ولا تعلم بهذا أحداً من الناس.

قال: ثمّ أقبل عبد الرحمن بن محمّد إلى أبيه فسارّه في أذنه وقال: إنّ مسلماً في دار طوعة، ثمّ تنحّى عنه.

فقال عبيد الله بن زياد: ما الذي قال لك عبد الرحمن؟ فقال: أصلح الله الأمير، البشارة العظمى! فقال: وما ذاك؟ ومثلك من بَشَّرَ بخير. فقال: إنّ ابني هذا يخبرني أنّ مسلم بن عقيل في دار طوعة عند مولاة لنا.

قال: فسرّ بذلك، ثمّ قال: قم فأت به ولك ما •بذلت من الجائزة الحظّ ٥٣/٥
الأوفى.

قال: ثمّ أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزومي أن يبعث مع

محمّد بن الأشعث ثلاثمئة راجل من صناديد أصحابه.

قال: فركب محمّد بن الأشعث حتّى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل.

قال: وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنّه قد أُتي في طلبه، فبادر رحمه الله إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجر بعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب. قال: فتبسّم مسلم رحمه الله، ثمّ قال: يا نفس، اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد، ثمّ قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عنّي خيراً! اعلمي أنّما أُوتيت من قبل ابنك، ولكن افتحي الباب.

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنّه أسد مغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتّى قتل منهم جماعة.

و بلغ ذلك عبيد الله بن زياد، فأرسل إلى محمّد بن الأشعث وقال: سبحان الله! يا عبدالله بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فأثلم في أصحابي ثلمة عظيمة.

فأرسل إليه محمّد بن الأشعث: أيّها الأمير، أما تعلم أنّك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كفّ بطل همام، من آل خير الأنام.

قال: فأرسل إليه عبيد الله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنّك لن تقدر عليه إلّا بالأمان. فجعل محمّد بن الأشعث يقول: ويحك يا بن عقيل! لا تقتل نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول: ٥٤/٥ •لا حاجة إلى أمان الغدرة، ثمّ جعل يقاتلهم وهو يقول:

أَقسَمتُ لا أُقتل إلّا حُرّا ... وَ لَو وَجَدتُ الموتَ كأساً مُرّا

أَكرَهُ أن أُخدع أو أُغرّا ... كُلُّ امرئٍ يَوماً يلاقي شَرّا

أَضرِبُكُم ولا أَخاف ضرّا

قال: فناداه محمّد بن الأشعث وقال: ويحك يا ابن عقيل! إنّك لا تكذب ولا تغرّ،

القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك.

قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيلﷺ إلى كلام ابن الأشعث وجعل يقاتل حتّى أُثخن بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا عليه فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة، فقال مسلم: ويلكم! ما لكم ترمونني بالحجارة كما ترمى الكفار وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار؟! ويلكم! أما ترعون حقّ رسول اللهﷺ وذرّيته؟!

قال: ثمّ حمل عليهم على ضعفه فكسرهم وفرّقهم في الدروب، ثمّ رجع وأسند ظهره إلى باب دار هناك، فرجع القوم إليه، فصاح بهم محمّد بن الأشعث: ذروه حتّى أُكلّمه بما يريد.

قال: ثمّ دنا منه ابن الأشعث حتّى وقف قبالته وقال: ويلك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي.

فقال له مسلم: أ تظنّ يا ابن الأشعث أنّي أعطي بيدي أبداً وأنا أقدر على القتال؟! لا والله، لا كان ذلك أبداً! ثمّ حمل عليه حتّى ألحقه بأصحابه. ثمّ رجع موضعه فوقف وقال: اللّهمّ إنّ العطش قد بلغ منّي! قال: فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا قرب منه.

فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إنّ هذا لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة.

قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصده من أهل الكوفة رجل يقال له بكير بن حمران الأحمري، فاختلفا بضربتين فضربه بكير ضربة على شفته العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربة فسقط إلى الأرض قتيلاً، قال: فطعن من ورائه طعنة، فسقط
•إلى الأرض، فأُخذ أسيراً، ثمّ أُخذ فرسه وسلاحه. ٥٥/٥

و تقدّم رجل من بني سليمان يقال له: عبيد الله بن العبّاس فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء! فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله، لا تذوق الماء يا ابن عقيل أو تذوق الموت!

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظّك وأغلظك! أشهد عليك أنّك إن كنت من قريش فإنّك مصلق، وإن كنت من غير قريش فإنك مدّعٍ إلى غير أبيك، مَن أنت يا عدوّ الله؟

فقال: أنا من عرف الحقَّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ فششته، وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي!

فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم؛ إذ آثرت طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال مسلم بن عقيل رحمه الله: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربة من ماء! فأتاه غلام لعمرو بن حريث الباهلي بقلّة فيها ماء وقدح فيها فناوله القلّة، فكلّما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل رحمه الله من شرب الماء.

قال: وأُتي به حتّى أُدخل على عبيد الله بن زياد.

ذكر دخول مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد وما كان من كلامه وكيف قتل؟

قال: فأُدخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد فقال له الحرسي: سلّم على الأمير، فقال له مسلم: اسكت لا أُمّ لك! مالك وللكلام؟ والله، ليس هو لي بأمير فأُسلّم عليه! وأُخرى فما ينفعني السلام عليه وهو يريد قتلي؟! فإن استبقاني فسيكثر عليه سلامي.

٥٦/٥ فقال له عبيد الله بن زياد: لا عليك سلّمت أم لم تسلّم، فإنّك •مقتول!

فقال مسلم بن عقيل: إن قتلتني فقد قَتَلَ شرُّ منك مَن كان خيراً منّي.

فقال له ابن زياد: يا شاقّ! يا عاقّ! خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة!

فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد، والله، ما كان معاوية خليفة بإجماع الأُمّة، بل

تغلّب على وصيّ النبيّ بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغصب وكذلك ابنه يزيد. وأمّا الفتنة فإنّك ألقحتها أنت وأبوك زياد بن علاج من بني ثقيف وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شرّ بريّته، فو الله، ما خالفت ولا كفرت ولا بدّلت! وإنّما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

فقال له ابن زياد:

يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة؟ فقال مسلم بن عقيل: أحقّ والله بشرب الخمر منّي مَن يقتل النفس الحرام، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنّه لم يسمع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! منّتك نفسك أمراً أحالك الله دونه وجعله لأهله.

فقال مسلم بن عقيل: ومَن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد ومعاوية.

فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفى بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد (لعنه الله): أ تظن أنّ لك من الأمر شيئاً؟ فقال مسلم بن عقيل: لا والله، ما هو الظنّ ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك!

فقال مسلم: إنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة، والله، لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم وقدرت على شربة من ماء لطال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن كنت عزمت على قتلي ولابدّ لك من ذلك، فأقم إليَّ رجلاً من قريش أُوصي إليه بما أُريد.

٥٧/٥ •فوثب إليه عمر بن سعد بن أبي وقّاص فقال: أوصِ إليَّ بما تريد يا بن عقيل. فقال: أُوصيك ونفسي بتقوى الله؛ فإنّ التقوى فيها الدرك لكلّ خير، وقد علمت ما بيني وبينك من القرابة، ولي إليك حاجة وقد يجب عليك لقرابتي أن تقضي حاجتي.

قال: فقال ابن زياد: لا يجب يا ابن عمر أن تقضي حاجة ابن عمّك وإن كان مسرفاً على نفسه فإنّه مقتول لا محالة.

فقال عمر بن سعد: قل ما أحببت يا ابن عقيل.

فقال مسلم عليه السلام: حاجتي إليك أن تشتري فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه وتقضي عنّي سبعمئة درهم استدنتها في مصركم، وأن تستوهب جثّتي إذا قتلني هذا وتواريني في التراب، وأن تكتب إلى الحسين بن عليّ أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي.

قال: فالتفت عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد فقال: أيّها الأمير، إنّه يقول كذا وكذا.

فقال ابن زياد: أمّا ما ذكرت يا ابن عقيل من أمر دَينِكَ فإنّما هو مالك يقضي به دينك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأمّا جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك، وأمّا الحسين، فإن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكفّ عنه، و لكنّي أُريد أن تخبرني يا ابن عقيل بما ذا أتيت إلى هذا البلد؟ شتّت أمرهم، وفرّقت كلمتهم، ورميت بعضهم على بعض!

فقال مسلم بن عقيل: لستُ لذلك أتيت هذا البلد، ولكنّكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، و تأمّرتم على الناس من غير رضىً، وحملتموهم على غير ما
٥٨/٥ •أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنّة، وكنّا أهل ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا فإنّا قهرنا عليها؛ لأنّكم أوّل من خرج على إمام هدى، وشقّ عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلّا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾!

قال: فجعل ابن زياد يشتم عليّاً والحسن والحسين (رضي الله عنهم)، فقال له

مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتيمة منهم، فاقضِ ما أنت قاضٍ، فنحن أهل بيت موكّل بنا البلاء.

فقال عبيد الله بن زياد: الحقوا به إلى أعلى القصر فاضربوا عنقه وألحقوا رأسه جسده.

فقال مسلمﷺ: أما والله يا ابن زياد، لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما قتلتني، ولكنّك ابن أبيك.

قال: فأدخله ابن زياد القصر ثمّ دعا رجلاً من أهل الشام قد كان مسلم بن عقيل ضربه على رأسه ضربة منكرة، فقال له: خذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك.

قال: فأُصعد مسلم بن عقيلﷺ إلى أعلى القصر، وهو في ذلك يسبّح الله تعالى ويستغفره، وهو يقول: اللّهمّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا، فلم يزل كذلك حتّى أُتي به إلى أعلى القصر، وتقدّم ذلك الشامي فضرب عنقهﷺ.

ثمّ نزل الشامي إلى عبيد الله بن زياد وهو مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أ قتلته؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير، إلّا أنّه عرض لي عارض فأنا له فزع مرعوب.

٥٩/٥ فقال: ما الذي عرض لك؟ قال: رأيت ساعة قتلته رجلاً حذاي أسود •كثير السواد، كريه المنظر، وهو عاضّ على إصبعيه ـ أو قال: شفتيه ـ ففزعت منه فزعاً لم أفزع قطّ مثله.

قال: فتبسّم ابن زياد وقال له: لعلّك دهشت، وهذه عادة لم تعتدها قبل ذلك.

٦١/٥

•ذكر هانئ بن عروة ومقتله بعد مسلم بن عقيل رحمهما الله تعالى

قال: ثمّ أمر عبيد الله بن زياد بهانئ بن عروة أن يخرج فيلحق بمسلم بن عقيل، فقال محمّد بن الأشعث: أصلح الله الأمير، إنّك قد عرفت شرفه في عشيرته، وقد عرف قومه أنّي وأسماء بن خارجة جئنا به إليك، فأنشدك الله أيّها الأمير، إنّما وهبته لي فإنّي أخاف عداوة أهل بيته، وإنّهم سادات أهل الكوفة وأكثرهم عدداً.

قال: فزبره ابن زياد، ثمّ أمر بهانئ بن عروة فأُخرج إلى السوق إلى موضع يباع فيه الغنم وهو مكتوف. قال: وعلم أنّه مقتول فجعل يقول: وا مذحجاه! وا عشيرتاه! ثمّ أخرج يده من الكتاف وقال: أما من شيء فأدفع به عن نفسي؟! قال: فصكّوه، ثمّ أوثقوه كتافاً، فقالوا: امدد عنقك! فقال: لا والله، ما كنت الذي أُعينكم على نفسي، فتقدّم إليه غلام لعبيد الله بن زياد يقال له: رشيد فضربه بالسيف فلم يصنع شيئاً.

فقال هانئ: إلى الله المعاد، اللّهمّ إلى رحمتك ورضوانك، اللّهمّ اجعل هذا اليوم كفّارة لذنوبي! فإنّي إنّما تعصّبت لابن بنت نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله، فتقدّم رشيد وضربه ضربة أُخرى فقتله رحمه الله.

٦٢/٥ قال: ثمّ أمر عبيد الله بن زياد •بمسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (رحمهما الله) فصلبا جميعاً منكّسين، وعزم أن يوجّه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، فأنشأ رجل من بني أسد يقول:

إذا كُنتِ لا تَدرينَ ما المَوتُ فانظُري ... إلى هانِئٍ فِي السوقِ وابنِ عقيلِ
إلى بَطَلٍ قَد فَلَّقَ السيفُ رأسَهُ ... و آخَرَ يَهوي مِن جِدارٍ قَتيلِ
أَصابَهُما أمرُ الإلهِ فَأَصبَحا ... أَحاديثَ مَن يَسعى بِكُلِّ سَبيلِ
تَرى جَسَداً قَد غَيَّرَ المَوتُ لَونَهُ ... و نَضحَ دَمٍ قَد سالَ كُلَّ مَسيلِ
فَتًى كانَ أحيى مِن فتاةٍ حيّيةٍ ... و أَقطَعُ مِن ذي شَفرَتَينِ صَقيلِ
فإن أَنتُمُ لَم تَثأَروا بأَخيكُمُ ... فَكُونُوا بَغايا أُرضِيَت بِقَليلِ

ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية

قال: ثمّ كتب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، من عبيد الله بن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقّه وكفاه مؤنة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين أيّده الله أنّ مسلم بن عقيل الشاقّ للعصا قدم إلى الكوفة، ونزل في دار هانئ بن عروة المذحجي، وإنّي جعلت عليهما العيون

حتّى استخرجتهما، فأمكنّي الله منهما بعد حرب ومناقشة، فقدّمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن أبي حيّة الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنّة والجماعة، فليسألهما •أمير المؤمنين عمّا ٦٣/٥
تحبّ فإنّهما ذو عقل وفهم وصدق.

قال: فلمّا ورد الكتاب والرأسان جميعاً إلى يزيد بن معاوية، قرأ الكتاب وأمر بالرأسين فنصبا على باب مدينة دمشق، ثمّ كتب إلى ابن زياد: أمّا بعد؛ فإنّك لم تعد إذا كنت كما أُحبّ عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابض، فقد كفيت ووقيت ظنّي ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما عن الذي ذكرت فقد وجدتهما في رأيهما وعقلهما وفهمهما و فضلهما ومذهبهما كما ذكرت، وقد أمرت لكلّ واحد منهما بعشرة آلاف درهم وسرّحتهما إليك، فاستوصِ بهما خيراً، وقد بلغني أنّ الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) قد عزم على المسير إلى العراق، فضع المراصد والمناظر واحترس واحبس على الظنّ، واكتب إليَّ في كلّ يوم بما يتجدّد لك من خير أو شرّ، والسلام.

ابتداء أخبار الحسين بن عليّ عليه السلام • ٦٤/٥

قال: وبلغ الحسين بن عليّ بأنّ مسلم بن عقيل قد قتل رحمه الله، وذلك أنّه قدم عليه رجل من أهل الكوفة فقال له الحسين: مَن أين أقبلت؟ فقال: من الكوفة، وما خرجت منها حتّى نظرت مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المذحجي (رحمهما الله) قتيلين مصلوبين منكّسين في سوق القصّابين. وقد وجّه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية.

قال: فاستعبر الحسين باكياً، ثم قال: إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ!

ثمّ إنّه عزم على المسير إلى العراق، فدخل عليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، فقال: يا ابن بنت رسول الله، إنّي أتيت إليك بحاجة أُريد أن أذكرها لك، فأنا غير غاشّ لك فيها، فهل لك أن تسمعها؟

فقال الحسين: هات، فو الله، ما أنت عندي بمسيء الرأي، فقل ما أحببت.

فقال: قد بلغني أنّك تريد العراق وإنّي مشفق عليك من ذلك، إنّك ترد إلى قوم فيهم الأُمراء ومعهم بيوت الأموال، ولا آمن عليك أن يقاتلك مَن أنت أحبّ إليه من أبيه وأُمّه ميلاً إلى الدنيا والدرهم، فاتّق الله ولا تخرج من هذا الحرم.

٦٥/٥ فقال له الحسين: •جزاك الله خيراً يا بن عمّ! فقد علمت أنّك أمرت بنصح، ومهما يقضي الله من أمر فهو كائن، أخذت برأيك أم تركته. قال: فانصرف عنه عمر بن عبد الرحمن وهو يقول:

رُبَّ مستنصحٍ سَيعصى ويؤذى و نَصيحٍ بالغيبِ يـلفي نـصيحا

قال: وقدم ابن عبّاس في تلك الأيّام إلى مكّة، وقد بلغه أنّ الحسين عليه السلام يريد أن يصير إلى العراق، فأقبل حتّى دخل عليه مسلّماً، فقال: جعلت فداك يا ابن بـنت رسول الله! إنّه قد شاع الخبر في الناس وأرجفوا بأنّك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟

فقال الحسين: نعم، إنّي أزمعت على ذلك في أيّامي هذه إن شاء الله، ولا قوّة إلّا بالله.

فقال ابن عبّاس رضي الله عنه: أُعيذك بالله من ذلك! فإن تصر إلى قوم قـد قـتلوا أمـيرهم وضبطوا بلادهم و نفوا عدوّهم، في مسيرك إليهم لعمري الرشاد والسداد، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم قاهر لهم، وعمّالهم يـجبون بـلادهم، وإنّـما دعـوك إلى الحرب والقتال، وإنّك تعلم أنّه بلد قد قُتِلَ فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، وقتل فيه ابن عمّك، وبويع يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد في البلد يعطي ويفرض، والناس اليوم إنّما هم عبيد الدينار والدرهم، ولا آمن عليك أن تقتل، فاتّق الله والزم هـذا الحرم.

فقال له الحسين: والله، أن أُقتل بالعراق أحبّ إليَّ من أن أُقتل بمكّة، وما قضى الله فهو كائن، و أنا مع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون.

٦٦/٥ • ثمّ بعد ذلك أقبل عبدالله بن عبّاس إليه فدخل وقال: يا ابن بنت رسول الله، إنّي قد رأيت رأيين إن قبلت منّي.

فقال الحسين: وما ذاك؟ قال: تخرج إلى بلاد اليمن، فإنّ فيها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، وإن لك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة، فإذا استوطنت بها اكتب إلى الناس وأعلمهم مكانك.

فقال الحسين: يا ابن عمّي، إنّي لأعلم أنّك ناصح شفوق، ولكنّي أزمعت على المسير إلى العراق، ولابدّ من ذلك.

فأطرق ابن عبّاس رضي الله عنه ساعة، ثمّ قال: يا ابن بنت رسول الله، إن كنت قد أزمعت ولابدّ لك من ذلك فلا تسر بنسائك وأولادك؛ فإني خائف عليك أن تقتل كما قتل عثمان بن عفّان رضي الله عنه وأهله وولده ينظرون إليه ولا يقدرون له على حيلة، والله يا ابن بنت رسول الله ﷺ، لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك عن مكّة وتخليتك إيّاه هذا البلد، وهو اليوم لا ينظر إليه، فإذا خرجت نظر إليه الناس بعد ذلك.

فقال الحسين رضي الله عنه:

إنّي أستخير الله تعالى في هذا الأمر ماذا يكون.

قال: فخرج ابن عبّاس من عنده وهو يقول: وا حبيباه! ثمّ مرّ ابن عبّاس بابن الزبير وجعل يقول:

يـــا لَكِ مِـــن قُـــبَّرَةٍ بِـــمَعمَرِ خَلا لَكِ الجوُّ فَبيضي واصفِري

نَـــقِّري مـــا شِـئتِ أن تُـنقِّري قَد رُفِـعَ الفَـخُّ فَـماذا تَـحذَرِي

لا بُدَّ مِن أَخذِكِ يوماً فاصبِرِي

٦٧/٥ • قال: ثمّ أقبل ابن عبّاس إلى عبدالله بن الزبير فقال: قرّت عيناك يا ابن الزبير! هذا الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) يخرج إلى العراق ويخلّيك والحجاز!

و انتقل الخبر بأهل المدينة أنّ الحسين بن عليّ يريد الخروج إلى العراق، فكتب

إليه عبدالله بن جعفر:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ، من عبدالله بن جعفر، أمّا بعد؛ أنشدك الله أن لا تخرج عن مكّة، فإنّي خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك و أهل بيتك، فإنّك إن قتلت أخاف أن يطفئ نور الأرض، وأنت روح الهدى وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير إلى العراق، فإنّي آخذ لك الأمان من يزيد وجميع بني أُميّة على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك، والسلام.

قال: فكتب إليه الحسين بن عليّ:

أمّا بعد؛ فإنّ كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أنّي رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، فخبّرني بأمر وأنا ماضٍ له، لي كان أو عليّ، والله يا ابن عمّي، لو كنت في جحر هامة من هوامّ الأرض لاستخرجوني ويقتلوني، والله يا ابن عمّي، ليعدين عليّ كما عدت اليهود على السبت والسلام.

قال: وكتب إليه سعيد بن العاص من المدينة: أمّا بعد؛ فقد بلغني أنّك قد عزمت على الخروج إلى العراق، وقد علمت ما نزل بابن عمّك مسلم بن عقيل عليه السلام وشيعته، وأنا أُعيذك بالله من الشيطان، فإنّي خائف عليك منه الهلاك، •وقد بعثت إليك بابني ٦٨/٥
يحيى بن سعيد فأقبل إليَّ معه، فلك عندنا الأمان والصلة والبرّ والإحسان وحسن الجوار، والله لك بذلك عليّ شهيد ووكيل ومراع وكفيل، والسلام.

فكتب إليه الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما):

أمّا بعد؛ فإنّه لن يشاقّ من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال: إنّني من المسلمين، وقد دعوت إلى البرّ والإحسان، وخير الأمان أمان الله، ونحن نسأل الله لنا ولك في الدنيا والآخرة عملاً زكيّاً، فإن كنت نويت في كتابك هذا إليَّ من برّي وصلتي فجزيت بذلك خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام.

قال: وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلى أهل المدينة على البريد

من قريش وغيرهم من بني هاشم، وفيه هذه الأبيات:

يـا أيُّـها الراكِبُ الغـادي لِـطِيَّتِهِ ... عَـلى عُـذافِـرَةٍ فـي سَـيرة قُـحَمُ
أبلِغ قُـرَيشاً عـلى نَـأي المَـزارِ بِـها ... بَـيني وبَـينَ الحُسَـينِ اللهُ والرحِـمُ
ومَـوقِفٌ بِـفِناءِ البَـيتِ يـنشُدُهُ ... عَـهدَ الإلهِ ومـا تُـوفي بـهِ الذِّمَـمُ
غَـنيتُمُ قَـومَكُم فَـخراً بِـأُمِّكُمُ ... أُمٌّ لَـعَمري حَـصانٌ بَـرَّةٌ كَـرَمُ
هِـيَ التـي لا يُـدانـي فَـضلَها أحـدٌ ... بِنتُ الرسولِ وخَيرُ الناسِ قَد عَلِموا
وفَـضْلُها لَكُـم فَـضلٌ وغَـيرُكُـمُ ... مِن يَـومِكُم لَـهُم فـي فَـضلِها قَسَـمُ
إنّـي لأَعـلَمُ حـقّاً غَـيرُ مـا كَـذِبٍ ... و الطَـرفُ يَـصدُقُ أَحـياناً ويَـقتَصِمُ
إن سَوفَ يُـدرِكُكُم مـا تَـدَّعونَ بِـها ... قَـتلى تَـهاداكُـمُ العُـقبانُ والرَخَـمُ
يا قَومَنا لا تَشُبُّوا الحَربَ إذ سَكَنَت ... تَـمَسَّكوا بِـحِبالِ الخَـيرِ واعـتَصِموا
قَد غَرَّتِ الحَربُ مَن قَد كانَ قَـبلَكُمُ ... مِنَ القُـرونِ وقَـد بـادَت بِـها الأُمَـمُ
فَـأَنصِفوا قَـومَكُم لا تَـهلِكوا بَـذَخاً ... فَـرُبَّ ذي بَـذَخٍ زَلَّت بِـهِ القَـدَمُ

قال: فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات، ثمّ وجّهوا بها وبالكتاب إلى الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما)، فلمّا نظر فيه علم أنّه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الحسين الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾، والسلام.

قال: ثمّ جمع الحسين أصحابه الذين قد عزموا على الخروج معه إلى العراق، فأعطى كلّ واحد منهم عشرة دنانير وجملاً يحمل عليه زاده ورحله، ثمّ إنّه طاف بالبيت وبالصفا والمروة، وتهيّأ للخروج، فحمل بناته وأخواته على المحامل.

ذكر مسير الحسين عليه السلام إلى العراق

قال: وخرج الحسين من مكّة يوم الثلاثاء يوم التروية لثمان مضين من ذي الحجّة، ومعه اثنان وثمانون رجلاً من شيعته وأهل بيته، فسار حتّى إذا بلغ ذات عرق فلقيه رجل من بني أسد يقال له: بشر بن غالب، فقال له الحسين: ممّن •الرجل؟ قال: رجل من بني أسد، قال: فمن أين أقبلت يا أخا بني أسد؟ قال: من العراق. ٦٩/٥

فقال: كيف خلّفت أهل العراق؟ قال: يا ابن بنت رسول الله، خلّفت القلوب معك والسيوف مع بني أُميّة!

فقال له الحسين: صدقت يا أخا العرب! إنّ الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال له الأسدي: يا ابن بنت رسول الله، أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾.

فقال الحسين: نعم يا أخا بني أسد، هم إمامان: إمام هدى دعا إلى هدى، وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة، فهدى من أجابه إلى الجنّة، ومن أجابه إلى الضلالة دخل النار.

قال: واتّصل الخبر بالوليد بن عتبة أمير المدينة بأنّ الحسين قد توجّه إلى العراق، فكتب إلى عبيد الله بن زياد:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الوليد بن عتبة إلى عبيد الله بن زياد، أمّا بعد؛ فإنّ الحسين بن عليّ قد توجّه نحو العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فاحذر يا ابن زياد أن تبعث إليه رسولاً فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخاصّ والعامّ، والسلام.

قال: فلم يلتفت عبيد الله بن زياد إلى الكتاب.

قال: وسار الحسين حتّى نزل الخزيميّة وأقام بها يوماً وليلة، فلمّا أصبح أقبلت إليه أُخته زينب بنت عليّ، فقالت: يا أخي، ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة؟

فقال الحسين: وما ذاك؟ فقالت: خرجت في بعض الليل لقضاء حاجة فسمعت هاتفاً يهتف و هو يقول:

ألا يـــا عَـينُ فـاحتَفِلي بِـجُهدِ و مَن يَبكِي عَلى الشُهَداءِ بَعدِي
عَـــلى قَـــومٍ تَسـوقُهُمُ المَـنايا بِـــمِقدارٍ إلى إِنـــجازِ وَعـــدِي

فقال لها الحسين: يا أُختاه، المقضي هو كائن.

قال: وسار الحسين حتّى نزل الثعلبية وذلك فـي وقت الظـهيرة، فـنزل وتـرك أصحابه، ثمّ وضع الحسين رأسه ونام، ثمّ انتبه من نومه باكياً، فقال له ابنه: ما لك تبكي يا أبتِ لا أبكى الله لك عيناً؟ ٧٠/٥

فقال الحسين: يا بنيّ، إنّها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا، أعلمك أنّي رأيت فارساً على فرس حتّى وقف عليّ فقال: يا حسين، إنّكم تسرعون المسير والمنايا بكـم تسرع إلى الجنّة، فعلمت أنّ أنفسنا قد نعيت إلينا.

فقال له ابنه: يا أبتِ، أَلسنا على الحقّ؟ قال: بلى يا بني والذي ترجع العباد إليه! فقال عليّ عليه السلام: إذاً لا نبالي بالموت. فقال الحسين: جزاك الله عنّي يا بـنيّ خـيراً جزي به ولد عن والد.

قال: فلمّا أصبح الحسين وإذا برجل من الكوفة يكنّى أبا هرّة الأزدي أتاه فسلّم عليه، ثمّ قال: يا ابن بنت رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جـدّك محمّد صلى الله عليه وآله؟

فقال الحسين: يا أبا هرّة، إنّ بني أُمية أخذوا مالي فصبرت، وشـتموا عـرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله يا أبا هرة لتقتلني الفئة الباغية! وليلبسهم الله ذلّاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من قوم سبأ؛ إذ ملكتهم امرأة منهنّ فحكمت في أموالهم وفي دمائهم.

قال: وسار الحسين حتّى نزل الشقوق فإذا هو بالفرزدق بن غالب الشاعر قـد

أقبل عليه، فسلّم ثمّ دنا منه فقبّل يده، فقال الحسين: من أين أقبلت يا أبا فراس؟

فقال: من الكوفة يا ابن بنت رسول الله، فقال: كيف خلّفت أهل الكوفة؟ فقال: خلفت الناس معك وسيوفهم مع بني أُميّة، والله يفعل في خلقه ما يشاء!

فقال: صدقت وبررت، إنّ الأمر لله يفعل ما يشاء وربّنا تعالى كلّ يوم هو في شأن، فإن نزل القضاء بما نحبّ فالحمد لله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتدِ من كان الحقّ نيّته.

فقال الفرزدق: يا ابن بنت رسول الله! كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم قد قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته؟ قال: فاستعبر الحسين بالبكاء، ثمّ قال: رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنّته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه ٧١/٥ وبقي ما علينا.

قال: ثمّ أنشأ الحسين يقول:

وإن تَكُنِ الدُنيا تُعَدُّ نَفيسَةً ... فَدارُ ثوابِ اللهِ أعلى وأَنبَلُ

إن تَكُنِ الأَبدانُ لِلمَوتِ أُنشِئَت ... فَقَتلُ امرِئٍ بالسَيفِ في اللهِ أفضَلُ

إن تَكُنِ الأَرزاقُ رِزقاً مُقَدَّراً ... فَقِلّةُ حِرصِ المَرءِ فِي الرزقِ أجمَلُ

إن تَكُنِ الأموالُ لِلتَركِ جَمعُها ... فَما بَال مَتروكٍ بِه الخَيرُ يُبخَلُ

قال: ثمّ ودّعه الفرزدق في نفر من أصحابه، ومضى يريد مكّة. فأقبل عليه ابن عمّ له من بني مجاشع فقال: أبا فراس، هذا الحسين بن عليّ، فقال الفرزدق: هذا الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمّد صلى الله عليه وآله، هذا والله ابن خيرة الله، وأفضل من مشى على وجه الأرض بعد محمّد، وقد كنت قلت فيه أبياتاً قبل اليوم، فلا عليك أن تسمعها.

فقال له ابن عمّه: ما أكره ذلك يا أبا فراس، فإن رأيت أن تنشدني ما قلت فيه! فقال الفرزدق: نعم، أنا القائل فيه وفي أبيه وأخيه وجدّه صلوات الله عليهم هذه

الأبيات:

هـذا الذي تَـعرِفُ البَـطحاءُ وطـأَتَهُ ... وَ البَـيتُ يَـعرِفُهُ والحِـلُّ والحَـرَمُ
هـذا ابـنُ خَـيرِ عِـبادِ اللهِ كُـلِّهِمُ ... هـذا التَّـقيُّ النَـقِيُّ الطـاهِرُ العَـلَمُ
هـذا حُسَـينٌ رسـولُ الله والِـدُهُ ... أمسَت بِـنورِ هُـداهُ تَـهتَدي الأُمَـمُ
هـذا ابـنُ فـاطمةَ الزهـراءِ عِـترَتُها ... فـي جَـنَّةِ الخُـلدِ مَـجرِيّاً بـها القَـلَمُ
إذا رأتـه قُـريشٌ قَـالَ قـائِلُها ... إلى مَكـارِمِ هـذا يَـنتَهي الكَـرَمُ
يَكـادُ يُـمسِكُهُ عِـرفانُ راحَـتِهِ ... رُكـنُ الحَـطيمِ إذا مـا جَـاءَ يَستَلِمُ
بِكَـفِّهِ خَـيزُرانٌ ريـحُهُ عَـبِقٌ ... بِكَـفِّ أروَعَ فـي عِـرنينِهِ شَـمَمُ
يُـغضي حَـياءً ويُـغضي مِـن مَـهابَتِهِ ... فَـلا يُكَـلِّمُ إلّا حـينَ يـبتَسِمُ
يَـنشَقُّ نـورُ الدُّجـىَ عَـن نـورِ غُـرَّتِهِ ... ككالشَّمسِ تَنجابُ عَن إشراقِها الظُّـلَمُ
مُشـتَقَّةٌ مِـن رَسـولِ اللهِ نَـبعَتُهُ ... طـابَت أرومَـتُهُ والخـيمُ والشِّـيَمُ
فـي مَـعشَرٍ حُـبُّهُم شُكـرٌ وبُـغضُهُمُ ... كُـفرٌ وقُـربُهُم مـنجى ومُـعتَصَمُ
يُسـتَدفَعُ الضُّـرُّ والبَـلوى بِـحُبِّهِمُ ... و يَسـتَقيمُ بِـهِ الإحسـانُ والنِـعَمُ
إن عُـدَّ أَهـلُ النَـدى كـانوا أئـمَّتَهُم ... أو قيلَ: مَن خيرُ أهلِ الأرضِ؟ قيلَ: هُمُ
لايَسـتَطيعُ جَـوادٌ بَـعدَ جُـودِهِمُ ... و لا يُـدانـيهِمُ قَـومٌ وإن كَـرمُوا
بُـيوتُهُم مِـن قُـرَيشٍ يُستضاءُ بِـها ... في النائِبات وعِـندَ الحُكم إن حَكَموا
فَـجَدُّهُ مِـن قُـرَيشٍ فـي أرومَـتِها ... مُـحَمَّدٌ وعـليّ بَـعدَهُ عَـلَمُ

قال: ثمّ أقبل الفرزدق على ابن عمّه فقال: والله، لقد قلت فيه هذه الأبيات غير متعرّض إلى معروفةٍ، غير أنّي أردت اللهَ والدار الآخرة.

قصّة عبيد الله بن الحرّ الجعفي

قال: وسار الحسين عليه السلام حتّى نزل في قصر بني مقاتل، فإذا هو بفسطاط مضروب، ورمح منصوب، وسيف معلّق، وفرس واقف على مذوده.

فقال الحسين: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لرجل يقال له: عبيد الله بن الحرّ الجعفي.

قال: فأرسل الحسين برجل من أصحابه يقال له: الحجّاج بن مسروق الجعفي، فأقبل حتّى دخل عليه في فسطاطه فسلّم عليه فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ما وراءك؟ فقال الحجّاج: والله، ورائي يا ابن الحرّ! والله، قد أهدى الله إليك كرامة إن قبلتها! قال: وما ذاك؟ فقال: هذا الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت، وإن متّ فإنّك استشهدت.

فقال له عبيد الله: والله، ما خرجت من الكوفة إلّا مخافة أن يدخلها الحسين بن عليّ وأنا فيها، فلا أنصره؛ لأنّه ليس له في الكوفة شيعة ولا أنصار إلّا وقد مالوا إلى الدنيا إلّا من عصم الله منهم، فارجع إليه وخبّره بذاك. ٧٢/٥

فأقبل الحجّاج إلى الحسين فخبّره بذلك، فقام الحسين ثمّ صار إليه في جماعة من إخوانه، فلمّا دخل وسلّم وثب عبيد الله بن الحرّ من صدر المجلس، وجلس الحسين فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ يا ابن الحرّ، فإن مصركم هذه كتبوا إليّ وخبّروني أنّهم مجتمعون على نصرتي، وأن يقوموا دوني ويقاتلوا عدوّي، وأنّهم سألوني القدوم عليهم، فقدمت ولست أدري القوم على ما زعموا؛ لأنّهم قد أعانوا على قتل ابن عمّي مسلم بن عقيل عليه السلام وشيعته، وأجمعوا على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد يبايعني ليزيد بن معاوية، وأنت يا ابن الحرّ، فاعلم أنّ الله عزّ وجلّ مؤاخذك بما كسبت وأسلفت من الذنوب في الأيّام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة تغسل بها ما عليك من الذنوب، وأدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أُعطينا حقّنا حمدنا الله على ذلك وقبلناه، وإن منعنا حقّنا وركبنا بالظلم كنت من أعواني على طلب الحقّ.

فقال عبيد الله بن الحرّ: والله يا ابن بنت رسول الله، لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معكَ لكنت أنا أشدّهم على عدوّك، ولكنّي رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزموا

منازلهم خوفاً من بني أُميّة ومن سيوفهم، فأنشدك بالله أن تطلب منّي هذه المنزلة، وأنا أُواسيك بكلّ ما أقدر عليه وهذه فرسي ملجمة، والله، ما طلبت عليها شيئاً إلّا أذقته حياض الموت، ولا طلبت وأنا عليها فلحقت، وخذ سيفي هذا فوالله، ما ضربت به إلّا قطعت.

فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن الحرّ، ما جئناك لفرسك وسيفك، إنّما أتيناك لنسألك النصرة، فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك، ولم أكن بالذي أتّخذ المضلّين عضداً؛ لأنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: من سمع داعية أهل بيتي ولم ينصرهم على حقّهم إلّا أكبّه الله على وجهه في النار.

ثمّ سار الحسين عليه السلام من عنده ورجع إلى رحله.

فلمّا كان من الغد رحل الحسين، وندم ابن الحرّ على ما فاته من نصرته، ٧٣/٥
• فأنشأ يقول:

أَراهـا حَسرةً ما دُمتُ حَيّاً ... تَرَدَّدُ بَينَ صَدري والتَراقي
حُسينٌ حِينَ يَطلُبُ بَذلَ نَصري ... عَلى أهلِ العَداوةِ والشِقاقِ
فَلو وَاسيتُهُ يَوماً بِنَفسي ... لَنِلتُ كرامةً يَومَ التَلاقي
مَع ابنِ مُحَمَّدٍ تَفديهِ نَفسي ... فَودَّعَ ثُمَّ وَلّى بانطِلاقِ
غَداةَ يَقولُ لي بِالقَصرِ قَولاً ... أ تَترُكُنا وتَعزِم بالفِراقِ
فَلَو فَلَقَ التَلَهُّبُ قَلبَ حيٍّ ... لَهَمَّ القَلبُ مِنّي بانفِلاقِ
فَقَد فازَ الذي نَصَرَ الحُسينَ ... و خابَ الأَخسَرونَ ذَوُو النِفاقِ

قال: وسار الحسينُ على مرحلتين من الكوفة.

• **ذكر الحرّ بن يزيد الرياحي لمّا بعثه عبيدالله بن زياد لحربه الحسين بن عليّ** (رضي الله عنهما)

قال: وإذا الحرّ بن يزيد في ألف فارس من أصحاب عبيد الله بن زياد شاكّين في

السلاح لا يرى منهم إلّا حماليق الحدق، فلمّا نظر إليهم الحسين عليه السلام وقف في أصحابه، ووقف الحرّ بن يزيد في أصحابه، فقال الحسين:

أيّها القوم، من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب الأمير عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: ومن قائدكم؟ قالوا: الحرّ بن يزيد الرياحي.

قال: فناداه الحسين عليه السلام: ويحك بن يزيد! أَ لَنا أم علينا؟ فقال الحرّ: بل عليك أبا عبدالله! فقال الحسين: لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قال: ودنت صلاة الظهر، فقال الحسين عليه السلام للحجّاج بن مسروق: أذّن رحمك الله وأقم الصلاة حتّى نصلّي، قال: فأذّن الحجّاج، فلمّا فرغ من أذانه صاح الحسين بالحرّ بن يزيد فقال له: يا ابن يزيد، أ تريد أن تصلّي بأصحابك وأصلي بأصحابي؟

فقال له الحرّ: بل أنت تصلّي بأصحابك ونصلّي بصلاتك.

فقال الحسين عليه السلام للحجّاج بن مسروق: أقم الصلاة! فأقام، وتقدّم الحسين فصلّى بالعسكرين جميعاً.

فلمّا فرغ من صلاته وَثبَ قائماً فاتّكأ على قائمة سيفه، فحمد الله وأثنى عليه ٧٥/٥ •ثمّ قال:

أيّها الناس، إنّها معذرة إلى الله وإلى من حضر من المسلمين، إنّي لم أقدم على هذا البلد حتّى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم إلينا إنّه ليس علينا إمام فلعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما يثق به قلبي من عهودكم ومن مواثيقكم دخلت معكم إلى مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدومي عليكم انصرفت إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم.

قال: فسكت القوم عنه ولم يجيبوا بشيء.

و أمر الحرّ بن يزيد بخيمة له فضربت، فدخلها وجلس فيها. فلم يزل الحسين عليه السلام واقفاً مقابلهم، وكلّ واحد منهم آخذ بعنان فرسه، وإذا كتاب قد ورد من الكوفة:

من عبيد الله بن زياد إلى الحرّ بن يزيد؛ أمّا بعد؛ يا أخي، إذا أتاك كتابي فجعجع بالحسين ولا تفارقه حتّى تأتيني به، فإنّي أمرت رسولي أن لا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذ أمري إليك، و السلام.

قال: فلمّا قرأ الحرّ الكتاب بعث إلى ثقات أصحابه فدعاهم، ثمّ قال: ويحكم ورد عليّ كتاب عبيد الله بن زياد يأمرني أن أقدم إلى الحسين بما يسوؤه، وو الله، ما تطاوعني نفسي ولا تجيبني إلى ذلك.

فالتفت رجل من أصحاب الحرّ بن يزيد يكنّى أبا الشعثاء الكندي إلى رسول عبيد الله بن زياد، فقال له: فيما ذا جئت ثكلتك أُمّك؟ فقال له: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي وجئت برسالة أميري.

فقال له أبو الشعثاء: لقد عصيتَ ربّك وأطعت إمامك، وأهلكت نفسك واكتسبت عاراً، فبئس الإمام إمامك! قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾. ٧٦/٥

قال: ودنت صلاة العصر فأمر الحسين مؤذّنه فأذّن وأقام الصلاة، وتقدّم الحسين فصلّى بالعسكرين، فلمّا انصرف من صلاته وثب قائماً على قدميه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس، أنا ابن بنت رسول الله ﷺ، ونحن أولى بولاية هذه الأُمور عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالظلم والعدوان، فإن تثقوا بالله وتعرفوا الحقّ لأهله فيكون ذلك لله رضى، وإن كرهتمونا وجهلتم حقّنا وكان رأيكم على خلاف ما جاءت به كتبكم وقدمت به رسلكم انصرفت عنكم.

قال: فتكلّم الحرّ بن يزيد بينه وبين أصحابه فقال: أبا عبدالله، ما نعرف هذه الكتاب ولا من هؤلاء الرسل!

قال: فالتفتَ الحسين إلى غلام له: يقال له عقبة بن سمعان، فقال: يا عقبة، هات الخرجين اللذين فيهما الكتب: فجاء عقبة بكتب أهل الشام والكوفة فنثرها بين

أيديهم، ثمّ تنحّى، فتقدّموا ونظروا إلى عنوانها، ثمّ تنحّوا.

فقال الحرّ بن يزيد: أبا عبدالله، لسنا من القوم الذين كتبوا إليك هذه الكتب، وقد أُمرنا إن لقيناك لا نفارقك حتّى نأتي بك على الأمير، فتبسّم الحسين ثمّ قال: يا ابن الحرّ، أو تعلم أنَّ الموتَ أدنى إليك من ذلك، ثمّ التفت الحسين فقال: احملوا النساء ليركبوا حتّى تنظر ما الذي يصنع هذا وأصحابه؟

قال: فركب أصحاب الحسين وساقوا النساء بين أيديهم، فقدمت خيل الكوفة حتّى حالت بينهم وبين المسير، فضرب الحسين بيده إلى سيفه ثمّ صاح بالحرّ: ثكلتك أُمّك! ما الذي تريد أن تصنع؟ فقال الحرّ: أما والله، لو قالها غيرك من العرب لرددتها عليه كائناً من كان، ولكن لا والله ما لي إلى ذلك سبيل من ذكر أُمّك، غير أنّه لابدّ •أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين: إذاً والله لا أتبعك أو ٧٧/٥
تذهب نفسي.

قال الحرّ: إذاً والله لا أُفارقك أو تذهب نفسي وأنفس أصحابي.

قال الحسين: برّز أصحابي وأصحابك وابرز إليَّ، فإن قتلتني خذ برأسي إلى ابن زياد، وإن قتلتك أرحت الخلق منك.

فقال الحرّ: أبا عبدالله، إنّي لم أُومر بقتلك، وإنّما أُمرت أن لا أفارقك أو أقدم بك على ابن زياد، وأنا والله كاره إن سلبني الله بشيء من أمرك، غير أنّي قد أخذت ببيعة القوم وخرجت إليك، وأنا أعلم أنّه لا يوافي القيامة أحدٌ من هذه الأُمّة إلّا وهو يرجو شفاعة جدّك محمّد صلى الله عليه وآله، وأنا خائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة، ولكن أنا أبا عبدالله لست أقدر الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، ولكن خذ عنّي هذا الطريق وامضِ حيث شئت حتّى أكتب إلى ابن زياد أنّ هذا خالفني في الطريق فلم أقدر عليه، وأنا أنشدك الله في نفسك.

فقال الحسين: يا حرّ، كأنّك تخبرني أنّي مقتول؟! فقال الحرّ: أبا عبدالله، نعم ما أشكّ في ذلك إلّا أن ترجع من حيث جئت. فقال الحسين: ما أدري ما أقول لك!

ولكنّي أقول كما قال أخو الأوس حيث يقول:

سَأمضي وما بِالمَوتِ عارٌ على الفَتى إذا مـا نَـوى خَـيراً وجَـاهدَ مسـلِما
وَ واسى الرجـالَ الصـالحينَ بِـنَفسِهِ وَ فَـارقَ مَـذموماً وخَـالفَ مُـجرِما
أُقَـــدِّمُ نَـــفسي لا أُريـــد بـــقاءها لتلقى خَميساً فـي الوغـاءِ عَـرَمرَما
فـإن عِشتُ لَـم أَلَـم وإن متّ لم أُذم كَـفى بِكَ ذُلّاً أَن تَـعيشَ مُـرغّما

ثمّ أقبل الحسين إلى أصحابه وقال: هل فيكم أحد يـخبر الطـريق عـلى غـير الجادّة؟ فقال الطرمّاح بن عديّ الطائي: يا ابن بنت رسول الله، أنا أخبر الطريق.

•فقال الحسين: إذاً سر بين أيدينا! قال: فسار الطـرماح وأتـبعه الحسـين هـو ٧٨/٥
وأصحابه، وجعل الطرماح يقول:

يا ناقَتي لا تَجزعي مِن زَجري و امضِ بنا قبلَ طـلوعِ الفَـجرِ
بـــخيرِ فـــتيانٍ وخـــيرِ ســفري إلى رســـولِ اللهِ أهـــلِ الفَـخرِ
السادةِ البيضِ الوجوهِ الزُهـري الطـــاعنينَ بـالرماحِ السـمري
الضـــاربينَ بـالسيوفِ البـتري حـــتّى تـــحلى بكـريمِ النـجرِ
بـماجدِ الجـدِّ رَحـيبِ الصـدرِ أتـــــى بـــــه اللهُ لخـــيرِ أمـــرِ
عَـــــمَّرَهُ اللهُ بَـــــقاءَ الدهـــرِ يـــا مـالِكَ النـفعِ مَـعاً والضُـرِّ
أُمـدُد حُسَـيناً سَـيِّدي بـالنصرِ على الطُّـغاةِ مِـن بـقايا الكُـفرِ
على اللـعينَينِ سَـلسلَي صَـخرِ يَـزيدَ لا زالَ حَـليفَ الخَـمرِ
والعـودِ والصَـنجِ مَـعاً والزَمـرِ و ابنِ زِيادِ العـهرِ وابـنِ العـهرِ

قال: وأصبح الحسين من وراء عذيب الهجانات. قال: وإذا بالحرّ بن يزيد قـد ظهر له أيضاً في جيشه، فقال الحسين: ما وراءك يا ابن يزيد! أليسَ قد أمـرتنا أن نأخذ على الطريق فأخذنا وقبلنا مشورتك؟ فقال: صدقت، ولكن هذا كتاب عبيد الله بن زياد قد ورد عليّ يؤنّبني ويعنّفني في أمرك.

فقال الحسين: فذرنا حتّى ننزل بقرية نينوى أو الغاضرية، فقال الحرّ: لا والله، ما أستطيع ذلك، هذا رسول عبيد الله بن زياد معي، وربّما بعثه عيناً عليَّ.

قال: فأقبل الحسين بن عليّ على رجل من أصحابه يقال له: زهير بن القين
٧٩/٥ البجلي، فقال له: يا ابن بنت رسول الله، ذرنا حتّى نقاتل هؤلاء القوم، فإن قتالنا الساعة نحن وإيّاهم أيسر علينا وأهون من قتال من يأتينا من بعدهم.

فقال الحسين: صدقت يا زهير، ولكن ما كنت بالذي أنذرهم بقتال حتّى يبتدروني.

فقال له زهير: فسر بنا حتّى نصير بكربلاء فإنّها على شاطئ الفرات، فنكون هنالك، فإن قاتلونا قاتلناهم واستعنا بالله عليهم.

قال: فدمعت عينا الحسين، ثمّ قال: اللّهمّ، ثمّ اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء! قال: ونزل الحسين في موضعه ذلك، ونزل الحرّ بن يزيد حذاءه في ألف فارس، ودعا الحسين بدواة وبياض وكتب إلى أشراف الكوفة ممّن كان يظنّ أنّه على رأيه.

ذكر كتاب الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ، إلى سليمان بن صرد والمسيّب بن نجبة ورفاعة بن شدّاد وعبدالله بن وال، وجماعة المؤمنين، أمّا بعد؛ فقد علمتهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرام أو تاركاً لعهد الله ومخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثمّ لم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، وقد علمتم أنّ هؤلاء لزموا طاعة الشيطان وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري بهذا الأمر؛ لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد

أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنّكم لا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد استوفيتم حقّكم وحظّكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهاليكم •وأولادكم، فلكم فيَّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ٨٠/٥
ومواثيقكم وخلعتم بيعتكم، فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي! هل المغرور إلّا من اغترّ بكم؟ فإنّما حقّكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام.

قال: ثمّ طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى قيس بن مسهر الصيداوي، وأمره أن يسير إلى الكوفة.

قال: فمضى قيس إلى الكوفة وعبيد الله بن زياد قد وضع المراصد والمصابيح على الطرق، فليس أحد يقدر أن يجوز إلّا فتّش، فلمّا تقارب من الكوفة قيس بن مسهر لقيه عدوّ الله يقال له: الحصين بن نمير السكوني، فلمّا نظر إليه قيس كأنّه اتّقى على نفسه، فأخرج الكتاب سريعاً فمزّقه عن آخره.

قال: وأمر الحصين أصحابه فأخذوا قيساً وأخذوا الكتاب ممزّقاً حتّى أتوا به إلى عبيد الله بن زياد.

فقال له عبيد الله بن زياد: مَن أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما).

قال: فلِمَ خرقت الكتاب الذي كان معك؟ قال: خوفاً، حتّى لا تعلم ما فيه! قال: وممّن كان هذا الكتاب وإلى مَن كان؟ فقال: كان من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم.

قال: فغضب ابن زياد غضباً عظيماً، ثمّ قال: والله، لا تفارقني أبداً أو تدلّني على هؤلاء القوم الذي كتب إليهم هذا الكتاب، أو تصعد المنبر فتسبّ الحسين وأباه وأخاه، فتنجو من يدي أو لأُقطّعنّك.

فقال قيس: أمّا هؤلاء القوم فلا أعرفهم، وأمّا لعنة الحسين وأبيه وأخيه فإنّي أفعل.

قال: فأمر به فأُدخل المسجد الأعظم، ثمّ صعد المنبر وجمع له الناس ليجتمعوا ويسمعوا اللعنة، فلمّا علم قيس أنّ الناس قد اجتمعوا وثب قائماً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ صلّى على محمّد وآله، وأكثر الترحّم على عليّ وولده، ثمّ لعن عبيد الله بن زياد، ولعن أباه، و لعن عتاة بني أُميّة عن آخرهم، ثمّ دعا الناس إلى نصرة الحسين بن عليّ. ٨١/٥

فأُخبر بذلك عبيد الله بن زياد فأُصعد على أعلى القصر، ثمّ رمي به على رأسه فمات.

و بلغ ذلك الحسين فاستعبر باكياً، ثم قال: اللّهمّ اجعل لنا ولشيعتك منزلاً كريماً عندك واجمع بيننا وإيّاهم في مستقرّ رحمتك، إنّك على كلّ شيء قدير.

قال: فوثب إلى الحسين رجل من شيعته يقال له: هلال، فقال: يا ابن بنت رسول الله، تعلم أنّ جدّك رسول الله لا يقدر أن يشرب الله الخلائق محبّته، ولا أن يرجعوا من أمرهم إلى ما يحبّ، وقد كان منهم منافقون يبدونه النصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل ويلحقونه بأمرّ من الحنظل، حتّى توفّاه الله، وأنّ أباك عليّاً قد كان في مثل ذلك، فقوم أجمعوا على نصره وقاتلوا معه المنافقين والفاسقين والمارقين والقاسطين حتّى أتاه أجله، وأنتم اليوم عندنا في مثل ذلك الحال، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه والله يغني عنه، فسر بنا راشداً مشرّقاً إن شئت أو مغرّباً، فو الله، ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربّنا، وإنّا على نيّاتنا ونصرتنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك.

قال: فخرج الحسين وولده وإخوته وأهل بيته (رحمة الله عليهم) بين يديه، فنظر إليهم ساعة و بكى وقال: اللّهمّ! إنّا عترة نبيّك محمّد وقد أُخرجنا وطردنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنو أُميّة علينا، فخذ بحقّنا وانصرنا على القوم الكافرين.

قال: ثمّ صاح الحسين في عشيرته ورحل من موضعه ذلك حتّى نزل كربلاء في يوم الأربعاء أو يوم الخميس وذلك في الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين، ثمّ

أقبل •إلى أصحابه فقال لهم: أ هذه كربلاء؟ فقالوا: نعم. ٨٢/٥

ذكر نزول الحسين عليه السلام بكربلاء

فقال الحسين لأصحابه: انزلوا هذا موضع كرب وبلاء، ههنا مناخ ركابنا ومحطّ رحالنا وسفك دمائنا.

قال: فنزل القوم وحطّوا الأثقال ناحية من الفرات، وضربت خيمة الحسين لأهله وبنيه، وضرب عشيرته خيامهم من حول خيمته، وجلس الحسين وأنشأ يقول:

يا دَهرُ اُفٍّ لَكَ مِن خَليلِ ... كَم لَكَ بالإشراقِ والأَصِيلِ
مِن طالبٍ وصاحِبٍ قَتيلِ ... وَ كُلُّ حَيٍّ عابِرٌ سبيلِ
ما أقرَبَ الوَعدَ مِن الرَحِيلِ ... و إنّما الأَمرُ إلى الجَليلِ

قال: وسمعت ذلك اُخت الحسين زينب واُمّ كلثوم فقالتا: يا أخي، هذا كلام من أيقن بالقتل؟! فقال: نعم يا اُختاه! فقالت زينب: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! مات جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، ومات أبي عليّ، وماتت اُمّي فاطمة، ومات أخي الحسن عليه السلام، والآن ينعى إليَّ الحسين نفسه، قال: وبكت النسوة ولطمن الخدود.

قال: وجعلت اُمّ كلثوم تنادي: وا جدّاه! وا أبي عليّاه! وا اُمّاه! وا حسناه! وا حسيناه! وا ضيعتنا بعدك! وا أبا عبدالله!

فعذّلها الحسين وصبّرها وقال لها: يا اُختاه، تعزّي بعزاء الله وارضي بقضاء الله، فإنّ سكّان السماوات يفنون، وأهل الأرض يموتون، وجميع البرية لا يبقون، وكلّ شيء هالك إلّا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وإنّ لي ولك ولكلّ مؤمن ومؤمنة اُسوة بمحمّد صلى الله عليه وآله. ثمّ قال لهنّ: انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليّ جيباً ولا تخمشن وجهاً.

قال: فأقبل الحرّ بن يزيد حتّى نزل حذاء الحسين في ألف فارس، ثمّ كتب إلى عبيد الله بن زياد يخبره أنّ الحسين نزل بأرض كربلاء.

٨٣/٥ قال: فكتب عبيد الله بن •زياد إلى الحسين: أمّا بعد؛ يا حسين، فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية أن لا أتوسّد الوثير ولا أشبع من الخبز، أو ألحقك باللطيف الخبير أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية، والسلام.

فلمّا ورد الكتاب قرأه الحسين، ثمّ رمى به، ثمّ قال: لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق.

فقال له الرسول: أبا عبدالله، جواب الكتاب؟ قال: ما له عندي جواب؛ لأنّه قد حقّت عليه كلمة العذاب.

فقال الرسول لابن زياد ذلك، فغضب من ذلك أشدّ الغضب، ثمّ جمع أصحابه وقال: أيّها الناس، مَن منكم تولّى قتال الحسين بن عليّ وَلِيَ ولاية أيّ بلد شاء؟ فلم يجبه أحد بشيء.

قال: فالتفت إلى عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وقد كان عمر بن سعد قبل ذلك بأيّام قد عقد له عبيد الله بن زياد عقداً وولّاه الريّ ودستبى وأمره بحرب الديلم، فأراد أن يخرج إليها، فلمّا كان ذلك اليوم أقبل عليه ابن زياد فقال: أُريد أن تخرج إلى قتال الحسين بن عليّ، فإذا نحن فرغنا من شغله سرت إلى عملك إن شاء الله.

فقال له عمر: أيّها الأمير، إن أردت أن تعفيني من قتال الحسين بن عليّ فافعل! فقال: قد عفيتك فاردد إلينا عهدنا الذي كتبناه لك واجلس في منزلك نبعث غيرك، فقال له عمر: أمهلني اليوم حتّى أنظر في أمري! قال: قد أمهلتك.

فانصرف عمر إلى منزله وجعل يستشير بعض إخوانه ومن يثق به، فلم يشر عليه أحد بشيء غير أنّه يقول له: اتّق الله ولا تفعل.

قال: وأقبل عليه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أُخته فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين بن عليّ، فإنّك تأثم بربّك وتقطع رحمك، وما لك ولسلطان الأرض، اتّق الله أن تتقدّم يوم القيامة بدم الحسين ابن فاطمة. قال:

فسكت عمر وفي قلبه من الريّ.

٨٤/٥ •فلمّا أصبح أقبل حتّى دخل على عبيد الله بن زياد فقال: ما عندك يا عمر؟

فقال: أيّها الأمير، إنّك قد ولّيتني هذا الأمر وكتبت لي هذا العهد وقد سمع به الناس وفي الكوفة أشراف ـ وعدّهم ـ فقال له عبيد الله بن زياد: أنا أعلم منك بأشرافها، وما أُريد منك إلّا أن تكشف هذه الغمّة وأنت الحبيب القريب، وإلّا أُردد علينا عهدنا والزم منزلك فإنّا لا نكرهك.

قال: فسكت عمر، فقال له ابن زياد: يا ابن سعد، والله لئن لم تسر إلى الحسين وتتولّ حربه و تقدم علينا بما يسوءه لأضربنّ عنقك ولأنهبنّ أموالك.

قال: فإنّي سائر إليه غداً إن شاء الله، فجزّاه ابن زياد خيراً ووصله وأعطاه وحيّاه، ودفع إليه أربعة آلاف فارس، وقال له: سر حتّى تنزل بالحسين بن عليّ، وانظر أن لا تهنه ولا تقتله وخلِّ بينه وبين الفرات أن يشرب.

قال: فسار عمر في أربعة آلاف فارس، وسار الحرّ في ألف فارس، فصار خمسة آلاف فارس.

قال: ثمّ دعا عمر بن سعد رجلاً من أصحابه يقال له عروة بن قيس، فقال له: امض يا هذا إلى الحسين فقل له: ما تصنع في هذا الموضع؟ وما الذي أخرجه عن مكّة وقد كان مستوطناً بها؟ فقال عروة بن قيس: أيّها الأمير، إنّي كنت اليوم أُكاتب الحسين ويكاتبني وأنا أستحيي أن أسير إليه، فإن رأيت أن تبعث غيري فابعث.

قال: فبعث إليه رجلاً يقال له: فلان بن عبدالله السبيعي، وكان فارساً بطلاً شجاعاً لا يردّ وجهه عن شيء، فقال له عمر بن سعد: امضِ إلى الحسين فسله ما الذي أخرجه عن مكّة وما يريد.

قال: فأقبل السبيعي نحو الحسين، ثمّ قال له الحسين[1] لمّا رآه: ضع سيفك حتّى

---

١. كذا في المصدر، ولكن في المصادر الأُخري أنّ القائل هو أبو ثمامة الصائدي.

٨٥/٥ نكلّمك! فقال: لا ولا كرامة لك، إنّما أنا رسول عمر بن سعد، فإن •سمعت منّي بلّغتك ما أُرسلت به، وإن أبيت انصرفت عنك. فقال له أبو ثمامة الصائدي: فإنّي آخذ سيفك، فقال: لا والله، لا يمسّ سيفي أحد، فقال أبو ثمامة: فتكلّم بما تريد ولا تدن من الحسين، فإنّك رجل فاسق! قال: فغضب السبيعي ورجع إلى عمر بن سعد وقال: إنّهم لم يتركوني أصل إلى الحسين فأبلغه الرسالة.

قال: فأرسل إليه قرّة بن قيس الحنظلي فأقبل، فلمّا رأى معسكر الحسين قال الحسين لأصحابه: هل تعرفون هذا؟

فقال حبيب بن مظاهر الأسدي: نعم، هذا من بني تميم وقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما ظننت أنّه يشهد هذا المشهد.

قال: وتقدّم الحنظلي حتّى وقف بين يدي الحسين فسلّم عليه وأبلغه رسالة عمر بن سعد، فقال:

يا هذا، أعلم صاحبك عنّي أنّي لم أرد إلى ههنا حتّى كتب إليَّ أهل مصركم أن يبايعوني ولا يخذلوني وينصروني، فإن كرهوني أنصرف عنهم من حيث جئت.

قال: ثمّ وثب إليه حبيب بن مظاهر الأسدي، فقال: ويحك يا قرّة! عهدي بك وأنت حسن الرأي في أهل البيت، فما الذي غيرك حتّى أتيتنا في هذه الرسالة؟ فأقم عندنا وانصر هذا الرجل! فقال الحنظلي: لقد قلت الحقّ، ولكنّي أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأنظر في ذلك.

قال: فانصرف الحنظلي إلى عمر بن سعد وخبّره بمقالة الحسين عليه السلام، وكتب عمر
٨٦/٥ بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بذلك، فكتب إليه يحرّضه على •قتله. فقال: إِنَّا لِلهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ. يا ابن زياد كأنّك لا تعرف العواقب! والله المستعان.

٨٧/٥ **•ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين بن عليّ عليه السلام**

قال: ثمّ جمع عبيد الله بن زياد الناس إلى مسجد الكوفة، ثمّ خرج فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّكم قد بلوتم آل سفيان فوجدتموهم

على ما تحبّون، وهذا يزيد قد عرفتموه أنّه حسن السيرة، محمود الطريقة، محسن إلى الرعيّة، متعاهد الثغور، يعطي العطاء في حقّه، حتّى إنّه كان أبوه كذلك، وقد زاد أمير المؤمنين في إكرامكم، و كتب إليَّ يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومئتي ألف درهم أُفرّقها عليكم وأُخرجكم إلى حرب عدوّه الحسين بن عليّ، فاسمعوا له وأطيعوا، والسلام.

قال: ثمّ نزل عن المنبر ووضع لأهل الشام العطاء فأعطاهم ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا أعواناً له على قتال الحسين.

قال: فأوّل من خرج إلى عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن السلولي (لعنه الله) في أربعة آلاف فارس، فصار عمر بن سعد في تسعة آلاف، ثمّ أتبعه زيد بن ركاب الكلبي في ألفين، و الحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، والمصاب الماري في ثلاثة آلاف، ونصر بن حربة في ألفين، فتمّ له عشرون ألفاً.

ثمّ بعث ابن زياد إلى شبث بن ربعي الرياحي رجلاً، وسأل أن يوجّه إلى عمر بن سعد، فاعتلّ بمرض، فقال له ابن زياد: أ تتمارض؟! إن كنت في طاعتنا فاخرج إلى قتال عدونا، فخرج إلى •عمر بن سعد في ألف فارس بعد أن أكرمه ابن زياد وأعطاه ٨٨/٥
وحباه، وأتبعه بحجّار بن أبجر في ألف فارس، فصار عمر بن سعد في اثنين وعشرين ألفاً ما بين فارس وراجل.

ثمّ كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد أنّي لم أجعل لك علّة في قتال الحسين من كثرة الخيل والرجال، فانظر أن لا تبدأ أمراً حتّى تشاورني غدواً وعشيّاً مع كلّ غاد ورائح، والسلام.

قال: وكان عبيد الله بن زياد في كلّ وقت يبعث إلى عمر بن سعد ويستعجله في قتال الحسين، قال: والتأمت العساكر إلى عمر بن سعد لستّ مضين من المحرّم.

و أقبل حبيب بن مظاهر الأسدي إلى الحسين بن عليّ فقال: ههنا حيّ من بني أسد بالقرب منّي أَوَ تأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك؛ فعسى الله أن يدفع

بهم عنك بعض ما تكره؟!

فقال له الحسين: قد أذنت لك يا حبيب.

قال: فخرج حبيب بن مظاهر في جوف الليل مُنكَراً حتّى صار إلى أُولئك القوم، فحيّاهم وحيّوه وعرفوا أنّه من بني أسد، فقالوا: ما حاجَتك؟ يا ابن عمّ؟

فقال: حاجتي إليكم قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه، وفيهم عين نظرت، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألف، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد جئتكم بهذه النصيحة، فأطيعوني اليوم في نصرته تنالون غداً شرفاً في الآخرة، فإنّي أُقسم بالله أنّه لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله صابراً محتسباً إلّا كان رفيق محمّد صلى الله عليه وآله في أعلى عليّين.

قال: فوثب رجل من بني أسد يقال له بشر بن عبيد الله، فقال: والله، أنا أوّل من أجاب إلى هذه الدعوة، ثمّ أنشأ يقول:

قَد عَلِمَ القَومُ إذا تَواكَلوا ... و أَحجَمَ الفُرسانُ أو تَناصَلوا

إنّي شُجاعٌ بَطَلٌ مُقاتِلُ ... كأنني كأنّني لَيثٌ عَرينٌ باسلُ ٨٩/٥

قال: ثمّ تبادر رجال الحيّ مع حبيب بن مظاهر الأسدي.

قال: وخرج رجل من الحيّ في ذلك الوقت حتّى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل فخبّره بذلك.

فدعا رجلاً من أصحابه يقال له: الأزرق بن حرب الصيداوي، فضمّ إليه أربعة آلاف فارس، و وجّه به في جوف الليل إلى حيّ بني أسد مع الرجل الذي جاء بالخبر.

قال: فبينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين، إذ استقبلهم جند عمر بن سعد على شاطئ الفرات.

قال: فتناوش القوم بعضهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شديداً، وصاح به حبيب بن مظاهر: ويلك يا أزرق، مالك ولنا؟ دعنا! قال: واقتتلوا قتالاً شديداً، فلمّا رأى القوم بذلك انهزموا راجعين إلى منازلهم.

فرجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام فأعلمه بذلك الخبر، فقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

قال: ثمّ إنّ ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد: أمّا بعد؛ فقد بلغني أنّ الحسين يشرب الماء هو و أولاده وقد حفروا الآبار ونصبوا الأعلام، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا، فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيّق عليهم، ولا تدعهم يشربوا من ماء الفرات قطرة واحدة، وافعل بهم كما فعلوا بالتقيّ النقيّ عثمان بن عفّان رضي الله عنه، والسلام.

قال: فعندها ضيّق عليهم عمر بن سعد غاية التضييق ثمّ دعا رجلاً يقال له عمرو بن الحجّاج الزبيدي، فضم إليه خيلاً عظيمة، وأمره أن ينزل على الشريعة التي هي حذاء عسكر الحسين عليه السلام، فنزلت الشريعة، ونادى رجل من •أصحاب عمر بن سعد ٩٠/٥
بالحسين فقال: إنّك لن تذوق من هذا الماء قطرة واحدة حتّى تذوق الموت غصّة بعد غصّة أو تنزل على حكم أمير المؤمنين يزيد وحكم عبيد الله بن زياد!!

قال: فاشتدّ العطش من الحسين وأصحابه وكادوا أن يموتوا عطشاً، فدعا بأخيه العبّاس عليه السلام وصيّر إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل حتّى دنوا من الفرات، فقال عمرو بن الحجّاج: مَن هذا؟

فقالوا: رجال من أصحاب الحسين يريدون الماء! فاقتتلوا على الماء قتالاً عظيماً، فكان قوم يقتتلون وقوم يملئون القرب حتّى ملئوها، فقتل من أصحاب عمرو جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد. ثم رجع القوم إلى معسكرهم

وشرب الحسين من القرب ومن كان معه.

قال: ثمّ أرسل الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد إنّي أُريد أن أُكلّمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك.

قال: فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارساً، وأقبل الحسين في مثل ذلك، فلمّا التقيا أمر الحسين أصحابه فتنحّوا عنه، وبقي معه أخوه العبّاس وابنه عليّ الأكبر (رضي الله عنهم)، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحّوا عنه، وبقي معه حفص ابنه وغلام له يقال له: لاحق.

فقال له الحسين عليه السلام: ويحك يا ابن سعد! أما تتّقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني وأنا ابن مَن علمت يا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فاترك هؤلاء وكن معي فإنّي أُقرّبك إلى الله عزّ وجلّ!

فقال له عمر بن سعد: أبا عبدالله، أخاف أن تهدم داري، فقال له الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك. ٩١/٥

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

قال: فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: ما لك ذَبَحَكَ الله من على فراشك سريعاً عاجلاً، ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فو الله، إنّي لأرجو أن لا يأكل من برّ العراق إلّا يسيراً.

قال: ورجع عمر بن سعد إلى معسكره، وإذا كتاب عبيد الله بن زياد قد أقبل على عمر بن سعد يؤنّبه فيه ويقول له: يا ابن سعد، ما هذه الفترة والمطاولة؟ انظر إن بايع الحسين وأصحابه ونزلوا على حكمي فابعث بهم سلماً، وإن أبوا ذلك فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم؛ فإنّهم لذلك مستحقّون، فإذا قتلت الحسين فأوطئ الخيل على ظهره وبطنه! فإذا فعلت ذلك جزيناك جزاء الطائع المطيع، وإن أبيت ذلك فاقطع حبلنا وجندنا وسلّم ذلك إلى شمر بن ذي الجوشن، فإنّه أحزم منك أمراً

وأمضى منك عزيمة، والسلام.

و طوى الكتاب وأراد أن يسلّمه إلى رجل يقال له: عبدالله بن أبي المحلّ بن حزام العامري، فقال: أصلح الله الأمير! إنّ عليّ بن أبي طالب قد كان عندنا ههنا بالكوفة فخطب إلينا فزوّجناه بنتاً يقال لها: أُمّ البنين بنت حزام، فولدت له عبدالله وجعفراً والعبّاس، فهم بنو أُختنا، وهم مع الحسين •أخيهم، فإن رسمت لنا أن نكتب ٩٢/٥
إليهم كتاباً بأمان منك عليهم متفضّلاً!

فقال عبيد الله بن زياد: نعم وكرامة لكم، اكتبوا إليهم بما أحببتم، ولهم عندي الأمان.

قال: فكتب عبدالله بن أبي المحلّ بن حزام إلى عبدالله والعبّاس وجعفر بني عليّ (رضي الله عنهم) بالأمان من عبيد الله بن زياد، ودفع الكتاب إلى غلام له يقال له: عرفان، فقال: سر بهذا الكتاب إلى بني أُختي بني عليّ بن أبي طالب (رحمة الله عليهم) فإنّهم في عسكر الحسين عليه السلام، فادفع إليهم هذا الكتاب وانظر ما ذا يردّون عليك.

قال: فلمّا ورد كتاب عبدالله بن أبي المحلّ على بني عليّ ونظروا فيه، أقبلوا به إلى الحسين فقرأه وقال له: لا حاجة لنا في أمانك؛ فإنّ أمان الله خير من أمان ابن مرجانة.

قال: فرجع الغلام إلى الكوفة فخبّر عبدالله بن أبي المحلّ بما كان من جواب القوم. قال: فعلم عبدالله بن أبي المحل أنّ القوم مقتولون.

قال: وأقبل شمر بن ذي الجوشن حتّى وقف على معسكر الحسين عليه السلام فنادى بأعلى صوته: أين بنو أُختنا: عبدالله وجعفر والعبّاس بنو عليّ بن أبي طالب؟

فقال الحسين لإخوته: أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنّه من أخوالكم! فنادوه فقالوا: ما شأنك وما تريد؟ فقال: يا بني أُختي، أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية!

فقال له العبّاس بن عليّ عليه السلام: تبّاً لك يا شمر ولعنك الله ولعن ما جئت به من أمانك هذا يا عدوّ الله! أتأمرنا أن ندخل في طاعة العناد ونترك نصرة أخينا الحسين عليه السلام.

قال: فرجع الشمر إلى معسكره مغتاظاً.

و جمع الحسين أصحابه بين يديه، وحمد الله وأثنى عليه، وقال:

٩٣/٥ اللّهمّ لك •الحمد على ما به فضّلتنا وعلّمتنا من القرآن، وفهّمتنا في الدين، وأكرمتنا به من كرامة رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة وجعلتنا من الشاكرين.

ثمّ أقبل عليهم وقال: إنّي لا أعلم أصحاباً أصحّ منكم ولا أعدل ولا أفضل أهل بيت، فجزاكم الله عني خيراً، فهذا الليل قد أقبل فقوموا واتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من إخوتي وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم.

قال: فعندها تكلّم إخوته وجميع أهل بيته فقالوا: يا ابن بنت رسول الله، وماذا يقول الناس؟! و ماذا نقول لهم إذا تركنا شيخنا وسيّدنا وابن بنت نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله؟! لم نرم معه بسهم، ولا نطعن عنه برمح، ولا نضرب معه بسيف؟! لا والله يا ابن بنت رسول الله، لا نفارقك أبداً، ولكنّنا نفديك بأنفسنا ونقتل بين يديك، ونرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك.

قال: ثمّ قام مسلم بن عوسجة الأسدي وقال: يا ابن بنت رسول الله، نحن عليك هكذا، وننصرف وقد أحاط بك الأعداء! لا والله، لا يراني الله أفعل ذلك أبداً حتّى أكسر في صدورهم رمحي وأُضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي! وو الله، لو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة أبداً، ولم أُفارقهم أو أموت بين يديك.

قال: ثمّ قام إليه جماعة كلّهم على نصرته وقالوا: نفديك أنفسنا.

٩٤/٥ •قال: وأرسل إليه الحسين عليه السلام بريراً، فقال برير: يا عمر بن سعد، أ تترك أهل بيت النبوّة يموتون عطشاً وحِلتَ بينهم وبين الفرات أن يشربوه وتزعم أنّك

تعرف الله ورسوله؟!

قال: فأطرق عمر بن سعد ساعة إلى الأرض ثمّ رفع رأسه وقال: إنّي والله أعلمه يا برير علماً يقيناً أنّ كلّ مَن قاتلهم وغصبهم على حقوقهم في النار لا محالة، ولكن ويحك يا برير، أ تشير عليّ أن أترك ولاية الريّ فتصير لغيري؟ ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً، ثمّ أنشأ يقول:

دَعاني عُبَيدُ اللهِ مِن دونِ قَومِهِ ... إلى خِطَّةٍ فيها خَرَجتُ لِحيني

فَو اللهِ لا أَدري وإنّي لَواقِفٌ ... على خَطَرٍ بعظمٍ على وسيني

أأتركُ مُلكَ الرَيِّ والرَيُّ رَغبَةٌ ... أمَ أرجِعُ مَذموماً بِثَأرِ حُسينِ

وَ في قَتلهِ النارُ التي لَيسَ دُونَها ... حِجابٌ ومُلكُ الريِّ قُرَّةُ عَينِ

قال: فرجع برير بن حضير إلى الحسين فقال: يا ابن بنت رسول الله، إنّ عمر بن سعد قد رضي أن يقتلك بملك الري.

قال: فلمّا أيس الحسين من القوم وعلم أنّهم قاتلوه أقبل على أصحابه فقال: قوموا فاحفروا لنا حفيرة حول عسكرنا هذا شبه الخندق وأجّجوا فيه ناراً؛ حتّى يكون قتال القوم من وجه واحد، لا نقاتلهم ولا يقاتلون فنشتغل بحربهم ولا نضيّع الحرم.

قال: فوثب القوم من كلّ ناحية وتعاونوا وحفروا خندقاً، ثمّ جمعوا الشوك والحطب وألقوه في الخندق وأجّجوا فيه النار.

و أقبل رجل من معسكر عمر بن سعد يقال له: مالك بن حوزة على فرس له حتّى وقف عند الخندق وجعل ينادي: أبشر يا حسين! فقد تلفحك النار في الدنيا قبل الآخرة! فقال له الحسين: كذبت يا عدو الله! إنّي قادم على ربّ رحيم وشفيع مطاع، وذلك جدّي رسول اللهﷺ.

ثمّ قال •الحسين: مَن هذا الرجل؟ فقالوا: هذا مالك بن حوزة! ٩٥/٥

فقال الحسين: اللّهمّ حزه إلى النار، وأذقه حرّها في الدنيا قبل مصيره إلى الآخرة!

قال: فلم يكن بأسرع أن شبّث به الفرس فألقته في النار، فاحترق.

قال: فخر الحسين لله ساجداً مطيعاً، ثمّ رفع رأسه وقال: يا لها من دعوة ما كان أسرع إجابتها! قال: ثمّ رفع الحسين صوته ونادى: اللّهمّ إنّا أهل بيت نبيّك وذرّيّته وقرابته، فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقّنا، إنّك سميع مجيب.

قال: وإذا المنادي ينادي من عسكر عمر: يا جند الله اركبوا! قال: فركب الناس وساروا نحو معسكر الحسين، والحسين في وقته ذلك جالس قد خفق رأسه على ركبتيه، وسمعت أُخته زينب (رضي الله عنها) الصيحة والضجّة، فدنت من أخيها وحرّكته، فقالت: يا أخي! ألا تسمع الأصوات قد اقتربت منّا؟ قال: فرفع الحسين رأسه وقال: يا أُختاه! إنّي رأيت جدّي في المنام وأبي عليّاً وفاطمة أُمّي وأخي الحسن عليهم السلام فقالوا: يا حسين، إنّك رائح إلينا عن قريب، وقد والله يا أُختاه دنا الأمر في ذلك، لا شكّ.

قال: فلطمت زينب وجهها وصاحت: وا خيبتاه! فقال الحسين: مهلاً! اسكتي ولا تصيحي فتشمت بنا الأعداء.

ثمّ أقبل الحسين على أخيه العبّاس فقال: يا أخي اركب وتقدّم إلى هؤلاء القوم وسلهم عن حالهم وارجع إليَّ بالخبر.

قال: فركب العبّاس في إخوته (رضي الله عنهم) ومعه أيضاً عشرة فوارس حتّى دنا من القوم، ثمّ قال: ما شأنكم وما تريدون؟ فقالوا: نريد أنّه قد جاء الأمر من عند عبيد الله بن زياد يأمرنا أن نعرض عليكم أن تنزلوا على أمر عبيد الله بن زياد أو نلحقكم بمن سلف!

فقال لهم العبّاس: لا تعجلوا حتّى أرجع إلى الحسين فأُخبره بذلك.

٩٦/٥ قال: فوقف القوم في مواضعهم، ورجع العبّاس إلى الحسين فأخبره بذلك،

فأطرق الحسين ساعة، والعبّاس واقف بين يديه، وأصحاب الحسين يخاطبون أصحاب عمر بن سعد، فقال لهم حبيب بن مظاهر: أما والله، لبئس القوم يقدمون غداً على الله ﷻ وعلى رسوله محمّد ﷺ وقد قتلوا ذرّيته وأهل بيته، المجتهدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار، وشيعته الأتقياء الأبرار.

قال: فقال رجل من أصحاب عمر يقال له: عروة بن قيس: يا ابن مظاهر، إنّك لتزكّي نفسك ما استطعت، فقال له زهير: اتّق الله يا ابن قيس، ولا تكن من الذين يعينون على الضلال ويقتلون النفوس الزكية الطاهرة عترة خير الأنبياء!

فقال له عزرة بن قيس: إنّك لم تكن عندنا من شيعة أهل البيت إنّما كنت عثمانياً نعرفك.

هؤلاء في المخاطبة والحسين مفكّر في أمر نفسه وأمر الحرب والعباس واقف في حضرته.

قال: وأقبل العبّاس على القوم وهم وقوف فقال: يا هؤلاء، إنّ أبا عبدالله يسألكم الانصراف عنه في هذا اليوم حتّى ينظر في هذا الأمر، ثمّ يلقاكم غداً إن شاء الله تعالى.

قال: فخبّر القوم بهذا أميرهم عمر بن سعد، فقال للشمر بن ذي الجوشن: ما ترى من الرأي؟ فقال: أرى رأيكأيّها الأمير. فقال عمر: إنّني أحببت أن لا أكون أميراً، قال: ثمّ إنّي أُكرهت.

قال: وأقبل عمر على أصحابه فقال: ما الذي عندكم في هذا الرأي؟ فقال رجل من أصحابه يقال له عمرو بن الحجّاج: سبحان الله العظيم! لو كانوا من الترك والديلم وسألوا هذه المنزلة لقد كان حقّاً علينا أن نجيبهم إلى ذلك، وكيف وهم آل الرسول محمّد ﷺ •وأهله؟! فقال عمر بن سعد: إنّا قد أجّلناهم في يومنا هذا. ٩٧/٥

قال: فنادى رجل من أصحاب عمر: يا شيعة الحسين بن عليّ، قد أجّلناكم يومكم هذا إلى غد، فإن استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجّهنا بكم إليه، وإن

أبيتم ناجزناكم.

قال: فانصرف الفريقان بعضهم من بعض.

قال: وجاء الليل فبات الحسين في الليل ساجداً راكعاً مستغفراً يدعو الله تعالى، له دوي كدوي النحل.

قال: وأقبل الشمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) في نصف الليل ومعه جماعة من أصحابه حتّى تقارب من عسكر الحسين، والحسين قد رفع صوته وهو يتلو هذه الآية: ﴿وَلَايَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ...﴾ إلى آخرها. قال: فصاح لعين من أصحاب شمر بن ذي الجوشن: نحن وربّ الكعبة الطيّبون، وأنتم الخبيثون وقد ميّزنا منكم.

قال: فقطع برير الصلاة فناداه: يا فاسق! يا فاجر! يا عدوّ الله! أَمثلك يكون من الطيّبين؟! ما أنت إلّا بهيمة ولا تعقل، فأبشر بالنار يوم القيامة والعذاب الأليم.

قال: فصاح به شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) وقال: أيّها المتكلّم، إنّ الله تبارك وتعالى قاتلك وقاتل صاحبك عن قريب!

فقال له برير: يا عدوّ الله! أ بالموت تخوّفني، والله، إنّ الموت أحبّ إلينا من الحياة معكم! والله، لا ينال شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله قوم أراقوا دماء ذرّيّته وأهل بيته.

قال: وأقبل رجل من أصحاب الحسين إلى برير بن حضير فقال له: رحمك الله يا برير! إنّ أبا عبدالله يقول لك: ارجع إلى موضعك ولا تخاطب القوم، فلعمري، لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت وأبلغت في النصح.

فلمّا كان وقت السحر خفق الحسين رأسه خفقة، ثمّ استيقظ فقال: أ تعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: وما الذي رأيت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: رأيت كأنّ كلاباً قد شدّت عليّ تناشبني، وفيها كلب أبقع رأيته أشدّها عليَّ، وأظنّ الذي يتولّى قتلي رجل أبقع وأبرص من هؤلاء القوم، ثمّ إنّي رأيت بعد

٩٨/٥ ذلك جدّي •رسول اللهﷺ ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بنيّ، أنت شهيد آل محمّد! وقد استبشرت بك أهل السماوات وأهل الصفح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجّل ولا تؤخّر! فهذا أثرك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، وهذا ما رأيت وقد أزف الأمر واقترب الرحيل من هذه الدنيا، لا شكّ في ذلك.

قال: وأصبح الحسين وصلّى بأصحابه، ثمّ قرّب إليه فرسه، فاستوى عليه وتقدّم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن حضير الهمداني، فقال له الحسين: كلّم القوم يا برير و احتجّ عليهم.

قال: فتقدّم برير حتّى وقف قريباً من القوم والقوم على بكرة قد زحفوا إليهم، فقال لهم برير: يا هؤلاء، اتّقوا الله، فإنّ نسل محمّدﷺ قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذرّيّته وعترته وبناته و حريمة، فهاتوا ما الذي عندكم وما تريدون أن تصنعوا بهم؟

فقالوا: نريد أن نمكّن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيهم.

فقال برير بن حضير: ولا تقبلون منهم إن رجعوا إلى المكان الذي أقبلوا منه يا أهل الكوفة؟ أنسيتم كتبكم إليه وعهودكم الذي أعطيتموها من أنفسكم؟ وأشهدتم الله عليها وكفى بالله شهيداً، يا ويلكم! دعوتم أهل بيت نبيّكم وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتّى إذا أتوا عليكم أسلمتموهم إلى عبيد الله بن زياد وحِلتم بينهم وبين الماء الجاري، وهو مبذول يشرب منه اليهود والنصارى والمجوس، وترده الكلاب والخنازير؟! فبئس ما خلّفتم محمّداًﷺ في ذرّيّته! ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة! ويلكم! هذا الحسن والحسين سيّدا أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين.

قال: وتقدّم عمر بن سعد حتّى وقف قبالة الحسين على فرس له، فاستخرج سهماً فوضعه في كبد القوس، ثمّ قال: أيّها الناس، اشهدوا لي عند الأمير عبيد الله

بن زياد أنّي أوّل من رمى بسهم إلى عسكر الحسين بن عليّ!

٩٩/٥ قال: فوقع السهم بين يدي الحسين، فتنحّى عنه راجعاً إلى ورائه، وأقبلت السهام كأنّها المطر.

فقال الحسين لأصحابه: أيّها الناس، هذه رسل القوم إليكم، فقوموا إلى الموت الذي لابدّ منه.

ذكر ابتداء الحرب بين الحسين وبين القوم

قال: فوثب أصحاب الحسين فخرجوا من باب خندقهم، وهم يومئذ اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، والقوم اثنان وعشرون ألفاً لا يزيدون ولا ينقصون، فحمل بعضهم على بعض فاقتتلوا ساعة من النهار حملة واحدة، حتّى قتل من أصحاب الحسين نيف وخمسون رجلاً رحمة الله عليهم.

قال: فعندها ضرب الحسين بيده إلى لحيته وجعل يقول: اشتدّ غضب الله على اليهود؛ إذ جعلوا لله ولداً، واشتدّ غضب الله على النصارى[1]، واشتدّ غضب الله على المجوس؛ إذ عبدت الشمس والقمر والنار من دون الله، واشتدّ غضب الله على قوم اجتمعت آراؤهم على قتل ابن بنت نبيّهم، والله، ما أجبتهم إلى شيء ممّا يريدونه أبداً حتّى ألقى الله وأنا مخضّب بدمي. قال: ثمّ صاح الحسين: أما من مغيثٍ يغيثنا لوجه الله؟! أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله؟!

قال: فإذا الحرّ بن يزيد الرياحي قد أقبل يركض فرسه حتّى وقف بين يدي الحسين عليه السلام، فقال: يا ابن بنت رسول الله، كنت أوّل من خرج عليك، أ فتأذن لي أن أكون أوّل مقتول بين يديك، لعليّ أبلغ بذلك درجة الشهداء فألحق بجدّك صلى الله عليه وآله؟!

فقال الحسين: يا أخي، إن تبت كنت ممّن تاب الله عليهم، أَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

---

١. كذا في المصدر والظاهر أنّ فيه سقطاً، ولعلّ الساقط هو «إذ جعلوه ثالث ثلاثه» كما في مصادر أُخرى، فراجع.

ذكر الذين قتلوا بين يدي الحسين بن عليّ

قال: فأوّل من تقدّم إلى قتال القوم الحرّ بن يزيد الرياحي، وهو يقول:

إنّي أنا الحـرّ ومَـأوى الضَـيفِ أَضرِبُ في أَعراضِكُم بـالسَيفِ

•عَن خَيرِ مَن حَلَّ بِلادَ الخيفِ أَضـرِبُكُم ولا أَرى مِـن حَـيفِ ١٠٠/٥

قال: وحمل، ولم يزل يقاتل حتّى عرق فرسه فبقي راجلاً، فجعل يقاتل وهـو يقول:

إن تنكروني فأنا ابنُ الحُرّ أَشجعُ مِن ذي لبـدٍ هَـزبرِ

وَ لَستُ بالجياد[1] عند الكرّ لكنّي الوقـاف عـند الفـرّ

ثمّ لم يزل يقاتل حتّى قُتِلﷺ فاحتمله أصحاب الحسينﷺ حتّى وضعوه بين يديه وفيه رمق، فجعل يمسح وجهه الحسين ويقول: أنتَ الحرّ كـما سـمّتك أُمّك حرّاً، وأنت الحرّ في الدنيا والآخرة.

قال: ثمّ جعل رجل من أصحاب الحسين يقول:

لَنِعمَ الحُرّ حـرّ بـني ريـاحِ و نِعمَ عند مختلفِ الرمـاحِ

نِعمَ الحُرّ إذ نـادى حسـينٌ فجادَ بـنفسِهِ عـندَ الصَـباحِ

قال: ثمّ برز من بعده برير بن حضير الهمداني وهو يقول:

أنـــا بُـــرَيرٌ وأبـــي حُـــضَيرُ ليسَ يَروعُ الأسـدُ عـندَ الزئـرِ

يَعرِفُ فينا الخَـيرَ أَهـلُ الخَـيرِ أضـــرِبُكُم ولا أَرى مِـــن ضـرّ

ذاكَ فِعلُ الحُرِّ من برير

قال: ثمّ حمل فقاتل قتالاً شديداً وهو يقول: اقتربوا منّي يـا قـتلة المـؤمنين!

---

١. في مقاتل أُخرى «بالجبان».

اقتربوا منّي يا قتلة أولاد النبيّين! اقتربوا منّي يا قتلة ابن بنت نبيّ ربّ العالمين وذرّيته الباقين! قال: فحمل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد يقال له: بجير بن

١٠١/٥ أوس الضبّي، فقتله عليه السلام ثمّ جال في الصفّين وجعل يقول:

سَلي تُخبري عنّي وأنتِ ذميمةٌ ... غَداةَ حُسَينٍ والرماحُ شوارعُ
أَلَم آتِ أقصى ما كُرِهتِ ولَم يُخِل ... عَلَيَّ غداةَ الروعِ ما أنا صانعُ
فَجَرَّدتُهُ في عُصبَةٍ لَيسَ دينُهُم ... كدِيني وإنّي بعد ذاكَ لَقانِعُ
وَ قد صَبَروا للطعنِ والضربِ حُسَّراً ... وَ قَد جالَدوا لو أنَّ ذَلِكَ واقعُ
وأَبلِغ عبيدَ اللهِ إمّا لقيتَهُ ... بأنّي مطيعٌ للخليفةِ سامعُ
قَتَلتُ بُريراً ثمّ حَمّلتُ نِعمةً ... غداةَ الوغى لمّا دعا مَن يقارعُ

قال: ثمّ ذكر له بعد ذلك أنّ بريراً كان من عباد الله الصالحين، وجاءه ابن عمّ له يقال له: عبيد الله بن جابر فقال له: ويلك يا بجير! قتلتَ برير بن حضير، فبأيّ وجه تلقى الله تعالى غداً؟ قال: فندم حين لم ينفعه الندم، ثمّ أنشأ يقول:

فَلَو شَاءَ ربِّي ما شَهِدتُ قِتالَهُم ... وَ لا جَعَلَ النَعماءَ عِندَ ابنِ جابرِ
لَقَد كانَ ذاكَ اليومَ عاراً وسُبّةً ... يُعيّرُهُ الأبناء عندَ المَعاشِرِ
فيا لَيتَ أنّي كنتُ في الحربِ حفنةً ... و يومَ حسينٍ كنتُ في رَمسِ قابِرِ
فيا سوءتا ما ذا أقولُ لخالقي ... و ما حُجّتي يومَ الحسابِ القماطرِ

١٠٢/٥ قال: ثمّ خرج وهب بن عبدالله بن عمير الكلبي، وقد كانت معه أُمّه يومئذ، فقالت له أُمّه: قم يا بنيّ فانصر ابنَ بنت نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله، فقال: أفعل ذلك يا أُمّاه ولا أُقصّر إن شاء الله تعالى. قال: ثمّ خرج إلى القوم وهو يقول:

إن تُنكروني فأنا ابنُ الكَلبِ ... سَوفَ تَروني وتَرَونَ ضَربي
وحَملَتي وصَولَتي في الحَربِ ... أُدرِكُ ثأري بَعدَ ثَأرِ صَحبي

فأدفعُ الكَربَ إما[1] إلى الكـربِ ليسَ جِهادي في الوَغى بِاللَّعبِ

ثمّ حمل ولم يزل يقتل حتّى قتل منهم جماعة، ورجع إلى أُمّه وامرأته، ورجع إلى أُمّه وقال: أرضيت أم لا؟ فقالت أُمّه: لا، ما رضيت حتّى تُقتل بين يدي مولاك الحسين.

قال: فقالت له المرأة: أسألك بالله أن لا تفجعني في نفسك، فقالت له أُمّه: لا تقبل قولها وارجع إلى مكانك وقاتل بين يدي مولاك وابن بنت نبيّك محمّدﷺ؛ ليكـون غداً في القيامة ممّن يشفع لك عند ربّك! فقام وهب بن عبدالله وهو يقول:

إنّـــي زعـــيمٌ لَكِ أُمّ وَهَبِ بـالطعنِ فـيهم تـارةً والضَـربِ
ضَـــربَ غُـلامٍ مـؤمنٍ بـالربِّ حتّى يذوقَ القومُ مَسَّ الحَـربِ
إنّـي امـرؤ ذو نـجدةٍ وعـصبِ حَسبي قتيلي مِن عُليم حَسبي

ثمّ حمل ولم يزل يقاتل حتّى قطعت يمينه، ثمّ قاتل حتّى قطعت شماله، ثـمّ قُتِلَ رضي الله عنه. ١٠٣/٥

ثمّ برز من بعده عمرو بن خالد الأزدي وهو يقول:

اليـومَ يـا نـفسُ إلى الرَّحـمانِ تَـمضينَ بـالروحِ وبـالريحانِ
اليـومَ تُـجزينَ عـلى الإحسـانِ قَـد كـانَ مِـنكِ غـابِرَ الزمـانِ
ما خُطَّ في اللـوحِ لَـدى الدَيَّـان لا تَـجزعي فكُـلَّ حـيّ فـانِ
والصـبرُ أحـظي لكِ بـالأمانِ يـا مـعشر الأزدِ بَـني قَـحطانِ
كونوا لَدى الحَربِ كأُسدٍ حِفانَ

قال: ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل رضي الله عنه.

ثمّ تقدّم من بعده ابنه خالد وهو يقول:

---

١. كذا في المصدر، وفي مقاتل أخر «أمام» بدل «إما إلى».

صبراً على المَوتِ بَني قَحطانِ كَيما تكونوا في رِضَا الرَّحمانِ
ذِي المجدِ والعِزَّةِ والبُرهانِ و ذِي العُلى والطَّولِ والإحسانِ
بأنّنا قَد صِرنَ في الجِنانِ وَ فِي قُصورٍ حَسَنِ البُنيانِ

قال: ثمّ حمل ولم يزل يقاتل حتّى قُتل عليه السلام.

ثمّ تقدّم من بعده شعبة بن حنظلة التميمي وهو يقول:

صَبراً على الأسيافِ والأسنّة صَبراً عليها لدخول الجنّة
وحور عين ناعمات حَسَنة لمن يريدُ الفوزَ لا بالظنّة
يا نفس للراحةِ فاحمدنه و في طلّاب الخير فارغبنه

قال: ثمّ حمل وقاتل قتالاً شديداً حتّى قُتل عليه السلام.

و خرج من بعده آخر يقال له: عمرو بن عبدالله المذحجي وهو يرتجز ويقول:

قَد عَلِمت سَعدٌ وحيُّ مَذحِجِ أنّي لدى الهيجاء غير مخرجِ
علوا بسيفي هامةَ المذحج و أترك القِرنَ لدى التَعَرُّجِ
فريسةَ الضَّبعِ الأخيلِ الأعوجِ

قال: ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل عليه السلام.

ثمّ تقدّم مسلم بن عوسجة الأسدي وهو يقول:

•إن تَسأَلوا عَنّي فإنّي ذو لِبَد مَن فَرعِ قومٍ من ذَرى بَني أَسَدٍ ١٠٤/٥
فَمَن تعامى حائدٌ عن الرَشَد و كافِرٌ بدينِ جَبّارٍ صَمَدٍ

قال: ثمّ حمل فقاتل قتالاً شديداً حتّى قُتِلَ عليه السلام.

و خرج من بعده عبد الرحمن بن عبدالله اليزني وهو يقول:

أنا ابنُ عبدالله مِن آلِ يَزَن ديني عَلى دِينِ حُسينٍ وحَسن
أَضرِبُكُم ضَربَ فَتىً مِنَ اليَمَن أَرجو بذاكَ الفوزَ عِندَ المُؤتَمَن

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلﷺ.

و خرج من بعده يحيى بن سليم المازني وهو يقول:

لأَضـرِبنَّ القـومَ ضـرباً فَـيصَلا ضَرباً شديداً في الغداةِ مـعجلا
لاعــاجزاً فــيها ولا مُــولولا و لا أخافُ اليـومَ مـوتاً مُـقبلا
لكنّني كالليثِ أَحمي أشبُلا

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلَﷺ.

ثمّ خرج من بعده قرّة بن أبي قرّة الغفاري وهو يقول:

قـد عَـلِمت حـقّاً بـنو غـفارِ و خــندف بــعد بَـني نَـزار
بــأنّني اللــيثُ لدى الغُــبارِ لأَضــرِبنَّ مــعشرَ الفُــجّارِ
بكــلّ عــضب ذكــرٍ بـتّار ضرباً وحتفاً عن بني الأخيارِ
رَهطِ النبيّ السادَةِ الأبرارِ

•ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلَﷺ. ١٠٥/٥

ثمّ خرج من بعده مالك بن أنس الباهلي وهو يرتجز ويقول:

قــد عَــلِمَت مــالكُ وذودان و الخِندِفيّون ومن قَيسُ غَيلان
بــأنَّ قــومي آفــةُ الأقــران لَدَى الوغـى وسـادَةُ الفـرسان
فــباشروا المــوتَ بـطعنٍ آن لَسنا نَرى العـجزَ عـن الطِعان
آلُ عــليّ شــيعةُ الرَّحــمان آلُ زيــادٍ شــيعةُ الشــيطانِ

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلَﷺ.

و خرج من بعده عمرو بن مطاع الجعفي وهو يقول:

أَنا ابـنُ جـعفٍ وأبـي مُـطاعٌ وَ في يَـمِيني مِـرهفٌ قَـطّاعُ
وَ أَســمرُ فــي رَأسِـهِ لمّـاعُ تَــرى له مـن ضَـوئه شـعاعُ

اليـومَ قَـد طـابَ لنـا القِـراعُ دُونَ حُسين الضربُ والنـطاعُ
نرجئ بـذاكَ الفـوزَ والرفـاعَ عَن حرّ نارٍ حـينَ لا امـتناعُ

ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل عليه السلام.

و خرج من بعده حبيب بن مظاهر الأسدي وهو يرتجز ويقول:

أَنـا حَـبيبٌ وأَبـي مُـظاهِرُ فارِسُ هَيجاءَ وحَربٍ تُسعَرُ
أَنـتُم أَعـدُّ عُـدَّةً وأَكـثَرُ وَ نَحنُ أَعلى حُـجّةً وأَقـهَرُ
وأَنـتمُ عِـندَ الوفـاءِ أَغـدَرُ وَ نحنُ أوفى مِنكُمُ وأَصـبَرُ

١٠٦/٥ • ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قُتِلَ عليه السلام.

و خرج من بعده حويّ مولى أبي ذرّ الغفاري وكان أسودَ، فجعل يرتجز ويقول:

كيفَ تَرى الفُـجّارُ ضَـربَ الأسـودِ بـالمَشرَفِيِّ القـاطعِ المُـهَنَّدِ
بـالسيفِ صـلنا عـن بـني مُـحَمَّدِ أَذُبُّ عَـنهُ بـاللسانِ واليَـدِ
أَرجـو بـذاكَ الفـوزَ يَـومَ المَـوردِ مِـن الإلهِ الواحـدِ المُـوَحَّدِ
إذ لا شفيعَ عندَهُ كأحمدِ

ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قُتِلَ عليه السلام.

و خرج من بعده أنيس بن معقل الأصبحي وهو يرتجز ويقول:

أَنـا أنـيسٌ وأَنـا ابـنُ مَـعقلِ و فـي يَـميني نَـصلُ سيفٍ مُـصقَلِ
أَضرِبُ بِهِ في الحَـربِ حَـتّى يَـنجَلي أَعـلُو بـه الهـاماتِ وَسطَ القَسطَلِ
مـن الحُسَـينِ المـاجدِ المُـفَضَّلِ ابـنِ رسـولِ اللهِ خَـيرِ مُـرسَلِ

ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قُتِلَ عليه السلام.

و خرج من بعده يزيد بن زياد بن المهاصر الجعفي وهو يقول:

أَنـا يـزيدُ وأبـي مـهاصرُ ليثٌ عبوسٌ في العَرينِ جاذرُ

يا ربِّ إنّـي للـحُسَينِ نـاصرُ و لابنِ سَـعدٍ تـاركٌ وهـاجِرُ
وابــن زيـادٍ خـاذلٌ وغـادرُ و للأعــادي مُـبغِضٌ ونـافِرُ
وكُلُّهم إلى الجَحيمِ صائرُ

•قال: ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلَ﵁. ١٠٧/٥

و خرج من بعده الحجّاج بن مسروق وهو يقول:

أَقــدِم هُـديتَ هـادياً مَـهديّا فَــاليومَ تَـلقى جَـدَّكَ النَـبِيّا
ثُــمَّ أَبــاكَ ذا النَــدى عَـلِيّا ذاكَ الذي نَـــعرِفُه وَصِـــيّا
والحَسَنَ الخَيرَ التِـقي الوفِـيّا وَ ذا الجَناحَينِ الفَـتى الكَـمِيا
وأَسدَ اللهِ الشهيدَ الحَيّا

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلَ﵁.

و خرج من بعده سعيد بن عبدالله الحنفي وهو يقول:

أَقدِم حُسَينُ اليـومَ تَـلقى أَحـمَدا وَ شَيخَكَ الخَـيرَ عـليّاً ذا النَـدى
وحَسَـناً كـالبَدرِ وافَـى الأسـعَدا و عَمَّكَ القـرن الهِـجانَ الأَصَـيدا
وذا الجَــناحين هــنوا وســعدا و حَـمزَةَ اللـيث الهـزبر الأَسَـدا
في جَنَّةِ الفِردَوسِ يَعلو أَصعُدا

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلَ﵁.

و خرج من بعده زهير بن القين البجلي وهو يرتجز ويقول:

أَنَــا زهـيرُ وأنـا ابـنُ القـين أذودُكم بالسيفِ عن حُسـينِ
إنَّ حســيناً أحــدُ السـبطينِ من عـترة البـرّ التَـقيّ الزيـنِ
ذاكَ رســول الله غـير المَـينِ أَضرِبُكُم ولا أَرى مِـن شَـينِ

ثمّ حمل ولم يزل يقاتل حتّى قُتِلَ﵁.

وخرج من بعده هلال بن رافع البجلي وجعل يرميهم بالسهام وهو يقول:

أَرمي بها مُعلَمّةً أفواقُها ... و النفسُ لا ينفعُها أسواقُها

مسمومةً تجري لها أحقابها ... لتملأَنَّ أرضَها رِشاقُها

قال: ثمّ لم يزل يرميهم حتّى فنيت سهامه، ثمّ ضربَ بيده إلى سيفه وجعل يقول:

أنا الغُلامُ التممي البَجَلي ... ديني على دِينِ حُسَين بن عليّ

إن أُقتل اليومَ وهذا عَمَلي ... و ذاكَ رأيي أو أُلاقي أُملي

ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قُتِلَ رحمه الله.

ثمّ خرج من بعده جنادة بن الحارث الأنصاري وهو يقول:

أنا جنادٌ وأنا ابنُ الحارثِ ... لَستُ بخوّارٍ ولا بناكثِ

عن بيعتي حتّى ترى موارثي ... اليومَ سلوي في الصعيد ماكثِ

ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قُتِلَ رحمه الله.

و خرج من بعده ابنه عمرو بن جنادة وهو يقول:

أَصِف الخِناقَ مِن ابنِ هِندٍ وارمد ... مِن عاهَة لِفَوارِسِ الأَنصارِ

ومُهاجرينَ مَخَضِّبينَ رِماحَهُم ... تَحتَ العَجاجَةِ مِن دَمِ الكُفّارِ

حسنت على عهدِ النبيّ محمّد ... فاليومَ تخضبُ من دمِ الفجّار

واليومَ تخضبُ مِن دماء أراذلٍ ... رَفَضوا القرآنَ لِنُصرةِ الأقدارِ

طلبوا بثأرهم ببدرٍ إذ أتوا ... بالمُرهفَاتِ وبالقَنا القتّار

والله ربّي لا أزال مضارباً ... في الفاسقين بمرهفٍ بَتّار

هذا على الأزديّ حقّ واجبٌ ... في كلّ يوم تَعانقٍ وكرارِ

وهذه تسمية من قتل بين يدي الحسين من ولده وإخوانه وبني عمّه (رضي الله عنهم).

كان أوّل مَن خرج منهم عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهو يقول:

•اليومَ ألقَى مسلماً وهو أَبي وَ فتيةً ماتوا على دينِ النبيّ ١٠٨/٥

ليسَ كقومٍ عُرفوا بالكَذِبِ لكن خيارٌ وكرامُ النَسَبِ

مِن هاشمِ الساداتِ أهل الحَسبِ

ثمّ حمل فقاتل حتّى قَتل منهم جماعة وقُتِلَ ﷺ.

و خرج من بعده جعفر بن عقيل بن أبي طالب وهو يقول:

أنا الغُلامُ الأَبطَحيُّ الطالبُ مِن مَعشرٍ في هاشمٍ وغالِبِ

وَ نَحنُ حقّاً سادةُ الذوائبِ هذا حُسَينٌ سيّدُ الأطائبِ

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلَ ﷺ.

و خرج من بعده أخوه عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وهو يرتجز ويقول:

أبي عقيلٌ فاعرِفوا مَكاني مِن هاشمٍ وهاشمٌ إخواني

كهولُ صِدقٍ سادَةُ القرآنِ هذا حُسينٌ شامِخُ البنيانِ

فقاتل حتّى قُتِلَ ﷺ.

و خرج من بعده أخوه محمّد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهو يقول:

نَشكو إلى اللهِ مِنَ العُدوانِ فِعالَ[1] قومٌ في الردى عِميانِ

قَد بدّلوا معالمَ الفرقانِ ومُحكَمَ التَنزيلِ والتِّبيانِ

وأَظهَرُوا الكُفرَ مَعَ الطُغيانِ

فقاتل حتّى قُتِلَ ﷺ.

وخرج من بعده أخوه عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهو يقول:

•إن تُنكروني فأنا ابنُ جَعفرِ شَهيدُ صِدقٍ في الجِنانِ الزهرِ ١٠٩/٥

---

١. في المصدر «فقال»، وهو تصحيف، وما أُثبت من المصادر الأُخرى.

نَـطير فـيها بِـجَناحٍ أَخـضَرِ كَـفى بِـهذا شَـرَفاً مـن مَـعشرِ

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتلَ رحمه الله.

وخرج من بعده عبدالله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رحمه الله وكأنّ على وجهه شقّة قمر، وعليه يومئذ قميص وإزار، وفي يده سيف له حسام قاطع، وهو يرتجز ويقول:

إن تُنكروني فَأَنا فَـرعُ الحَسَـن سِبطُ النبيِّ المُصطَفى والمُـؤتَمَن

هــذا حُسَـينٌ كـأسيرٍ مُـرتَهَن بينَ أُناسٍ لا سقوا صوبَ المُزَن

فقاتل حتّى قُتلَ رحمه الله.

قال: فصاح الحسين: صبراً يا بني! وصبراً يا أهل بيتي! فو الله، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً.

قال: ثمّ تقدّم إخوة الحسين عازمين على أن يموتوا من دونه، فأوّل من تقدّم أبو بكر بن عليّ ـ واسمه عبدالله، وأُمّه ليلى بنت مسعود بن خالد الربـعي التـميمية ـ فتقدّم وهو يقول:

شَيخي عليّ ذُو الفَخارِ الأَطوَل مِن هاشِمِ الخيرِ الكريمِ المُفضَلِ

هذا حُسَينُ ابن النبيِّ المُـرسَلِ عَنه نُحامي بـالحُسامِ المُـصقَلِ

تَـفديهِ نَـفسي مِـن أخٍ مُـبَجَّلِ يا رَبِّ فامنَحني ثَوابَ المـنزلِ

قال: فحمل عليه رجل من أصحاب عمر بن سعد يقال له: زحر بن بدر النخعي فقتله رحمه الله.

فخرج من بعده أخوه عمر بن عليّ فجعل يقول:

١١٠/٥ •أَضـرِبُكم ولا أَرى فـيكم زحـر ذاكَ الشـقيّ بـالنبيّ مَـن كَـفر

يا زحر يا زحر بـل آن مـن عـمر لَـعلَّكَ اليـومَ تَـبوء مـن سـقر

شـرّ مكـانٍ مـن حـريق وسـعر لأنّك الجـاحدُ يـا شـرّ البشـر

قال: ثمّ حمل على قاتل أخيه فقتله، واستقبل القوم فجعل يضرب فيهم بسيفه ضرباً منكراً وهو يرتجز ويقول:

خلّوا عداةَ الله خـلّوا عـن عـمر ... خلّوا عن الليثِ العبوسِ المكفهرّ
يَـــضرِبُكُم بِسَـــيفِهِ ولا يـــفرّ ... و ليسَ فيها كـالجبان المسـتجرّ

ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قُتلَ﵁.

و خرج من بعده أخوه عثمان بن عليّ ـ و أُمّه أُمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب العامرية ـ وهو يقول:

إنّي أنـا عـثمان ذو المـفاخرِ ... شَيخي عليّ ذو الفِعال الطاهِرِ
وابـــنُ عـــمِّ النـــبيِّ الطـاهِرِ ... أخو حُسَـينٍ خِـيرَةُ الأَخـائرِ
وَ سَـــيِّدُ الكِـــبارِ والأَصـاغِرِ ... بَعدَ الرَسولِ والوَصِيّ النـاصِرِ

فقاتل حتّى قُتلَ﵁.

و خرج من بعده أخوه جعفر بن عليّ بن أبي طالب ـ وأُمّه أُمّ البنين بنت حزام ـ فجعل يرتجز ويقول:

إنّي أنا جَعفرُ ذو المَعالي ... ابنُ عليّ الخَير ذو النَوالِ
أَخي حسينٌ ذو النَدى المِفضالِ

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِلَ﵁:

ثمّ خرج من بعده أخوه عبدالله بن عليّ وهو يرتجز ويقول:

أنا ابنُ ذي النَـجدَةِ والأفـضالِ ... ذاكَ عـــليّ الخـــير ذو الفـعالِ
سَـيفُ رَسـولِ اللهِ ذي النكـالِ ... في كـلِّ يـومٍ ظـاهرُ الأهـوالِ

•ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتلَ﵁. ١١١/٥

وخرج من بعده أخوه العبّاس بن عليّ وهو يقول:

أَقسَـمتُ بـاللهِ الأعـزِّ الأَعـظَمِ ... وبـــالحجورِ صـــادِقاً وزَمـــزَمِ

وَذو الحَـطيمِ والفـنا المُـحَرَّمِ لِيخضبنَّ اليـومَ جسـمي بـالدمِ
أمامَ ذي الفـضلِ وذي التكـرّمِ ذاكَ حُسَينٌ ذو الفـخارِ الأقـدمِ

ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قَتل من القوم جماعة وقُتِلَ رحمه الله.

ثمّ تقدّم من بعده عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام، وهو يومئذ ابن ثـماني عشـرة سنة، فتقدّم نحو القوم ورفع الحسين شيبته نحو السماء وقال:

اللّهمّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه القوم خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمّد صلى الله عليه وآله، فامنعهم بركات الأرض، فإن متّعتهم إلى حـين فـفرّقهم فـرقاً، واقطعهم قطعاً، واجعلهم طرائقَ قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبـداً، فـإنّهم دعـونا لينصرونا ثمّ عدوا علينا يقاتلوننا. قال: ثمّ صاح الحسين بعمر بن سعد فقال: ما لَكَ قَطَعَ الله رحمك، ولا بارك لَكَ في أمرك، وسَلَّط عـليكَ بـعدي مـن يـقتلك عـلى فراشك، كما قطعتَ رحمي ولم تحفظ قرابتي من محمّد صلى الله عليه وآله. ثمّ رفع الحسين صوته وقرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قال: ثمّ تقدّم عليّ بن الحسين بن عليّ عليهما السلام وهو يقول:

أنا عليّ بن الحُسَينِ بـن عَـليّ مِـن عـصبة جـدّ أبـيهم النـبيّ

•وفي مروج الذهب ٣ / ٧٦: نَحنُ وبيتُ اللهِ أَولى بِالنَبيّ ١١٢/٥

واللهِ لا يـحكمُ فـينا ابـنُ الدعـي أطـعنكم بـالرمحِ حـتّى يَـنثَني
أضرِبكُمُ بـالسيفِ أَحـمي عَـن أَبـي ضَـربَ غُـلامٍ عـلويّ قُـرشي

ثمّ حمل عليه السلام، فلم يزل يقاتل حتّى ضجّ أهل الشام من يده ومن كثرة مـن قـتل منهم، فرجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبة، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من الماء سبيل؟!

قال: فبكى الحسين، ثمّ قال: يا بنيّ! قاتل قليلاً فـما أسـرع مـا تـلقى جـدّك

محمّداً ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى! قال: فرجع عليّ بن الحسين إلى الحرب وهو يقول:

الحربُ قَد بانَت لها حقائقُ و ظَهَرت من بعدها مَصادِقُ
واللهِ ربِّ العرشِ لا نُفارقُ جموعَكُم أو تُغمَدُ البوارِقُ

ثمّ حمل، فلم يزل يقاتل حتّى قُتِلَ ﷺ.

قال: فبقي الحسين فريداً وحيداً ليس معه ثانٍ إلّا ابنه عليّ ﷺ، وهو يومئذ ابن سبع سنين، وله ابن آخر يقال له: عليّ في الرضاع، فتقدّم إلى باب الخيمة فقال: ناولوني ذلك الطفل حتّى أُودّعه! فناولوه الصبيّ، فجعل يقبّله وهو يقول: يا بنيّ! ويلَ لهؤلاء القوم إذ كان غداً خصمهم جدّك محمّد ﷺ! قال: وإذا بسهمٍ قد أقبلَ حتّى وقعَ في لبّة الصبيّ قتله، فنزل الحسين ﷺ عن فرسه وحفر له بطرف السيف ورماه بدمه، وصلّى عليه ودفنه، ثمّ وثب قائماً وهو يقول:

كَفَر القومُ وقدماً رغبوا عن ثوابِ الله ربّ الثقلين
قاتلوا قدماً عليّاً وابنه حسنَ الخير كريمَ الأبوين
حسداً منهم وقالوا أجمعوا نقتل الآن جميعاً للحسين
يا لقوم من أناسٍ رذّل جمعوا الجمعَ لأهل الحرمين
ثمّ ساروا وتواصوا كلّهم باحتياجي لرضاء الملحدين
لم يخافوا الله في سفكِ دمي لِعُبيدِ الله نَسلِ الكافرين
وابن سَعدٍ قَد رَماني عَنوة بجنودٍ كوكود الهاطلين
لاالشيءِ كان منّي قبل ذا غير فخري بضياء الفرقدين
بعليّ الخير من بعد النبيّ و النبيّ القرشي الوالدين
خيرةُ الله من الخلق أبي بعد جدّي فأنا ابن الخيرتين
فضّة قد خَلُصَت من ذَهَب فأنا الفضّة وابن الذَهَبين

من له جدّ كجدّي في الورى ... أو كشيخي وأنا ابن القمرين
فاطمُ الزهراء أُمّي وأبي ... قاصمُ الكفر ببدر وحنين
وله في يوم أُحد وقعةٌ ... شفت الغلّ بفضّ العسكرين
ثمّ بالأَحزابِ والفَتحِ معاً ... كان فيها حَتفُ أَهلِ الثَقَلَين
في سَبيلِ الله ما ذا صَنَعت ... أُمّة السوءِ معاً بالفَرقَدَين
عِترةُ البرّ النبيّ المُصطَفى ... و على الورد يَومَ الجَحفَلَين

قال: ثمّ استوى الحسين على فرسه، وتقدّم حتّى واجه القوم وقال: يا أهل الكوفة، قبحاً لكم وترحاً! وبؤساً لكم وتعساً! استصرختمونا والهين فأتيناكم موجبين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيماننا، وجئتم علينا ناراً نحن أضرمناها على عدوّكم وعدوّنا، فأصبحتم وقد آثرتم العداوة على الصلح من غير ذنب كان منّا إليكم، وقد أسرعتم إلينا بالعناد، وتركتم بيعتنا رغبة في الفساد، ثمّ نقضتموها سفهاً وضلّة لطواغيت الأُمّة وبقيّة الأحزاب ونبذة الكتاب، ثمّ أنتم هؤلاء تتخاذلون عنّا وتقتلونا!! ألا لعنة الله على الظالمين.

قال: ثمّ تقدّم الحسين حتّى وقف قبالة القوم وسيفه مصلت في يده، وأنشأ من نفسه عازماً على الموت وهو يقول:

أَنا ابنُ عليّ الخير مِن آلِ هاشمِ ... كَفاني بهذا مَفخَرٌ حين أَفخَرُ
وجدّي رسول الله أَكرمُ مَن مَشى ... و نَحنُ سراجُ الله في الخَلقِ يَزهَرُ
وفاطمةُ أُمّي سلالةُ أحمد ... و عمّي يدعى ذا الجناحين جَعفرُ
•وفيناكتابُ الله أُنزل صادقاً ... و فينا الهُدى والوَحي والخَيرُ يُذكَرُ ١١٣/٥
وَنَحن أَمانُ الأرض لِلناسِ كلِّهم ... نَصولُ بهذا في الأنامِ ونَفخَرُ
وَنَحنُ وُلاةُ الحَوضِ نسقي ولاتَنا ... بِكأسِ رسولِ اللهِ ما لَيسَ يُنكَرُ
وشيعتُنا في الناسِ أَكرَمُ شِيعةٍ ... و مُبغِضُنا يومَ القيامة يَخسَرُ

قال: ثمّ إنّه دعا إلى البراز فلم يزل يقتل كلّ من خرج إليه من عيون الرجال حتّى قتل منهم مقتلةً عظيمةً.

قال: وتقدّم الشمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) في قبيلة عظيمة، فقاتلهم الحسين بأجمعهم وقاتلوه حتّى حالوا بينه وبين رحله، قال: فصاح بهم الحسين عليه السلام:

و يحكم يا شيعة آل سفيان! إن لم يكن دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم أعواناً كما تزعمون.

قال: فناداه الشمر بن ذي الجوشن (لعنه الله): ما ذا تقول يا حسين؟

قال: أقول أنا الذي أُقاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس لكم عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم وطغاتكم وجهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمتُ حياً!

فقال الشمر: لك ذلك يا ابن فاطمة. قال: ثمّ صاح الشمر بأصحابه وقال: إليكم عن حريم الرجل واقصدوه في نفسه، فلعمري، إنّه لكفؤ كريم.

قال: فحمل عليه القوم بالحرب، فلم يزل يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب الماء ليشرب منه شربة، فكلّما حمل بنفسه على الفرات حملوا عليه حتّى أحالوه عن الماء، ثمّ رمى رجل منهم بسهم يكنّى أبا الجنوب الجعفي، فوقع السهم في جبهته، فنزع الحسين السهم فرمى به، وسالت الدماء على وجهه ولحيته، فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة الطغاة! اللّهمّ فأحصهم عدداً، واقتلهم مدداً، •ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر ١١٤/٥
لهم أبداً.

قال: ثمّ حمل عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق منهم أحداً إلّا لفحه بسيفه لفحة ألحقه بالأرض، والسهام تقصده من كلّ ناحية وهو يتلقّاها بصدره ونحره، وهو يقول: يا أُمّة السوء! فبئس ما أخلفتم محمّداً في أُمّته وعترته، أما إنّكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله فتأهبوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إيّاي، وأيم الله! إنّي لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.

قال: فصاح به الحصين بن نمير السكوني، فقال: يا ابن فاطمة! وبماذا ينتقم لك منّا؟ قال: يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم، ثم يصبّ عليكم العذاب صبّاً.

قال: فصاح الشمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) بأصحابه فقال: ما وقوفكم؟ و ماذا تنتظرون بالرجل وقد أوثقته السهام؟ احملوا عليه، ثكلتكم أُمّهاتكم!

قال: فحملوا عليه من كلّ جانب.

قال: وأوثقته الجراح بالسيوف، فضربه رجل يقال له: زرعة بن شريك التميمي (لعنه الله) ضربةً على يده اليسرى!!

و ضربه عمرو بن طلحة الجعفي (لعنه الله) على حبل عاتقه من ورائه ضربةً منكرة!!

و رماه سنان بن أنس النخعي (لعنه الله) بسهم، فوقع السهم في نحره!!

و طعنه صالح بن وهب اليزني (لعنه الله) طعنةً في خاصرته! فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض، واستوى قاعداً ونزع السهم من نحره وأقرن كفّيه، فكلّما امتلأتا من دمه خَضَّبَ به رأسه ولحيته وهو يقول: هكذا حتّى ألقى ربّي بدمي مغصوباً على حقّي!

قال: وأقبل عمر بن سعد حتّى وقف عليه وقال لأصحابه: انزلوا إليه فخذوا رأسه! ١١٥/٥

قال: فنزل إليه نصر بن خرشبة الضبابي (لعنه الله) وكان أبرص فضربه برجله، فألقاه على قفاه، ثمّ أخذ بلحيته، فقال له الحسين: أنت الأبقع الذي رأيتك في منامي، قال: أَ وتُشبّهني بالكلاب يا ابن فاطمة؟! قال: ثمّ جعل يضرب بسيفه (لعنه الله) على مذبح الحسين وهو يقول:

أَقتُلُكَ اليومَ ونفسي تَعلمُ ... علماً يقيناً ليس فيه مرغمُ

ولا محال لا ولا تأثّم ... إنَّ أباك خيرُ من تَكَلَّمُوا

قال: فغضب عمر بن سعد ثمّ قال لرجل: انزل أنت إلى الحسين فأرحه! قال: فنزل إليه خوليّ بن يزيد الأصبحي (لعنه الله) فاحتزّ رأسه!!!

و تقدّم إليه رجل من بني تميم يقال له: الأسود بن حنظلة (لعنه الله) وأخذ سيفه! وتقدّم إليه جعفر بن الوبر الحضرمي (لعنه الله) فأخذ قميصه! فلبسه فصار أبرص وأسقط شعره، وأخذ سراويله يحيى بن عمرو الحرمي! فلبسه فصار زمناً مقعداً من رجليه، وأخذ عمامته جابر بن زيد الأزدي! فاعتمّ بها فصار مجذوماً، وأخذ درعه مالك بن بشر الكندي! فلبسه فصار معتوهاً.

قال: وارتفعت في ذلك الوقت غبرةٌ شديدةٌ سوداءُ مظلمةٌ، فيها ريح أحمر لا يرى فيها أثر عين ولا قدم حتّى ظنّ القوم أن قد نزل بهم العذاب، فبقوا كذلك ساعة، ثمّ انجلت عنهم.

قال: وأقبل بعد ذلك فرس الحسين وكان قبل ذلك غارَ من بين أيديهم أن لا يؤخذ، فوضع رأسه في دم الحسين عليه السلام وأقبل يركض إلى خيمة النساء وهو يصهل.

قال: فلمّا نظر أخوات الحسين إليه وبناته وأهل بيته (رضوان الله عليهم) إلى
•الفرس وليس عليه أحد، رفعوا أصواتهم بالصراخ والعويل، وأقبل القوم حتّى ١١٦/٥
أحدقوا بالخيمة، وأقبل الشمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) حتّى وقف قريباً من خيمة النساء فقال لقومه: ادخلوا فاسلبوا بزيهنّ!

قال: فدخل القوم فأخذوا كلّ ما كان في الخيمة، حتّى أفضوا إلى قرط كان في أُذن أم كلثوم (رضي الله عنهم) فأخذوه وخرموا أُذنها، وخرج القوم من الخيمة وأضرموها بالنار.

و أرسل عمر بن سعد بالرأس إلى عبيد الله بن زياد، فجاءه الرجل بالرأس واسمه بشر بن مالك حتّى وضع الرأس بين يديه وجعل يقول:

املأ ركابي فضّةً وذهبا أنا قتلتُ الملكَ المُحَجَّبا

وَ مَن يُصَلّي القبلتين في الصِبا و خَيرهُم إذ يَذكرونَ النَسَبا
قَتلتُ خيرُ الناسِ أُمّا وأبا

قال: فغضب عبيد الله بن زياد من قوله ثمّ قال: إذ علمت أنّه كذلك فَلِمَ قتلته؟! والله، لا نلت منّي خيراً ولألحقنّك به، ثمّ قدّمه وضرب عنقه.

قال: وساق القوم حرمَ رسول الله صلى الله عليه وآله من كربلاء كما تساق الأُسارى، حتّى إذا بلغوا بهم إلى الكوفة خرج الناس إليهم، فجعلوا يبكون وينوحون.

١١٧/٥ قال: وعليّ بن الحسين عليه السلام في وقته ذلك قد نهكته العلّة فجعل يقول: ألا إنّ هؤلاء يبكون و ينوحون من أجلنا فمن قتلنا؟!

ذكر كلام زينب بنت عليّ رضي الله عنها

قال خزيمة الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت عليّ عليها السلام يومئذ ولم أرَ حفرة[1] قطّ أفصح منها، كأنّها تنطق عن لسان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأومأت إلى الناس أن اسكتوا! فارتدّت الأنفاس، ثمّ قالت:

الحمد لله وصلواته على أبي محمّد رسول الله وعلى آله الطاهرين الأخيار، أمّا بعد؛ يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل! أ تبكون؟ فلا رقت لكم دمعة، إنّما مثلكم كمثل التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون.

أَ تَبكون وتنتحبون؟! أي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، كلّ ذلك بانتهاككم حرمة ابن خاتم الأنبياء وسيّد شباب أهل الجنّة غداً، وملاذ حضرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون! وبُعداً لكم وسحقاً! فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وتولّيتم بغضبٍ الله، وضُربت عليكم الذلّة والمسكنة.

---

١. كذا في المصدر، وفي مقاتل أُخر «خَفِرة».

أ تدرون ويلكم يا أهل الكوفة! أيّ كبد لرسول الله ﷺ فريتم؟! وأيّ دم له سفكتم؟! وأيّ حريم له ورئتم؟! وأيّ حرمة له انتهكتم؟! ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾، لقد جئتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض، أَ فَعجبتم إن أمطرت السماء دماً! ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تُنصرون، فلا يستخفنّكم المهل ولا يحقره البدار، ولا يخاف عليه فوت الثأر، كلّا! ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

١١٨/٥ قال خزيمة: فو الله، لقد رأيت •الناس يومئذ حيارى قد ردّوا أيديهم في أفواههم، قال: ونظرت إلى شيخ من قدماء أهل مكّة وقد بكى حتّى اخضلّت لحيته وهو يقول: قد صدقت المرأة! كهولهم خير كهول، وشبابهم خير شباب إذا نطقوا نطق سبحان.

ذكر دخول القوم على عبيد الله بن زياد

قال: ثمّ أتى القوم حتّى أُدخلوا على عبيد الله بن زياد، ونظرت إليه زينب بنت عليّ ﷺ فجلست ناحية، فقال ابن زياد: مَن الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال الثانية: مَن الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال رجل من أصحابه: هذه زينب بنت عليّ ﷺ.

فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم! فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد ﷺ وطهّرنا في كتابه تطهيراً، وإنّما يفضح الفاسق ويكذّب الفاجر.

فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت زينب (رضي الله عنها): ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك و بينهم يا ابن زياد، فتحاجّون وتخاصمون، فانظر لمن الفلح يومئذ! ثَكَلتك أُمّك يا ابن مرجانة!

قال: فغضب ابن زياد من ذلك، فقال له عمرو بن حريث المخزومي: أصلح الله

الأمير، إنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال ابن زياد: لقد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردودة من أهل بيتك.

فقالت زينب: لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد: هذه شجاعة لا حرج، لعمري، لقد كان أبوك شاعراً شجاعاً، فقالت •زينب (رضي الله عنها): يا ابن زياد! وما للمرأة والشجاعة. ١١٩/٥

قال: فالتفت ابن زياد إلى عليّ بن الحسين عليه السلام قال: أَوَ لَم يقتل عليّ بن الحسين؟

قال: ذاك أخي وكان أكبر منّي فقتلتموه وإنّ له مطلاً منكم يوم القيامة، فقال ابن زياد: ولكنّ الله قتله، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

فقال ابن زياد لبعض جلسائه: ويحك!... خذه إليك الآن فاضرب عنقه! قال: فتعلّقت به عمّته زينب بنت عليّ وقالت له: يا ابن زياد، إنّك لم تبقِ منّا أحداً، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه.

فقال عليّ بن الحسين لعمّته: اسكتي حتّى أُكلّمه! ثمّ أقبل عليّ عليه السلام على ابن زياد فقال: أَ بالقتل تهدّدني؟ أما علمت أنَّ القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة؟!

قال: فسكت ابن زياد ثمّ قال: أخرجوهم عنّي! وأنزلهم في دارك[1] إلى جانب المسجد الأعظم.

ثمّ نادى عبيد الله بن زياد في الناس فجمعهم في المسجد الأعظم، ثمّ خرج وصعد المنبر.

---

١. كذا في المصدر، وفي معظم المقاتل الأُخرى «دار» بدل «دارك» وهو الصحيح.

ذكر عبدالله بن عفيف الأزدي وردّه على ابن زياد ومقتله﵁

قال: فصعد ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال في بعض كلامه: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذّاب ابن •الكذّاب. قال: فما زاد على هذا الكلام شيئاً ووقف، فقام إليه عبدالله بن عفيف ١٢٠/٥
الأزدي﵁، وكان من خيار الشيعة، وكان أفضلهم، وكان قد ذهبت عينه اليسرى في يوم الجمل والأُخرى في يوم صفّين، وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلّي فيه إلى الليل، ثمّ ينصرف إلى منزله، فلمّا سمع مقالة ابن زياد وثب قائماً، ثمّ قال:

يا ابن مرجانة! الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدوّ الله أَ تقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين؟

قال: فغضب ابن زياد ثمّ قال: مَن المتكلّم؟ فقال: أنا المتكلّم يا عدوّ الله! أ تقتل الذرّية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنّك على دين الإسلام؟! وا عوناه! أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون[1] من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمّد نبيّ ربّ العالمين.

قال: فازداد غضباً عدوّ الله حتّى انتفخت أوداجه، ثمّ قال: عليَّ به! قال: فتبادرت إليه الجلاوزة من كلّ ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمّه، فخلصوه من أيدي الجلاوزة، وأخرجوه من باب المسجد، فانطلقوا به إلى منزله.

و نزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخل عليه أشراف الناس فقال: أرأيتم ما صنع هؤلاء القوم؟ فقالوا: قد رأينا أصلح الله الأمير إنّما الأزد فعلت ذلك فشدّ يديك بساداتهم، فهم الذين استنقذوه من يدك حتّى صار إلى منزله.

قال: فأرسل ابن زياد إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فأخذه وأخذ معه

---

١. كذا في المصدر، والمناسب «لينتقمون» كما في بعض المصادر الأُخرى.

جماعة من الأزد، فحبسهم وقال: والله، لا خرجتم من يدي أو تأتوني بعبدالله بن عفيف.

قال: ثمّ دعا ابن زياد لعمرو بن الحجّاج الزبيدي ومحمّد بن الأشعث وشبث بن الربعي وجماعة من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى •الأزد الذي قد أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه، ائتوني به! ١٢١/٥

قال: فانطلقت رسل عبيد الله بن زياد إلى عبدالله بن عفيف، وبلغ ذلك الأزد فاجتمعوا، واجتمع معهم أيضاً قبائل اليمن ليمنعوا عن صاحبهم عبدالله بن عفيف. وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمّهم إلى محمّد بن الأشعث وأمره بقتال القوم.

قال: فأقبلت قبائل مضر نحو اليمن ودنت منهم اليمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى أصحابه يؤنّبهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجّاج يخبره باجتماع اليمن عليهم.

قال: وبعث إليه شبث بن الربعي: أيّها الأمير، إنّك قد بعثتنا إلى أُسود الآجام فلا تعجل! قال: و اشتدّ قتال القوم حتّى قتل جماعة منهم من العرب.

قال: ودخل أصحاب ابن زياد إلى دار ابن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت به ابنته: يا أبت، أتاك القوم من حيث لا تحتسب! فقال: لا عليك يا ابنتي، ناوليني السيف، قال: فناولته فأخذه وجعل يذبّ عن نفسه وهو يقول:

أنا ابنُ ذي الفضلِ العفيفِ الطاهرِ ... عَفيفُ شيخي وابنُ أُمّ عامرِ

كم دارعٍ من جَمعِهِم وحاسرِ ... و بطلٍ جندلته مغادرِ

قال: وجعلت ابنته تقول: يا ليتني كنت رجلاً فأُقاتل بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة! قال: وجعل القوم يدورون عليه من خلفه وعن يمينه وعن شماله، وهو يذب عن نفسه بسيفه، وليس يقدر أحد أن يتقدّم إليه.

قال: وتكاثروا عليه من كلّ ناحية حتّى أخذوه. فقال جندب بن عبدالله الأزدي: إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! أخذوا والله عبدالله بن عفيف فقبح والله العيش من بعده.

قال: ثمّ أُتي به حتّى أُدخل على عبيد الله بن زياد، فلمّا رآه قال: الحمد لله الذي أخزاك!

فقال له عبدالله بن عفيف: يا عدوّ الله بهذا أخزاني! والله لو فرّج الله عن بصري لضاق عليك موردي ومصدري.

قال: فقال ابن زياد: يا عدوّ نفسه! ما تقول في عثمان بن عفّان؟

فقال: يا ابن عبد بني علاج! يا ابن مرجانة وسميّة! ما أنت وعثمان بن عفان؟ عثمان أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد، الله تبارك وتعالى وليّ خلقه يقضي بين خلقه وبين عثمان بن عفّان بالعدل والحقّ، ولكن سلني •عن أبيك وعن يزيد وأبيه! ١٢٢/٥
فقال ابن زياد: والله، لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت!

فقال عبدالله بن عفيف: الحمد لله ربّ العالمين! أما إنّي كنت أسأل ربّي ﷻ أن يرزقني الشهادة، والآن فالحمد لله الذي رزقني إيّاها بعد الإياس منها وعرّفني الإجابة منه لي في قديم دعائي!

فقال ابن زياد: اضربوا عنقه! فضربت رقبته وصلب رحمة الله عليه.

قال: ثمّ دعا ابن زياد بجندب بن عبدالله الأزدي فقال: يا عدوّ الله! أ لست صاحب عليّ بن أبي طالب ﷺ في يوم صفين؟ فقال: بلى والله يا ابن زياد، أنا صاحب عليّ بن أبي طالب ﷺ ولا زلت له وليّاً ولا أبرأ إليك من ذلك!

فقال ابن زياد: أظنّ أنّي أتقرّب إلى الله تعالى بدمك، فقال جندب: والله، ما يقرّبك دمي من الله ولكنّه يباعدك منه، وبعد فإنّه لم يبقَ من عمري إلّا أقلّه، وما أكره أن يكرمني الله بهوانك.

فقال ابن زياد: أخرجوه عنّي فإنّه شيخ قد خرف وذهب عقله! قال: فأُخرج عنه وخلّي سبيله.

قال: ثمّ قدم إليه سفيان بن يزيد، فقال له ابن زياد: ما الذي أخرجك عليّ يا ابن المعقل؟ فقال له: بلغني أنّ أصحابك أسروا عمّي فخرجت أُدافع عنه.

قال: فخلى سبيله وراقب فيه عشيرته.

ثمّ دعا بعبد الرحمن بن مخنف الأزدي فقال له: ما هذه الجماعة على بابك؟ فقال: أصلح الله الأمير، ليس على بابي جماعة وقد قتلت صاحبك الذي أردت وأنا لك سامع مطيع، وإخوتي لك جميعاً كذلك، قال: فسكت عنه ابن زياد ثمّ خلّاه وخلّى سبيل إخوته وبني عمّه.

ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن عليّ رضي الله عنهما

قال: ثمّ دعا ابن زياد زجر بن قيس الجعفي فسلّم إليه رأس الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) ورؤوس إخوته ورأس عليّ بن الحسين ورؤوس أهل بيته وشيعته رضي الله عنهم أجمعين. ودعا عليّ بن الحسين أيضاً فحمله، وحمل أخواته وعمّاته وجميع نسائهم إلى يزيد بن معاوية. ١٢٣/٥

قال: فسار القوم بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله من الكوفة إلى بلاد الشام على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل كما تساق أُسارى الترك والديلم.

قال: وسبق زحر بن قيس الجعفي برأس الحسين إلى دمشق حتّى دخل على يزيد، فسلّم عليه ودفع إليه كتاب عبيد الله بن زياد.

قال: فأخذ يزيد كتاب عبيد الله بن زياد فوضعه بين يديه، ثمّ قال: هات ما عندك يا زحر، فقال زحر:

أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك وبنصره إيّاك، فإنّه ورد علينا الحسين بن عليّ في اثنين وثلاثين رجلاً من شيعته وإخوته وأهل بيته، فسرنا إليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم عبيد الله بن زياد، فأبوا علينا فقاتلناهم من وقت شروق الشمس إلى أن أضحى النهار، فلمّا أخذت السيوف مأخذها من الرجال

جعلوا ينقصون إلى غير وزر، ويلوذون منّا بالآكام والحفر، كما يخاف الحمام من الصقور، فوالله يا أمير المؤمنين، ما كان إلّا جزر جزور أو نومة قائل حتّى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم بالعراء مجرّدة، وثيابهم بالدماء مرمّلة، وخدودهم بالتراب معفّرة.

قال: فأطرق يزيد ساعة ثمّ رفع رأسه فقال: يا هذا، لقد كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين بن عليّ، أما والله، لو صار إليّ لعفوت عنه، ولكن قبّح الله ابن مرجانة!

قال: وكان عبدالله بن الحكم أخو مروان بن الحكم قاعداً عند يزيد بن معاوية، فجعل يقول شعراً. فقال يزيد: نعم، لعن الله ابن •مرجانة إذ قدم على مثل الحسين ١٢٤/٥
ابن فاطمة، أما والله، لو كنت صاحبه لما سألني خصلةً إلّا أعطيته إيّاها، ولدفعت عنه الحتف بكلّ ما استطعت ولو كان بهلاك بعض ولدي، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فلم يكن له منه مردّ.

قال: ثمّ أُتي بالرأس حتّى وضع بين يدي يزيد بن معاوية في طشت من ذهب، قال: فجعل ينظر إليه وهو يقول:

نُفلّق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ عَلَينا وهُم كانوا أَعَقَّ وأَظلَما

قال: ثمّ أقبل على أهل مجلسه وقال: هذا كان يفتخر عليّ ويقول: أبي خير من أب يزيد، وأُمّي خير من أُمّه، وجدّي خير من جدّ يزيد، وأنا خير من يزيد، فهذا الذي قتله، فأمّا قوله: إنّ أبي خير من أب يزيد، فقد حاجّ أبي أباه فقضى الله لأبي على أبيه، وأمّا قوله: إنّ أُمّي خير من أُمّ يزيد، فلعمري أنّه صدق أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أُمّي، وأما قوله بأنّ جدّي خير من جدّ يزيد، فليس أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول: إنّه خير من محمّد ﷺ، و أمّا قوله: •خير منّي[1]، فلعلّه لم يقرأ ١٢٥/٥

---

١. كذا في المصدر، ولعلّ فيه سقط، فيكون هكذا: «إنّه خير منّي» بدل «خير منّي».

هذه الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ ـ إلى ـ قَدِيرٌ﴾.

قال: ثمّ دعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام وهو يقول: لقد كان أبو عبدالله حسن المنطق! فأقبل إليه أبو برزة الأسلمي أو غيره، فقال له: يا يزيد ويحك! أ تنكت بقضيبك ثنايا الحسين وثغره؟! أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه ويقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعدّ له نار جهنّم وساءت مصيراً، أما إنّك يا يزيد لتجيء يوم القيامة وعبيد الله بن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمّد صلى الله عليه وآله شفيعه.

قال: فغضب يزيد وأمر بإخراجه، فأُخرج سحباً. وجعل يزيد يتمثّل بأبيات عبدالله بن الزبعري وهو يقول:

لَيتَ أَشياخي بِبَدرٍ شَهِدوا ... وَقعةَ الخَزرَجِ مِن وَقعِ الأَسَل

لَأَهَلُّوا واستَهَلّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قالوا يا يَزيدُ لا تُسَل

حينَ أَلقَت بِقَناةٍ بَركَها ... و استَحَرَّ القَتلُ في عَبدِ الأَشَل

فَجَزَيناهُم بِبَدرٍ مِثلَها ... و أَقَمنا مِثلَ بَدرٍ فاعتَدَل

ثمّ زاد فيها هذا البيت من نفسه فقال:

لَستُ مِن عُتبَةَ إن لَم أَنتَقِم ... مِن بَني أحمَدَ ما كانَ فَعَل

قال: وأتي بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أُدخلوا مدينة دمشق من باب يقال له باب
١٢٦/٥ •توماء، ثمّ أُتي بهم حتّى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبي، وإذا الشيخ قد أقبل حتّى دنا منهم وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح الرجال من سطوتكم وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له عليّ بن الحسين: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم قد قرأته.

قال: فعرفت هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال عليّ بن الحسين عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ.

قال: فهل قرأت في سورة بني إسرائيل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال عليّ عليه السلام: نحن القربى يا شيخ.

و لكن هل قرأت هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟

قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال عليّ: فنحن ذو القربى يا شيخ.

و لكن هل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال عليّ: فنحن أهل البيت الذين خصصنا بآية الطهارة.

قال: فبقي الشيخ ساعة ساكتاً نادماً على ما تكلّمه، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ! إنّي تائب إليك ممّا تكلّمته ومن بغض هؤلاء القوم، اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ محمّد وآل محمّد من الجنّ والإنس.

قال: ثمّ أُتي بهم حتّى أُدخلوا على يزيد وعنده يومئذ وجوه أهل الشام، فلمّا نظر إلى عليّ بن الحسين عليه السلام قال له: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا عليّ بن الحسين، فقال: يا عليّ! إنّ أباك الحسين قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت!

فقال عليّ بن الحسين: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

١٢٧/٥ فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه يا بنيّ، فلم يدرِ خالد ماذا يقول، •فقال يزيد: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾.

قال: فقام رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية! فقال له يزيد: اسكت، ويلك! لا تقل ذلك، فهذه ابنة عليّ وفاطمة، وهم أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا.

قال: فتقدّم عليّ بن الحسين حتّى وقف بين يدي يزيد بن معاوية وجعل يقول:

لا تَطمعوا أَن تُهينونا ونُكرِمَكُم ... و أن نكفّ الأَذى عَنكم وتُؤذونا

فاللهُ يَعلَمُ أنّا لا نُحبّكم ... و لا نَلومُكم إن لَم تُحِبّونا

١٢٨/٥ •فقال يزيد: صدقت يا غلام، ولكن أراد أبوك وجدّك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي أذلّهما وسفك دماءهما!

فقال له عليّ بن الحسين: يا ابن معاوية وهند وصخر! لم يزالوا آبائي وأجدادي فيهم الإمرة من قبل أن نلد، ولقد كان جدّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر وأُحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدّك في أيديهما رايات الكفّار، ثمّ جعل عليّ بن الحسين يقول:

ماذا تَقولونَ إن قالَ النبِيُّ لَكُم ... ماذا فَعَلتُم وأَنتُم آخِرُ الأُمَمِ

بِعِترَتي وبِأَهلي بَعدَ مُنقَلَبي ... مِنهُم أُسارى ومِنهُم ضُرِّجوا بِدَمِ

ما كَانَ هذا جَزائي إذ نَصَحتُكُمُ ... أن تَخلِفُوني بِسُوءٍ في ذوي رَحِمي

ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام: ويلك يا يزيد! إنّك لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذاً لهربت في الجبال وفرشت الرماد! ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس الحسين بن فاطمة وعليّ عليه السلام منصوباً على باب المدينة! وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه.

قال: فالتفت حبر من أحبار اليهود وكان حاضراً فقال: مَن هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا صاحب الرأس هو أبوه.

قال: ومَن هو صاحب الرأس يا أمير المؤمنين؟ قال: الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

قال: فمن أُمّه؟ قال: فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال الحبر: يا سبحان الله! هذا ابن بنت نبيّكم قتلتموه في هذه السرعة! بئس ما خلّفتموه في ذرّيته، والله، لو خلّف فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لكنّا نعبده من دون الله! وأنتم إنّما فارقكم نبيّكم بالأمس، فوثبتم على ابن نبيّكم فقتلتموه، سوءةً لكم من أُمّة!

قال: فأمر يزيد بكرّ في حلقه، فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني أو قرّروني، فإنّي أجد في التوراة أنّه من قتل ذرّية نبيّ لا يزال مغلوباً أبداً ما بقي، فإذا مات يصليه الله نار جهنّم.

قال: ثمّ دعا يزيد بالخاطب وأمر بالمنبر فأُحضر، ثمّ أمر الخاطب فقال: اصعد المنبر فخبّر الناس بمساوئ الحسين وعليّ وما فعلا!

قال: فصعد الخاطب المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ أكثر الوقيعة في عليّ والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد، فذكرهما بكلّ جميل.

قال: فصاح عليّ بن الحسين: ويلك أيّها الخاطب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فانظر مقعدك من النار. ثمّ قال عليّ بن الحسين: يا يزيد، أ تأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلام فيه رضا الله ورضا هؤلاء الجلساء وأجر وثواب؟

قال: فأبى يزيد ذلك، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذن له ليصعد المنبر لعلّنا نسمع منه شيئاً!

فقال: إنّه إن صعد المنبر لم ينزل إلّا بفضيحتي أو بفضيحة آل سفيان، قيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا؟ قال: إنّه من نسل قوم قد رزقوا العلم رزقاً حسناً.

قال: فلم يزالوا به •حتّى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبة ١٢٩/٥
أبكى منها العيون وأوجل منها القلوب، ثمّ قال:

أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيّها

الناس، أنا ابن مكّة ومنى وزمزم والصفا، أنا ابن خير من حجّ وطاف وسعى ولبّى، أنا ابن خير من حَمَلَ البراقُ، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن مَن بلغ به جبريل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى، فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء!

قال: فلم يزل يعيد ذلك حتّى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب.

قال: وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذّن فقال: اقطع عنّا هذا الكلام! قال: فلمّا سمع المؤذن قال: الله أكبر، قال الغلام: لا شيء أكبر من الله.

فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، قال الغلام: يشهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي.

فلمّا قال المؤذن: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، التفت عليّ بن الحسين من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمّد هذا جدّي أم جدك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فَلِمَ قتلت عترته؟

قال: فلمّا فرغ المؤذّن من الأذان والإقامة تقدّم يزيد يصلّي بالناس صلاة الظهر، فلمّا فرغ من صلاته أمر بعليّ بن الحسين وأخواته وعمّاته (رضوان الله عليهم)، ففرّغ لهم داراً فنزلوها وأقاموا أيّاماً يبكون وينوحون على الحسين عليه السلام.

قال: وخرج عليّ بن الحسين ذات يوم، فجعل يمشي في أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو الصابئ فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟

قال: أمسينا كبني إسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، يا منهال! أمست العرب تفتخر على العجم لأنّ محمّداً منهم، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا أهل بيت محمّد ونحن مغصوبون مظلومون، مقهورون مقتّلون، مثبورون مطرودون، فإِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ على ما أمسينا فيه يا منهال.

قال: ثمّ أمر لهم يزيد بزاد كثير ونفقة، وأمر بحملانهم إلى المدينة. فلمّا
•فصلوا من دمشق سمعوا منادياً ينادي في الهواء وهو يقول: ١٣٠/٥

أَيُّها القاتِلونَ ظُلماً حُسَيناً أَبشِروا بالعذابِ والتَنكيلِ
كُلُّ مَن في السَماءِ يَدعو عَلَيكُمُ مِن نَبيٍّ ومُرسَلٍ وقَتيلِ
قَد لُعِنتُم على لِسانِ ابنِ داو د وموسى وحامِلِ الإنجيلِ

تمّ مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنهما.

الفصل الرابع

مَقْتَلُ سَيِّدِ الشُّهَداءِ بِرِوايَةِ كِتابِ الملهوف

الملهوف على قتلى الطفوف للسيّد رضيّ الدين عبد الكريم بن عليّ بن موسى الحسيني الحلي ، المعروف بالسيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ. ق) ، من علماء الشيعة وعرفائهم المشهورين ، وكان غزير التأليف ، حيث ألّف حوالي ٥٠ كتاباً بين صغير وكبير .

ألّف السيّد ابن طاووس مصباح الزائر و جناح المسافر ؛ ليستعين به الزوّار ويصطحبوه معهم في الزيارات ، ولمّا رأى إقبال الناس عليه ألّف كتاباً آخر حول الإمام الحسين عليه السلام ومقتله ، خصّصه لزوّار الإمام الحسين عليه السلام ، جمع فيه معلوماته التاريخيّة حول ذلك .

لم يكن ابن طاووس مؤرّخاً ، إلّا أنّه سلك في كتابه الملهوف أُسلوب المؤرّخين ، بل والقصّاصين أحياناً ، فذكر خلاصة الأخبار ونتيجتها دون ذكر السند أو التنويه إلى مصدره الرئيس ، إلّا في مواضع معدودة .

وقد حظي الملهوف بقبول علماء الشيعة بسبب شخصيّة مؤلّفه وأُسلوبه اللطيف ، ونقله المفصّل لكلمات الإمام السجّاد عليه السلام والسيّدة زينب ؛ اللّذين يعكسان أهداف نهضة عاشوراء ، وكذلك سعي المؤلف لذكر تفصيل أحداث كربلاء دون تصرّف أو تحريف ، فتلقي بالقبول من قبل علماء الشيعة وقد ذكرنا هنا هذا الكتاب بشكل كامل .

٨٩ **المسلك الأوّل: في الأُمور المتقدّمة على القتال•**

٩١ كان• مولد الحسين عليه السلام لخمس ليالٍ خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

وقيل: اليوم الثالث منه.

وقيل: في أواخر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث من الهجرة. وروي غير ذلك.

٩٢ قالت أُمّ الفضل زوجة العبّاس (رضوان الله عنهما): رأيت في منامي •قبل مولده كأنّ قطعةً من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله قطعت فوضعت في حجري، فَعَبَّرتُ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: خيراً رأيت، إن صدقت رؤياك، فإنّ فاطمة ستلد غلاماً، فأدفعه إليك لترضعيه.

قالت: فجرى الأمر على ذلك، فجئت به يوماً فوضعته في حجره، فبال، فقطرت من بوله قطرةٌ على ثوب النبيّ صلى الله عليه وآله، فقرصته، فبكى، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: مهلاً يا أُمّ الفضل، فهذا ثوبي يغسل، وقد أوجعت ابني!

قالت: فتركته في حجره، وقمت لآتيه بماء، فجئت، فوجدته صلوات الله عليه وآله يبكي.

فقلت: مِمَّ بكاؤك يا رسول الله؟

فقال: إن جبرئيل عليه السلام أتاني، فأخبرني أنّ أُمّتي تقتل ولدي هذا، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة.

قال رواة الحديث: فلمّا أتت على الحسين عليه السلام من مولده سنة كاملة هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر ملكاً: أحدهم على صورة الأسد، والثاني على صورة الثور، والثالث على صورة التنّين، والرابع على صورة ولد آدم، ٩٣ •والثمانية الباقون على صور شتّى، محمرّة وجوههم، باكية عيونهم، قد نشروا أجنحتهم، وهم يقولون: يا محمّد، سينزل بولدك الحسين بن فاطمة ما نزل بهابيل من قابيل، وسَيُعطَى مثل أجر هابيل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل.

ولم يبق في السماوات ملك إلّا ونزل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، كلٌّ يقرؤه السلام، ويعزّيه في الحسين عليه السلام، ويخبره بثواب ما يعطى، ويعرض عليه تربته، والنبيّ صلى الله عليه وآله يقول: اللّهمّ اخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تمتّعه بما طلبه.

قال: فلمّا أتى على الحسين عليه السلام سنتان من مولده خرج النبيّ صلى الله عليه وآله في سفرٍ له، فوقف في بعض الطريق، فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرضٍ بشطّ الفرات يقال لها: كربلاء، يقتل بها ولدي الحسين بن فاطمة.

فقيل له: مَن يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل اسمه يزيد، وكأنّي أنظر إلى مصرعه ومدفنه.

ثمّ رجع من سفره ذلك مغموماً، فصعد المنبر فخطب ووعظ، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه.

فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن، واليسرى على رأس
٩٤ •الحسين، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك، وهذان أطائب عترتي وخيار ذرّيّتي وأرومتي ومن أُخلّفهما في أُمّتي، وقد أخبرني جبرئيل عليه السلام أنّ ولدي هذا مقتول مخذول، اللّهمّ فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، اللّهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله.

قال: فضجّ الناس في المسجد بالبكاء والنحيب، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أتبكون ولا تنصرونه؟!

ثمّ رجع صلوات الله عليه وهو متغيّر اللون محمرّ الوجه، فخطب خطبةً أُخرى موجزة وعيناه تهملان دموعاً، قال:

أيّها الناس! إنّي قد خلّفت فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي وأرومتي ومزاج مائي وثمرتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوضَ، ألا وأنّي أنتظرهما، وأنّي لا أسألكم في ذلك إلّا ما أمرني ربّي أن أسألكم المودّة في القربى، فانظروا ألّا

تلقوني غداً على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم وقتلتموهم.

ألا وإنّه سترد عليَّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأُمّة: راية سوداء مظلمة قد
٩٥ فزعت لها الملائكة، فتقف عليَّ، فأقول: مَن أنتم؟ •فينسون ذكري ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب.

فأقول لهم: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم. فيقولون: نحن من أُمّتك يا أحمد.

فأقول لهم: كيف خلّفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربّي؟ فيقولون: أمّا الكتاب فضيّعناه، وأمّا عترتك فحرصنا على أن نبيدهم عن جديد الأرض.

فأُوَلّي وجهي عنهم، فيصدرون ظماءً عطاشاً مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليَّ رايةٌ أُخرى أشدّ سواداً من الأُولى، فأقول لهم: كيف خلّفتموني في الثقلين الأكبر والأصغر: كتاب ربّي، وعترتي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فخالفنا، وأمّا الأصغر فخذلناهم ومزّقناهم كلّ ممزّق.

فأقول: إليكم عنّي، فيصدرون ظماءً عطاشاً مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليّ راية أُخرى تلمع نوراً، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، ونحن بقيّة أهل الحقّ، حملنا كتاب ربّنا، فأحللنا حلاله، وحرّمنا حرامه، وأحببنا ذرّيّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، فنصرناهم في كلّ ما نصرنا منه أنفسنا، وقاتلنا معهم مَن ناواهم.

فأقول لهم: أبشروا فأنا نبيّكم محمّد، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم، ثمّ
٩٦ أسقيهم من حوضي، فيصدرون مرويّين مستبشرين، ثمّ يدخلون الجنّة •خالدين فيها أبد الآبدين.

قال: وكان الناس يتعاودون ذكر قتل الحسين عليه السلام، ويستعظمونه ويرتقبون قدومه. فلمّا توفّي معاوية بن أبي سفيان وذلك في رجب سنة ستّين من الهجرة كتب يزيد
٩٧ بن معاوية إلى الوليد بن عتبة وكان أميراً بالمدينة •يأمره بأخذ البيعة له على أهلها

وخاصةً على الحسين بن عليّ عليه السلام، ويقول له: إن أبى عليك فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه!

فأحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره في أمر الحسين عليه السلام، فقال: إنّه لا يقبل، ولو كنت مكانك لضربت عنقه!

فقال الوليد: ليتني لم أكُ شيئاً مذكوراً.

ثمّ بعث إلى الحسين عليه السلام فجاءه في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه، فنعى الوليد إليه معاوية، وعرض عليه البيعة ليزيد.

فقال: أيّها الأمير، إنّ البيعة لا تكون سرّاً، ولكن إذا دعوت الناس •غداً فادعنا ٩٨
معهم.

فقال مروان: لا تقبل أيّها الأمير عذره، ومتى لم يبايع فاضرب عنقه!

فغضب الحسين عليه السلام ثمّ قال: ويلي عليك يابن الزرقاء! أنت تأمر بضرب عنقي؟! كذبت والله ولؤمت، ثمّ أقبل على الوليد فقال: أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجلٌ فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ليس له هذه المنزلة، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة؟! ثمّ خرج عليه السلام.

فقال مروان للوليد: عصيتني!

فقال: ويحك يا مروان! إنّك أشرت عليَّ بذهاب ديني ودنياي، والله، ما أُحبّ أنّ ملك الدنيا بأسرها لي وأنّني قتلت حسيناً، والله، ما أظنّ أحداً يلقى الله بدم الحسين إلّا وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكّيه، وله عذابٌ أليمٌ.

قال: وأصبح الحسين عليه السلام، فخرج من منزله يستمع الأخبار، فلقاه مروان، فقال: يا أبا عبدالله، إنّي لك ناصحٌ فأطعني ترشد.

٩٩ •فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟ قل حتّى أسمع. فقال مروان: إنّي آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين، فإنّه خيرٌ لكفي دينك ودنياك!

فقال الحسين عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! وعلى الإسلام السلام، إذ قد بـليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان. وطال الحديث بينه وبين مروان حتّى انصرف مروان وهو غضبان.

١٠١ •فلمّا كان الغداة توجّه الحسين عليه السلام إلى مكّة لثلاث مضين من شعبان سنة ستّين، فأقام بها باقي شعبان وشهر رمضان وشوّال وذي القعدة.

قال: وجاءه عبدالله بن العبّاس وعبدالله بن الزبير، فأشارا عليه بالإمساك.

فقال لهما: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمرٍ، وأنا ماضٍ فيه.

قال: فخرج ابن عبّاس وهو يقول: واحسيناه!

١٠٢ •ثمّ جاءه عبدالله بن عمر، فأشار عليه بصلح أهل الضلال وحـذّره مـن القـتل والقتال.

فقال له: يا أبا عبد الرحمن، أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله تعالى أنّ رأس يحيى بن زكريا أُهدي إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل؟! أما علمت أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيّاً، ثمّ يجلسون فـي أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً؟! فلم يعجّل الله عليهم، بل أمـهلهم وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، اتّق الله يا أبا عبدالرحمن ولا تَدَعَنَّ نصرتي.

قال: وسمع أهل الكوفة بوصول الحسين عليه السلام إلى مكّة وامتناعه من البيعة ليزيد،
١٠٣ فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فلمّا تكاملوا قام فيهم •خطيباً، وقال في آخر خطبته:

يا معشر الشيعة، إنّكم قد علمتم بأنّ معاوية قد هلك وصار إلى ربّه وقدم على عمله، وقد قعد في موضعه ابنه يزيد، وهذا الحسين بن عليّ عليه السلام قد خالفه، وصار إلى مكّة هارباً من طواغيت آل أبي سفيان، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد

احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدوا عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه.

قال: فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الحسين بن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، من سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد وحبيب بن مظاهر، وعبدالله بن •وائل، وسائر شيعته من ١٠٤
المؤمنين:

سلام الله عليك، أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي قصم عدوّك وعدوّ أبيك من قبل، الجبّار العنيد، الغشوم الظلموم، الذي ابتزّ هذه الأُمّة أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضىً منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

ثمّ إنّه ليس علينا إمامٌ غيرك، فاقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا أنّك قد أقبلت أخرجناه حتّى يلحق بالشام، •والسلام عليك ورحمة ١٠٥
الله وبركاته يابن رسول الله وعلى أبيك من قبل، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلّي العظيم.

ثمّ سرّحوا الكتاب، ولبثوا يومين آخرين وأنفذوا جماعة معهم نحو مئة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة، يسألونه القدوم عليهم، وهو مع ذلك يتأنّى فلا يجيبهم، فورد عليه في يوم واحدٍ ستمئة كتاب، وتواترت الكتب حتّى اجتمع عنده منها في نوب متفرّقة إثنا عشر ألف كتاب.

ثمّ قدم عليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي بهذا •الكتاب، ١٠٦
وهو آخر ما ورد عليه عليه السلام من أهل الكوفة، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى الحسين بن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام:

أمّا بعد، فإنّ الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يابن رسول الله، فقد اخضرّ الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم علينا إذا شئت، فإنّما تقدم على جندٍ مجنّدة لك، والسلام عليكِ ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك.

فقال الحسين عليه السلام لهاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي: خبّراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي ورد عليَّ معكما؟

فقالا: يابن رسول الله، شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن
١٠٧ • الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمّد بن عمير بن عطارد.

قال: فعندها قام الحسين عليه السلام فصلّى ركعتين بين الركن والمقام، وسأل الله الخيرة في ذلك، ثمّ دعا بمسلم بن عقيل وأطلعه على الحال، وكتب معه جواب كتبهم
١٠٨ • يعدهم بالوصول إليهم ويقول لهم ما معناه: قد نفذتُ إليكم ابن عمّي مسلم بن عقيل ليعرّفني ما أنتم عليه من الرأي.

فسار مسلم بالكتاب حتّى دخل إلى الكوفة، فلمّا وقفوا على كتابه كثر استبشارهم بإتيانه إليهم، ثمّ أنزلوه في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وصارت الشيعة تختلف إليه، فلمّا اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون، حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً.

١٠٩ • وكتب عبدالله بن مسلم الباهلي وعمارة بن الوليد وعمر بن سعد إلى يزيد يخبرونه بأمر مسلم بن عقيل، ويشيرون عليه بصرف النعمان بن بشير وولاية غيره.

فكتب يزيد إلى عبيدالله بن زياد وكان والياً على البصرة بأنّه قد ولّاه الكوفة وضمّها إليه، ويعرّفه أمر مسلم بن عقيل وأمر الحسين عليه السلام، ويشدّد عليه في تحصيل مسلم وقتله، فتأهّب عبيدالله للمسير إلى الكوفة.

١١٠ • وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتاباً مع مولى له اسمه

سليمان ويكنّى أبا رزين يدعوهم فيه إلى نصرته ولزوم طاعته، منهم: يزيد بن مسعود النهشلي، والمنذر بن الجارود العبدي.

فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا قال: يا بني تميم، كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم؟ فقالوا: بخٍّ بخٍّ، أنت والله، فقرة الظهر ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدّمت فيه فرطاً.

قال: فإنّي قد جمعتكم لأمرٍ أُريد أن أُشاوركم فيه وأستعين بكم عليه.

فقالوا: والله، إنّما نمنحك النصيحة ونجهد لك الرأي، فقل نسمع.

١١١ •فقال: إنّ معاوية قد مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعةً عقد بها أمراً وظنّ أنّه قد أحكمه، وهيهات والذي أراد، اجتهد ـ والله ـ ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد ـ شارب الخمور ورأس الفجور ـ يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضىً منهم، مع قصر حلمٍ وقلّة علمٍ، لا يعرف من الحقّ موطئ قدمه، فأُقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين.

وهذا الحسين بن عليّ ابن بنت رسول الله ﷺ، ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل، له فضلٌ لا يوصف وعلمٌ لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته وسنّه، وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعيّة وإمام قوم، وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكعوا في
١١٢ وهدة الباطل، فقد كان صخر •بن قيس قد انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ﷺ ونصرته، والله، لا يقصّر أحدٌ عن نصرته إلّا أورثه الله الذلّ في ولده والقلّة في عشيرته. وها أنا قد لبست للحرب لامتها وأدرعت لها بدرعها، مَن لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة، فقالوا: يا أبا خالد، نحن نبل كنانتك، وفارس عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرةً إلّا خضناها، ولا

تلقى والله شدّة إلّا لقيناها، ننصرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، فانهض لما شئت.

وتكلّمت بنو سعد بن زيد، فقالوا: يا أبا خالد، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتك برأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إن غضبت ولانقطن إن ضعنت، والأمر إليك، فادعنا نجبك ومرنا نطعك، والأمر إليك إذا شئت.

١١٣ •فقال: والله يا بني سعد، لئن فعلتموها لا يرفع الله عنكم السيف أبداً، ولا يزال سيفكم فيكم. ثمّ كتب إلى الحسين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد؛ فقد وصل إليَّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وأنّ الله لم يخل الأرض من عاملٍ عليها بخير، ودليل على سبيل النجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذلّلت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشدّ تتابعاً لك من الإبل الظماء يوم خمسها لورود الماء، وقد ذلّلت لك رقاب بني سعد وغسلت لك درن صدورها بماء سحابة مزن حتّى استهلّ برقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال: آمنك الله يوم الخوف وأعزك، وأرواك يوم العطش الأكبر.

فلمّا تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع من انقطاعه عنه.

وأمّا المنذر بن الجارود، فإنّه جاء بالكتاب والرسول إلى عبيدالله بن زياد؛ لأنّ المنذر خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيدالله بن زياد وكانت بحرية بنت

المنذر زوجة لعبيدالله فأخذ عبيدالله الرسول فصلبه، ثمّ صعد •المنبر، فخطب ١١٤
وتوعّد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الإرجاف.

ثمّ بات تلك الليلة، فلمّا أصبح استناب عليهم أخاه عثمان بن زياد، وأسرع هو إلى قصد الكوفة.

فلمّا قاربها نزل حتّى أمسى، ثمّ دخلها ليلاً، فظنّ أهلها أنّه الحسين عليه السلام، فتباشروا بقدومه ودنوا منه، فلمّا عرفوا أنّه ابن زياد تفرّقوا عنه، فدخل قصر الإمارة وبات ليلته إلى الغداة، ثمّ خرج وصعد المنبر وخطبهم، وتوعّدهم على معصية السلطان، ووعدهم مع الطاعة بالإحسان

فلمّا سمع مسلم بن عقيل بذلك خاف على نفسه من الاشتهار، فخرج من دار المختار وقصد دار هانىء بن عروة، فآواه وكثر اختلاف الشيعة إليه، وكان عبيدالله بن زياد قد وضع المراصد عليه.

فلمّا علم أنّه في دار هانىء دعا محمّد بن الأشعث وأسماء بن خارجة
•وعمرو بن الحجّاج، وقال: ما يمنع هانىء بن عروة من إتياننا؟ فقالوا: ماندري، ١١٥
وقد قيل: إنّه يشتكي.

فقال: قد بلغني ذلك، وبلغني أنّه قد برأ وأنّه يجلس على باب داره، ولو أعلم أنّه شاكٍ لعدته، فالقوه ومروه أن لايدع ما يجب عليه من حقّنا، فإنّي لا أُحبّ أن يفسد عندي مثله؛ لأنّه من أشراف العرب.

فأتوه حتّى وقفوا عليه عشيّة على بابه، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير؟ فإنّه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنّه شاكٍ لعدته. فقال لهم: الشكوى تمنعني.

فقالوا له: إنّه قد بلغه أنّك تجلس على باب دارك كلّ عشيّة، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لايحتمله السلطان من مثلك؛ لأنّك سيّدٌ في قومك، ونحن نقسم عليك إلّا ما ركبت معنا إليه. فدعا بثيابه فلبسها وفرسه فركبها، حتّى إذا دنا من القصر كأنّ نفسه قد أحسّت ببعض الذي كان، فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة:

يابن أخي، إنّي والله من هذا الرجل لخائف، فما ترى؟

فقال: والله، يا عمّ ما أتخوّف عليك شيئاً، فلا تجعل على نفسك سبيلاً، ولم يك حسّان يعلم في أيّ شيء بعث عبيدالله بن زياد.

فجاء هانىء والقوم معه حتّى دخلوا جميعاً على عبيدالله، فلمّا رأى هانياً قال: أتتك بخائن رجلاه، ثمّ التفت إلى شريح القاضي ـ وكان جالساً عنده ـ وأشار إلى
١١٦ هانىء وأنشد بيت •عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

أُريـدُ حَـياتَهُ ويُـريدُ قَـتلي عَذيركَ مِن خَليلِكَ مِن مُرادِ

فقال له هانىء: وما ذاك أيّها الأمير؟

فقال له: إيهاً يا هانىء، ما هذه الأُمور التي تربّص في دارك لأمـير المـؤمنين وعامّة المسلمين؟ جئت بمسلم بـن عـقيل فـأدخلته دارك، وجـمعت له السـلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى عليَّ؟! فقال: ما فعلت، فقال ابن زياد: بلى قد فعلت، فقال: ما فعلت أصلح الله الأمير.

فقال ابن زياد: عليَّ بمعقل مولاي وكان معقل عينه على أخبارهم، وقد عرف كثيراً من أسرارهم فجاء معقل حتّى وقف بين يديه، فلمّا رآه هانىء عرف أنّه كان عيناً عليه، فقال: أصلح الله الأمير، والله، ما بعثت إلى مسـلم ولا دعـوته، ولكـن
١١٧ جاءني مستجيراً، فاستحييت من ردّه، ودخلني •من ذلك ذمام فآويته، فأمّا إذ قد علمت فخلِّ سبيلي حتّى أرجع إليه وآمره بالخروج من داري إلى حيث شاء مـن الأرض؛ لأخرج بذلك من ذمامه وجواره.

فقال له ابن زياد: والله، لا تفارقني أبداً حتّى تأتيني به! فقال: والله، لا آتيك به أبداً، آتيك بضيفي حتّى تقتله؟!

فقال: والله، لتأتيني به، قال: والله، لا آتيك به.

فلمّا كثر الكلام بينهما، قام مسلم بن عمرو الباهلي فـقال: أصـلح الله الأمـير

أخلني وإيّاه حتّى أُكلّمه، فقام فخلا به ناحية وهما بحيث يراهما ابن زياد ويسمع كلامهما إذ رفعا أصواتهما، فقال له مسلم:

يا هانىء، أنشدك الله أن لا تقتل نفسك وتدخل البلاء على عشيرتك، فوالله، إنّي لأنفس بك عن القتل، إنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم وليسوا بقاتليه ولا ضارّيه، فادفعه إليه، فإنّه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، وإنّما تدفعه إلى السلطان.

فقال هانىء: والله، إنَّ عليَّ في ذلك الخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله إلى عدوّه وأنا صحيح الساعدين وكثير الأعوان؟! والله، لو لم أكن إلّا رجلاً واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه.

فأخذ يناشده وهو يقول: والله، لا أدفعه، فسمع ابن زياد ذلك، فقال: أدنوه منّي، فأُدني منه، فقال: والله، لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك!

•فقال هانىء: إذن ـ والله ـ تكثر البارقة حول دارك. ١١٨

فقال ابن زياد: والهفاه عليك! أبالبارقة تخوّفني؟! ـ وهانئ يظنّ أنّ عشيرته يسمعونه ـ ثمّ قال: أدنوه منّي، فأُدني منه، فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخدّه حتّى كسر أنفه، وسيّل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خدّه وجبينه على لحيته، وانكسر القضيب.

فضرب هاني يده إلى قائم سيف شرطي، فجذبه ذلك الرجل، فصاح ابن زياد: خذوه فجرّوه حتّى ألقوه في بيتٍ من بيوت القصر، واغلقوا عليه بابه، وقال: اجعلوا عليه حرساً، ففعل ذلك به.

فقام أسماء بن خارجة إلى عبيدالله بن زياد ـ وقيل: إنّ القائم حسّان بن أسماء ـ فقال: أَرُسُل غدرٍ سائر اليوم؟! أيّها الأمير، أمرتنا أن نجيئك بالرجل، حتّى إذا جئناك به هشمت وجهه وسيّلت دماءه على لحيته، وزعمت أنّك تقتله!

فغضب ابن زياد من كلامه وقال: وأنت ها هنا! وأمر به فضرب حتّى ترك، وقيّد

وحبس في ناحية من القصر.

فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون! إلى نفسي أنعاك يا هانىء.

١١٩ قال الراوي: وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانياً قد قتل ـ وكانت رويحة •ابنة عمرو هذا تحت هانىء بن عروة ـ فأقبل عمرو في مذحج كافّة حتّى أحاط بالقصر ونادى: أنا عمرو بن الحجّاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة، وقد بلغنا أنّ صاحبنا هانياً قد قتل.

فعلم عبيدالله باجتماعهم وكلامهم، فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هانىء، فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل، ففعل ذلك وأخبرهم، فرضوا بقوله وانصرفوا.

قال: وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل، فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيدالله، فتحصّن منه بقصر الإمارة، واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم، وجعل أصحاب عبيدالله الذين معه في القصر يتشرّفون منه ويحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بجنود الشام، فلم يزالوا كذلك حتّى جاء الليل، فجعل أصحاب مسلم يتفرّقون عنه، ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة؟! وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم.

فلم يبقَ معه سوى عشرة أنفس، ودخل مسلم المسجد ليصلّي المغرب، فتفرّق العشرة عنه.

فلمّا رأى ذلك خرج وحيداً في سكك الكوفة، حتّى وقف على باب امرأة يقال
١٢٠ لها: طوعة، فطلب منها ماءً فسقته، ثمّ استجارها فأجارته، فعلم به •ولدها، فوشى الخبر إلى عبيدالله بن زياد، فأحضر محمّد بن الأشعث وضمّ إليه جماعة وأنفذه لإحضار مسلم.

فلمّا بلغو دار المرأة وسمع مسلم وقع حوافر الخيل، لبس درعه وركب فرسه

وجعل يحارب أصحاب عبيدالله، ولما قتل مسلم منهم جماعة نادى إليه محمّد بن الأشعث: يا مسلم، لك الأمان.

فقال له مسلم: وأيّ أمان للغدرة الفجرة؟! ثمّ أقبل يقاتلهم ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي يوم القرن حيث يقول:

أَقسَمتُ لا أُقتلُ إلّا حُرّا ... وَإِن رَأيتُ المَوتَ شَيئاً نُكرا
أَكرَهُ أن أُخدَع أو أُغرّا ... أو أخلط البارد سخناً مُرا
كُلُّ امرىءٍ يوماً يلاقي شرّا ... أَضرِبُكُم ولا أَخافُ ضرّا

فقالوا له: إنّك لا تُخدع ولا تغرّ، فلم يلتفت إلى ذلك، وتكاثروا عليه بعد أن أُثخن بالجراح، فطعنه رجل من خلفه فخرّ إلى الأرض، فأُخذ أسيراً.

فلمّا أُدخل على عبيدالله بن زياد لم يسلّم عليه، فقال له الحرسي: سلّم على الأمير. •فقال له: اسكت يا ويحك! والله، ما هو لي بأمير. ١٢١

فقال ابن زياد: لا عليك سلّمت أم لم تسلّم، فإنّك مقتول.

فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شرٌّ منك من هو خيرٌ منّي، وبعد فإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة، لا أحد أولى بها منك.

فقال له ابن زياد: يا عاقّ يا شاقّ! خرجت على إمامك وشققت عصى المسلمين، وألقحت الفتنة بينهم!

فقال له مسلم: كذبت يابن زياد، إنّما شقّ عصى المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنّما ألقحها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجوا أن يرزقني الله الشهادة على يدي أشرّ البرّية.

فقال ابن زياد: منّتك نفسك أمراً حال الله دونه، ولم يرك له أهلاً، وجعله لأهله.

فقال مسلم: ومَن أهله يابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد بن معاوية!

فقال مسلم: الحمد الله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

١٢٢ •فقال ابن زياد: أتظنّ أنّ لك من الأمر شيئاً؟ فقال مسلم: والله، ما هو الظنّ، ولكنّه اليقين.

فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم، لِمَ أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئمٌ فشتّت أمرهم بينهم وفرّقت كلمتهم؟

فقال له مسلم: ما لهذا أتيت، ولكنّكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمّرتم على الناس بغير رضىً منهم، وحملتموهم على غير ما أمركم به الله، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنّة، وكنّا أهل ذلك، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

فجعل ابن زياد (لعنه الله) يشتمه ويشتم عليّاً والحسن والحسين، فقال له مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتم، فاقض ما أنت قاض يا عدوّ الله.

فأمر ابن زياد بكير بن حمران أن يصعد به إلى أعلا القصر فيقتله، فصعد به ـ وهو يسبّح الله تعالى ويستغفره ويصلّي على نبيّه صلي الله عليه وآله ـ فضرب عنقه، ونزل وهو مذعور.

فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ فقال: أيّها الأمير، رأيت ساعة قتله رجلاً أسوداً شنيء الوجه حذاي، عاضّاً على إصبعه أو قال شفتيه ففزعت فزعاً لم أفزعه قطّ.

فقال ابن زياد: لعلّك دُهشت.

ثمّ أمر بهانىء بن عروة، فأُخرج ليقتل، فجعل يقول: وامذحجاه! وأين منّي
١٢٣ •مذحج؟! واعشيرتاه! وأين منّي عشيرتي؟! فقالوا له: يا هانىء، مُدّ عنقك.

فقال: والله، ما أنا بها سخيّ، وما كنت لأعينكم على نفسي. فضربه غلام لعبيد الله بن زياد يقال له رشيد، فقتله.

وفي قتل مسلم وهانىء يقول عبدالله بن زبير الأسدي، ويقال: إنّه للفرزدق:

فَإن كُنتِ لا تَدرِينَ ما الموتُ فانظُري
إلى هانِىءٍ في السوقِ وابنِ عَقيلِ

إلى بَـطَلٍ قَـد هَشَّـمَ السَـيفُ وَجهَهُ
وآخـرُ يَـهوِي مِـن جِـدار قَـتيلِ
أصـابَهما جَـورُ البَـغي فَـأَصبَحا
أَحـاديثَ مَـن يَسـعى بِكُـلِّ سَبيلِ
تَـرى جَسَـداً قـد غَـيَّرَ المَوتُ لَونَهُ
ونَـضحَ دمٍ قَـد سـالَ كُـلّ مَسـيلِ
فَـتىً كـان أَحـيى مِـن فَـتاةٍ حَيِيَّةٍ
وأقـطَعُ مِـن ذي شَـفرَتَينِ صَـقيلِ
أيَـركَبُ أسـما الهـماليجَ آمِـناً
وَقَـد طَـلَبَتَهُ مَـذحِجٌ بِـذُحولِ
تَـطوفُ حَـوالَـيهِ مُـرادٌ وكُـلُّهُمُ
عَـلى أُهـبةٍ مِـن سـائِلٍ ومَسـولِ
•فَـإِن أَنـتُمُ لَـم تَـثأَروا بِـأَخيكُمُ ١٢٤
فَكـونوا بَـغايا أُرضـيَت بِـقَليلِ

قال الراوي: وكتب عبيدالله بن زياد بخبر مسلم وهانىء إلى يزيد بن معاوية، فأعاد عليه الجواب يشكره فيه على فعاله وسطوته، ويعرّفه أن قد بلغه توجّه الحسين عليه السلام إلى جهته، ويأمره عند ذلك بالمؤاخذة والانتقام والحبس على الظنون والأوهام.

وكان قد توجّه الحسين عليه السلام من مكّة يوم الثلاثاء لثلاث مضين من ذي الحجّة، وقيل: لثمان مضين من ذي الحجّة سنة ستّين من الهجرة، قبل أن يعلم بقتل مسلم؛ لأنّه عليه السلام خرج من مكّة في اليوم الذي قتل فيه مسلم رضوان الله عليه.

وروى أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري الإمامي في كتاب دلائل الإمامة، قال:

١٢٥ حدّثنا أبو محمّد سفيان بن وكيع، عن أبيه •وكيع، عن الأعمش، قال: قال لي أبو محمّد الواقدي وزرارة بن خلج: لقينا الحسين بن عليّ عليه السلام قبل أن يخرج إلى العراق
١٢٦ بثلاثة، فأخبرناه بضعف الناس بالكوفة، وأنّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه، •فأومأ بيده نحو السماء، ففتحت أبواب السماء، فنزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلّا الله عزّ وجل، فقال عليه السلام: لولا تقارب الأشياء وحضور الأجل لقاتلتهم بهؤلاء، ولكنّي أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي، وهناك مصارع أصحابي، لا ينجو منهم إلّا ولدي عليّ.

وروي أنّه عليه السلام لمّا عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً، فقال:

الحمد لله، ما شاء الله ولا قوة إلّا بالله، وصلّى الله على رسوله وسلّم، خُطّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اشتياق أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرعٌ أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تُقطّعُها ذئابُ الفلوات بين النواويس وكربلاء، فَيَملأنَّ مِنّي أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً، لا محيصَ عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويُوفينا أُجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، مَن كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه،
١٢٧ فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء •الله.

ورويت بالإسناد عن محمّد بن داود القمّي، بالإسناد عن أبي عبدالله صلى الله عليه وآله قال: جاء محمّد ابن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها عن مكّة، فقال له: يا أخي، إنّ أهل الكوفة مَن قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنّك أعزّ
١٢٨ مَن بالحرم •وأمنعه.

فقال: يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنّك

أمنع الناس به، ولا يقدر عليكأحد. فقال: أنظر فيما قلت.

فلمّا كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه، فأخذ زمام ناقته وقد ركبها فقال: ياأخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ فقال: بلى. قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، أخرج، فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً.

فقال محمّد ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟!

قال: فقال له: قد قال لي: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا، وسلّم عليه ومضى.

•ثمّ سار الحسين عليه السلام حتّى مرّ بالتنعيم، فلقي هناك عيراً تحمل هديّة قد بعث بها ١٣٠
بحير بن ريسان الحميري عامل اليمن إلى يزيد بن معاوية، فأخذ عليه السلام الهديّة؛ لأنّ حكم أُمور المسلمين إليه، ثمّ قال لأصحاب الجمال: مَن أحبّ أن ينطلق معنا إلى العراق وفيناه كراه وأحسنّا صحبته، ومَن أحبّ أن يفارقنا أعطيناه كراه بقدر ما قطع من الطريق. فمضى معه قوم وامتنع آخرون.

•ثمّ سار عليه السلام حتّى بلغ ذات عرق، فلقي بشر بن غالب وارداً من العراق، فسأله ١٣١
عن أهلها، فقال: خلّفت القلوبَ معك والسيوفَ مع بني أُمية.

فقال عليه السلام: صدق أخو بني أسد، إنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

قال الراوي: ثمّ سار عليه السلام حتّى أتى الثعلبية وقت الظهيرة، فوضع رأسه، فرقد ثمّ استيقظ، فقال: قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسيرون والمنايا تسير بكم إلى الجنّة.

فقال له ابنه عليّ: يا أبه، أفلسنا على الحقّ؟ فقال: بلى يا بني والذي إليه مرجع العباد. •فقال له: يا أبه، إذن لا نبالي بالموت. ١٣٢

فقال له الحسين عليه السلام: فجزاك الله يابنيّ خير ما جزي ولداً عن والده.

ثمّ بات عليه السلام في الموضع، فلمّا أصبح، فإذا هو برجلٍ من أهل الكوفة يكنّى أبا هرّة الأزدي، فلمّا أتاه سلّم عليه، ثمّ قال: يابن رسول الله، ما الذي أخرجك من حرم الله وحرم جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال الحسين عليه السلام: ويحك يا أبا هرّة! إنّ بني أُميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله، لتقتلني الفئة الباغية وليلبسنّهم الله ذلّاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليسلطنّ الله عليهم من يذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من قوم سبأ؛ إذ ملكتهم امرأة منهم، فحكمت في أموالهم ودمائهم حتّى أذلّتهم.

ثمّ سار. وحدّث جماعة من بني فزارة وبجيلة، قالوا: كنّا مع زهير بن القين لمّا أقبلنا من مكّة، فكنّا نساير الحسين عليه السلام، وما شيء أكره إلينا من مسايرته؛ لأنّ معه نسوانه، فكان إذا أراد النزول اعتزلناه، فنزلنا ناحية، ١٣٣ •فلمّا كان في بعض الأيّام نزل في مكان، فلم نجد بدّاً من أن ننازله فيه، فبينما نحن نتغدّى بطعام لنا إذا أقبل رسول الحسين عليه السلام حتّى سلّم علينا، ثمّ قال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبدالله صلى الله عليه وآله بعثني إليك لتأتيه، فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتّى كأنّما على رؤوسنا الطير.

فقالت له زوجته ـ وهي ديلم بنت عمرو ـ: سبحان الله! أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه؟! فلو أتيته فسمعت من كلامه.

فمضى إليه زهير، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه فقوّض، وبثقله ومتاعه فحوّل إلى الحسين عليه السلام، وقال لامرأته: أنتِ طالق، فإنّي لا أُحبّ أن يصيبكِ بسببي إلّا خير، وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بروحي وأقيه بنفسي، ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وودّعته وبكت، وقالت: خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام.

ثمّ قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يصحبني، وإلّا فهو آخر العهد منّي به.

١٣٤ •ثمّ سار الحسين عليه السلام حتّى بلغ زبالة، فأتاه فيها خبر مسلم بن عقيل، فعرف

بذلك جماعة ممّن تبعه، فتفرّق عنه أهل الأطماع والإرتياب، وبقي معه أهله وخيار الأصحاب.

قال الراوي: وارتجّ الموضع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل، وسالت الدموع عليه كلّ مسيل.

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام سار قاصداً لما دعاه الله إليه، فلقيه الفرزدق، فسلم عليه وقال: يابن رسول الله، كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته؟!

قال: فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً، ثمّ قال: رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحيّته ورضوانه، أما أنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا، ثمّ أنشأ يقول:

فَإِن تَكُنِ الدُّنيا تُعَدُّ نَفيسَةً ... فَإِنَّ ثَوابَ اللهِ أَعلَى وَأَنبَلُ
وَإِن تَكُنِ الأَبدانُ لِلمَوتِ أُنشِئَت ... فَقَتلُ امرِءٍ بِالسَيفِ في اللهِ أَفضَلُ
وَإِن تَكُنِ الأَرزاقَ قِسماً مُقَدَّراً ... فَقِلَّةُ حِرصِ المَرءِ في السَعي أَجمَلُ

١٣٥

وَإِن تَكُنِ الأَموالُ لِلتَركِ جَمعُها ... فَما بال مَتروكٍ بِهِ المَرءُ يَبخَلُ

قال الراوي: وكتب الحسين عليه السلام كتاباً إلى سليمان بن صرد والمسيّب بن نجبة ورفاعة بن شداد وجماعة من الشيعة بالكوفة، وبعث به مع قيس بن مسهر الصيداوي، فلمّا قارب دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير صاحب عبيدالله بن زياد ليفتّشه، فأخرج الكتاب ومزّقه، فحمله الحصين إلى ابن زياد، فلمّا مثل بين يديه قال له: مَن أنت؟

قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنه عليهما السلام.

قال: فلماذا مزّقت الكتاب؟ قال: لئلّا تعلم ما فيه.

١٣٦ قال: ممّن الكتاب وإلى من؟ قال من الحسين بن عليّ عليه السلام إلى جماعة من أهل

الكوفة لا أعرف أسماءهم.

فغضب ابن زياد وقال: والله، لا تفارقني حتّى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر فتلعن الحسين وأباه وأخاه، وإلّا قطّعتك إرباً إرباً.

فقال قيس: أمّا القوم فلا أُخبرك بأسمائهم، وأمّا لعن الحسين وأبيه وأخيه فأفعل.

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّصلى الله عليه وآله، وأكثر من الترحّم على عليّ وولده صلوات الله عليهم، ثمّ لعن عبيدالله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بني أُميّة عن آخرهم، ثمّ قال:

أيّها الناس، أنا رسول الحسين بن عليّعليه السلام إليكم، وقد خلّفته بموضع كذا وكذا، فأجيبوه.

فأُخبر ابن زياد بذلك، فأمر بإلقائه من أعلا القصر، فأُلقي من هناك، فماترحمه الله.

فبلغ الحسينعليه السلام موته، فاستعبر باكياً ثمّ قال: اللّهمّ اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ رحمتك، إنّك على كلّ شيءٍ قدير.

وروي أنّ هذا الكتاب كتبه الحسينعليه السلام من الحاجز، وقيل: غير ذلك.

١٣٧ •قال الراوي: وسار الحسينعليه السلام حتّى صار على مرحلتين من الكوفة، فإذا بالحرّ بن يزيد في ألف فارس، فقال له الحسينعليه السلام: ألنا أم علينا؟ فقال: بل عليكَ يا أبا عبدالله، فقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

ثمّ ترادّ القول بينهما، حتّى قال له الحسينعليه السلام: فإذا كنتم على خلاف ما أتتني به كتبكم وقدمت به عليَّ رسلكم، فإنّي أرجع إلى الموضع الذي أتيت منه.

فمنعه الحرّ وأصحابه من ذلك، وقال: لا، بل خذ يا بن رسول الله طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يوصلك إلى المدينة؛ لأعتذر إلى ابن زياد بأنّك خالفتني الطريق. فتياسر الحسينعليه السلام حتّى وصل إلى عذيب الهجانات.

١٣٨ •قال: فورد كتاب عبيدالله بن زياد إلى الحرّ يلومه في أمر الحسينعليه السلام، ويأمره

بالتضييق عليه. فعرض له الحرّ وأصحابه ومنعوه من المسير.

فقال له الحسين عليه السلام: ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق؟

فقال الحرّ: بلى، ولكن كتاب الأمير عبيدالله بن زياد قد وصل يأمرني فيه بالتضييق عليك، وقد جعل عليَّ عيناً يطالبني بذلك.

قال الراوي: فقام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر جدّه فصلّى عليه، ثمّ قال: إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تنكّرت وتغيّرت، وأدبر معروفها واستمرّت جذّاء، ولم يبق منها إلّاصبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، أَلا تَرونَ إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما.

فقام زهير بن القين فقال: لقد سمعنا هدانا الله بك يابن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.

قال: ووثب هلال بن نافع البجلي، فقال: والله، ما كرهنا لقاء ربّنا، وإنّا •على ١٣٩
نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك.

قال: وقام برير بن حصين، فقال: والله يابن رسول الله، لقد مَنَّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، فتقطع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة.

قال: ثمّ إنّ الحسين عليه السلام قام وركب، وصار كلّما أراد المسير بمنعونه تارةً ويسايرونه أُخرى، حتّى بلغ كربلاء، وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرّم، فلمّا وصلها قال: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: كربلا، فقال: انزلوا، هاهنا والله محطّ ركابنا، وسفك دمائنا، هاهنا والله مخطّ قبورنا، وهاهنا والله سبي حريمنا، بهذا حدّثني جدّي.

فنزلوا جميعاً، ونزل الحرّ وأصحابه ناحية، وجلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه

ويقول:

١٤٠ •يا دَهرُ أُفٍّ لَكَ مِن خَـليلِ كَم لَكَ بالإشراقِ والأَصـيلِ
مِن طَالِبٍ وَصَـاحِبٍ قَـتيلِ والدَهــرُ لا يَـقنَعُ بـالبَديلِ
وإِنَّــما الأَمــرُ إلى الجَـليلِ وكُــلُّ حَــيٍّ فَـإِلى سَـبيلِ
ما أَقرَبَ الوَعدَ إلى الرَحيلِ إلى جِــــنانٍ وَإلى مَــقيلِ

قال الراوي فسمعت زينب ابنة فاطمة عليها السلام ذلك، فقالت: يا أخي، هذا كلام من قد أيقن بالقتل!

فقال: نعم يا أُختاه، فقالت زينب: وا ثكلاه، ينعى إليَّ الحسين نفسه.

قال: وبكى النسوة، ولطمن الخدود، وشققن الجيوب، وجعلت أُمّ كلثوم تنادي:

١٤١ وا محمداه وا علياه! وا أُمّاه وا فاطمتاه! وا حسناه •وا حسيناه! وا ضـيعتاه بـعدك يا أبا عبدالله!

قال: فعزّاها الحسين عليه السلام وقال لها: يـا أُخـتاه، تـعزّي بـعزاء الله، فـإنّ سكّـان السموات يموتون، وأهل الأرض لا يبقون، وجميع البريّة يهلكون.

ثمّ قال: يا أُختاه يا أُمّ كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا رقيّة، وأنت يا فـاطمة، وأنت يا رباب، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليَّ جيباً، ولا تخمشن عليَّ وجهاً، ولا تقلن عليَّ هجراً.

وروي من طريق آخر: أنّ زينب لمّا سمعت الأبيات وكانت في موضع منفرد عنه مع النساء والبنات خرجت حاسرة تجرّ ثوبها، حتّى وقـفت عـليه وقـالت:

١٤٢ •واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت أُمّي فاطمة الزهراء، وأبي عـليّ المرتضى، وأخي الحسن الزكي، يا خليفة الماضين وثمال الباقين!

فنظر الحسين عليه السلام إليها وقال: يا أُختاه لا يذهبنّ حلمك، فقالت: بأبي أنت وأُمّي أَستُقتَل؟! نفسي لك الفداء.

فردّ غصّته وتغرغرت عيناه بالدموع، ثمّ قال: هيهات هيهات، لو ترك القطا ليلاً لنام.

فقالت: يا ويلتاه! أَفَتَغتَصِبُ نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي! ثمّ أهوت إلى جيبها فشقّته وخرّت مغشيّاً عليها.

فقام عليه السلام فصبّ على وجهها الماء حتّى أفاقت، ثمّ عزّاها عليه السلام بجهده، وذكّرها المصيبة بموت أبيه وجدّه صلوات الله عليهم أجمعين.

وممّا يمكن أن يكون سبباً لحمل الحسين عليه السلام لحرمه معه ولعياله: أنّه لو تركهنّ بالحجاز أو غيرها من البلاد كان يزيد بن معاوية (لعنه الله) أرسل من أخذهنّ إليه، وصنع بهنّ من الاستيصال وسوء الأعمال ما يمنع الحسين عليه السلام من الجهاد والشهادة، ويمتنع عليه السلام بأخذ يزيد بن معاوية لهنّ عن مقام السعادة.

المسلك الثاني: في وصف حال القتال وما يقرب من تلك الحال ١٤٣

١٤٥ قال الراوي: وندب عبيدالله بن زياد أصحابه إلى قتال الحسين عليه السلام، فاتّبعوه، واستخفّ قومه فأطاعوه، واشترى من عمر بن سعد آخرته بدنياه، ودعاه إلى ولاية الحرب فلبّاه، وخرج لقتال الحسين عليه السلام في أربعة آلاف فارس، وأتبعه ابن زياد بالعساكر، حتّى تكاملت عنده إلى ستّ ليال خلون من المحرّم عشرون ألفاً، فضيّق على الحسين عليه السلام حتّى نال منه العطش ومن أصحابه.

فقام عليه السلام واتّكى على قائم سيفه ونادى بأعلى صوته، فقال: أنشدكم الله، هل تعرفونني؟ قالوا: اللّهمّ نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن أُمّي فاطمة ابنة محمّد؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

١٤٦ قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه الأُمّة

إسلاماً؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

١٤٧ قال: أنشدُكم الله، هل تعلمون أنّ جعفر الطيّار في الجنّة عمّي؟ •قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أنا متقلّده؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لابسها؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدُكم الله، هل تعلمون أنّ عليّاً عليه السلام كان أوّل الناس إسلاماً وأجزلهم علماً وأعظمهم حلماً، وأنّه وليُّ كلّ مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: فَبِمَ تستحلّون دمي وأبي صلوات الله عليه الذائدُ عن الحوض غداً، يذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصادر على الماء، ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة؟!!

قالوا: قد علمنا ذلك كلّه ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً!!

فلمّا خطب هذه الخطبة وسمع بناته وأُخته زينب كلامه بكينَ وندبنَ ولطمنَ

١٤٨ وارتفعت أصواتهنَّ، •فوجّه إليهنَّ أخاه العبّاس وعليّاً ابنه وقال لهما: سكتّاهن فلعمري ليكثرن بكاؤهنّ.

قال الراوي: وورد كتاب عبيدالله على عمر بن سعد يحثّه على القتال وتعجيل النزال، ويحذّره من التأخير والإمهال، فركبوا نحو الحسين عليه السلام.

١٤٩ وأقبل شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) فنادى: أين بنو أُختي: •عبدالله وجعفر والعبّاس وعثمان؟.

١٥٠ •فقال الحسين عليه السلام: أجيبوه وإن كان فاسقاً، فإنّه بعض أخوالكم.

فقالوا له: ما شأنك؟ فقال: يا بني أُختي، أنتم آمنون، فلا تقتلوا أنفسكم مع

أخيكم الحسين، وألزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

فناداه العبّاس بن عليّ: تبتّ يداك ولعن ماجئت به من أمانك يا عدوّ الله! أتأمرنا أن نترك أخانا وسيّدنا الحسين بن فاطمة وندخل في طاعة اللعناء أولاد اللعناء؟! فرجع الشمر إلى عسكره مغضباً.

قال الراوي: ولمّا رأى الحسين عليه السلام حرص القوم على تعجيل القتال وقلّة انتفاعهم بالوعظ والمقال، قال لأخيه العبّاس: إن استطعت أن تصرفهم عنّا في هذا اليوم فافعل، لعلّنا نصلّي لربّنا في هذه الليلة، فإنّه يعلم أنّي أُحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه.

قال الرواي: فسألهم العبّاس ذلك، فتوقّف عمر بن سعد، فقال له عمر بن الحجّاج الزبيدي: والله، لو أنّهم من الترك والديلم وسألوا ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمّد؟! فأجابوهم إلى ذلك.

قال الراوي: وجلس الحسين عليه السلام فرقد، ثمّ استيقظ وقال: يا أُختاه إنّي رأيت الساعة جدّي محمّداً صلى الله عليه وآله وأبي عليّاً وأُمّي فاطمة وأخي الحسن، •وهم يقولون: يا ١٥١
حسين، إنّك رائحٌ إلينا عن قريب. وفي بعض الروايات: غداً.

قال الراوي: فلطمت زينب وجهها وصاحت، فقال لها الحسين عليه السلام: مهلاً، لا تشمتي القوم بنا.

ثمّ جاء الليل، فجمع الحسين عليه السلام أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ أقبل عليهم وقال: أمّا بعد؛ فإنّي لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيتٍ أفضل وأبرّ من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يريدون غيري.

فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء عبدالله بن جعفر: ولِمَ نفعل ذلك، لنبقي بعدك؟! لا أرنا الله ذلك أبداً! وبدأهم بهذا القول العبّاس بن عليّ، ثمّ تابعوه.

قال الراوي: ثمّ نظر إلى بني عقيل وقال: حسبكم من القتل •بصاحبكم مسلم، ١٥٢

اذهبوا فقد أذنت لكم.

وروي من طريق آخر، قال: فعندها تكلّم إخوته وجميع أهل بيته وقالوا: يابن رسول الله، فماذا يقول الناس لنا؟! وماذا نقول لهم، إذ تركنا شيخنا وكبيرنا وسيّدنا وإمامنا وابن بنت نبيّنا، لم نرم معه بسهم ولم نطعن معه برمح ولم نضرب معه بسيف؟! لا والله يابن رسول الله، لا نفارقك أبداً، ولكنّا نقيك بأنفسنا حتّى نقتل بين يديك ونرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك.

ثمّ قام مسلم بن عوسجة، وقال: نحن نخلّيك هكذا وننصرف عنك وقد أحاط بك هذ العدوّ؟! لا والله، لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتّى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمة بيدي، ولو لم يكن لي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولم أُفارقك أو أموت دونك.

١٥٣ •قال: وقام سعيد بن عبدالله الحنفي فقال: لا والله يابن رسول الله، لا نخلّيك أبداً حتّى يعلم الله أنّا قد حَفَظنا فيكَ وصيّةَ رسوله محمّدﷺ، ولو علمت أنّي أُقتل فيک، ثمّ أُحيا، ثمّ أُحرق حيّاً، ثمّ أُذرَى يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتّى أُلقى حمامي من دونك، فكيف وإنّما هي قتلة واحدة ثمّ أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟!

ثمّ قام زهير بن القين وقال: والله يابن رسول الله، لوددت أنّي قتلت، ثمّ نُشرت ألفَ مَرَّةٍ وأنّ الله يدفع بذلك القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من إخوتك وولدك وأهل بيتك.

قال: وتكلّم جماعة من أصحابه بمثل ذلك وقالوا: أنفسنا لك الفداء، نقيك بأيدينا ووجوهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربّنا وقضينا ما علينا.

وقيل لمحمّد بن بشير الحضرمي في تلك الحال: قد أُسر ابنك بثغر الريّ،
١٥٤ •فقال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما كنت أُحبّ أن يُؤسر وأن أبقى بعده!

فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال: رحمك الله، أنت في حلٍّ من بيعتي، فاعمل في

فكاك ابنك. فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك.

قال: فأعط ابنك هذه البرود يستعين بها في فكاك أخيه، فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار.

قال الراوي: وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دويٌّ كدويّ النحل، ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً.

قال: فلمّا كان الغداة أمر الحسين عليه السلام بفسطاطه فضرب وأمر بجفنة فيها مسك كثير وجعل فيها نورة، ثمّ دخل ليطلي، فروي: أنّ برير بن حصين الهمداني وعبدالرحمن بن عبد ربّه •الأنصاري وقفا على باب الفسطاط ليطليا بعده، فجعل برير يضاحك ١٥٥
عبد الرحمن، فقال له عبدالرحمن: يا برير، أتضحك؟! ما هذه ساعة ضحك ولا باطل.

فقال برير: لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شابّاً، وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله، ما هو إلّا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة، ثمّ نعانق الحور العين.

قال الراوي: وركب أصحاب عمر بن سعد، فبعث الحسين عليه السلام برير بن حصين فوعظهم فلم يسمعوا وذكّرهم فلم ينتفعوا، فركب الحسين عليه السلام ناقته ـ وقيل: فرسه ـ فاستنصتهم فأنصتوا، فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله، وصلّى على محمّد صلى الله عليه وآله وعلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأبلغ في المقال، ثمّ قال:

تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها •على عدوّنا ١٥٦
وعدوّكم، فأصبحتم أولياء لأعدائكم على أوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم فيهم!

فهلّا ـ لكم الويلات ـ تركتمونا والسيف مشيمٌ، والجأش طامرٌ، والرأيُ لمّا

يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطير الدُبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشرار الأحزاب، ونَبَذَة الكتاب، ومحرّفي الكلم، وعصبة الآثام، ونفثة الشيطان، ومُطفِئِ السنن، أهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون؟!

أجل والله، غدرٌ فيكم قديم وشحت عليه أُصولكم، وتأزّرت عليه فروعكم، فكنتم أخبثَ شجاً للناظر وأكلة للغاصب.

ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجور طهرت، وأنوف حميّة ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة مع قلّة العدد وخذلان الناصر.

١٥٧ • ثمّ أوصل كلامه عليه السلام بأبيات فروة بن مسيك المرادي:

فإن نَهزِم فهَزامونَ قِدما ... وإن نُغلَب فَغَيرُ مُغَلَّبينا

وما أن طِبُّنا جُبنٌ ولكِن ... مَنايانا ودَولَةُ آخَرينا

إذا مَا الموتُ رَفَّعَ عَن أُناس ... كَلاكِلَهُ أناخَ بِآخَرَينا

فَأَفنى ذلِك سَرَواتِ قَومي ... كَما أَفنَى القُرونُ الأَوَّلينا

فلَو خَلَدَ المُلوكُ إذاً خَلَدنا ... وَلو بَقي الكِرامُ إذاً بَقينا

فَقُل لِلشامِتينَ بِنا: أَفيقوا ... سَيَلقى الشامِتونَ كما لَقينا

ثمّ قال: أما والله، لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتّى يدور بكم دور الرحى، ويقلق بكم قلق المحور، عهدٌ عهده إليَّ أبي عن جدّي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثمّ اقضو إليّ ولا تنظرون، إنّي توكّلت على الله ربّي وربّكم، ما من دابّة إلّا هو آخذٌ بناصيتها، إنّ ربّي على صراط مستقيم.

اللّهمّ احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسنين يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسومهم كأساً مصبّرةً، فإنّهم كذّبونا وخذلونا، وأنت ربّنا، عليك توكّلنا

وإليك أنبنا وإليك المصير.

١٥٨ •ثمّ نزل ودعا بفرس رسول الله ﷺ المرتجز، فركبه وعبّى أصحابه للقتال.

فروي عن الباقر ﷺ: أنّهم كانوا خمسة وأربعين فارساً ومئة راجل. وروي غير ذلك.

قال الراوي: فتقدّم عمر بن سعد ورمى نحو عسكر الحسين ﷺ بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير: أنّي أوّل مَن رمى، وأقبلت السهام من القوم كأنّها القطر.

فقال ﷺ لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت، الذي لابدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم، فاقتتلوا ساعة من النهار حملةً وحملةً، حتّى قتل من أصحاب الحسين ﷺ جماعة.

قال: فعندها ضرب الحسين ﷺ يده على لحيته وجعل يقول: اشتدّ غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتدّ غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتدّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتدّ غضبه على قوم اتّفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم. أما والله، لا أُجيبنهم إلى شيء ممّا يريدون حتّى ألقى الله تعالى وأنا مخضّب بدمي.

وروي عن مولانا الصادق ﷺ أنّه قال: سمعت أبي يقول: لمّا التقى
١٥٩ •الحسين ﷺ وعمر بن سعد (لعنه الله) وقامت الحرب على ساق، أنزل الله النصرَ حتّى رفرف على رأس الحسين ﷺ ثمّ خيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء ربّه، فاختار لقاء ربّه.

قال الراوي: ثمّ صاح الحسين ﷺ: أما من مغيثٍ يغيثنا لوجه الله، أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله.

قال: فإذا الحرّ بن يزيد الرياحي قد أقبل على عمر بن سعد، فقال له: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ فقال: إي والله، قتالاً أيسره أن تطير الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال: فمضى الحرّ ووقف موقفاً من أصحابه وأخذه مثل الإفكل، فقال له المهاجر بن أوس: والله، إنّ أمرك لمريب، ولو قيل: مَن أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟

فقال: إنّي والله، أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار، فوالله، لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قطّعت وأُحرقت، ١٦٠ •ثمّ ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول: اللّهمّ إنّي تبت إليك فتب عليَّ، فقد أرعبت قلوبَ أوليائك وأولاد بنت نبيّك.

وقال للحسين: جعلت فداك، أنا صاحبك الذي حبسك عن الرجوع وجعجع بك، والله، ما ظننت أنّ القوم يبلغون بك ما أرى، وأنا تائب إلى الله، فهل ترى لي من توبة؟

فقال الحسين عليه السلام: نعم يتوب الله عليك فانزل، فقال: أنا لك فارساً خيرٌ منّي راجلاً، وإلى النزول يؤول آخر أمري، ثمّ قال: فإذا كنت أوّل من خرج عليك، فأذّن لي أن أكون أوّل قتيل بين يديك، لعلّي أكون ممّن يصافح جدّك محمّداً غداً في القيامة.

قال جامع الكتاب: إنّما أراد أوّل قتيل من الآن؛ لأنّ جماعة قتلوا قبله كما ورد.

فأذن له، فجعل يقاتل أحسن قتال حتّى قتل جماعة من شجعان وأبطال، ثمّ استشهد، فحمل إلى الحسين عليه السلام، فجعل يمسح الترابَ عن وجهه ويقول: أنتَ الحرّ كما سمّتك أُمّك، حرّ في الدنيا وحرّ في الآخرة.

قال الراوي: وخرج برير بن خضير، وكان زاهداً عابداً، فخرج إليه يزيد بن معقل واتّفقا على المباهلة إلى الله في أن يقتل المحقّ منهما المبطل، فتلاقيا، فقتله برير، ولم يزل يقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.

١٦١ •قال: وخرج وهب بن حباب الكلبي، فأحسن في الجلاد وبالغ في الجهاد، وكان معه زوجته ووالدته، فرجع إليهما وقال: يا أُمّاه، أرضيت أم لا؟ فقالت: لا، ما

رضيت حتّى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام. وقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني في نفسك.

فقالت له أُمّه: يا بني، اعزب عن قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيّك تنل شفاعة جدّه يوم القيامة.

فرجع، ولم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه، فأخذت امرأته عموداً، فأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأُمّي، قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل ليردّها إلى النساء، فأخذت بثوبه، وقالت: لن أعود دون أن أموت معك.

فقال الحسين عليه السلام: جزيتم من أهل بيتٍ خيراً، ارجعي إلى النساء يرحمك الله، فانصرفت إليهنّ.

ولم يزل الكلبي يقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.

ثمّ خرج مسلم بن عوسجة، فبالغ في قتال الأعداء، وصبر على أهوال البلاء، حتّى سقط إلى الأرض وبه رمق، فمشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين عليه السلام: رحمك الله يا مسلم، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾. ودنا منه حبيب، فقال: عزّ والله عليَّ مصرعك يا مسلم أبشر بالجنّة.

١٦٢ •فقال له بصوت ضعيف: بشّرك الله بخيرٍ، ثمّ قال له حبيب: لولا أنّني أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصي إليَّ بكلّ ما أهمّك.

فقال له مسلم: فإنّي أوصيك بهذا ـ وأشار بيده إلى الحسين عليه السلام ـ فقاتل دونه حتّى تموت. فقال له حبيب: لأنعمنّك عيناً، ثمّ مات رضوان الله عليه.

فخرج عمرو بن قرظة الأنصاري، فاستأذن الحسين عليه السلام، فأذن له، فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء، وبالغ في خدمة سلطان السماء حتّى قَتَلَ جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد، وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي إلى الحسين عليه السلام سهمٌ إلّا اتّقاه بيده، ولا سيف إلّا تلقّاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الحسين عليه السلام سوء، حتّى

أُثخن بالجراح. فالتفتَ إلى الحسين عليه السلام وقال: يابن رسول الله أوفيت؟

قال: نعم، أنت أمامي في الجنّة، فاقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله عنّي السلام وأعلمه أنّي في
١٦٣ الأثر، •فقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.

ثمّ برز جون مولى أبي ذرّ، وكان عبداً أسوداً، فقال له الحسين عليه السلام: أنت في إذنٍ منّي، فإنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا.

فقال: يا بن رسول الله، أنا في الرخاء أَلحسُ قصاعكم وفي الشدّة أخذلكم؟ والله، إن ريحي لمنتن، وإنّ حسبي للئيم ولوني لأسود، فتنفّس عليَّ بالجنّة، فيطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيضّ وجهي، لا والله، لا أُفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، ثمّ قاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.

١٦٤ قال الراوي: ثمّ برز عمرو بن خالد الصيداوي، فقال للحسين: •يا أبا عبدالله جعلت فداك، قد هممت أن ألحقَ بأصحابي، وكرهت أن أَتَخلّفَ فأراك وحيداً فريداً بين أهلك قتيلاً.

فقال له الحسين عليه السلام: تقدّم فإنّا لاحقون بك عن ساعة، فتقدم فقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.

قال الراوي: وجاء حنظلة بن سعد الشبامي، فوقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والسيوف والرماح بوجهه ونحره، وأخذ ينادي: يا قوم، إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما الله يريد ظلماً للعباد، ويا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم التناد، يوم تولّون مدبرين مالكم من
١٦٥ الله من عاصم، يا •قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذابٍ، وقد خاب من افترى.

ثمّ التفت إلى الحسين عليه السلام وقال: أفلا نروح إلى ربّنا ونلحق بأصحابنا؟ فقال له: بل رُح إلى ما هو خيرٌ لك من الدنيا وما فيها وإلى ملكٍ لا يبلى، فتقدّم، فقاتل قتال الأبطال، وصبر على احتمال الأهوال حتّى قتل رضوان الله عليه.

قال: وحضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام زهير بن القين وسعيد بن عبدالله الحنفي أن يتقدّما أمامه بنصف من تخلّف معه، ثمّ صلّى بهم صلاة الخوف، فوصل إلى الحسين عليه السلام سهمٌ، فتقدّم سعيد بن عبدالله الحنفي، ووقف يقيه بنفسه ما زال، ولا تخطّى حتّى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللّهمّ العنهم لعن عادٍ وثمود، اللّهمّ أبلغ نبيّك عنّي السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإنّي أردت ثوابك في نصر ذرّيّة نبيّك، ثمّ قضى نحبه (رضوان الله عليه)، فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح.

قال الراوي: وتقدّم سويد بن عمر بن أبي المطاع، وكان شريفاً كثير الصلاة، فقاتل قتال الأسد الباسل، وبالغ في الصبر على الخطب النازل، حتّى سقط بين ١٦٦
القتلى وقد أُثخن بالجراح، ولم يزل كذلك وليس به حراك حتّى سمعهم يقولون: قتل الحسين، فتحامل وأخرج من خفّه سكيناً، وجعل يقاتلهم بها حتّى قتل رضوان الله عليه.

قال: وجعل أصحاب الحسين عليه السلام يقاتلون بين يديه، وكانوا كما قيل:

قَـــومٌ إذ نـــودوا لِـــدَفعِ مُـلمّةٍ والخَـيلُ بَـين مُـدعس ومُكـردسِ
لَبسوا القُـلوبَ عـلى الدروعِ وأَقـبلَوا يَـتهافَتون عـلى ذِهـاب الأَنـفُسِ

فلمّا لم يبق معه إلّا أهل بيته، خرج عليّ بن الحسين عليه السلام وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً فاستأذن أباه في القتال، فأذن له، ثمّ نظر إليه نظرة آيسٍ منه، وأرخى عينيه وبكى، ثمّ قال: اللّهمّ اشهد، فقد برز إليهم غلامٌ أشبه النـاس خـلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك صلى الله عليه وآله، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه، فصاح وقال: يابن سعد، قطع الله رحمك كما قطعت رحمي.

فتقدّم نحو القوم، فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً، ثمّ رجع إلى أبيه وقال: يا أبه، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل؟

فبكى الحسين عليه السلام وقال: واغوثاه يا بني! من أينَ آتي بالماء؟ قاتل قليلاً، فـما

أسرع ما تلقى جدّك محمّداً صلى الله عليه وآله، فيسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها.

١٦٧ •فرجع إلى موقف النزال، وقاتل أعظم القتال، فرماه منقذ بن مرّة العبدي بسهمٍ فصرعه، فنادى: يا أبتاه، عليك منّي السلام، هذا جدّي يقرؤك السلام ويقول لك: عجّل القدوم علينا، ثمّ شهق شهقة فمات.

فجاء الحسين عليه السلام حتّى وقف عليه، ووضع خدّه على خدّه وقال: قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، على الدنيا بعدك العفاء.

قال الراوي: وخرجت زينب ابنة عليّ تنادي: يا حبيباه! يا بن أخاه! وجاءت فأكبّت عليه. فجاء الحسين عليه السلام فأخذها وردّها إلى النساء.

ثمّ جعل أهل بيته يخرج منهم الرجل بعد الرجل، حتّى قتل القوم منهم جماعة، فصاح الحسين عليه السلام في تلك الحال: صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي صبراً، فوالله، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً.

١٦٨ قال الراوي: وخرج غلام كأنّ وجهه شقّة قمر، فجعل يقاتل، •فضربه ابن فضيل الأزدي على رأسه، ففلقه، فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عمّاه! فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر، وشدّ شدّة ليثٍ أغضب، فضرب ابن فضيل بالسيف، فاتّقاها بساعده فأطنّها من لدن المرفق، فصاح صيحة سمعه أهل العسكر، فحمل أهل الكوفة ليستنقذوه، فوطأته الخيل حتّى هلك.

قال: وانجلت الغبرة، فرأيت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام، وهو يفحص برجله، والحسين عليه السلام يقول: بعداً لقومٍ قتلوك، ومَن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك. ثمّ قال: عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك صوته، هذا يوم والله كثر واتره وقلّ ناصره.

ثمّ حمل الغلام على صدره حتّى ألقاه بين القتلى من أهل بيته.

قال: ولمّا رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبّته، عزم على لقاء القوم بمهجته، ونادى: هل من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من معينٍ يرجو ما عند الله في إعانتنا؟.

فارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب: ناوليني ولدي الصغير حتّى أُودّعه، فأخذه وأومأ إليه ليقبّله، فرماه •حرملة بن الكاهل ١٦٩ بسهم، فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب: خذيه. ثمّ تلقّى الدم بكفّيه حتّى امتلأتا، ورمى بالدم نحو السماء وقال: هوّن عليَّ ما نزل بي، إنّه بعين الله.

قال الباقر عليه السلام: فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.

وروي من طرق أُخرى، وهي أقرب إلى العقل؛ لأنّ الحال ما كان وقت توديع للصبيّ؛ لاشتغالهم بالحرب والقتل، وإنّما زينب أُخته عليها السلام أخرجت الصبيّ وقالت: يا أخي، هذا ولدك له ثلاثة أيّام ما ذاق الماء، فاطلب له شربة ماء، فأخذه على يده وقال: يا قوم، قد قتلتم شيعتي وأهل بيتي، وقد بقي هذا الطفل يتلظّى عطشاً، فاسقوه شربةً من الماء، فبينما هو يخاطبهم إذ رماه رجل منهم بسهم فذبحه. فدعا عليهم بنحو ما صنع بهم المختار وغيره.

•قال الراوي: واشتدّ العطش بالحسين عليه السلام، فركب المسنّاة يريد الفرات، والعبّاس ١٧٠ أخوه بين يديه، فاعترضتهما خيل ابن سعد، فرمى رجل من بني دارم الحسين عليه السلام بسهمٍ فأثبته في حنكه الشريف، فانتزع (صلوات الله عليه) السهم وبسط يده تحت حنكه حتّى امتلأت راحتاه من الدم، ثمّ رمى به وقال: اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك.

ثمّ اقتطعوا العبّاس عنه، وأحاطوا به من كلّ جانب ومكان، حتّى قتلوه (قدّس الله روحه) فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً. وفي ذلك يقول الشاعر:

أَحقُّ الناسُ أَن يُبكى عَلَيه ... فَتىً أَبكى الحُسَينَ بِكَربَلاء

أَخــوه وابــنُ والدِهِ عـليٍّ ... أبو الفَضل المضرَّجِ بـالدِماء

وَمَن واساه لا يَـثنيه شَـيءٌ وجادَ لَه على عَطَشٍ بِـماء

قال الراوي: ثمّ إنّ الحسين عليه السلام دعا الناس إلى البراز، فلم يزل يقتل كلّ مَن برز إليه، حتّى قتل مقتلة عظيمة، وهو في ذلك يقول:

القَتلُ أَولى مِن ركوبِ العارِ والعارُ أولى مِن دخولِ النار

قال بعض الرواة: والله، ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل ولدُهُ وأهلُ بيته وأصحابُهُ أربط جأشاً منه، وأنّ الرجال كانت لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه ١٧١
انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم، وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً، فينهزمون بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

قال الراوي: ولم يزل يقاتلهم حتّى حالوا بينه وبين رحله، فصاح بهم: ويحكم! يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرُباً كما تزعمون. قال: فناداه شمر: ما تقول يابن فاطمة؟

قال: أقول: أنا الذي أُقتاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا أعتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً. فقال شمر: لك ذلك يا بن فاطمة.

وقصدوه بالحرب، فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه، وهو مع ذلك يطلب ١٧٢
شربة من ماء فلا يجد، حتّى أصابه اثنتان وسبعون جراحة.

فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقف إذ أتاه حجر، فوقع على جبهته، فأخذ الثوب ليمسح الدمَ عن جبهته، فأتاه سهمٌ مسمومٌ له ثلاثُ شعبٍ، فوقع على قلبه، فقال عليه السلام: بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابنُ بنت نبيّ غيره.

ثمّ أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره، فانبعث الدم كأنّه ميزاب، فضعف عن القتال ووقف، فكلّما أتاه رجل انصرف عنه، كراهية أن يلقى الله بدمه، حتّى جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر (لعنه الله) فشتم الحسين وضربه على رأسه الشريف بالسيف، فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه وامتلأ البرنس دماً.

قال الراوي: فاستدعى الحسين عليه السلام بخرقة، فشدّ بها رأسه، واستدعى بقلنسوة فلبسها واعتمّ عليها.

١٧٣ •فلبثوا هنيئة، ثمّ عادوا إليه وأحاطوا به، فخرج عبدالله بن الحسن بن عليّ وهوغلام لم يراهق من عند النساء، فشهد حتّى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام، فلحقته زينب ابنة عليّ لتحبسه، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً وقال: والله، لا أُفارق عمّي. فأهوى بحر بن كعب وقيل: حرملة بن الكاهل إلى الحسين بالسيف.

فقال له الغلام: ويلك يا بن الخبيثة أتقتل عمّي؟ فضربه بالسيف، فاتّقاها الغلام بيده، فأطنها إلى الجلد، فإذا هي معلّقة. فنادى الغلام: يا عمّاه!

فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: يا بن أخي، اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين.

قال: فرماه حرملة بن الكاهل (لعنه الله) بسهم، فذبحه وهو في حجر عمّه الحسين عليه السلام.

ثمّ إنّ شمربن ذي الجوشن (لعنه الله) حمل على فسطاط الحسين عليه السلام فطعنه

١٧٤ •بالرمح، ثمّ قال: عليَّ بالنار أحرقه على من فيه!!

فقال له الحسين عليه السلام: يابن ذي الجوشن، أنت الداعي بالنار لتحرق على أهلي؟! أحرقك الله بالنار.

وجاء شبث فوبّخه، فاستحيى وانصرف.

قال الراوي: وقال الحسين عليه السلام: إيتوني بثوب لا يرغب فيه أجعله تحت ثيابي؛ لئلّا أُجرّد منه.

فأُتي بتبّان، فقال: لا، ذاك لباس من ضُرِبَت عليه الذلّة، فأخذ ثوباً خلقاً، فخرّقه وجعله تحت ثيابه، فلمّا قتل جرّدوه منه.

ثمّ استدعى عليه السلام بسراويل من حبرة، ففرزها ولبسها؛ وإنّما فرزها لئلّا يُسلبها، فلمّا قتل سلبها بحر بن كعب (لعنه الله) وترك الحسين عليه السلام مجرّداً، فكانت يدا بحر بعد ذلك تيبسان في الصيف كأنّهما عودان يابسان وتترطّبان في الشتاء فتنضحان قيحاً ودماً، إلى أن أهلكه الله تعالى.

قال: ولما أُثخن الحسين عليه السلام بالجراح، وبقي كالقنفذ، طعنه صالح بن وهب المزني (لعنه الله) على خاصرته طعنة، فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن، ثمّ قام صلوات الله عليه.

١٧٥ •قال الراوي: وخرجت زينب من باب الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه! وا سيّداه! وا أهل بيتاه! ليتَ السماء انطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل.

قال: وصاح شمر بأصحابه: ما تنتظرون بالرجل؟ قال: فحملوا عليه من كلّ جانب، فضربه زرعة بن شريك (لعنه الله) على كتفه اليسرى، فضرب الحسين عليه السلام زرعة فصرعه.

وضربه آخر على عاتقه المقدّس بالسيف ضربةً كبا عليه السلام بها على وجهه، وكان قد أعيى، فجعل عليه السلام ينوء ويكبو.

فطعنه سنان بن أنس النخعي (لعنه الله) في ترقوته، ثمّ انتزع الرمح فطعنه في بواني صدره.

ثمّ رماه سنان أيضاً بسهم، فوقع السهم في نحره، فسقط، وجلس قاعداً،

١٧٦ •فنزع السهم من نحره، وقرن كفّيه جميعاً، وكلّما امتلأتا من دمائه خضَّب بها رأسه ولحيته، وهو يقول: هكذا ألقى الله مخضّباً بدمي مغصوباً على حقّي.

فقال عمر بن سعد (لعنه الله) لرجل عن يمينه: انزل ويحك إلى الحسين فأرحه.

فبدر إليه خوليّ بن يزيد الأصبحي ليحتزّ رأسه، فأرعد، فنزل إليه سنان بن أنس النخعي (لعنه الله) فضربه بالسيف في حلقه الشريف وهو يقول: والله، إنّي لأحتزّ رأسك وأعلم أنّك ابن رسول الله وخير الناس أباً وأماً!!! ثمّ احتز رأسه الشريف عليه السلام.

وفي ذلك يقول الشاعر:

فأيّ رزيّة عدلت حُسَيناً غَداةَ تَبيرَهُ كفّا سنان

وروي: أنّ سناناً هذا أخذه المختار فقطع أنامله أنملة أنملة، ثمّ قطع يديه ورجليه، وأغلى له قدراً فيها زيت، ورماه فيها وهو يضطرب.

وروى أبوطاهر محمّد بن الحسين البرسي في كتابه معالم الدين، عن الصادق عليه السلام قال: لمّا كان من أمر الحسين ما كان، ضجّت الملائكة وقالوا: يا ربّنا هذا الحسين صفيّك وابن صفيّك وابن بنت نبيّك؟!

•قال: فأقام الله ظلّ القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم لهذا. ١٧٧

قال الراوي: وارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتّى ظنّ القوم أنّ العذاب قد جاءهم، فلبثوا كذلك ساعة، ثمّ انجلت عنهم.

وروى هلال بن نافع، قال: إنّي لواقف مع أصحاب عمر بن سعد إذ صرخ صارخ: أبشر أيّها الأمير، فهذا شمر قد قَتَلَ الحسين عليه السلام.

قال: فخرجت بين الصفّين، فوقفت عليه، فإنّه ليجود بنفسه، فوالله، ما رأيت قتيلاً مضمّخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نورُ وجهِهِ وجمال هيّأته عن الفكر في قتله، فاستسقى في تلك الحال ماءً، فسمعت رجلاً يقول له: والله، لا تذوق الماء حتّى ترد الحامية، فتشرب من حميمها!!!

فقال له الحسين عليه السلام: لا، بل أرد على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبتم منّي وفعلتم بي.

قال: فغضبوا بأجمعهم، حتّى كأنّ الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة شيئاً، فاحتزّوا رأسه وإنّه ليكلّمهم!! فعجبت من قلّة رحمتهم وقلت: والله، لا أُجامعكم على أمر أبداً.

قال: ثمّ أقبلوا على سلب الحسين عليه السلام، فأخذ قميصه إسحاق بن حوبة
١٧٨ •الحضرمي (لعنه الله) فلبسه فصار أبرص وامتعط شعره.

وروي: أنّه وجد في قميصه عليه السلام مئة وبضع عشرة ما بين رمية وضربة وطعنة.

قال الصادق عليه السلام: وجد بالحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة.

وأخذ سراويله بحر بن كعب التيمي (لعنه الله)، وروي: أنّه صار زمناً مقعداً من رجليه.

وأخذ عمامته أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي (لعنه الله)، وقيل: جابر ابن يزيد الأودي (لعنه الله)، فاعتمّ بها فصار معتوهاً.

وأخذ نعليه الأسود بن خالد.

وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي (لعنه الله) فقطع إصبعه عليه السلام مع الخاتم. وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحّط في دمه حتّى هلك.

وأخذ قطيفة له كانت من خزّ قيس بن الأشعث لعنه الله.

١٧٩ •وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد (لعنه الله) فلمّا قتل عمر بن سعد وهبها المختار لأبي عمرة قاتله.

وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي، وقيل: رجل من بني تميم يقال له: الأسود بن حنظلة لعنه الله.

وفي رواية ابن سعد أنّه أخذ سيفه الفلافس النهشلي، وزاد محمّد بن زكريا: أنّه وقع بعد ذلك إلى بنت حبيب بن بديل. وهذا السيف المنهوب ليس بذي الفقار؛ فإنّ
١٨٠ ذلك كان مذخوراً ومصوناً مع •أمثاله من ذخائر النبوّة والإمامة، وقد نقل الرواة

تصديق ما قلناه وصورة ما حكيناه.

قال الراوي: وجاءت جارية من ناحية خيم الحسين عليه السلام، فقال لها رجل: يا أمة الله، إن سيّدك قتل.

قالت الجارية: فأسرعت إلى سيّداتي وأنا أصيح، فقمن في وجهي وصحن.

قال: وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول وقرّة عين الزهراء البتول، حتّى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها، وخرج بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وحريمه يتساعدن على البكاء، ويندبن لفراق الحماة والأحبّاء.

فروى حميد بن مسلم، قال: رأيت امرأة من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام في فسطاطهنّ وهم يسلبونهنّ، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل، أتسلب بنات رسول الله؟!! لا حكمَ إلّا لله، يالثارات رسول الله، فأخذها زوجها فردّها إلى رحله.

قال الراوي: ثمّ أخرجوا النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلّة.

وقلن: بحقّ الله إلّا ما مررتم بنا على مصرع الحسين، فلمّا نظر النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههنّ.

قال: فوالله، لا أنسى زينب ابنة عليّ وهي تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت
• حزين وقلب كئيب: وا محمّداه! صلّى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء! ١٨١
مرمّل بالدماء! مقطّع الأعضاء! وا ثكلاه! وبناتك سبايا! إلى الله المشتكى، وإلى محمّد المصطفى، وإلى عليّ المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيّد الشهداء.

وا محمّداه! وهذا حسين بالعراء، تسفي عليه ريح الصباء، قتيل أولاد البغايا! واحزناه، واكرباه عليك يا أبا عبدالله! اليوم مات جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله. يا أصحاب

محمّد، هؤلاء ذرّيّة المصطفى يساقون سوق السبايا!

وفي بعض الروايات: وا محمّداه، بناتك سبايا، وذرّيتك مقتلّة تسفي عليهم ريح الصباء، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا! مسلوب العمامة والردا! بأبي من أضحى عسكره في يوم الإثنين نهباً! بأبي من فسطاطه مقطّع العرى! بأبي من لا غائب فيرتجى! ولا جريح فيداوى! بأبي من نفسي له الفداء! بأبي المهموم حتّى قضى! بأبي العطشان حتّى مضى! بأبي من يقطر شيبه بالدماء! بأبي من جدّه رسول إله السماء! بأبي من هو سبط نبيّ الهدى! بأبي محمّد المصطفى! بأبي عليّ المرتضى! بأبي خديجة الكبرى! بأبي فاطمة الزهراء سيّدة النساء! بأبي من ردّت عليه الشمس حتّى صلّى!!

قال الراوي: فأبكت ـ والله ـ كلّ عدوّ وصديق.

ثمّ إنّ سكينة اعتنقت جسد الحسين عليه السلام، فاجتمع عدّة من الأعراب حتّى جرّوها عنه.

١٨٢ •قال الراوي: ثمّ نادى عمر بن سعد في أصحابه: مَن ينتدب للحسين فيوطئ الخيل ظهره؟

فانتدب منهم عشرة، وهم: إسحاق بن حوبة الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه، وأخنس بن مرثد، وحكيم بن طفيل السبيعي، وعمر بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خيثمة الجعفي، وصالح بن وهب الجعفي، وواحظ بن غانم، وهاني بن ثبيت الحضرمي، وأسيد بن مالك (لعنهم الله) فداسوا الحسين عليه السلام

١٨٣ بحوافر •خيلهم حتّى رضّوا ظهره وصدره.

قال الراوي: وجاء هؤلاء العشرة حتّى وقفوا على ابن زياد (لعنه الله) فقال أسيد بن مالك أحد العشرة:

نَحنُ رَضَضنا الصَدرَ بَعدَ الظَهرِ بِكُلِّ يعبوبٍ شَديدِ الأسرِ

فقال ابن زياد (لعنه الله): من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين

حتّى طحنّا حناجر صدره.

قال: فأمر لهم بجائزة يسيرة.

قال أبو عمر الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة، فوجدناهم جميعاً أولاد زنا. وهؤلاء أخذهم المختار، فشدّ أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد، وأوطأ الخيل ظهورهم حتّى هلكوا.

وروى ابن رباح، قال: لقيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام، فسئل عن ذهاب بصره؟ فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة، غير أنّي لم أطعن ولم أضرب ولم أرم، •فلمّا قتل رجعت إلى منزلي وصلّيت العشاء الآخرة ونمت، فأتاني آتٍ في ١٨٤
منامي، فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقلت: مالي وله! فأخذ بتلابيبي وجرّني إليه، فإذا النبيّ صلى الله عليه وآله جالس في صحراء، حاسر عن ذراعيه، آخذ بحربة، وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي التسعة، فلمّا ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً.

فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يردّ عليّ، ومكث طويلاً، ثمّ رفع رأسه وقال: يا عدوّ الله! انتهكت حرمتي، وقتلت عترتي، ولم ترعَ حقّي، وفعلت ما فعلت.

فقلت: يا رسول الله، والله، ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم.

فقال: صدقت، ولكن كثّرت السواد، ادن منّي، فدنوت منه، فإذا طشت مملوّ دماً، فقال لي: هذا دم ولدي الحسين عليه السلام، فكحّلني من ذلك الدم، فانتبهت حتّى الساعة لا أبصر شيئاً.

وروي عن الصادق عليه السلام يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة عليها السلام قبّة من نور، ويقبل الحسين عليه السلام ورأسه في يده، فإذا رأته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلّا بكى لها، فيمثّله الله عزّ وجلّ لها في أحسن صورة، وهو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع الله لي قتلته والمجهزين عليه ومَن شرك

١٨٥ في دمه، فأقتلهم حتّى آتي على آخرهم، ثمّ •ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام، ثمّ ينشرون، فلا يبقى من ذرّيّتنا أحد إلّا قتلهم، فعند ذلك يكشف الغيظ وينسى الحزن.

ثمّ قال الصادق عليه السلام: رحم الله شيعتنا، هم ـ والله ـ المؤمنون، وهم المشاركون لنا في المصيبة بطول الحزن والحسرة.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إذا كان يوم القيامة تأتي فاطمة عليها السلام في لمّة من نسائها، فيقال لها: ادخلي الجنّة. فتقول: لا أدخل حتّى أعلم ما صنع بولدي من بعدي.

فيقال لها: انظري في قلب القيامة، فتنظر إلى الحسين عليه السلام قائماً ليس عليه رأس، فتصرخ صرخة، فأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخها.

وفي رواية أُخرى: وتنادي: وا ولداه! واثمرة فؤاداه!

قال: فيغضب الله عزّ وجلّ لها عند ذلك، فيأمر ناراً يقال لها: هبهب قد أُوقد عليها ألف عام حتّى اسودّت، لا يدخلها روح أبداً ولا يخرج منها غمّ أبداً.

فيقال لها: التقطي قتلة الحسين عليه السلام، فتلتقطهم، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها، وشهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بألسنة حداد ذلقة ناطقة: يا ربّنا، بِمَ أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان؟ فيأتيهم الجواب عن الله عزّ وجلّ: ليس مَن علم كَمَن لا يعلم.

١٨٦ •روى هذه[1] الحديثين ابن بابويه في كتاب عقاب الأعمال.

١٨٧ **المسلك الثّالث: في الأُمور المتأخّرة عن قتله عليه السلام** •

١٨٨ وهي تمام ما أشرنا إليه.•

قال: ثمّ إنّ عمر بن سعد (لعنه الله) بَعثَ برأس الحسين (عليه الصلاة والسلام)

---

١. كذا في المصدر، والمناسب «هذين» بدل «هذه».

في ذلك اليوم وهو يوم عاشوراء مع خوليّ بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فقطعت، وسرّح بها مع شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج، فأقبلوا بها حتّى قدموا الكوفة.

وأقام ابن سعد بقيّة يومه واليوم الثاني إلى زوال الشمس، ثمّ رحل بمن تخلّف من عيال الحسين، وحمل نساءه على أحلاس أقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء، مكشّفات الوجوه بين الأعداء، وهنّ ودائع خير الأنبياء، وساقوهنّ كما يساق سبي الترك والروم في أسرِ المصائب والهموم.

•ولله درّ القائل: ١٨٩

يُصلّى على المبعوثِ مِن آلِ هاشمٍ وَيُغزى بنوه إنّ ذا لَعَجيبُ

وروي: أنّ رؤوس أصحاب الحسين عليه السلام كانت ثمانيةً وسبعين رأساً، فاقتسمتها القبائل، لتتقرّب بذلك إلى عبيد الله بن زياد وإلى يزيد بن معاوية:

فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث.

وجاءت هوازن باثني عشر رأساً، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن.

وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً.

وجاء بنو أسد بستّة عشر رأساً.

وجاءت مذحج بسبعة رؤوس.

وجاء سائر الناس بثلاثة عشر رأساً.

قال الراوي: ولمّا انفصل ابن سعد عن كربلاء خرج قوم من بني أسد، فصلّوا على تلك الجثث الطواهرالمرمّلة بالدماء، ودفنوها على ما هي الآن عليه.

وسار ابن سعد بالسبي المشار إليه، فلمّا قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهنّ.

قال الراوي: فأشرفت امرأة من الكوفيّات، فقالت: من أيّ الأُسارى أنتنّ؟ فقلن:

نحن أُسارى آل محمّدصلى الله عليه وآله. فنزلت من سطحها، فجمعت ملاء وأُزراً ومقانع، فأعطتهنّ، فتغطين.

١٩٠ •قال الراوي: وكان مع النساء عليّ بن الحسينعليه السلام، قد نهكته العلّة، والحسن بن الحسن المثنّى، وكان قد واسى عمّه وإمامه في الصبر على الرماح، وإنّما ارتثّ وقد أُثخن بالجراح. وكان معهم أيضاً زيد وعمرو ولدا الحسن السبط.

١٩١ •فجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون.

فقال عليّ بن الحسينعليه السلام: أتنوحون وتبكون من أجلنا؟!! فمن الذي قتلنا؟!!

قال بشير بن خزيم الأسدي: ونظرت إلى زينب ابنة عليّعليه السلام يومئذ، فلم أر خفرة قطّ أنطق منها، كأنّها تفرغ من لسان أمير المؤمنينعليه السلام، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدّت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثمّ قالت: الحمد لله، والصلاة على جدّي محمّد وآله الطيّبين الأخيار.

أمّا بعد؛ يا أهل الكوفة، ياأهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي نَقَضَت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتّخذون أيمانكم دُخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف والنطف، والصدر والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء؟! أو كمرعى على دمنة، أو كفضّة على ملحودة، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفُسُكُم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

١٩٢ •أتبكون وتنتحبون؟! إي والله، فأبكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة، ومعدن الرسالة، وسيّد شاب أهل الجنّة، وملاذ خيرتكم، ومفرغ نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرة سنتكم؟! ألاساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبّت الأ يدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟!

وأيّ دم له سفكتم؟! وأيّ حُرمة له انتهكتم؟! لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء. وفي بعضها: خرقاء شوهاء، كطلاع الأرض وملاء السماء.

أفعجبتم أن مطرت السماء دماً؟! ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفّنّكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثار، وإنّ ربّكم لبالمرصاد.

قال الراوي: فوالله، لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، •ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتّى اخضلّت لحيته وهو يقول: ١٩٣
بأبي أنتم وأُمّي كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يخزى ولا يبزى.

وروى زيد بن موسى، قال: حدّثني أبي عن جدّي عليه السلام قال: خطبت فاطمة الصغرى عليها السلام بعد أن وردت من كربلاء، فقالت:

الحمد الله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأُؤمن به وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، وأنّ ذرّيّته ذبحوا بشطّ الفرات، بغير ذحل ولا ترات.

اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، وأن أقول عليك خلاف ما أنزلت، من أخذ العهود لوصيّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقّه، المقتول بغير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته! حتّى قبضته إليك محمود النقيبة، طيّب العريكة، معروف المناقب، مشهور •المذاهب، لم تأخذه اللّهمّ فيك ١٩٤
لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته يا ربّ للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتّى قبضته إليك،، زاهداً في الدنيا، غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أمّا بعد؛ يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء! فإنّا أهل بيت ابتلانا الله

بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجّته على أهل الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته وفضّلنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله على كثير ممّن خلق تفضيلاً بيّناً، فكذّبتمونا، وكفّرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً، كأنّنا أولاد ترك أو كابل، كما قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت، لحقد متقدّم، قرّت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراء على الله ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين.

فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا،
١٩٥ فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من •قبل أن نبرأها، إنّ ذلك على الله يسير؛ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

تبّاً لكم، فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حلّ بكم، وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب، ويذيق بعضكم بأس بعض، ثمّ تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم! أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم؟! وأيّة نفس نزعت إلى قتالنا؟! أم بأيّة رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟! قست ـ والله ـ قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على أسماعكم وأبصاركم، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة، فأنتم لا تهتدون.

فتباً لكم يا أهل الكوفة! أيّ ترات لرسول الله صلى الله عليه وآله قبلكم، وذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام جدّي، وبنيه وعترة النبيّ الأخيار صلوات الله وسلامه عليهم؟! وافتخر بذلك مفتخركم فقال:

نَحنُ قَتَلنا عليّاً وبَني عَليّ ... بِسُيوفٍ هِندِيَّةٍ وَرِماحِ

١٩٦ •وَسَبَينا نِساءَهُم سَبيَ تُركٍ ... ونَطَحناهُم فَأَيَّ نِطاحِ

بفيك أيّها القائل الكَتَكتُ والأَثلَبُ، افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فاكظم واقعِ كما أقعى أبوك، فإنّما لكلّ امرء ما اكتسب وما قدّمت يداه، أحسدتمونا ـ ويلاً لكم ـ على ما فضلنا الله؟!

شعر:

فَما ذَنبُنا أن جاشَ دَهراً بُحورُنا وبَحرُك ساجٍ لا يُواري الدَّعامِصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

قال: وارتفعت الأصوات بالبكاء، وقالوا: حسبك يابنت الطيّبين، فقد أحرقتِ قلوبَنا، وأنضحتِ نحورنا، وأضرمتِ أجوافنا، فسكتت.

•قال: وخطبت أُمّ كلثوم ابنة عليّ عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلّتها، رافعة صوتها بالبكاء، فقالت: ١٩٧

يا أهل الكوفة، سوءاً لكم! مالكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه؟! فتبّاً لكم وسحقاً.

ويلكم! أتدرون أيّ دواه دهتكم؟ وأيّ وزر على ظهوركم حملتم؟ وأيّ دماء سفكتموها؟ وأيّ كريمة اهتضمتموها؟ وأيّ صبية سلبتموها؟ وأيّ أموال نهبتموها؟ قتلتم خير رجالات بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إنّ حزب الله هم الغالبون وحزب الشيطان هم الخاسرون.

ثمّ قالت:

قَتَلتُم أَخي صَبراً فَوَيلٌ لأُمِّكُم سَتُجزون ناراً حَرُّها يَتَوَقَّدُ
سَفَكتُم دِماءً حَرَّمَ اللهُ سَفكَها وحَرَّمَها القُرآنُ ثُمَّ مُحمَّدُ
أَلا فابشِروا بالنارِ إنَّكُم غَداً لَفي قَعرِ نارٍ حَرُّها يَتَصَعَّدُ
وإنّي لأَبكي في حَياتي عَلى أخي عَلى خَيرِ مَن بَعدَ النبِيِّ سَيولَدُ

بِـــدَمعٍ غَـــزيرٍ مُســـتَهَلٍّ مُكَـــفكَفٍ عـلى الخَـدِّ مـنّي دائبٌ لَـيس يَـحمَدُ

١٩٨ قال الراوي: فضجَّ الناس بالبكاء والنحيب والنوح، ونشر النساء شعورهنّ، وحثين الترابَ على رؤوسهنّ، وخمشن وجوههنّ، ولطمن خدودهنّ، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال ونتفوا لحاهم، فلم يُرَ باكية وباكٍ أكثر من ذلك اليوم.

ثمّ إنّ زين العابدين عليه السلام أومأ إلى الناس أن اسكتوا، فسكتوا، فقام قائماً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبيّ بما هو أهله فصلّى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس، مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بنفسي: أنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات من غير ذَحلٍ ولا تِرات، أنا ابن مَن انتُهك حريمُه وسُلب نعيمُه وانتُهب مالُه، وسُبي عيالُه، أنا ابن من قُتِلَ صبراً، وكفى بذلك فخراً.

أيّها الناس، ناشدتكم الله، هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه؟! فتباً لما قدّمتم لأنفسكم، وسوءاً لرأيكم، بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول لكم: قَتَلتُم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أُمّتي؟!

قال الراوي: فارتفعت أصوات الناس من كلّ ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال: رحم الله أمرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيّتي في الله وفي رسوله وأهل
١٩٩ بيته، فإنّ لنا في رسول الله أُسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلّنا يابن رسول الله سامعون مطيعون، حافظون لذمامك غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فأمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذنّ يزيد ونبرأ ممّن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: هيهات هيهات! أيّها الغدرة المكرة! حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى أبي من قبل؟! كلّا وربّ الراقصات، فإنّ الجرح

لمّا يندمل، قتل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكلُ رسول الله ﷺ وثكلُ أبي وبني أبي، ووجده بين لهواتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا.

ثمّ قال:

لا غَرو إن قُتِلَ الحُسَينُ وشَيخُهُ ... قَد كانَ خَيراً مِن حُسَينٍ وأكرَما

فَلا تَفرَحوا يا أَهلَ كوفانَ بالذي ... أَصابَ حُسَيناً كانَ ذَلِكَ أَعظَما

قَتيلٌ بِشَطِّ النَهرِ روحي فِداؤُهُ ... جَزاءُ الذي أرداه نارُ جَهَنَّما

ثمّ قال عليه السلام: رضينا منكم رأساً برأس، فلا يوم لنا ولا علينا.

قال الراوي: ثمّ إنّ ابن زياد جلس في القصر، وأذن إذناً عامّاً، وجيء برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه، وأدخل نساء الحسين وصبيانه إليه، •فجلست زينب ٢٠٠
ابنة عليٍّ متنكّرة، فسأل عنها، فقيل: هذه زينب ابنة عليّ.

فأقبل عليها وقال: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم!!! فقالت: إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

فقال ابن زياد: كيف رأيتِ صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، هبلتك أُمّك يابن مرجانة.

قال الراوي: فغضب وكأنه همّ بها، فقال له عمرو بن حريث: أيّها الأمير، إنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك!!!

فقالت: لعمري، لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت.

٢٠١ •فقال ابن زياد (لعنه الله): هذه سجّاعة، ولعمري، لقد كان أبوك شاعراً.

فقالت: يا بن زياد ما للمرأة والسجاعة؟!

ثمّ التفت ابن زياد (لعنه الله) إلى عليّ بن الحسين فقال: مَن هذا؟ فقيل: عليّ بن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟!

فقال له عليّعليه السلام: قد كان لي أخ يسمّى عليّ بن الحسين قتله الناس. فقال: بل الله قتله.

فقال عليعليه السلام: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

فقال ابن زياد: وَبك جرأة على جوابي؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه.

فسمعت به عمّته زينب، فقالت: يا بن زياد، إنّك لم تبقِ منّا أحداً، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه.

فقال عليّعليه السلام لعمّته: اسكتي يا عمّة حتّى أُكلمه، ثمّ أقبل إليه فقال: أ بالقتل تهدّدني يا بن زياد؟! أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة؟!.

٢٠٢ •ثمّ أمر ابن زياد بعليّ بن الحسينعليه السلام وأهل بيته، فحملوا إلى بيت في جنب المسجد الأعظم.

فقالت زينب ابنة عليّعليها السلام: لا يدخلنّ علينا عربية إلّا أُمّ ولد أو مملوكة، فإنّهنّ سبين كما سبينا.

ثمّ أمر ابن زياد برأس الحسينعليه السلام، فطيف به في سكك الكوفة.

ويحقّ لي أن أتمثّل هنا أبياتاً لبعض ذوي العقول، يرثي بها قتيلاً من آل الرسولصلى الله عليه وآله فقال:

رأسُ ابنِ بِنتِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيِّهِ ... لِلناظرينَ عَلى قَناةٍ يُرفَعُ

والمسلِمونَ بِمَنظَرٍ وَبِمَسمَعٍ ... لا مُنكِرٌ مِنهُمُ وَلا مُتَفَجِّعُ

كحلت بِمَنظَرِكَ العُيونُ عمايةً ... وأَصَمَّ رزؤك كُلَّ أُذنٍ تَسمَعُ

أَيقَظْتُ أَجفاناً وَكنت لها كرى وَأَنَمتَ عَيناً لَم تَكُن بِكَ تَهجَعُ
مـــا رَوضَـةٌ إلاّ تَـمَنَّت أَنَّـها لَكَ حُفرَةٌ ولِخَطِّ قَبرِكَ مَضجَعُ

قال الراوي: ثمّ إنّ ابن زياد (لعنه الله) صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال في بعض كلامه:

الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكـذّاب ابن الكذّاب!!!

فما زاد على هذا الكلام شيئاً، حتّى قام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي وكان من خيار الشيعة وزهّادها، وكانت عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل والأُخرى يـوم صفّين، وكان يلازم المسجد الأعظم فيصلّي فيه إلى الليل فقال: يا بن مرجانة، إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدوّ الله، أتـقتلون أولاد النبيّين وتتكلّمون بهذا الكلام على منابر المسلمين؟!

•قال الراوي: فغضب ابن زياد وقال: مَن هذا المتكلّم؟ ٢٠٣

فقال: أنا المتكلّم يا عدوّ الله، أتقتل الذرّيّة الطـاهرة التـي قـد أذهب الله عـنها الرجس، وتزعم أنّك على دين الإسلام؟! وا غوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار ينتقمون منك ومن طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمّد رسول ربّ العالمين؟

قال الراوي: فازداد غضب ابن زياد (لعنه الله)، حتّى انتفخت أوداجه وقال: عليَّ به، فتبادرت الجلاوزة من كلّ ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمّه، فخلّصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من بـاب المسـجد وانـطلقوا بـه إلى منزله.

فقال ابن زياد: اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأزد، أعمى الله قلبه كما أعمى عينه فأتوني به.

قال: فانطلقوا إليه، فلمّا بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قـبائل اليـمن ليمنعوا صاحبهم.

قال: وبلغ ذلك ابن زيَاد فجمع قبائل مضر وضمّهم إلى محمّد بن الأشعث وأمرهم بقتال القوم.

قال الراوي: فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتّى قتل بينهم جماعة من العرب.

٢٠٤ •قال: ووصل أصحاب ابن زياد (لعنه الله) إلى دار عبدالله بن عفيف، فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت ابنته: أتاك القوم من حيث تحذر.

فقال: لا عليك ناوليني سيفي، فناولته إيّاه، فجعل يذبّ عن نفسه ويقول:

أَنا ابنُ ذي الفَضلِ عَفيفِ الطاهِرِ عَفيفٌ شَيخي وَابنُ أُمِّ عامِرِ

كَم دارِعٍ مِن جَمعِكُم وَحاسِرِ وَبَطَلٍ جَدَّلتُهُ مُغاوِرِ

قال: وجعلت ابنته تقول: يا أبتِ، ليتني كنت رجلاً أُخاصم بين يديك هؤلاء القوم الفجرة، قاتلي العترة البررة.

قال: وجعل القوم يدورون عليه من كلّ جهة، وهو يذبّ عن نفسه وليس يقدر عليه أحد، وكلّما جاؤوه من جهة قالت: يا أبتِ، جاؤوك من جهة كذا، حتّى تكاثروا عليه وأحاطوا به، فقالت ابنته: واذلّاه! يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به. فجعل يدير سيفه ويقول:

أُقسِمُ لَو يُفسَحُ لي عَن بَصَري ضَاقَ عَلَيكُم مَورِدي وَمَصدَري

قال الراوي: فما زالوا به حتّى أخذوه، ثمّ حُمِلَ فأُدخل على ابن زياد، فلمّا رآه قال: الحمد لله الذي أخزاك!

٢٠٥ •فقال له عبدالله بن عفيف: يا عدوّ الله، بماذا أخزاني الله؟

واللهِ لَو يُفسَحُ لي عَن بَصَري ضَاق عَلَيكُم مَورِدي وَمَصدَري

فقال له ابن زياد: ماذا تقول يا عبدالله في أميرالمؤمنين عثمان بن عفان؟

فقال: يا عبد بني علاج، يا بن مرجانة ـ وشتمه ـ ما أنت وعثمان بن عفّان؟ أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد، والله تعالى وليّ خلقه، يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل

والحقّ، ولكن سلني عنك وعن أبيك، وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد: والله، لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصّة بعد غصّة.

فقال عبدالله بن عفيف: الحمد لله ربّ العالمين، أما أنّي قد كنت أسأل الله ربّي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أُمّك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلمّا كفّ بصري يئست من الشهادة، والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعرّفني الإجابة بمنّه في قديم دعائي.

٢٠٦ •فقال ابن زياد: اضربوا عنقه، فضربت عنقه وصلب في السبخة.

قال الراوي: وكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل الحسين وخبر أهل بيته، وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك.

فأمّا عمرو فحين وصله الخبر صعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم ذلك، فعظمت واعية بني هاشم، وأقاموا سنن المصائب والآمتم، وكانت زينب بنت عقيل بن أبي طالب تندب الحسين عليه السلام وتقول:

ماذا تَقولونَ إذ قَالَ النَبِيُّ لَكُم ... ماذا فَعَلتُم وأَنتُم آخِرُ الأُمَمِ

بِعِترَتي وَبِأَهلي بَعدَ مُفتَقَدِي ... مِنهُم أُسارى وَمِنهُم ضُرَّجوا بِدَمِ

ماكانَ هذا جَزائي إذ نَصَحتُ لَكُم ... أَن تَخلِفوني بِسوء في ذوي رَحِمي

٢٠٧ •قال: فلمّا جاء الليل سمع أهل المدينة هاتفاً ينادي ويقول:

أَيُّها القٰاتِلونَ ظُلماً حُسَيناً ... أبشِروا بالعَذابِ والتَنكيلِ

كُلُّ مَن في السماء يَبكي عَلَيه ... مَن نَبِيٍّ وشاهِدٍ وَرَسولِ

قَد لُعِنتُم عَلى لِسانِ ابنِ داودَ ... وَموسى وَصاحِبِ الإنجيلِ

وأمّا يزيد بن معاوية، فإنّه لمّا وصل إليه كتاب ابن زياد ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس مَن قتل معه، وبحمل أثقاله ونسائه وعياله.

فاستدعى ابن زياد بمحفر بن ثعلبة العائذي، فسلّم إليه الرؤوس والأُسارى والنساء، فسار بهم محفر إلى الشام كما يسار بسبايا الكفّار، يتصفّح وجوههنّ أهل الأقطار.

روى ابن لهيعة وغيره حديثاً أخذنا منه موضع الحاجة، قال: كنت أطوف بالبيت، فإذا أنا برجل يقول: اللّهمّ اغفر لي وما أراك فاعلاً.

٢٠٨ • فقلت له: يا عبدالله، اتّق الله ولا تقل مثل هذا، فإنّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمصار وورق الأشجار فاستغفرت الله غفرها لك، إنّه غفور رحيم.

قال: فقال لي: ادن منّي حتّى أُخبرك بقصّتي، فأتيته، فقال: اعلم أننا كنّا خمسين نفراً ممّن سار مع رأس الحسين إلى الشام، فكنّا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حول التابوت، فشرب أصحابي ليلة حتّى سكروا، ولم أشرب معهم، فلمّا جنّ الليل سمعت رعداً ورأيت برقاً، فإذا أبواب السماء قد فُتحت، ونزل آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل ونبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل من التابوت، فأخرج الرأس وضمّه إلى نفسه وقبّله، ثمّ كذلك فعل الأنبياء كلّهم، وبكى النبيّ صلى الله عليه وآله على رأس الحسين وعزّاه الأنبياء.

وقال له جبرئيل: يا محمّد، إنّ الله تعالى أمرني أن أُطيعك في أُمّتك، فإن أمرتني زلزلت الأرض بهم، وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا يا جبرئيل، فإنّ لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة.

ثمّ جاء الملائكة نحونا ليقتلونا، فقلت: الأمان يا رسول الله، فقال: اذهب، فلا غفر الله لك.

٢٠٩ • قال الراوي: وسار القوم برأس الحسين عليه السلام ونسائه والأسرى من رجاله، فلمّا قربوا من دمشق دنت أُمّ كلثوم من الشمر ـ وكان من جملتهم ـ فقالت: لي إليك حاجة، فقال: وما حاجتك؟

قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظّارة، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحّونا عنّا، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال!

فأمر في جواب سؤالها: أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً وسلك بهم بين النظّارة على تلك الصفة، حتّى أتى بهم إلى باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي.

وروي أنّ بعض التابعين لمّا شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلمّا وجدوه بعد إذ فقدوه سألوه عن سبب ذلك، فقال: •ألا ترون ما ٢١٠
نزل بنا، ثمّ أنشأ يقول:

جاؤوا بِرَأسِكَ يا بنَ بِنتَ مُحَمَّدٍ ... مُتَزَمِّلاً بِدِمائِهِ تَزميلا
وَكَأَنَّما بِكَ يا بن بِنتِ مُحَمَّدٍ ... قَتَلوا جِهاراً عامِدِينَ رَسولا
قَتَلوكَ عُطشاناً وَلَمّا يَرقَبوا ... في قَتلِكَ التَنزيلَ والتَأويلا
وَيُكَبِّرون بَأَن قُتلتَ وإِنَّما ... قَتَلوا بِكَ التَكبيرَ والتَهليلا

قال الراوي: جاء شيخ، فدنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم في ذلك الموضع وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم!!!

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال نعم.

قال: فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال له عليّ عليه السلام: نحن القربى يا شيخ، فهل قرأت في بني إسرائيل: •﴿وَءَاتِ ذَا ٢١١
ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟ فقال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن

شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ قال: نعم.

فقالعليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، وهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقالعليه السلام: نحن أهل البيت الذين خصّنا الله بآية الطهارةِ يا شيخ.

قال الراوي: بقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به، وقال: تالله، إنّكم هم؟!

فقال عليّ بن الحسينعليه السلام: تالله، إنّا لنحن هم من غير شكّ، وحقّ جدّنا رسول اللهصلى الله عليه وآله، إنّا لنحن هم.

قال: فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ إنّي
٢١٢ •أبرأ إليك من عدوّ آل محمّدصلى الله عليه وآله من الجنّ والإنس، ثمّ قال: هل لي من توبة؟

فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب.

فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقتل.

قال الراوي: ثمّ أُدخل ثقل الحسينعليه السلام ونساؤه ومَن تخلّف من أهله على يزيد، وهم مقرنون في الحبال، فلمّا وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال، قال له عليّ بن الحسينعليه السلام: أنشدُك الله يا يزيد، ما ظنّك برسول الله صلي الله عليه وآله لو رآنا على هذه الصفة؟! فأمر يزيد بالحبال فقطّعت.

ثمّ وضع رأس الحسينعليه السلام بين يديه، وأجلس النساء خلفه؛ لئلّا ينظرن إليه، فرآه عليّ بن الحسينعليه السلام فلم يأكل الرؤوس بعد ذلك أبداً.

وأمّا زينب، فإنّها لمّا رأته أهوت إلى جيبها فشقّته، ثمّ نادت بصوت حزين يقرح القلوب: يا حسيناه! يا حبيب رسول الله! يا بن مكّة ومنى! يا بن فاطمة الزهراء سيّدة النساء! يا بن بنت المصطفى!

قال الراوي: فأبكت والله كلّ من كان حاضراً في المجلس، ويزيد ساكت.

ثمّ جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد تندب الحسينعليه السلام وتنادي:

٢١٣ •يا حسيناه! يا حبيباه! يا سيّداه! يا سيّد أهل بيتاه! يا بن محمّداه! يا ربيع الأرامل واليتامى! يا قتيل أولاد الأدعياء!!

قال الراوي: فأبكت كلّ من سمعها.

قال: ثمّ دعا يزيد بقضيب خيزران، فجعل ينكث به ثنايا الحسين عليه السلام.

فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد! أتنكت بقضيبك ثغر الحسين عليه السلام ابن فاطمة؟! أشهد لقد رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، قتل الله قاتليكما ولعنه، وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً.

قال الراوي: فغضب يزيد وأمر بإخراجه، فأُخرج سحباً.

قال: وجعل يزيد (لعنه الله) يتمثّل بأبيات ابن الزبعري ويقول:

لَيتَ أَشياخي بِبَدرٍ شَهِدوا ... جَزَعَ الخَزرَجِ مِن وَقعِ الأَسَل

فَأَهلّوا وَاستَهَلّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قالوا: يا يَزيدُ لا تُشَل

قَد قَتَلنا القَرمَ مِن ساداتِهِم ... وَعَدَلناهُ بِبَدرٍ فاعتَدَل

٢١٤ •لَعِبَت هاشِمُ بِالمُلكِ فَلا ... خَبَرٌ جاءَ وَلا وَحي، نَزَل

لَستُ مِن خِندِفَ إِن لَم أَنتَقِم ... مِن بَني أَحمَدَ ما كان فَعَل

قال الراوي: فقامت زينب ابنة عليّ عليه السلام وقالت:

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا ٱلسُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾، أظننت يا يزيد حيث أخذتَ علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الإماء أنّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟! وأنّ ذلك لعظيم خطرك عنده؟! فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلاً مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأُمور متّسقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمهلاً

مهلاً، أنسيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَايَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟

٢١٥ أمن العدل ـ يا بن الطلقاء ـ تخديرك إماءك ونساءك وسوقك بنات رسول •الله سبايا، قد هتكتَ ستورهنّ، وأبديتَ وجوههنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن ّ أهل المنازل والمناهل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدنـيّ والشريف، ليس معهنّ من رجالهنّ وليّ، ولا من حماتهنّ حمي؟!

وكيف ترتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟!

وكيف يستظلّ في ظلمنا أهل البيت مَن نظر إلينا بالشنف[1] والشنآن والإحـن[2] والأضغان؟!

ثمّ تقول غير متأثّم ولا مستعظم:

فَـأَهَلّوا وَاسـتَهَلّوا فَـرَحاً ثُمَّ قالوا: يا يَزيدُ لا تُشَل

منتحياً على ثنايا أبي عبدالله صلى الله عليه وآله سيّد شباب أهل الجنّة تنكتها بمخصرتك.

وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرّيّة محمّد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطّلب؟! وتـهتف بـأشياخك، زعـمت أنّك تناديهم! فلتردنّ وشيكاً موردهم، ولتودنّ أنّك شللت وبكمت، ولم تكن قلت مـا
٢١٦ قلت •وفعلت ما فعلت.

اللّهمّ خذ بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دمـاءنا وقـتل حماتنا.

فوالله، ما فريت إلّا جلدك، ولاحززت إلّا لحمك، ولتردنّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيّته، وانتهكت من حُرمته في عترته ولُحمته، وحيث يجمع

---

١. الشَّنَفَ: البغض والتنكّر (الصحاح: ج ٤ ص ١٣٨٣ (شنف)).

٢. الإحَن: جمع إحنة، وهي الحقد (النهاية: ج ١ ص ٢٧ (أحن)).

الله شملهم ويلمّ شعثهم، ويأخذ بحقّهم ﴿وَلَاتَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتَاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمّدﷺ خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكنّك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيّكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباءبحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنضح من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناهبها العواسل[1] وتعفوها أُمّهات الفراعل[2]، ولئن اتّخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فإلى الله المشتكى، وعليه المعوّل.

٢١٧ •فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله، لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فندا[3]، وأيامك إلّا عددا، وجمعك إلّا بددا، يوم ينادي المناد: ألا لعنة الله على الظالمين.

فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد (لعنه الله):

يا صَيحَةً تُحمَدُ مِن صَوائِحِ ما أَهوَنَ المَوتَ عَلى النَوائِحِ

---

١. العواسل: جمع عاسل، وهو الذئب (الصحاح: ج ٥ ص ١٧٦٥ «عسل»).

٢. الفرعل: وَلَدُ الضبع (الصحاح: ج ٥ ص ١٧٩٠ «فرعل»).

٣. الفَنَد: الكذب أو ضعف الرأي (الصحاح: ج ٢ ص ٥٢٠ «فند»).

قال الراوي: ثمّ استشار أهل الشام فيما يصنع بهم، فقالوا: لا تتّخذ من كلب سوء جروا.

فقال له النعمان بن بشير: انظر ما كان الرسول يصنع بهم فاصنعه بهم.

ونظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة ابنة الحسين عليه السلام، فقال: يا أميرالمؤمنين، هب لي هذه الجارية.

فقالت فاطمة لعمّتها: يا عمّتاه أُيتمت وأُستخدم؟ فقالت زينب: لا، ولا كرامة لهذا الفاسق.

فقال الشامي: مَن هذه الجارية؟ فقال له يزيد (لعنه الله): هذه فاطمة ابنة الحسين، وتلك عمّتها زينب ابنة عليّ.

٢١٨ فقال الشامي: الحسين بن فاطمة وعليّ بن أبي طالب؟! •قال: نعم.

فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد، تقتل عترة نبيّك وتسبي ذرّيّته؟! والله، ما توهّمت إلّا أنّهم سبي الروم. فقال يزيد: والله، لألحقنّك بهم، ثمّ أمر به فضرب عنقه.

قال الراوي: ودعا يزيد (لعنه الله) بالخاطب، وأمره أن يصعد المنبر فيذمّ الحسين وأباه صلوات الله عليهما، فصعد، وبالغ في ذمّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والحسين الشهيد، والمدح لمعاوية ويزيد.

فصاح به عليّ بن الحسين عليه السلام: ويلك أيها الخاطب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار.

ولقد أحسن ابن سنان الخفاجي في وصف أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأولاده، حيث يقول:

أَعَلَى المَنابِرِ تعلنونَ بِسَبِّهِ ❦ وَبِسَيفِهِ نُصِبَت لَكُم أَعوادُها

قال الراوي: ووعد يزيد (لعنه الله) عليّ بن الحسين عليه السلام في ذلك اليوم أنّه يقضي له ثلاث حاجات.

ثمّ أمر بهم إلى منزل لا يكنّهم من حرّ ولا بردٍ، فأقاموا فيه حتّى تقشرّت وجوههم، وكانوا مدّة مقامهم في البلد المشار إليه ينوحون على الحسين عليه السلام.

٢١٩ •قالت سكينة: فلمّا كان في اليوم الرابع من مقامنا رأيت في المنام، وذكرت مناماً طويلاً تقول في آخره: ورأيت امرأة راكبة في هودج ويدها موضوعة على رأسها، فسألت عنها، فقيل لي: فاطمة ابنة محمّد أُمّ أبيك.

فقلت: والله، لأنطلقن إليها ولأخبرنّها ما صنع بنا، فسعيت مبادرة نحوها، حتّى لحقت بها ووقفت بين يديها أبكي وأقول: يا أُمّتاه جحدوا والله حقّنا، يا أُمّتاه بدّدوا والله شملنا، يا أُمّتاه استباحوا والله حريمنا، يا أُمّتاه قتلوا والله الحسين أبانا.

فقالت لي: كفّي صوتك يا سكينة، فقد قطّعت نياط قلبي، وأقرحت كبدي، هذا قميص أبيك الحسين لا يفارقني حتّى ألقى الله به.

وروى ابن لهيعة، عن أبي الأسود محمّد بن عبد الرحمن، قال: لقيني رأس الجالوت فقال: والله، إنّ بيني وبين داود عليه السلام سبعين أباً، وإنّ اليهود تلقاني فتعظّمني، وأنتم ليس بينكم وبين نبيّكم إلّا أب واحد قتلتم ولده؟!

وروي عن زين العابدين عليه السلام أنّه قال: لمّا أتوا برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد (لعنه الله) كان يتّخذ مجالس الشرب، ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه ٢٢٠ •ويشرب عليه.

فحضر ذات يوم في مجلسه رسول ملك الروم، وكان من أشراف الروم وعظمائهم، فقال: يا ملك العرب، هذا رأس مَن؟ فقال له يزيد: مالك ولهذا الرأس؟

فقال: إنّي إذا رجعت إلى مَلِكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته، فأحببت أن أخبره بقصّة هذا الرأس وصاحبه، حتّى يشاركك في الفرح والسرور.

فقال له يزيد (لعنه الله): هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب. فقال الرومي: ومَن أُمّه؟ فقال: فاطمة ابنة رسول الله.

فقال النصراني: أُفٍّ لكَ ولدينك، لي دين أحسن من دينك، إنّ أبي من حوافد داود عليه السلام، وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظّمونني ويأخذون من تراب أقدامي تبرّكاً بي بأنّي من حوافد داود عليه السلام، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيّكم، وليس بينه وبين نبيّكم إلّا أُمّ واحدة، فأيّ دين دينكم؟!!

ثمّ قال ليزيد: هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟ فقال له: قل حتّى أسمع.

٢٢١ فقال: إنّ بين عمان والصين بحر مسيره ستّة أشهر ليس فيها •عمران إلّا بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً، ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت، أشجارهم العود والعنبر، وهي في أيدي النصارى، لا ملك لأحد من الملوك فيها سواهم.

وفي تلك البلدة كنائس كثيرة، أعظمها كنيسة تسمّى كنيسة الحافر، في محرابها حقّة ذهب معلّقة، فيها حافر يقولون: إنّه حافر حمار كان يركبه عيسى، وقد زيّنوا حول الحقّة بالذهب والديباج، يقصدها في كلّ عام عالم من النصارى، ويطوفون حولها ويقبّلونها ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى عندها.

هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنّه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيّهم، وأنتم تقتلون ابن ابنة نبيّكم!! فلا بارك الله فيكم ولا في دينكم.

فقال يزيد: اقتلوا هذا النصراني لئلّا يفضحني في بلاده. فلمّا أحسّ النصراني بذلك، قال له: أتريد أن تقتلني؟ قال: نعم.

قال: اعلم أنّي رأيت البارحة نبيّكم في المنام يقول: يا نصراني أنت من أهل الجنّة، فتعجّبت من كلامه، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، ثمّ وَثَبَ إلى رأس الحسين عليه السلام، وضمّه إلى صدره، وجعل يقبله ويبكي حتّى قُتِلَ.

قال: وخرج زين العابدين عليه السلام يوماً يمشي في أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو، فقال: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟

•قال: أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. ٢٢٢

يا منهال، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً عربي، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشرّدون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ممّا أمسينا فيه يا منهال.

ولله درّ مهيار حيث يقول:

يُعَظِّمونَ لَهُ أَعوادَ مِنبَرِهِ ... وَتَحتَ أقدامِهِم أَولادُهُ وَضَعوا

بَأيِّ حُكمٍ بَنوهَ يَتبَعونَكُم ... وَفَخرُكُم أَنَّكُم صَحبٌ له تَبَعٌ

ودعا يزيد يوماً بعليّ بن الحسين عليه السلام وعمرو بن الحسن وكان عمرو صغيراً، يقال: إنّ عمره إحدى عشرة سنة •فقال له: أتصارع هذا، يعني ابنه خالداً؟ ٢٢٣

فقال له عمرو: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثمّ أُقاتله. فقال يزيد (لعنه الله):

شَنشَنَةٌ أَعرِفَها مِن أَخزَم ... هَل تَلِدُ الحَيَّةُ إلاّ الحَيَّةَ

وقال لعليّ بن الحسين عليه السلام: اذكر حاجاتك الثلاث التي وعدتك بقضائهنّ؟

فقال له: الأولى: أن تريني وجه سيّدي ومولاي الحسين، فأتزوّد منه وأنظر إليه وأُودّعه.

والثانية: أن تردّ علينا ما أُخذ منّا.

والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجّه مع هؤلاء النسوة من يردهنّ إلى حرم جدهنّ صلى الله عليه وآله.

فقال: أمّا وجه أبيك فلن تراه أبداً، وأمّا قتلك فقد عفوت عنك، وأمّا النساء فلا يردّهنّ إلى المدينة غيرك، وأمّا ما أُخذ منكم فإنّي أعوّضكم عنه أضعاف قيمته.

فقال عليه السلام: أمّا مالك فلا نريده، وهو موفّر عليك، وإنّما طلبت ما أُخذ منّا؛ لأنّ فيه

مغزل فاطمة بنت محمّد ومقنعتها وقلادتها وقميصها.

فأمر بردّ ذلك، وزاد عليه مئتي دينار، فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرّقها على الفقراء والمساكين.

٢٢٤ • ثمّ أمر بردّ الأُسارى وسبايا البتول إلى أوطانهم بمدينة الرسول.

وأمّا رأس الحسين عليه السلام، فروي أنّه أُعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف صلوات الله عليه، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه.

ورويت آثار كثيرة مختلفة غير ما ذكرناه تركناها؛ لئلّا نفسخ ما شرطناه من اختصار الكتاب.

قال الراوي: ولمّا رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق، قالوا للدليل: مرّ بنا على طريق كربلاء.

فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه؛ وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا الآمتم المقرحة للأكباد، واجتمعت إليهم نساء ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أيّاماً.

فروي عن أبي جناب الكلبي، قال: حدّثني الجصّاصون، قالوا: كنّا نخرج
٢٢٥ • إلى الجبّانة في الليل عند مقتل الحسين عليه السلام، فنسمع الجن ينوحون عليه فيقولون:

مَسَحَ الرَّسولُ جَبِينَهُ ... فَلَهُ بَريقٌ في الخُدودِ

أَبَواهُ مِن عَليا قُرَيشٍ ... جَدَّهُ خَيرُ الجُدودِ

قال الراوي: ثمّ انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة.

قال بشير بن حذلم: فلمّا قربنا منها نزل عليّ بن الحسين عليه السلام، فحطّ رحله، وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه.

وقال: يا بشر، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟. قلت:

بلى يا بن رسول الله إنّي لشاعر.

قال: فادخل المدينة وانعَ أبا عبدالله عليه السلام. قال بشر: فركبت فرسي وركضت حتّى دخلت المدينة، فلمّا بلغت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت أقول: ٢٢٦

يا أَهلَ يَثرِبَ لا مُقامَ لَكُم بِها ... قُتِلَ الحُسَينُ فَأَدمُعي مِدرارُ

الجِسمُ مِنهُ بِكَربَلاء مُضَرَّجٌ ... والرَأسُ مِنهُ عَلى القَناةِ يُدارُ

قال: ثمّ قلت: هذا عليّ بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أُعرّفكم مكانه.

قال: فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزن من خدورهنّ، مكشوفة شعورهنّ مخمّشة وجوههنّ، ضاربات خدودهنّ، يدعون بالويل والثبور، فلم أرَ باكياً ولا باكية أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وسمعت جارية تنوح على الحسين وتقول:

نَعَى سيِّدي ناعٍ نَعاهُ فَأَوجَعا ... فَأَمرَضَني ناعٍ نَعاه فَأفجَعا

أَعَينَيَّ جودا بالمَدامعِ واسكُبا ... وجَودا بِدَمعٍ بَعدَ دَمعِكُما معا

على مَن دَهَى عَرشَ الجَليلِ فَزَعزَعا ... وأَصبحَ أَنفُ الدينِ والمَجدِ أَجدَعا

عَلى ابنِ نَبِيِّ اللهِ وابنِ وَصِيِّهِ ٢٢٧ ... وَإِن كانَ عَنّا شاحطُ الدارِ أشسَعا

ثمّ قالت: أيّها الناعي، جدّدت حزننا بأبي عبدالله عليه السلام، وخدشت منّا قروحاً لمّا تندمل، فمن أنت يرحمك الله؟

قلت: أنا بشير بن حذلم وجّهني مولاي عليّ بن الحسين، وهو نازل موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبدالله الحسين عليه السلام ونسائه.

قال: فتركوني مكاني وبادروا، فضربت فرسي حتّى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطّيت رقاب الناس، حتّى قربت من باب الفسطاط، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام داخلاً، فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسي، فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة، فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، وحنين الجواري والنساء، والناس من كلّ ناحية يعزّونه، فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة. فأومأ بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم.

فقال عليه السلام: الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السموات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأُمور، وفجائع الدهور، وألم الفواجع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة، الكاظّة الفادحة الجائحة.

٢٢٨ •أيّها القوم، إنّ الله تعالى ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة: قتل أبو عبدالله صلى الله عليه وآله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها الناس، فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أيّة عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالها؟!

فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقرّبون وأهل السموات أجمعون!!!

أيّها الناس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الاسلام ولا يصمّ؟!

أيّها الناس، أصبحنا مطرودين، مشرّدين مذودين، شاسعين عن الأمصار، كأنّنا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، إن هذا إلّا اختلاق.

والله، لو أنّ النبيﷺ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لما
٢٢٩ •زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وأنّا إليه راجعون! من مصيبة ما أعظمها وأوجعها، وأفجعها وأكظّها، وأفظعها وأمرّها وأفدحها!! فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا، إنّه عزيز ذو انتقام.

قال الراوي: فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان ـ وكان زمناً ـ فاعتذر إليه صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجليه، فأجابه بقبول معذرته وحسن الظنّ به، وشكر له وترحّم على أبيه.

قال عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن ظاووس جامع هذا الكتاب: ثمّ إنّه صلوات الله عليه رحل إلى المدينة بأهله وعياله، نظر إلى منازل قومه ورجاله، فوجد تلك المنازل تنوح بلسان أحوالها، وتبوح بإعلان الدموع وإرسالها، لفقد حماتها ورجالها، وتندب عليهم ندب الثواكل، وتسأل عنهم أهل المناهل، وتهيج أحزانه على مصارع قتلاه، وتنادي لأجلهم: وا ثكلاه! وتقول:

يا قوم، أعينوني على النياحة والعويل، وساعدوني على المصاب الجليل، فإنّ القوم الذين أندب لفراقهم وأحنّ إلى كرم أخلاقهم، كانوا سمار ليلي ونهاري، وأنوار ظلمي وأسحاري، وأطناب شرفي وافتخاري، وأسباب قوّتي وانتصاري، والخلف من شموسي وأقماري.

٢٣٠ •كم ليلة شرّدوا بإكرامهم وحشتي، وشيّدوا بإنعامهم حرمتي، وأسمعوني مناجاة أسحارهم، وأمتعوني بإيداع أسرارهم؟! وكم يوم عمّروا ربعي بمحافلهم، وعطّروا طبعي بفضائلهم، وأورقوا عودي بماء عهودهم، وأذهبوا نحوسي بنماء سعودهم؟! وكم غرسوا لي من المناقب، وحرسوا محلّي من النوائب؟

وكم أصبحت بهم أتشرّف على المنازل والقصور، وأميس في ثوب الجذل والسرور؟ وكم أعاشوا في شعابي من أموات الدهور، وكم انتاشوا على أعتابي من رفات المحذور؟

فقصدني فيهم سهم الحمام، وحسدني عليهم حكم الأيّام، فأصبحوا غرباء بين الأعداء، وغرضاً لسهام الاعتداء، وأصبحت المكارم تقطع بقطع أناملهم، والمناقب تشكو لفقد شمائلهم، والمحاسن تزول بزوال أعضائهم، والأحكام تنوح لوحشة أرجائهم.

فيالله من ورع أُريق دمه في تلك الحروب، وكمال نكس علمه بتلك الخطوب!

ولئن عدمت مساعدة أهل المعقول، وخذلني عند المصاب جهل العقول، فإنّ لي مسعداً من السنن الدارسة والأعلام الطامسة، فإنّها تندب كندبي وتجد مثل وجدي وكربي.

فلو سمعتم كيف ينوح عليهم لسان حال الصلوات، ويحنّ إليهم إنسان
٢٣١ الخلوات، وتشتاقهم طويّة المكارم، وترتاح إليهم أندية الأكارم، وتبكيهم محاريب المساجد، وتناديهم ميازيب الفوائد، لشجاكم سماع تلك الواعية النازلة، وعرفتم تقصيركم في هذه المصيبة الشاملة.

بل، لو رأيتم وجدي وانكساري وخلوّ مجالسي وآثاري، لرأيتم ما يوجع قلب الصبور ويهيج أحزان الصدور، ولقد شمت بي من كان يحسدني من الديار، وظفرت بي أكفّ الأخطار.

فيا شوقاه إلى منزل سكنوه، ومنهل أقاموا عنده واستوطنوه، ليتني كنت إنساناً أقيهم حزّ السيوف، وأدفع عنهم حرّ الحتوف، وأحول بينهم وبين أهل الشنآن، وأردّ عنهم سهام العدوان.

وهلّا إذ فاتني شرف تلك المواساة الواجبة، كنت محلّاً لضمّ جسومهم الشاحبة، وأهلاً لحفظ شمائلهم من البلاء، ومصوناً من روعة هذا الهجر والقلاء.

فآه ثمّ آه، لو كنت مَخطَأً لتلك الأجساد ومحطّاً لنفوس أُولئك الأجواد، لبذلت في حفظها غاية المجهود، ووفيت لها بقديم العهود، وقضيت له بعض الحقوق الأوائل، ووقيتها جهدي من وقع تلك الجنادل وخدمتها خدمة العبد المطيع، وبذلت لها جهد المستطيع، وفرشت لتلك الخدود والأوصال فراش الإكرام والإجلال، وكنت أبلغ منيتي من اعتناقها، وأنور ظلمتي بإشراقها.

فيا شوقاه إلى تلك الأماني! ويا قلقاه لغيبة أهلي وسكّاني! فكلّ حنين يقصر عن حنيني، وكلّ دواء غيرهم لا يشفيني، وها أنا قد لبست لفقدهم أثواب •الأحزان، ٢٣٢
وأنست من بعدهم بجلباب الأشجان، ويئست أن يلمّ بي التجلّد والصبر، وقلت: يا سلوة الأيّام موعدك الحشر.

ولقد أحسن ابن قتّة (رحمة الله عليه)، وقد بكى على المنازل المشار إليها، فقال:

مَـرَرتُ عَـلى أَبـياتِ آلِ مُـحَمَّدٍ ... فَـلَم أَرَهـا أَمـثالَها يَـومَ حَـلَّتِ
فَـلا يُـبعِدُ اللهُ الدِيـارَ وأهـلَها ... وَإِن أَصبَحَت مِنهُمُ بِـرَغمي تَـخَلَّتِ
أَلا إِنَّ قَـتلى الطَـفِّ مِـن آلِ هـاشِمٍ ... أَذَلَّتْ رِقـابَ المُسـلِمينَ فَـذَلَّتِ
وَكـانوا غِـياثاً ثُـمّ أَضـحوا رَزِيّـةً ... لَـقَد عَـظُمَت تَـلكَ الرزايـا وَجَـلَّتِ
أَلم تَرَ أَنَّ الشَمسَ أَضـحَت مَـريضَةً ... لِـفَقدِ حُسَـينٍ والبِـلادِ اقشَـعَرَّتِ

فاسلك أيّها السامع بهذا المصاب مسلك القدوة من حملة الكتاب.

فقد روي عن مولانا زين العابدين عليه السلام ـ وهو ذو الحلم الذي لا يبلغ الوصف إليه ـ أنّه كان كثير البكاء لتلك البلوى، عظيم البثّ والشكوى.

فروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة، صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا حضره الإفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه، فيضعه بين يديه، فيقول: كُلْ يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرّر ذلك ويبكي حتّى يبل طعامه من دموعه، •ويمتزج شرابه ٢٣٣

منها، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجلّ.

وحدّث مولى له عليه السلام أنّه برز إلى الصحراء يوماً، قال: فتبعته، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، وأحصيت عليه ألف مرّة يقول: لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلّا الله تعبّداً ورقّا، لا إله إلّا الله إيماناً وصدقاً.

ثمّ رفع رأسه من سجوده، وأنّ لحيته ووجهه قد غُمِرا من الدموع، فقلت: يا مولاي، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ ولبكائك أن يقلّ؟

فقال لي: ويحك، إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم: كان نبيّاً ابن نبيّ ابن نبيّ له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله سبحانه واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغمّ والهمّ، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيّ في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقلّ بكائي؟!.

وها أنا أتمثّل وأشير إليهم صلوات الله وسلامه عليهم، فأقول:

مَن مخبرُ الملبسينا بانتزاحهم ... ثَوباً مِن الحُزنِ لا يَبلى ويَبلينا

إنّ الزمانَ الذي قَد كانَ يُضحِكُنا ... بِقُربِهِم صارَ بالتَفريقِ يُبكينا

حالَت لِفقدانِهِم أيّامُنا فَغَدَت ... سوداً وَكانَت بِهِم بيضاً لَياليا

وهاهنا منتهى ما أردناه وآخر ما قصدناه، ومن وقف على ترتيبه ورسمه، مع اختصاره وصغر حجمه، عرف تمييزه على أبناء جنسه، وفهم فضيلته في نفسه.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلاته وسلامه على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

الفصل الخامس

مَقْتَلُ سَيِّدِ الشُّهَداءِ بِرِوايَةِ كِتابِ الأَمالي لِلصَّدوقِ

الأمالي (أمالي الصدوق) لأبي جعفر لمحمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، من كبار محدّثي مدرستي الحديث القديمتين قمّ والريّ. وإن كلّ واحد من كتب الشيخ الصدوق رغم تنوّعها واتّساعها قليل النظير في مضماره، ولا تزال ذخراً ينتفع به الجميع.

وكتاب الأمالي كغيره من كتب الأمالي الأُخرى هو إملاء لمواضيع مختلفة في مجالس عديدة، أملاها في مجالسَ كان يعقدها يومي الثلاثة والجمعة من كلّ أُسبوع عام ٣٦٧ و ٣٦٨ للهجرة. هذا في غير العشرة الأُولى من محرّم عام ٣٦٨ هـ، حيث اضاف إليها يومي السبت والأحد الموافق للتاسع والعاشر من محرّم، بالإضافة إلى ذينك اليومين.

وقد كان الشيخ الصدوق ﷺ ينقل (ويملي) الأحاديث مع سلسلة سندها من كلا الفريقين الشيعة وأهل السنّة، فيقوم تلاميذه بتدوينها. وقد أدّى ذكر الإسناد إلى أن تتهيّأ الأرضيّة لنقد هذه الروايات.

ومواضيع هذه الأحاديث مختلفة، إلّا أنّ معظمها أخلاقي وتاريخي، وتشتمل المجالس ٢٧ إلى ٣١ على الروايات المتعلّقة بمقتل الإمام الحسين ﷺ، وعدد هذه الأحاديث ليس كثيراً، إلّا أنّها تَتمتّع بأهمّية خاصّة بسبب قِدَم الكتاب وقيمته.

وإليك فيما يلي احاديث المجالس الخمسة المذكورة[1] ماعدا الروايات التسعة التي لا ترتبط بالإمام الحسين عليه السلام.

١٨٩ • **المجلس السابع والعشرون، وهو يوم الجمعة غرّة المحرّم، سنة ثمان وستّين وثلاثمئة، أملاه [المصنّف] بعد رجوعه من مشهد الرضا عليه السلام.**

١٩٨ / ١ ـ حدّثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رحمه الله، قال: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، قال: حدّثنا أبي، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن نصر بن مُزاحم، عن عمر بن سعد، عن أرطاة بن حبيب، عن فُضيل الرسان، عن جبلة المكّية، قالت: سمعت ميثماً التمّار (قدس الله روحه) يقول: والله، لتقتلنّ هذه الأُمّة ابن نبيّها في المحرّم لعشر يمضين منه، وليتّخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإنّ ذلك لكائن، قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إليَّ مولاي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار، والطير في جوّ السماء، وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض، ومؤمنو الإنس والجنّ، وجميع ملائكة السماوات، ورضوان ومالك وحملة العرش، وتمطر السماء دماً ورماداً.

ثمّ قال: وجبت لعنة الله على قتلة الحسين عليه السلام، كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قالت جبلة: فقلت له: يا ميثم، وكيف يتّخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه
١٩٠ • الحسين بن عليّ عليهما السلام يوم بركة؟!

فبكى ميثم رحمه الله، ثمّ قال: سيزعمون بحديث يضعونه أنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام، وإنّما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي

---

١. الأمالي: ص ١٨٩ ـ ٢٣٢.

قبل الله فيه توبة داود عليه السلام، وإنّما قبل الله توبته في ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس عليه السلام من بطن الحوت، وإنّما أخرجه الله تعالى من بطن الحوت في ذي القعدة، ويزعمون أنّه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي، وإنّما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل، وإنّما كان ذلك في ربيع الأوّل.

ثمّ قال ميثم: يا جبلة، اعلمي أنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام سيّد الشهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة. يا جبلة، إذا نظرتِ إلى الشمس حمراء كأنّها دم عبيط، فاعلمي أنّ سيّدك الحسين قد قتل.

قالت جبلة: فخرجت ذات يوم، فرأيت الشمس على الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة، فصحت حينئذ وبكيت، وقلت: قد والله قُتِلَ سيّدنا الحسين بن عليّ عليهما السلام.

١٩٩ / ٢ ـ حدّثنا جعفر بن محمّد بن مسرور رحمه الله، قال: حدّثنا الحسين بن محمّد بن عامر، عن عمّه عبدالله بن عامر، عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنّ البكاء يحطّ
١٩١ •الذنوب العظام.

ثمّ قال عليه السلام: كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى يمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلوات الله عليه).

٢٠٠ / ٣ ـ حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، قال: حدّثنا أبي، عن جعفر بن محمّد بن مالك، قال: حدّثني محمّد بن الحسين بن زيد، قال: حدّثنا أبو أحمد محمّد بن زياد، قال: حدّثنا زياد بن المنذر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: قال عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنّك لتحبّ عقيلاً؟ قال: إي والله، إنّي لأُحبّه حبّين: حبّاً له، وحبّاً لحبّ أبي طالب له، وإنّ ولده لمقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون. ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى جرت دموعه على صدره، ثمّ قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

٢٠١ / ٤ ـ حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق رحمه الله، قال: أخبرنا أحمد بن محمّد الهمداني، عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال: مَن ترك السعي في حوائجه يوم عاشورا قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومَن كان يوم عاشورا يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه، ومن سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد (لعنهم الله) إلى أسفل درك من النار.

• ٢٠٢ / ٥ ـ حدّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه رحمه الله، قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريّان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم، فقال لي: يا بن شبيب، أصائم أنت؟ فقلت: لا، فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام ربّه عزّ وجلّ، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ﴾ فاستجاب الله له، وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلّي في المحراب: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ فمن صام هذا اليوم، ثمّ دعا الله عزّ وجلّ استجاب الله له، كما استجاب لزكريا عليه السلام. ١٩٢

ثمّ قال: يا بن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة شهرها ولا حرمة

نبيّها ﷺ، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشيء، فابكِ للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شُعَّث غُبّر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين.

يا بن شبيب، لقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام: أنّه لمّا قتل جدّي الحسين (صلوات الله عليه) مطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتّى تصير دموعك على خدّيك غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا بن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله عزّ وجلّ ولا ذنب عليك، فزر •الحسين عليه السلام. ١٩٣

يا بن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النبيّ وآله (صلوات الله عليهم) فالعن قتلة الحسين.

يا بن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا بن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

٢٠٣ / ٦ حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن نصر بن مزاحم المنقري، عن عمر بن سعد، عن أبي شعيب التغلبي، عن يحيى بن يمان، عن إمام لبني سليم، عن أشياخ لهم، قالوا:

غزونا بلاد الروم، فدخلنا كنيسة من كنائسهم، فوجدنا فيها مكتوباً:

أَيرجو مَعشَرٌ قَتَلُوا حسيناً شفاعةَ جدِّهِ يَومَ الحِسابِ

قالوا: فسألنا منذ كم هذا في كنيستكم؟ فقالوا: قبل أن يبعث نبيّكم بثلاثمئة عام.

٢٠٤ / ٧ ـ حدّثنا عليّ بن أحمد بن موسى الدقّاق رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام، قال: كان للحسين بن عليّ عليهما السلام خاتمان، نقش أحدهما: لا إله إلّا الله، عُدَّةٌ للقاء الله. ونقش الآخر: إنّ الله بالغ أمره. وكان نقش خاتم عليّ بن •الحسين عليهما السلام: خزي وشقي قاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام. ١٩٤

٢٠٥ / ٨ ـ حدّثنا جعفر بن محمّد بن مسرور رحمه الله، قال: حدّثنا الحسين بن محمّد بن عامر، عن عمّه عبدالله بن عامر، عن ابن أبي عمير، عن حمزة بن حمران، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) أنّه جاء إليه رجل، فقال له: يا أبا الحسن، إنّك تُدعى أمير المؤمنين، فمن أَمَّرَكَ عليهم؟ قال عليه السلام: الله جلّ جلاله أَمَّرَني عليهم.

فجاء الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أيصدق عليّ فيما يقول: إنّ الله أَمَّرَهُ على خلقه؟ فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: إنّ عليّاً أمير المؤمنين بولاية من الله عزّ وجلّ، عقدها له فوق عرشه، وأشهد على ذلك ملائكته، إنّ عليّاً خليفة الله، وحجّة الله، وإنّه لإمام المسلمين، طاعته مقرونة بطاعة الله، ومعصيته مقرونة بمعصية الله، فمن جهله فقد جهلني، ومن عرفه فقد عرفني، ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوّتي، ومن جحد إمرته فقد جحد رسالتي، ومن دفع فضله فقد تنقّصني، ومن قاتله فقد قاتلني، ومن سبّه فقد سبّني؛ لأنّه منّي، خلق من طينتي، وهو زوج فاطمة ابنتي، وأبو وَلَدَيَّ الحسن والحسين.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج

الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله، وأولياؤنا أولياء الله.

١٩٥ •**[٢٨] المجلس الثامن والعشرون، وهو يوم الثلاثاء الخامس من المحرّم، سنة ثمان وستين وثلاثمئة بعد منصرفه من مشهد الرضا عليه السلام**

٢٠٧ / ١ ـ حدّثنا الشيخ الفقيه أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي رحمه الله، قال: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا عليّ بن موسى بن جعفر بن أبي جعفر الكمنداني، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن جعفر بن محمّد الكوفي، عن عبيد الله السمين، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله، لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلّا أنبأتكم به. فقام إليه سعد بن أبي وقّاص، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: أما والله، لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلّا وفي أصلها شيطان جالس، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني. وعمر بن سعد •يومئذ يدرج بين ١٩٦ يديه.

٢٠٨ / ٢ ـ حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدثنا أحمد بن إدريس ومحمّد بن يحيى العطّار جميعاً، عن محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، قال: حدّثنا أبو عبدالله الرازي، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن سيف بن عميرة، عن محمّد بن عتبة، عن محمّد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذا التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يُبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي ممّا يصنع بكم بعدي! فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن! ولطم فاطمة خدّها! وطعنة الحسن في الفخذ، والسمّ الذي يسقى! وقتل الحسين!!

قال: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلت: يا رسول الله، ما خلقنا ربّنا إلّا للبلاء؟!

قال: ابشر يا عليّ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد عهد إليّ أنّه لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق.

٢٠٩ / ٣ ـ حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ السكري، قال: حدّثنا محمّد بن زكريا، قال: حدّثنا العبّاس بن بكّار، قال: حدّثنا حرب بن ميمون، عن أبي حمزة الثمالي، عن زيد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: لمّا ولدت فاطمة الحسن عليه السلام، قالت لعليّ عليه السلام: سمّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فأُخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفّوه في خرقة صفراء؟! ثمّ رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها، ثمّ قال لعليّ عليه السلام: هل سمّيته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه، فقال صلى الله عليه وآله: وما كنت لأسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ.

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل أنّه قد ولد لمحمّد ابن، فاهبط واقرئه السلام وهنّئه، وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون.

١٩٧ • فهبط جبرئيل عليه السلام فهنّأه من الله عزّ وجلّ، ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون، قال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر، قال: لساني عربي؟ قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن.

فلمّا ولد الحسين عليه السلام أوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل أنّه قد ولد لمحمّد ابن، فاهبط إليه وهنّئه، وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون.

قال: فهبط جبرئيل فهنّأه من الله تبارك وتعالى، ثمّ قال: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون، قال: وما اسمه؟ قال: شبير، قال: لساني عربي؟ قال: سمّه الحسين، فسمّاه الحسين.

٢١٠ / ٤ ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن حمّاد بن عيسى، قال: حدّثنا

الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام، قال: قال جابر بن عبدالله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: سلام الله عليك أبا الريحانتين، أُوصيك بريحانتيَّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك، والله خليفتي عليك. فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليّ عليه السلام: هذا أحد ركنيَّ الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا ماتت فاطمة عليها السلام قال عليّ عليه السلام: هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢١١ / ٥ ـ حدّثنا أحمد بن الحسن المعروف بأبي عليّ بن عبدويه، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ السكري، قال: حدّثنا محمّد بن زكريا الجوهري، قال: حدّثنا العبّاس بن بكّار، قال: حدّثني الحسين بن يزيد، عن عمر بن عليّ بن الحسين، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت أبي بكر، عن صفيّة بنت عبد المطّلب، قالت: لمّا سقط الحسين عليه السلام من بطن أُمّه ـ وكُنتُ وَلَيتُها ـ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عمّة، هلمّي إليَّ ابني، فقلت: يا رسول الله، إنّا لم ننظّفه بعد، فقال صلى الله عليه وآله: يا عمّة، أنت تنظّفينه؟! إنّ الله تبارك وتعالى قد نظّفه وطهّره. ١٩٨

٢١٢ / ٦ قال: وحدّثنا أحمد بن الحسن بهذا الإسناد، عن صفّية بنت عبد المطّلب، قالت: لمّا سقط الحسين عليه السلام من بطن أُمّه، فدفعته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فوضع النبيّ لسانه في فيه، وأقبل الحسين على لسان رسول الله يمصّه، فما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلّا لبناً أو عسلاً. قالت: فبال الحسين عليه السلام، فقبّل النبيّ بين عينيه، ثمّ دفعه إليَّ، وهو يبكي ويقول: لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بني، يقولها ثلاثاً، قالت، فقلت: فداك أبي وأُمّي، ومَن يقتله؟ قال: بقيّة الفئة الباغية من بني أُميّة (لعنهم الله).

٢١٣ / ٧ ـ حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ السكري، قال: حدّثنا محمّد بن زكريا، قال: حدّثنا قيس بن حفص الدارمي، قال: حدّثني حسين الأشقر، قال: حدّثنا منصور بن أبي الأسود، عن أبي حسّان التيمي، عن نشيط بن عبيد، عن رجل منهم، عن جرداء بنت سمين، عن زوجها هرثمة بن أبي مسلم، قال: غزونا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام صفّين، فلمّا انصرفنا نزل كربلاء

فصلّى بها الغداة، ثمّ رفع إليه من تربتها فشمّها، ثمّ قال: واهاً لَكِ أيّتها التربة، ليحشرنَّ منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب. فرجع هرثمة إلى زوجته، وكانت شيعة لعليّ عليه السلام فقال: ألا أُحدّثك عن وليّك أبي الحسن؟ نزل بكربلا فصلّى، ثمّ رفع إليه من تربتها، وقال: واهاً لك أيّتها التربة! ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب! قالت: أيّها الرجل، فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلّا حقاً.

١٩٩ فلمّا قدم الحسين عليه السلام قال هرثمة: كنت في البعث الذين بعثهم عبيد الله بن زياد، فلمّا رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث، فجلست على بعيري، ثمّ صرت إلى الحسين عليه السلام، فسلّمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام، فقال: معنا أنتَ أم علينا؟ فقلت: لا معك ولا عليك، خلّفتُ صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد. قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً، ولا تسمع لنا صوتاً، فوالذي نفس الحسين بيده، لا يسمع اليوم واعيتنا أحَدٌ فلا يعيننا إلّا كبّه الله لوجهه في جهنّم.

٢١٤ / ٨ ـ حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، قال: حدّثنا أبي، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن الحكم بن مسكين الثقفي، عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أبو عبدالله الحسين بن عليّ عليهما السلام: أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلّا استعبر.

٢١٥ / ٩ ـ حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى العطار رحمه الله، قال: حدّثنا أبي، عن محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، قال: حدّثنا موسى بن عمر، عن عبدالله بن صباح المزني، عن إبراهيم بن شعيب الميثمي، قال: سمعت الصادق أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام لمّا ولد أمر الله عزّ وجلّ جبرئيل أن يهبط في ألف من الملائكة، فيهنّئ رسول الله صلى الله عليه وآله من الله ومن جبرئيل.

قال: فهبط جبرئيل، فمرّ على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له: فطرس، كان من الحملة، بعثه الله عزّ وجلّ في شيء فأبطأ عليه، فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة،

فعبدالله تبارك وتعالى فيها سبعمئة عام حتّى ولد الحسين بن عليّ عليه السلام، فقال الملك لجبرئيل: يا جبرئيل، أين تريد؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ أنعم على محمّد بنعمة، فبعثت أُهنّئه من الله ومنّي، فقال: يا جبرئيل، احملني معك •لعلّ محمّداً صلى الله عليه وآله يدعو لي. ٢٠٠

قال: فحمله، قال: فلمّا دخل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله هنّأه من الله عزّ وجلّ ومنه، وأخبره بحال فطرس، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: قل له: تمسّح بهذا المولود وعد إلى مكانك، قال: فتمسّح فطرس بالحسين بن عليّ عليه السلام وارتفع، فقال: يا رسول الله، أما إنّ أُمّتك ستقتله، وله عليَّ مكافأة، ألّا يزوره زائر إلّا أبلغته عنه، ولا يسلّم عليه مسلّم إلا أبلغته سلامه، ولا يصلّي عليه مصلّ إلّا أبلغته صلاته، ثمّ ارتفع.

٢٠١ **•[٢٩] المجلس التاسع والعشرون، مجلس يوم الجمعة الثامن من المحرّم، سنة ثمان وستّين وثلاثمئة**

٢١٧ / ١ ـ حدّثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمّي رحمه الله، قال: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، قال: حدّثنا أحمد بن أبي عبدالله البرقي، عن أبيه محمّد بن خالد، عن أبي البختري وهب بن وهب، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن أُمّ سلمة (رضي الله عنها)، أنّها أصبحت يوماً تبكي، فقيل لها: مالَكِ؟ فقالت: لقد قتل ابني الحسين عليه السلام، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ مات إلّا الليلة، فقلت: بأبي أنت وأُمّي، ما لي أراك شاحباً! فقال: لم أزل منذ الليلة أحفر قبر الحسين وقبور أصحابه.

٢١٨ / ٢ ـ حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، قالت: ما سمعت نوح الجنّ منذ قبض النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا الليلة، ولا

٢٠٢ أراني إلّا وقد أُصبت بابني. •قالت: وجاءت الجنّية منهم تقول:

أَلا يـا عَـينُ فـانهَمِلي بـجهد فَمَن يبكي على الشهداءِ بَعدي

عـلى رَهـطٍ تَـقودُهُم المَـنايا إلى مُـتَجَبِّرٍ فـي مـلكِ عـبدِ

٢١٩ / ٣ ـ حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا حبيب بن الحسين التغلبي، قال: حدّثنا عبّاد بن يعقوب، عن عمرو بن ثابت، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله في بيت أُمّ سلمة (رضي الله عنها)، فقال لها: لا يدخل عليَّ أحد، فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتّى دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله، فدخلت أُمّ سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبيّ صلى الله عليه وآله يبكي، وإذا في يده شيء يقلّبه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا أُمّ سلمة، إنّ هذا جبرئيل يخبرني أنّ هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي.

فقالت أُمّ سلمة: يا رسول الله، سَلِ الله أن يدفع ذلك عنه.

قال: قد فعلت، فأوحى الله عزّ وجلّ إليَّ: أنَّ له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأنّ له شيعة يشفعون فيشفَّعون، وأنّ المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة.

٢٢٠ / ٤ ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عمر بن حفص، عن زياد بن المنذر، عن سالم بن أبي جعدة، قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إنّ في كتابنا: أنّ رجلاً من ولد محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله يقتل، ولا يجفّ عرق دوابّ أصحابه حتّى يدخلوا الجنّة، فيعانقوا الحور العين، فمرّ بنا الحسن عليه السلام، فقلنا:

٢٠٣ هو هذا؟ •قال: لا. فمرّ بنا الحسين عليه السلام، فقلنا: هو هذا؟ قال: نعم.

٢٢١ / ٥ ـ حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، قال: حدّثنا العبّاس بن معروف، عن محمّد بن سهل البحراني، رفعه إلى أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: البكّاءون خمسة:

آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّدﷺ، وعليّ بن الحسين؟ فأما آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال الأودية.

وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره، وحتّى قيل له: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السجن، فقالوا: إمّا أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، وإمّا أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما.

وأمّا فاطمة بنت محمّد فبكت على رسول اللهﷺ حتّى تأذّى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتّى تقضي حاجتها، ثمّ تنصرف.

وأمّا عليّ بن الحسين فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين! قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله مالا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني لذلك عبرة.

٢٠٤ • ٢٢٢ / ٦ ـ حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا أبي محمّد بن يحيى، قال: حدّثنا محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن عليّ بن المغيرة، عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبدالله، قال: قال لي: يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين بن عليّ، قال: فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فوالله، ما زلت أنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدار، قال: فقال لي: يا أبا عمارة، مَن أنشد في الحسين بن عليّ فأبكى خمسين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله

الجنّة، ومن أنشد في الحسين فبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنّة.

٢٢٣ / ٧ ـ حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن عليّ بن حسّان الواسطي، عن عمّه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، عن داود بن كثير الرقّي، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ استسقى الماء، فلمّا شربه رأيته وقد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثمّ قال: يا داود، لعن الله قاتل الحسين، فما أنغص ذكر الحسين للعيش! إنّي ما شربت ماءً بارداً إلّا وذكرت الحسين، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلّا كتب الله له مئة ألف حسنة، ومحا عنه مئة ألف سيّئة، ورفع له مئة ألف درجة، وكان كأنّما أعتق مئة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه.

٢٠٥ • ٢٢٤ / ٨ ـ حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد الأهوازي، عن القاسم بن محمّد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن هارون بن خارجة، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: وَكَلَ الله عزّ وجلّ بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة، فمن زاره عارفاً بحقّه شيّعوه حتّى يبلغوه مأمنه، وإن مرض عادوه غدوة وعشيّاً، وإن مات شهدوا جنازته، واستغفروا له إلى يوم القيامة.

٢٢٥ / ٩ ـ حدّثنا محمّد بن الحسن، قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن عليّ بن إسماعيل، عن محمّد بن عمرو الزيّات، عن فائد الحنّاط، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: مَن زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

٢٢٦ / ١٠ ـ حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، قال: حدّثنا أحمد بن أبي عبدالله البرقي، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر محمّد بن

عليّ عليه السلام، قال: مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن عليّ عليهما السلام؛ فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ.

٢٢٧ / ١١ ـ حدّثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن بشير الدهّان، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ربما فاتني الحجّ فأُعَرِّفُ عند قبر الحسين. قال: أحسنت يا بشير، أيّما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه في •غير يوم عيد كتبت ٢٠٦
له عشرون حجّة وعشرون عمرة مبرورات متقبّلات وعشرون غزوة مع نبيّ مرسل أو إمام عادل، ومَن أتاه في يوم عيد كتبت له مئة حجّة ومئة عمرة ومئة غزوة مع نبيّ مرسل أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عرفة عارفاً بحقّه كتبت له ألف حجّة وألف عمرة مبرورات متقبّلات وألف غزوة مع نبيّ مرسل أو إمام عادل.

قال: فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف؟ قال: فنظر إليَّ شبه المغضب، ثمّ قال: يا بشير، إنّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل بالفرات، ثمّ توجّه إليه، كتب الله عزّ وجلّ له بكلّ خطوة حجّة بمناسكها، ولا أعلمه إلّا قال: وغزوة.

٢٢٨ / ١٢ ـ حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ السكري، عن محمّد بن زكريا الجوهري، قال: حدّثنا ابن عائشة والحكم والعبّاس، قالوا: حدّثنا مهدي بن ميمون، عن محمّد بن عبدالله بن أبي يعقوب، عن ابن أبي نعم قال: شهدت ابن عمر، وأتاه رجل فسأله عن دم البعوضة، فقال: ممّن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوضة، وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله! وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّهما ريحانتيَّ من الدنيا، يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

٢٢٩ / ١٣ ـ حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن ابن أبي نجران، عن

المثنّى، عن محمّد بن مسلم، قال: سألت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام عن خاتم الحسين بن عليّ عليه السلام إلى مَن صار؟ وذكرت له أنّي سمعت أنّه أُخذ من إصبعه فيما
٢٠٧ أُخذ. قال عليه السلام: ليس كما قالوا، إنّ الحسين عليه السلام أوصى إلى ابنه •عليّ بن الحسين عليه السلام، وجعل خاتمه في إصبعه، وفوّض إليه أمره، كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليه السلام، وفعله أمير المؤمنين بالحسن عليه السلام، وفعله الحسن بالحسين عليه السلام، ثمّ صار ذلك الخاتم إلى أبي عليه السلام بعد أبيه، ومنه صار إليَّ، فهو عندي وإنّي لألبسه كلّ جمعة وأُصلّي فيه. قال محمّد بن مسلم: فدخلت إليه يوم الجمعة وهو يصلّي، فلمّا فرغ من الصلاة مدّ إليَّ يده، فرأيت في إصبعه خاتماً نقشه: لا إله إلّا الله عُدَّةٌ للقاء الله، فقال: هذا خاتم جدّي أبي عبدالله الحسين بن عليّ عليه السلام.

٢٣٠ / ١٤ ـ حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن يزيد النوفلي، عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يقف عند طلوع كلّ فجر على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام، فيقول: الحمد لله المحسن المجمل، المنعم المفضل، الذي بنعمته تتمّ الصالحات، سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه عندنا، نعوذ بالله من النار، نعوذ بالله من صباح النار، نعوذ بالله من مساء النار، الصلاة يا أهل البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

٢٣١ / ١٥ ـ حدّثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، قال: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، قال: حدثنا أحمد وعبدالله ابنا محمّد بن عيسى، ومحمّد بن الحسين، عن الحسن بن
٢٠٨ •محبوب، عن محمّد بن القاسم النوفلي، قال: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: المؤمن يرى الرؤيا فتكون كما رآها، وربما رأى الرؤيا فلا تكون شيئاً؟ فقال: إنّ المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء، فكلّ ما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير فهو الحقّ، وكلّ ما رآه في الأرض

فهو أضغاث أحلام.

فقلت له: أو تصعد روح إلى السماء؟ قال: نعم. قلت: حتّى لا يبقى منها شيء في بدنه؟ فقال: لا، لو خرجت كلّها حتّى لا يبقى منها شيء، إذن لمات.

قلت: فكيف تخرج؟ فقال: أما ترى الشمس في السماء في موضعها وضوؤها وشعاعها في الأرض، فكذلك الروح أصلها في البدن وحركتها ممدودة إلى السماء.

٢٠٩ •**[٣٠] المجلس الثلاثون، مجلس يوم السبت التاسع من المحرّم، سنة ثمان وستّين وثلاثمئة، وهو مقتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام**

٢٣٩ / ١ ـ حدّثنا الشيخ الجليل الفاضل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن عمر البغدادي الحافظ رحمه الله، قال: حدّثنا أبو سعيد الحسن بن عثمان بن زياد التستري من كتابه، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبيد الله بن موسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي قاضي بلخ، قال: حدّثتني مريسة بنت موسى بن يونس بن أبي إسحاق وكانت عمّتي قالت: حدّثتني صفيّة بنت يونس بن أبي إسحاق الهمدانية وكانت عمّتي قالت: حدّثتني بهجة بنت الحارث بن عبدالله التغلبي، عن خالها عبدالله بن منصور وكان رضيعاً لبعض ولد زيد بن عليّ عليه السلام، قال: سألت جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام، فقلت: حدّثني عن مقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: حدّثني أبي، عن أبيه، قال: لمّا حضرت معاوية الوفاة دعا ابنه يزيد (لعنه الله) فأجلسه بين يديه، فقال له: يا بنيَّ، إنّي قد ذلّلت لك الرقاب الصعاب، ووطّدت لك البلاد، وجعلت الملك وما فيه لك طعمة، وإنّي أخشى عليك من ثلاثة نفر يخالفون عليك بجهدهم، وهم: عبدالله بن عمر بن الخطّاب، وعبدالله بن الزبير، والحسين بن عليّ؛ فأمّا عبدالله بن عمر فهو معك فالزمه ولا تدعه.

٢١٠ وأمّا عبدالله بن الزبير فقطّعه إن ظفرت •به إرباً إرباً، فإنّه يجثو لك كما يجثو الأسد لفريسته، ويواربك مواربة الثعلب للكلب.

وأمّا الحسين فقد عرفت حظّه من رسول الله، وهو من لحم رسول الله ودمه، وقد علمت لا محالة أنّ أهل العراق سيخرجونه إليهم، ثمّ يخذلونه ويضيّعونه، فإن ظفرت به فاعرف حقّه ومنزلته من رسول الله، ولا تؤاخذه بفعله، ومع ذلك فإنّ لنا به خلطة ورحماً، وإيّاك أن تناله بسوء، أو يرى منك مكروهاً.

قال: فلمّا هلك معاوية، وتولّى الأمر بعده يزيد (لعنه الله)، بعث عامله على مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو عمّه عتبة بن أبي سفيان، فقدّم المدينة وعليها مروان بن الحكم، وكان عامل معاوية، فأقامه عتبة من مكانه وجلس فيه، لينفّذ فيه أمر يزيد، فهرب مروان فلم يقدر عليه، وبعث عتبة إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام، فقال: إنّ أمير المؤمنين أمرك أن تبايع له.

فقال الحسين عليه السلام: يا عتبة، قد علمت أنّا أهل بيت الكرامة، ومعدن الرسالة، وأعلام الحقّ الذي أودعه الله عزّ وجلّ قلوبنا، وأنطق به ألسنتنا، فنطقت بإذن الله عزّ وجلّ، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الخلافة محرّمة على ولد أبي سفيان، وكيف أُبايع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله هذا؟!

فلمّا سمع عتبة ذلك دعا الكاتب وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبدالله يزيد أمير المؤمنين، من عتبة بن أبي سفيان، أمّا بعد؛ فإنّ الحسين بن عليّ ليس يرى لك خلافة ولا بيعة، فرأيك في أمره والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على يزيد (لعنه الله) كتب الجواب إلى عتبة: أمّا بعد؛ فإذا أتاك كتابي هذا فعجّل عليَّ بجوابه وبيّن لي في كتابك كلّ مَن في طاعتي، أو خرج عنها، وليكن مع الجواب رأس الحسين بن عليّ.

فبلغ ذلك الحسين عليه السلام، فهمّ بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق، فلمّا أقبل الليل راح إلى مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ليودّع القبر، فلمّا وصل إلى القبر •سطع له نور من القبر فعاد إلى موضعه، فلمّا كانت الليلة الثانية راح ليودّع القبر، فقام يصلّي ٢١١

فأطال، فنعس وهو ساجد، فجاءه النبيّ ﷺ وهو في منامه، فأخذ الحسين عليه السلام وضمّه إلى صدره، وجعل يقبّل بين عينيه، ويقول: بأبي أنت، كأنّي أراك مرمّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأُمّة، يرجون شفاعتي، مالهم عند الله من خلاق، يا بنيّ، إنّك قادم على أبيك وأُمّك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجنّة درجات لا تنالها إلّا بالشهادة.

فانتبه الحسين عليه السلام من نومه باكياً، فأتى أهل بيته، فأخبرهم بالرؤيا وودّعهم، وحمل أخواته على المحامل وابنته وابن أخيه القاسم بن الحسن بن عليّ عليهما السلام، ثمّ سار في أحد وعشرين رجلاً من أصحابه وأهل بيته، منهم: أبو بكر بن عليّ، ومحمّد بن عليّ، وعثمان بن عليّ، والعبّاس بن عليّ، وعبدالله بن مسلم بن عقيل، وعليّ بن الحسين الأكبر، وعليّ بن الحسين الأصغر.

وسمع عبدالله بن عمر بخروجه، فقدّم راحلته، وخرج خلفه مسرعاً، فأدركه في بعض المنازل، فقال: أين تريد يا بن رسول الله؟ قال: العراق، قال: مهلاً ارجع إلى حرم جدّك. فأبى الحسين عليه السلام عليه، فلمّا رأى ابن عمر إباءه قال: يا أبا عبدالله، اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله ﷺ يقبّله منك، فكشف الحسين عليه السلام عن سرّته، فقبّلها ابن عمر ثلاثاً وبكى، وقال: أستودعك الله يا أبا عبدالله، فإنّك مقتول في وجهك هذا.

فسار الحسين عليه السلام وأصحابه، فلمّا نزلوا الثعلبية ورد عليه رجل يقال له: بشر بن غالب، فقال: يا بن رسول الله، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾.

قال: إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة، وهؤلاء في النار، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ ۚ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾. ٢١٢

ثمّ سار حتّى نزل العذيب، فقال فيها قائلة الظهيرة، ثمّ انتبه من نومه باكياً، فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبه؟ فقال: يا بنيّ، إنّها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها، وإنّه عرض

لي في منامي عارض فقال: تسرعون السير، والمنايا تسير بكم إلى الجنّة.

ثمّ سار حتّى نزل الرهيمة، فورد عليه رجل من أهل الكوفة، يكنّى أبا هرم، فقال: يا بن النبيّ، ما الذي أخرجك من المدينة؟ فقال: ويحك يا أبا هرم، شتموا عرضي فصبرت! وطلبوا مالي فصبرت! وطلبوا دمي فهربت. وأيم الله، ليقتلنّي، ثمّ ليلبسنّهم الله ذلّاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلطنّ عليهم مَن يذلّهم.

قال: وبلغ عبيد الله بن زياد (لعنه الله) الخبر، وأنّ الحسين عليه السلام قد نزل الرهيمة، فأسرى إليه الحرّ بن يزيد في ألف فارس. قال الحرّ: فلمّا خرجت من منزلي متوجّهاً نحو الحسين عليه السلام نوديت ثلاثاً: يا حرّ أبشر بالجنّة، فالتفتّ فلم أَرَ أحداً، فقلت: ثَكَلَت الحرّ أُمّه، يخرج إلى قتال ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويُبَشَّرَ بالجنّة؟! فرهقه[1] عند صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام ابنه، فأذّن وأقام، وقام الحسين عليه السلام فصلّى بالفريقين جميعاً.

فلمّا سلّم وَثَبَ الحرّ بن يزيد فقال: السلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال الحسين عليه السلام: وعليك السلام، من أنت يا عبدالله؟ فقال: أنا الحرّ بن يزيد. فقال: يا حرّ، أعلينا أم لنا؟ فقال الحرّ: والله يا بن رسول الله، لقد بعثت لقتالك، وأعوذ بالله أن أُحشر من قبري وناصيتي مشدودة إليّ، ويدي مغلولة إلى عنقي، وأُكبّ على حرّ وجهي في النار، يا بن رسول الله، أين تذهب؟ ارجع إلى حرم جدّك، فإنّك مقتول، فقال الحسين عليه السلام: ٢١٣

سَأمضي فَما بالموتِ عارٌ على الفَتى ... إذا ما نَوى حَقّاً وجاهدَ مُسلما
وواسى الرجالَ الصالحينَ بنفسِهِ ... وفارَقَ مثبوراً وخالفَ مجرما
فإن متّ لم أَندم وإن عشت لم أَلَم ... كفى بكَ ذلّاً أن تموتَ وتُرغَما

ثمّ سار الحسين عليه السلام حتّى نزل القطقطانة، فنظر إلى فسطاط مضروب، فقال: لمن

---

١. رَهَقَه: تبعه فقرب أن يلحقه (العين: ج ٣ ص ٣٦٦ «رهق»).

هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله بن الحرّ الجعفي، فأرسل إليه الحسين عليه السلام فقال: أيّها الرجل، إنّك مذنب خاطئ وإنّ الله عزّ وجلّ آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه، فتنصرني ويكون جدّي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى.

فقال: يا بن رسول الله، والله، لو نصرتك لكنت أوّل مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك، فوالله، ما ركبته قطّ وأنا أروم شيئاً إلّا بلغته، ولا أرادني أحد إلّا نجوت عليه، فدونك فخذه.

فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه، ثمّ قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، ولكن فرّ، فلا لنا ولا علينا، فإنّه من سمع واعيتنا أهل البيت ثمّ لم يجبنا، كبّه الله على وجهه في نار جهنّم.

ثمّ سار حتّى نزل كربلاء، فقال: أيّ موضع هذا؟ فقيل: هذا كربلاء يا بن رسول الله. فقال: هذا والله يوم كرب وبلاء، وهذا الموضع الذي يهراق فيه دماؤنا، ويباح فيه حريمنا.

فأقبل عبيد الله بن زياد بعسكره حتّى عسكر بالنخيلة، وبعث إلى الحسين عليه السلام رجلاً يقال له: عمر بن سعد، قائده في أربعة آلاف فارس، وأقبل عبدالله بن الحصين التميمي في ألف فارس، يتبعه شبث بن ربعي في ألف فارس، •ومحمّد بن ٢١٤
الأشعث بن قيس الكندي أيضا في ألف فارس، وكتب لعمر بن سعد على الناس، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوه.

فبلغ عبيد الله بن زياد أنّ عمر بن سعد يسامر الحسين عليه السلام ويحدّثه ويكره قتاله، فوجّه إليه شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف فارس، وكتب إلى عمر بن سعد: إذا أتاك كتابي هذا، فلا تمهلنّ الحسين بن عليّ، وخذ بكظمه، وحل بين الماء وبينه، كما حيل بين عثمان وبين الماء يوم الدار.

فلمّا وصل الكتاب إلى عمر بن سعد (لعنه الله)، أمر مناديه فنادى: إنّا قد أجلّنا

حسيناً وأصحابه يومهم وليلتهم، فشقّ ذلك على الحسين عليه السلام وعلى أصحابه، فقام الحسين عليه السلام في أصحابه خطيباً، فقال:

اللّهمّ إنّي لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حلّ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمّة، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وتفرّقوا في سواده، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري.

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فقال: يا بن رسول الله، ماذا يقول لنا الناس إن نحن خذلنا شيخنا وكبيرنا وسيّدنا وابن سيّد الأعمام، وابن نبيّنا سيّد الأنبياء، لم نضرب معه بسيف، ولم نقاتل معه برمح؟! لا والله، أو نرد موردك، ونجعل أنفسنا دون نفسك، ودماءنا دون دمك، فإذا نحن فعلنا ذلك فقد قضينا ما علينا وخرجنا ممّا لزمنا.

وقام إليه رجل يقال له: زهير بن القين البجلي، فقال: يا بن رسول الله، وددت أنّي قتلت ثمّ نشرت، ثمّ قتلت ثمّ نشرت، ثمّ قتلت ثمّ نشرت فيك وفي الذين معك مئة قتلة، وأنّ الله دفع بي عنكم أهل البيت.

فقال له ولأصحابه: جزيتم خيراً.

٢١٥ ثمّ إن الحسين عليه السلام أمر بحفيرة فحفرت حول عسكره شبه الخندق، وأمر •فحشيت حطباً، وأرسل عليّا ابنه عليه السلام في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء، وهم على وجل شديد، وأنشأ الحسين عليه السلام يقول:

يا دَهرُ أُفٍّ لَكَ مِن خَليلِ ... كَم لَكَ في الإشراقِ وَالأَصيلِ

مِن طالبٍ وَصاحِبٍ قَتيلِ ... والدَهرُ لا يَقنعُ بالبَديلِ

وإنّما الأمرُ إلى الجَليلِ ... وكُلّ حَيٍّ سالِكٌ سبيلي

ثمّ قال لأصحابه: قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم، وتوضّؤوا

واغتسلوا، واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم.

ثمّ صلّى بهم الفجر وعبّأهم تعبئة الحرب، وأمر بحفيرته التي حول عسكره فأُضرمت بالنار، ليقاتل القوم من وجه واحد.

وأقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس له، يقال له: ابن أبي جويرية المزني، فلمّا نظر إلى النار تتّقد صفق بيده، ونادى: يا حسين وأصحاب حسين، أبشروا بالنار، فقد تعجّلتموها في الدنيا! فقال الحسين عليه السلام: مَن الرجل؟ فقيل: ابن أبي جويرية المزني، فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ أذقه عذاب النار في الدنيا، فنفر به فرسه وألقاه في تلك النار فاحترق.

ثمّ برز من عسكر عمر بن سعد رجل آخر، يقال له: تميم بن حصين الفزاري، فنادى: يا حسين ويا أصحاب حسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنّه بطون الحيّات؟ والله، لا ذقتم منه قطرة حتّى تذوقوا الموت جرعاً.

فقال الحسين عليه السلام: مَن الرجل؟ فقيل: تميم بن حصين. فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار، اللّهمّ اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم. قال: فخنقه العطش حتّى سقط عن فرسه، فوطئته الخيل بسنابكها فمات.

ثمّ أقبل رجل آخر من عسكر عمر بن سعد، يقال له: محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي، فقال: يا حسين بن فاطمة، أيّة حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟ فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ الآية، ثمّ قال: والله، إنّ محمّداً ٢١٦
لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد، مَن الرجل؟ فقيل: محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء، فقال: اللّهمّ أر محمّد بن الأشعث ذلّاً في هذا اليوم، لا تعزّه بعد هذا اليوم أبداً. فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرّز، فسلّط الله عليه عقرباً فلدغته، فمات بادي العورة.

فبلغ العطش من الحسين عليه السلام وأصحابه، فدخل عليه رجل من شيعته يقال له:

برير بن خضير الهمداني ـ قال إبراهيم بن عبدالله راوي الحديث: هو خال أبي إسحاق الهمداني ـ فقال: يا بن رسول الله، أتأذن لي فأخرج إليهم، فأكلّمهم؟ فأذن له فخرج إليهم، فقال:

يا معشر الناس، إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها، وقد حيل بينه وبين ابنه؟!

فقالوا: يا برير، قد أكثرت الكلام فاكفف، فوالله، ليعطش الحسين كما عطش مَن كان قبله.

فقال الحسين عليه السلام: اقعد يا برير.

ثمّ وثب الحسين عليه السلام متوكّئاً على سيفه، فنادى بأعلى صوته، فقال: أنشُدُكُم الله، هل تعرفوني؟ قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه.

قال: أنشُدُكُم الله، هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشُدُكُم الله، هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشُدُكُم الله، هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد، أوّل نساء هذه الأُمّة إسلاماً؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشُدُكُم الله، هل تعلمون أنّ سيّد الشهداء حمزة عمّ أبي؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: فأنشُدُكُم الله، هل تعلمون أنّ جعفراً الطيّار في الجنّة عمّي؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: •فأنشُدُكُم الله، هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا متقلّده؟ قالوا: اللّهمّ نعم. ٢١٧

قال: فأنشُدُكُم الله، هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لابسها؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: فأنشُدكُم الله، هل تعلمون أنّ عليّاً كان أوّلهم إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأعظمهم حلماً، وأنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: فَبِمَ تستحلّون دمي، وأبي الذائد عن الحوض غداً، يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادي عن الماء، ولواء الحمد في يدي جدّي يوم القيامة؟!

قالوا: قد علمنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً.

فأخذ الحسين عليه السلام بطرف لحيته، وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة، ثمّ قال: اشتدّ غضب الله على اليهود حين قالوا: عزير ابن الله، واشتدّ غضب الله على النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، واشتدّ غضب الله على المجوس حين عبدوا النار من دون الله، واشتدّ غضب الله على قوم قتلوا نبيّهم، واشتدّ غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيّهم.

قال: فضرب الحرّ بن يزيد فرسه، وجاز عسكر عمر بن سعد (لعنه الله) إلى عسكر الحسين عليه السلام، واضعاً يده على رأسه، وهو يقول: اللّهمّ إليك أُنيب فَتُب عليَّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيّك. يا بن رسول الله، هل لي من توبة؟ قال: نعم، تاب الله عليك. قال: يا بن رسول الله، أتأذن لي فأُقاتل عنك؟ فأذن له، فبرز وهو يقول:

أَضرِبُ في أعناقِكُم بالسيفِ ... عن خيرِ مَن حَلَّ بلادَ الخيفِ

فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً، ثمّ قُتِلَ، فأتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب، فقال: بخ بخ يا حرّ، أنت حرّ كما سمّيت في الدنيا والآخرة، ثمّ أنشأ الحسين عليه السلام يقول:

لَنِعمَ الحُرّ حُرّ بَني رِياحِ ... ونِعمَ الحرّ مختلف الرماح ٢١٨

وَنِعمَ الحرّ إذ نادى حُسَيناً ... فَجادَ بِنَفسِهِ عندَ الصَباح.

ثمّ برز من بعده زهير بن القين البجلي، وهو يقول مخاطباً للحسين عليه السلام:

اليومَ نَلقَى جَدَّك النبيّا ... وَحَسناً والمرتضى عليّاً

فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، ثمّ صرع وهو يقول:

أنا زهيرٌ وأنـا ابـنُ القـينِ أَذبّكم بالسَيفِ عَن حُسَينِ

ثمّ برز من بعده حبيب بن مظهر الأسدي (رضوان الله عليه)، وهو يقول:

أنا حـبيبٌ وأبـي مـظهرُ لنحَنُ أزكى منكم وأطهَرُ

ننصرُ خَيرَ الناسِ حينَ يُذكَر

فقتل منهم أحداً وثلاثين رجلاً، ثمّ قُتِلَ (رضوان الله تعالى عليه).

ثمّ برز من بعده عبدالله بن أبي عروة الغفاري وهو يقول:

قَد عَلِمَت حَـقّاً بـنو غـفار أَنّي أذبُّ فـي طـلّاب الثـارِ

بالمشرفي والقنا الخطّار

فقتل منهم عشرين رجلاً، ثمّ قُتِلَ رحمه الله.

ثمّ برز من بعده برير بن خضير الهمداني، وكان أقرأ أهل زمانه وهو يقول:

أنـا بـريرٌ وأبـي خـضيرُ لا خيرَ فيمن ليس فيه خيرُ

فقتل منهم ثلاثين رجلاً، ثمّ قتل (رضوان الله عليه).

ثمّ برز من بعده مالك بن أنس الكاهلي وهو يقول:

٢١٩ قـد عـلمت كـاهِلُها ودودان والخِـندفيّونَ وقـيسُ عـيلان

•بـأنّ قـومي قـصم الأقـران يا قومُ كـونوا كـأُسود الجـان

آل عـلـيٍّ شـيعةُ الرحـمن وآل حـرب شـيعة الشـيطان

فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً، ثمّ قُتِلَ (رضوان الله عليه).

٢٢٠ •وبرز من بعده زياد بن مهاصر الكندي، فحمل عليهم، وأنشأ يقول:

أنـا زيـادٌ وأبـي مـهاصرُ أشجعُ من ليثِ العرين الخادر

يا ربّ إنّـي للـحسين نـاصرُ ولابـن سـعدٍ تـاركٌ مـهاجرُ

فقتل منهم تسعة، ثمّ قُتِلَ (رضوان الله عليه).

وبرز من بعده وهب بن وهب، وكان نصرانيّاً أسلم على يدي الحسين عليه السلام هو وأُمّه، فاتّبعوه إلى كربلاء، فركب فرساً، وتناول بيده عود الفسطاط، فقاتل وقَتَلَ من القوم سبعةً أو ثمانيةً، ثمّ استؤسر، فأُتي به عمر بن سعد (لعنه الله) فأمر بضرب عنقه، فضربت عنقه، ورمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام وأخذت أُمّه سيفه وبرزت، فقال لها الحسين عليه السلام: يا أُمّ وهب، اجلسي فقد وضع الله الجهادَ عن النساء، إنّك وابنكِ مع جدّي محمّد صلى الله عليه وآله في الجنّة.

ثمّ برز من بعده هلال بن حجّاج وهو يقول:

أرمي بها مُعَلّمةً أفواقها ... والنفسُ لا ينفعُها إشفاقها

فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً، ثمّ قُتِلَ (رضوان الله عليه).

وبرز من بعده عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأنشأ يقول:

أَقسمتُ لا أُقتل إلّا حرّاً ... وَقَد وَجَدتُ الموتَ شيئاً مُرّا

أكرَهُ أن أُدعى جباناً فرّا ... إنّ الجبانَ من عصى وفرّا

فقتل منهم ثلاثة، ثمّ قُتِلَ (رضوان الله عليه ورحمته).

وبرز من بعده عليّ بن الحسين الأصغر عليه السلام، فلمّا برز إليهم دمعت عينُ الحسين عليه السلام فقال: اللّهمّ كن أنت الشهيد عليهم، فقد برز إليهم ابن رسولك، وأشبه الناس وجهاً وسمتاً به، فجعل يرتجز وهو يقول:

أنا عليُّ بن الحسين بن عليّ ... نَحنُ وبيتِ اللهِ أولى بالنبيّ

أَما تَرَون كيفَ أَحمي عن أَبي

فقتل منهم عشرة، ثمّ رجع إلى أبيه، فقال: يا أبه العطش! فقال الحسين عليه السلام: صبراً يا بنيّ، يسقيك جدّك بالكأس الأوفى. فرجع فقاتل حتّى قَتَلَ منهم أربعةً وأربعين رجلاً، ثمّ قُتِلَ (صلى الله عليه).

وبرز من بعده القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول:

لا تَـجزَعي نَـفسي فكـلّ فـانِ اليــومَ تــلقين ذرى الجــنانِ

فقتل منهم ثلاثة، ثمّ رمي عن فرسه (رضوان الله عليه وصلواته).

ونظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً ولا يرى أحداً، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: اللّهمّ إنّك ترى ما يصنع بولد نبيّك.

وحال بنو كلاب بينه وبين الماء، ورمي بسهم فوقع في نحره، وخرّ عن فرسه، فأخذ السهم فرمى به، وجعل يتلقّى الدم بكفّه، فلمّا امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وهو يقول: ألقى الله عزّ وجلّ وأنا مظلوم متلطّخ بدمي، ثمّ خرّ على خدّه الأيسر صريعاً، وأقبل عدو الله سنان بن أنس الأيادي، وشمر ابن ذي الجوشن العامري (لعنهما الله) في رجال من أهل الشام حتّى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؟ أريحوا الرجل.

فنزل سنان بن أنس الأيادي (لعنه الله) وأخذ بلحية الحسين عليه السلام وجعل يضرب بالسيف في حلقه وهو يقول: والله، إنّي لأحتزّ رأسك، وأنا أعلم أنّك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وخير الناس أبا وأُمّا.

وأقبل فرس الحسين عليه السلام حتّى لطخ عرفه وناصيته بدم الحسين عليه السلام، وجعل يركض ويصهل، فسمع بنات النبيّ صلى الله عليه وآله صهيلَه، فخرجن، فإذِا الفرس بلا راكب، فعرفن أنّ حسيناً صلى الله عليه قد قتل، وخرجت أُمّ كلثوم بنت •الحسين عليه السلام واضعة يدها على رأسها، تندب وتقول: وا محمّداه! هذا الحسين بالعراء، قد سلب العمامة والرداء. ٢٢١

وأقبل سنان (لعنه الله) حتّى أدخل رأس الحسين بن عليّ عليهما السلام على عبيد الله بن زياد لعنه الله وهو يقول:

املأ رِكـابي فـضّةً وذهـبا إنّي قَتَلتُ الملك المُـحَجّبا

قَتلتُ خيرَ الناسِ أُمّا وأبـا وخيرَهم إذ ينسبون نسـبا

فقال له عبيد الله بن زياد: ويحك! فإن علمت أنّه خيرَ الناس أباً وأُمّاً، لِمَ قتلته إذن؟! فأمر به فضربت عنقه، وعجّل الله بروحه إلى النار.

وأرسل ابن زياد (لعنه الله) قاصداً إلى أُمّ كلثوم بنت الحسين عليه السلام فقال لها: الحمد لله الذي قتل رجالكم، فكيف ترون ما فعل بكم؟ فقالت: يا بن زياد، لئن قرّت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطالما قرّت عين جدّه صلى الله عليه وآله به، وكان يقبّله، ويلثم شفتيه، ويضعه على عاتقه. يا ابن زياد، أعد لجدّه جواباً، فإنّه خصمك غداً. وصلّى الله على رسوله محمّد وآله.

٢٢٢ **• المجلس الحادي والثلاثون: في بقية المقتل، يوم الأحد، وهو يوم عاشوراء، لعشر خلون من المحرّم سنة ثمان وستّين وثلاثمئة**

٢٤٠ / ١ ـ حدّثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي رحمه الله، قال: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبي عبدالله محمّد بن خالد البرقي، عن داود بن أبي يزيد، عن أبي الجارود وابن بكير وبريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: أُصيب الحسين بن عليّ عليهما السلام ووجد به ثلاثمئة وبضعة وعشرون طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم، فروي أنّها كانت كلّها في مقدّمه؛ لأنّه عليه السلام كان لا يولّي.

٢٤١ / ٢ ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رحمه الله، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن عبدالله بن الحسن المثنّى، عن أُمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، قالت: دخلت الغاغة[1] علينا الفسطاط، وأنا جارية صغيرة، وفي
٢٢٣ • رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجلاً يفضّ الخلخالين من رجلي وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك، يا عدوّ الله؟! فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله!

---

١. الغاغه: الكثير المختلط من الناس (اُنظر: العين: ج ٤ ص ٤٥٧ «غوغ»).

فقلت: لا تسلبني. قال: أخاف أن يجي غيري فيأخذه. قالت: وانتهبوا ما في الأبنية حتّى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا.

٢٤٢ / ٣ ـ حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق رحمه الله، قال: حدّثنا عبد العزيز بن يحيى البصري، قال: أخبرنا محمّد بن زكريا، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن يزيد، قال: حدّثني أبو نعيم، قال: حدّثني حاجب عبيد الله بن زياد، أنّه لمّا جيء برأس الحسين عليه السلام أمر فوضع بين يديه في طست من ذهب، وجعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه ويقول: لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبدالله. فقال رجل من القوم: مَه، فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلثم حيث تضع قضيبك. فقال: يوم بيوم بدر.

ثمّ أمر بعليّ بن الحسين عليه السلام فغلّ، وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلّا وجدناه ملئ رجالاً ونساء، يضربون وجوههم ويبكون، فحبسوا في سجن وطبق عليهم.

ثمّ إنّ ابن زياد (لعنه الله) دعا بعليّ بن الحسين عليه السلام والنسوة، وأحضر رأس الحسين عليه السلام، وكانت زينب بنت عليّ عليه السلام فيهم، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، وأكذب أحاديثكم.

فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد وطهّرنا تطهيراً، إنّما يفضح الله الفاسق ويكذب الفاجر.

قال: كيف رأيت صنع الله بكم أهل البيت؟

قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتتحاكمون عنده. فغضب ابن زياد (لعنه الله) عليها، وهمّ بها، فسكن منه عمرو بن حريث، فقالت زينب: يا بن زياد، حسبك ما ارتكبت منا، فلقد قَتلتَ رجالَنا، وقطعتَ أصلَنا، وأبحتَ حريمَنا، وسبيتَ نساءنا وذرارينا، فإن كان ذلك للاشتفاء
٢٢٤ فقد اشتفيت. فأمر ابن زياد بردّهم إلى السجن، وبعث البشائر إلى النواحي بقتل الحسين عليه السلام.

ثمّ أمر بالسبايا ورأس الحسين عليه السلام فحملوا إلى الشام، فلقد حدّثني جماعة كانوا خرجوا في تلك الصحبة: أنّهم كانوا يسمعون بالليالي نوح الجنّ على الحسين عليه السلام إلى الصباح.

وقالوا: فلمّا دخلنا دمشق أُدخل بالنساء والسبايا بالنهار مكشّفات الوجوه، فقال أهل الشام الجفاة: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، فمَن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين عليه السلام: نحن سبايا آل محمّد.

فأُقيموا على درج المسجد حيث يقام السبايا، وفيهم عليّ بن الحسين عليهما السلام، وهو يومئذ فتى شاب، فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشام، فقال لهم: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة. فلم يأل عن شتمهم، فلمّا انقضى كلامه قال له عليّ بن الحسين عليه السلام: أَما قرأت كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال: نعم. قال: أما قرأت هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ قال: بلى. قال: فنحن أُولئك.

ثمّ قال: أَما قرأت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟ قال: بلى. قال: فنحن هم.

قال: فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟ قال: بلى. قال: فنحن هم.

فرفع الشامي يده إلى السماء، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أتوب إليك ـ ثلاث مرّات ـ اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد، ومن قتلة أهل بيت محمّد، لقد قرأت القرآن فما شعرت بهذا قبل اليوم.

ثمّ أُدخل نساء الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية، فصحنَ نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله، وولولن وأقمن المأتم، ووضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، فقالت سكينة: والله، ما رأيت أقسى قلباً من يزيد، وَلا رَأيت كافراً وَلا مشركاً شرّاً منه ولا أجفى منه، وأقبل يقول وينظر إلى الرأس: ٢٢٥

ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهدوا جَزَعَ الخزرجِ مِن وقعِ الأسل

ثمّ أمر برأس الحسين عليه السلام، فنصب على باب مسجد دمشق، فروي عن فاطمة بنت عليّ عليه السلام، أنّها قالت: لما أُجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقّ لنا أوّل شيء وألطفنا، ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشام أحمر قام إليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية ـ يعنيني، وكنت جارية وضيئة ـ فأُرعبت وفرقت[1]، وظننت أنّه يفعل ذلك، فأخذت بثياب أُختي، وهي أكبر منّي وأعقل، فقالت: كذبت والله ولعنت، ما ذاك لك ولا له.

فغضب يزيد (لعنه الله) فقال: بل كذبت والله، لو شئت لفعلته.

قالت: لا والله، ما جعل الله ذلك لك، إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا.

فغضب يزيد (لعنه الله)، ثمّ قال: إيّاي تستقبلين بهذا؟! إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت: بدين الله ودين أخي وأبي وجدّي اهتديت أنت وجدّك وأبوك.

قال: كذبت يا عدوّة الله. قالت: أمير يشتم ظالماً ويقهر بسلطانه.

قالت: فكأنّه (لعنه الله) استحيى فسكت، فأعاد الشامي (لعنه الله) فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية. فقال له: اغرُب[2]، وهب الله لك حتفاً قاضياً.

٢٤٣ / ٤ ـ حدّثني بذلك محمّد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ الكوفي، عن نصر بن مزاحم، عن لوط بن يحيى، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت عليّ (صلوات الله عليهما): ثمّ إنّ يزيد (لعنه الله) أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع عليّ بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكنّهم من حرّ ولا قرّ حتّى تقشّرت وجوههم، ولم يرفع ببيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلّا وجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنّها الملاحف ٢٢٦

---

١. الفَرَق ـ بالتحريك ـ: الخوف (لسان العرب: ج ١٠ ص ٣٠٢ «فرق»).

٢. اغرُب عَنّي: أي تباعد (لسان العرب: ج ١ ص ٦٣٩ «غرب»).

المعصفرة، إلى أن خرج عليّ بن الحسين عليه السلام بالنسوة، وردّ رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

٢٤٤ / ٥ ـ حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدّثنا الحسن بن متيل الدقّاق، قال: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن فضال، عن الديلمي، وهو سليمان، عن عبدالله بن لطيف التفليسي، قال: قال الصادق أبو عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام: لمّا ضرب الحسين بن عليّ عليه السلام بالسيف، ثمّ ابتدر ليقطع رأسه، نادى مناد من قبل ربّ العزّة تبارك وتعالى من بطنان العرش، فقال: ألا أيّتها الأُمّة المتحيّرة الضالّة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لأضحى ولا فطر. قال: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: لا جرم والله ما وفّقوا ولا يوفّقون أبداً حتّى يقوم ثائر الحسين عليه السلام. وصلّى الله على رسوله محمّد وآله الطيّبين الطاهرين

الفصل السادس

مَقْتَلُ سَيِّدِ الشُّهَداءِ بِرِوايَةِ كِتابِ مَقاتِلِ الطّالِبِيّينَ

مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج عليّ بن الحسين الأُموي الإصفهاني (المتوفي ٣٥٦ هـ. ق)، من المؤرّخين المكثرين والغزيري التأليف في القرن الرابع الهجري، وكانت له تأليفات كثيرة، ولكن لم يصلنا منها سوى ثلاثة كتب، هي: الأغاني ـ الذي هو كتاب ضحم وحظي بالإقبال ـ وأدب الغرباء، ومقاتل الطالبيّين.

ألّف أبو الفرج كتاب مقاتل الطالبيّين في سنة ٣١٣ للهجرة، وذكر وترجم فيه لأكثر من مئتي قتيل من آل أبي طالب خلال القرون الهجريّة الثلاثة الأُولى، كما تناول القتلى الطالبيّين في نهضة عاشوراء والذين يتجاوز عددهم العشرين، ثمّ عمد بشكل مفصّل إلى الترجمة لسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، واستعرض جوانب من ثورته وسبي أُسرته.

وهو ينقل في كتابه الحكايات التاريخيّة بأُسلوب المحدّثين، فيذكر سندها في الغالب، وبذلك يتيح قابليّة دراستها، وهذا ما يزيد من قيمة الكتاب. وقد رفع طرقه إلى المؤرّخين قبله، مثل: المدائني، وأبي مخنف، بل وحميد بن مسلم؛ الراوي الذي شهد كربلاء، ومن الملفت للنظر أنّ له طرقاً إلى الإمام السجّاد، والإمام محمّد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام أيضاً.

وإليك فيما يلي ما ذكره أبو الفرج تحت عنوان مقتل الإمام الحسين عليه السلام،

وأصحابه.[١]

ذكر خبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب ومقتله ومن قتل معه من أهله

٨٤ •ويكنّى أبا عبدالله، وأُمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

و كان مولده لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرّم سنة إحدى وستّين من الهجرة. وكانت سنّه يوم قتل ستّاً وخمسين سنة وشهوراً.

و قيل: إنّ مقتله كان يوم السبت، روي ذلك عن أبي نعيم الفضل بن دكين. والذي ذكرناه أوّلاً أصحّ.

٨٥ فأمّا ما تقوله العامّة: إنّه قتل يوم الإثنين فباطل، وهو شيء قالوه بلا •رواية، وكان أوّل المحرّم الذي قتل فيه يوم الأربعاء، أخرجنا ذلك بالحساب الهندي من سائر الزيجات، وإذا كان ذلك كذلك فليس يجوز أن يكون اليوم العاشر يوم الإثنين.

قال أبو الفرج: وهذا دليل صحيح واضح تنضاف إليه الرواية، أخبرنا به أحمد بن عيسى، قال: حدّثنا أحمد بن الحرث، عن الحسين بن نصر، قال: حدّثنا أبي، عن عمر بن سعد، عن أبي مخنف. وحدّثني به أحمد بن محمّد بن شيبة، قال: حدّثنا أحمد بن الحرث الخزّاز، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد المدائني، عن أبي مخنف، وعوانة بن الحكم، ويزيد بن جعدية، وغيرهم.

فأمّا ما تعارفه العوامّ من أنّه قتل يوم الإثنين فلا أصل له ولا حقيقة، ولا وردت به رواية.

وروى سفيان الثوري، عن جعفر بن محمّد أنّ الحسين بن عليّ قتل وله ثمان وخمسون سنة، وأنّ الحسن كذلك كانت سنوه يوم مات، وأمير المؤمنين عليّ بن

---

١. مقاتل الطالبيين: ص ٨٤ ـ ١٢١.

أبي طالب، وعليّ بن الحسين، وأبو جعفر محمّد بن عليّ.

حدّثني بذلك العبّاس بن عليّ، قال: حدّثنا أبو السائب سلم بن جنادة، قال: حدّثنا وكيع، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمّد.

قال أبو الفرج: وهذا وهم؛ لأنّ الحسن ولد في سنة ثلاث من الهجرة، وتوفّي في سنة إحدى و خمسين، ولا خلاف في ذلك، وسنّه على هذا ثمان وأربعون سنة أو نحوها.

ولم يمكنّا سياقة مقاتلهم على التاريخ؛ لئلّا ينقطع الخبر، فذكرنا أسماءهم وأنسابهم جملة، ثمّ ذكرنا خبر مقاتلهم رضوان الله عليهم وصلواته.

٨٦ • **فمنهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام**

وهو أوّل مَن قُتِلَ من أصحاب الحسين بن عليّ عليه السلام وسنذكر خبره في موضعه. وأُمّه أُمّ ولد، يقال لها: حلية، وكان عقيل اشتراها من الشام، فولدت له مسلماً، ولا عقب له.

وعليّ بن الحسين وهو عليّ الأكبر ولا عقب له

و يكنّى أبا الحسن، وأُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأُمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أُميّة، وتكنّى أُمّ شيبة، وأُمّها بنت أبي العاص بن أُميّة. وهو أوّل من قتل في الواقعة.

وإيّاه عنى معاوية في الخبر الذي حدّثني به محمّد بن محمّد بن سليمان، قال: حدّثنا يوسف بن موسى القطّان، قال: حدّثنا جرير، عن مغيرة، قال: قال معاوية: مَن أحقّ الناس بهذا الأمر؟ قالوا: أنت، قال: لا، أولى الناس بهذا الأمر عليّ بن الحسين بن عليّ، جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أُميّة، وزهو ثقيف.

وقال يحيى بن الحسن العلوي: وأصحابنا الطالبيّون يذكرون أنّ المقتول لأُمّ ولد،

وأنّ الذي أُمّه ليلى هو جدّهم، حدّثني بذلك أحمد بن سعيد عنه.

وحدّثني أحمد بن سعيد، عن يحيى، عن عبيد الله بن حمزة، عن الحجّاج بن المعتمر الهلالي، عن أبي عبيدة، وخلف الأحمر: أنّ هذه الأبيات قيلت في عليّ بن الحسين الأكبر:

٨٧ لَـم تَـرَ عـينٌ نَـظَرَت مـثلَهُ ... مِن مُحتفٍ يمشي ومِـن نـاعلِ

يُـغلي نِـئيّ اللَّـحمِ حَـتّى إذا ... أُنـضِجَ لَـم يُـغلِ عَـلى الآكـلِ

كـانَ إذا شَـبَّت له نـارُهُ ... أَوقـدَها بـالشَّرَفِ القـابِلِ

كـيما يَـراهـا بـائسٌ مـرمل ... أو فـردُ حـيّ ليسَ بـالآهِلِ

أَعني ابنَ ليلى ذا الثدي والندى ... أَعني ابنَ بنتِ الحسبِ الفاضِلِ

لا يُـؤثر الدنـيا عـلى دِينهِ ... وَ لا يـبيعُ الحـقَّ بـالباطِلِ

وولد عليّ بن الحسين في خلافة عثمان. وقد روى عن جدّه عليّ بن أبي طالب، وعن عائشة أحاديث كرهت ذكرها في هذا الموضع؛ لأنّها ليست من جنس ما قصدت له.

وعبدالله بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

وأُمّه أُمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيل، وهو عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأُمّها ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب؛ وأُمّها عمرة بنت الطفيل، فارس قرزل بن مالكالأحزم، رئيس هوازن بن جعفر بن كلاب، وأُمّها كبشة بنت عروة الرّجال بن عتبة بن جعفر بن كلاب؛ وأُمّها أُمّ الخشف بنت أبي معاوية، فارس الهوازن بن عبادة بن عقيل بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ وأُمّها فاطمة بنت جعفر بن كلاب؛ وأُمّها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب؛ وأُمّها آمنة بنت وهب بن عميربن نصربن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان

بن أسد بن خزيمة؛ وأُمّها بنت جحدر بن ضبيعة الأغرّ بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار؛ وأُمّها بنت مالك بن قيس بن ثعلبة؛ وأُمّها بنت ذي الرأسين، وهو خشيش بن أبي عصم بن سمح بن فزارة؛ وأُمّها بنت عمرو بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن نفيض بن الربت بن غطفان.

٨٨ أخبرني أحمد بن محمّد بن سعيد، قال: حدّثنا يحيى بن الحسن، قال: •حدّثنا عليّ بن إبراهيم، قال: حدّثني عبيد الله بن الحسن، وعبدالله بن العبّاس، قالا: قتل عبدالله بن عليّ بن أبي طالب، وهو ابن خمس وعشرين سنة ولا عقب له.

حدّثني أحمد بن عيسى، قال: حدّثني حسين بن نصر، قال: حدّثنا أبي، عن عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن عبدالله بن عاصم، عن الضحّاك المشرفي، قال: قال العبّاس بن عليّ لأخيه من أبيه وأُمّه عبدالله بن عليّ: تقدّم بين يديّ حتّى أراك وأحتسبك، فإنّه لا ولد لك، فتقدّم بين يديه، وشدّ عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي فقتله.

وجعفر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

وأُمّه أُمّ البنين أيضاً. قال يحيى بن الحسن، عن عليّ بن إبراهيم، بالإسناد الذي قدّمته في خبر عبدالله: قتل جعفر بن عليّ بن أبي طالب، وهو ابن تسع عشرة سنة.

قال أبو مخنف في حديث الضحّاك المشرفي: إنّ العبّاس بن عليّ قدّم أخاه جعفراً بين يديه؛ لأنّه لم يكن له ولد ليحوز ولد العبّاس بن عليّ ميراثه، فشدّ عليه هانئ ابن ثبيت الذي قتل أخاه فقتله. هكذا قال الضحّاك.

وقال نصر بن مزاحم: حدّثني عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ أنّ خوليّ بن يزيد الأصبحي (لعنه الله) قتل جعفر بن عليّ.

•وعثمان بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٨٩

وأُمّه أُمّ البنين أيضاً. قال يحيى بن الحسن عن عليّ بن إبراهيم، عن عبيد الله بن الحسن، وعبدالله بن العبّاس، قالا: قتل عثمان بن عليّ، وهو ابن إحدى وعشرين

سنة. وقال الضحاك المشرفي في الإسناد الأوّل الّذي ذكرناه آنفاً: إنّ خوليّ بن يزيد رمى عثمان بن عليّ بسهم فأوهطه، وشدّ عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله، وأخذ رأسه.

وعثمان بن عليّ الذي روى عن عليّ أنّه قال: إنّما سمّيته باسم أخي عثمان بن مظعون.

والعبّاس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

ويكنّى أبا الفضل. وأُمّه أُمّ البنين أيضاً، وهو أكبر ولدها، وهو آخر من قتل من إخوته لأُمّه وأبيه؛ لأنّه كان له عقب، ولم يكن لهم، فقدّمهم بين يديه، فقتلوا جميعاً، فحاز مواريثهم، ثمّ تقدّم فقتل، فورثهم وإيّاه عبيد الله، ونازعه في ذلك عمّه عمر بن عليّ، فصولح على شيء رضي به.

قال حرمي بن العلاء، عن الزبير، عن عمّه: ولد العبّاس بن عليّ يسمّونه السقّا، ويكنّونه أبا قربة، وما رأيت أحداً من ولده، ولا سمعت عمّن تقدّم منهم هذا عليه السلام.

وفي العبّاس بن عليّ عليه السلام يقول الشاعر:

أَحقُّ النـاسِ أن يُـبكى عـليه ... إذا بَكَّـى الحُسَـينَ بِكَـربلاء
أَخـــوهُ وابـــنُ والدِهِ عـــليٍّ ... أبو الفَضلِ المُـضَرَّجِ بِـالدِماءِ
وَمَـن واسـاهُ لا يـثنيه شـيءٌ ... و جادَلَهُ عـلى عـطشٍ بـماءِ

٩٠ •وفيه يقول الكميت بن زيد:

وَأَبو الفَضل إنّ ذِكـرَهُم الحُـلو ... شـفاءُ النـفوسِ مِـن أَسـقامِ
قَـــتلَ الأَدعـــياءَ إذ قَـتَلوهُ ... أكرم الشـارِبين صَـوبَ الغـمامِ

وكان العبّاس رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطّان في الأرض؛ وكان يقال له: قمر بني هاشم. وكان لواء الحسين بن عليّ معه يوم قتل.

حدّثني أحمد بن سعيد، قال: حدّثني يحيى بن الحسن، قال: حدّثنا بكر بن عبد

الوّهاب، قال: حدّثني ابن أبي أُويس، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، قال: عبّأ الحسين بن عليّ أصحابه، فأعطى رايته أخاه العبّاس بن عليّ.

حدّثني أحمد بن عيسى، قال: حدّثني حسين بن نصر، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر: إنّ زيد بن رقّاد الجنبي، وحكيم بن الطفيل الطائي، قتلا العبّاس بن عليّ.

و كانتَ أُمّ البنين أُمّ هؤلاء الأربعة الإخوة القتلى، تخرج إلى البقيع فتندب بنيها أشجى ندبة و أحرقها، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها، فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي.

ذكر ذلك عليّ بن محمّد بن حمزة، عن النوفلي، عن حمّاد بن عيسى الجهني، عن معاوية بن عمّار، عن جعفر بن محمّد.

ومحمّد الأصغر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

• وأُمّه أُمّ ولد. حدّثني أحمد بن عيسى، قال: حدّثنا الحسين بن نصر، عن أبيه، عن ٩١
عمرو بن شمر، عن جابر عن أبي جعفر، وحدّثني أحمد بن شيبة، عن أحمد بن الحرث، عن المدائني: إنّ رجلاً من تميم من بني أبان بن دارم قتله (رضوان الله عليه)، ولعن الله قاتله.

وأبو بكر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

لم يعرف اسمه؛ وأُمّه ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلم بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم؛ وأُمّ ليلى بنت مسعود عميرة بنت قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر سيّد أهل الوبر بن عبيد بن الحارث، وهو مقاعس؛ وأُمّها عناق بنت عصام بن سنان بن خالد بن منقر؛ وأُمّها بنت أعبد بن أسعد بن منقر؛ وأُمّها بنت سفيان بن خالد بن عبيد بن مقاعس بن

عمرو بن كعب بن سعد، بن زيد مناة ابن تميم.

ولسلم يقول الشاعر:

تَسـوَّدَ أقـوامٌ ولَـيسوا بسـادةٍ بَلِ السيِّدُ الميمونُ سلمُ بن جندلِ

ذكر أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين، وفي الإسناد الذي تقدّم أنّ رجلاً من همدان قتله.

وذكر المدائني أنّه وجد في ساقية مقتولاً لا يدري من قتله.

هؤلاء ولد عليّ بن أبي طالب لصلبه الذين قتلوا مع الحسين، وهم سواه.

وقد ذكر محمّد بن عليّ بن حمزة: أنّه قتل يومئذ إبراهيم بـن عـليّ بـن أبـي
٩٢ • طالب، وأمّه أمّ ولد.

وما سمعت بهذا من غيره، ولا رأيت لإبراهيم في شيء من كتب الأنساب ذكراً.

وذكر يحيى بن الحسن فيما حدّثني به أحمد بن سعيد أنّ أبا بكر بن عبيد الله الطلحي حدّثه عن أبيه أنّ عبيد الله بن عليّ قتل مع الحسين، وهذا خطأ، وإنّما قتل عبيد الله يوم المدار، قتله أصحاب المختار بن أبي عبيدة، وقد رأيته بالمدار.

وأبو بكر... بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام

وأمّه أمّ ولد، ولا تعرف أمّه. ذكر المدائني في إسنادنا عنه، عن أبي مخنف، عـن سليمان بن أبي راشد أنّ عبدالله بن عقبة الغنوي قتله.

وفي حديث عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر: أنّ عقبة الغنوي قتله.

وإيّاه عنى سليمان بن قتّة بقوله:

وَعِندَ غَـنيٍّ قَـطرةٌ مِـن دِمـائنا وَ في أسد أُخرى تُـعَدُّ وتـذكر

والقاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام

وهو أخو أبي بكر بن الحسن المقتول قبله لأبيه وأمّه.

حدّثني أحمد بن عيسى، قال: حدّثنا الحسين بن نصر، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، •عن حميد بن ٩٣
مسلم، قال: خرج إلينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر، في يده السيف، وعليه قميص وإزار ونعلان، قد انقطع شسع أحدهما، ما أَنسَ أنّها اليسرى، فقال عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي: والله، لأشدنَّ عليه، فقلت له: سبحان الله! وما تريد إلى ذلك؟ يكفيك قتله هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه من كلّ جانب، قال: والله، لأشدنّ عليه، فما ولّى وجهه حتّى ضرب رأس الغلام بالسيف، فوقع الغلام لوجهه، وصاح: يا عمّاه.

قال: فو الله، لتجلّى الحسين كما يتجلّى الصقر، ثمّ شدّ شدّة الليث إذا غضب، فضرب عمراً بالسيف فاتّقاه بساعده فأطنّها من لدن المرفق، ثمّ تنحّى عنه، وحملت خيل عمر بن سعد فاستنقذوه من الحسين، ولمّا حملت الخيل استقبلته بصدورها، وجالت، فتوطّأته، فلم يرم حتّى مات (لعنه الله وأخزاه). فلمّا تجلّت الغبرة إذا بالحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجليه، وحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك، خصمهم فيك يوم القيامة رسول الله ﷺ، ثمّ قال: عزّ على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثمّ لا تنفعك إجابته، يوم كثر واتره، وقلّ ناصره، ثمّ احتمله على صدره، وكأنّي أنظر إلى رجلي الغلام تخطّان في الأرض، حتّى ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين، فسألت عن الغلام، فقالوا:

هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.

وعبدالله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

وأُمّه بنت السليل بن عبدالله أخي جرير بن عبدالله البجلي.

وقيل: إنّ أُمّه أُمّ ولد. وكان أبو جعفر محمّد بن عليّ ـ فيما رويناه عنه ـ يذكر أنّ حرملة بن كاهل الأسدي قتله.

وذكر المدائني في إسناده عن جناب بن موسى، عن حمزة بن بيض، عن هانئ بن ثبيت القابضي أنّ رجلاً منهم قتله.

٩٤ • **وعبدالله بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام**

وأُمّه الرباب بنت امرئ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب بن كلب؛ وأُمّها هند الهنود بنت الربيع بن مسعود بن مصاد بن حصن بن كعب بن عليم بن جناب؛ وأُمّها ميسون بنت عمرو بن ثعلبة بن حصين بن ضمضم؛ وأُمّها بنت أوس بن حارثة. وزعم ابن عبدة أنّ أُمّها الرباب بنت حارثة بن أُخت أوس بن حارثة بن لام الطائي بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة من طيّئ.

وهي التي يقول فيها أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

لعمرك إنّني لأُحبّ داراً تَكونُ بِها سُكينةُ والربابُ
أُحبّهما وأبذِلُ جُلَّ مالي وَ لَيسَ لِعاتبٍ عِندي عِتابُ

وسكينة التي ذكرها ابنته من الرباب، واسم سكينة أمينة، وقيل أُميمة، وإنّما غلب عليها سكينة، وليس باسمها.

وكان عبدالله بن الحسين يوم قتل صغيراً، جاءته نشّابة وهو في حجر أبيه فذبحته.

حدّثني أحمد بن شبيب، قال: حدّثنا أحمد بن الحرث عن المدائني، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال:

٩٥ • دعا الحسين بغلام فأقعده في حجره، فرماه عقبة بن بشر فذبحه.

حدّثني محمّد بن الحسين الأشناني، قال: حدّثنا عباد بن يعقوب، قال: أخبرنا مورع بن سويد بن قيس، قال: حدّثنا مَن شهد الحسين، قال: كان معه ابنه الصغير، فجاء سهم فوقع في نحره، قال: فجعل الحسين يأخذ الدم من نحره ولبّته، فيرمي به

إلى السماء فما يرجع منه شيء، ويقول: اللّهمّ لا يكون أهون عليك من فصيل.

وعون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الأكبر

أُمّه زينب العقيلة بنت عليّ بن أبي طالب؛ وأُمّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وإيّاه عنى سليمان بن قتّة بقوله:

وَانْدُبي إن بَكَيتِ عَوناً أخاه ... لَيسَ فيما يَنوبُهُم بِخَذولِ
فَلَعمري لَقد أَصَبت ذوي القر ... بى فَبَكى على المصابِ الطويل

والعقيلة هي التي روى ابن عبّاس عنها كلام فاطمة في فدك، فقال: حدّثتني عقيلتنا زينب بنت عليّ.

حدّثني أحمد بن عيسى، قال: حدّثنا الحسين بن نصر، عن أبيه، عن عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم: إنّ عبدالله بن قطنة التيهاني قتل عون بن عبدالله بن جعفر.

ومحمّد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب

وأُمّه الخوصا بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعة بن عثمان بن ربيعة بن عائذ بن ثعلبة بن الحرث بن تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن •بكر بن وائل؛ ٩٦
وأُمّها هند بنت سالم بن عبدالله بن عبدالله بن مخزوم بن سنان بن مولة بن عامر بن مالك بن تيم اللات بن ثعلبة؛ وأُمّها ميمونة بنت بشر بن عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن الحصين بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قتله عامر بن نهشل التميميّ فيما روي عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم بالإسناد الذي قدّمناه.

وإيّاه عنى سليمان بن قتّة بقوله:

وَسَميُّ النبيّ غودر فيهم ... قَد عَلَوه بِصارمٍ مَصقولِ
فَإذا ما بَكَيتِ عَيني فَجودي ... بِدموعٍ تسيلُ كُلّ مَسيلِ

وعبيد الله بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب

وأُمّه الخوصا بنت حفصة.

ذكر يحيى بن الحسن العلوي فيما حدّثني به أحمد بن سعيد عنه: أنّه قتل مع الحسين بالطفّ رضوان الله وصلواته على الحسين وآله.

وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب

وأُمّه أُمّ ولد. قتله عثمان بن خالد بن أسيد الجهني وبشير بن حوط القابضي، فيما ذكر سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم.

٩٧ **وجعفر بن عقيل بن أبي طالب**•

وأُمّه أُمّ الثغر بنت عامر بنت الهصان العامري من بني كلاب.

قتله عروة بن عبدالله الخثعمي، فيما رويناه عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن حسين، وعن حميد بن مسلم.

ويقال: أُمّه الخوصا بنت الثغرية، واسمه عمرو بن عامر بن الهصان، بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب العامري.

وأُمّها أردة بنت حنظلة بن خالد بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب؛ وأُمّها أُمّ البنين بنت معاوية بن خالد بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن أبي صعصعة؛ وأُمّها حميدة بنت عتبة بن سمرة بن عقبة بن عامر. يقال: إنّ أُمّ أردة بنت حنظلة سالمة بنت مالك بن خطّاب الأسدي.

وعبدالله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب

وأُمّه أُمّ ولد.

قتله فيما ذكره المدائني عثمان بن خالد بن أسير الجهني، ورجل من همدان.

ومحمّد بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب

وأُمّه أُمّ ولد.

قتله فيما رويناه عن أبي جعفر محمّد بن عليّ أبو مرهم الأزدي ولقيط بن إياس الجهني.

وعبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب• ٩٨

وأُمّه رقيّة بنت عليّ بن أبي طالب؛ وأُمّها أُمّ ولد.

قتله عمرو بن صبيح، فيما ذكرناه عن عليّ بن محمّد المدائني، وعن حميد بن مسلم، وذكر أنّ السهم أصابه وهو واضع يده على جبينه، فأثبته في راحته وجبهته.

ومحمّد بن أبي سعيد الأحول بن عقيل بن أبي طالب

وأُمّه أُمّ ولد.

قتله لقيط بن ياسر الجهني، رماه بسهم فيما رويناه عن المدائني، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم.

وذكر محمّد بن عليّ بن حمزة أنّه قتل معه جعفر بن محمّد بن عقيل، ووصف أنّه سمع أيضاً من يذكر أنّه قتل يوم الحرّة.

قال أبو الفرج: وما رأيت في كتب الأنساب لمحمّد بن عقيل ابناً يسمّى جعفراً. وذكر أيضاً محمّد بن عليّ بن حمزة، عن عقيل بن عبدالله بن عقيل بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب: أنّ عليّ بن عقيل، وأُمّه أُمّ ولد قتل يومئذ.

فجميع من قتل يوم الطفّ من ولد أبي طالب سوى من يختلف في أمره اثنان وعشرون رجلاً.

ثمّ نرجع إلى ذكر خبر الحسين بن عليّ ومقتله صلوات الله عليه:

حدّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي، قال: حدّثنا حسين بن نصر بن

٩٩ مزاحم، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا عمر بن سعد، عن أبي مخنف •لوط بن يحيى الأزدي؛ وحدّثني أيضاً أحمد بن محمّد بن شبيب المعروف بأبي بكر بن شيبة، قال: حدّثنا أحمد بن الحرث الخزّاز، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد المدائني، عن أبي مخنف، عن عوانة، وابن جعدية، وغيرهم؛ وحدّثني أحمد بن الجعد، قال: حدّثنا عليّ بن موسى الطوسي، قال: حدّثنا أحمد بن جناب، قال: حدّثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبدالله القشيري، قال: حدّثنا عمّار الذهني، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ؛ كلّ واحد ممّن ذكرت يأتي بالشيء يوافق فيه صاحبه، أو يخالفه، ويزيد عليه شيئاً أو ينقص منه، وقد ثبت ذلك برواياتهم منسوباً إليهم. قال المدائني، عن هرون بن عيسى، عن يونس بن أبي إسحاق، قال:

لمّا بلغ أهل الكوفة نزول الحسين مكّة، وأنّه لم يبايع ليزيد وفد إليه وفد منهم عليهم أبو عبدالله الجدلي، وكتب إليه شبث بن ربعي، وسليمان بن صرد، والمسيّب بن نجيّة، ووجوه أهل الكوفة يدعونه إلى بيعته، وخلع يزيد، فقال لهم: أبعث معكم أخي وابن عمّي، فإذا أخذ لي بيعتي، وأتاني عنهم بمثل ما كتبوا به إليَّ قدمت عليهم.

ودعا مسلم بن عقيل فقال: اشخص إلى الكوفة، فإن رأيت منهم اجتماعاً على ما كتبوا، ورأيته أمراً ترى الخروج معه، فاكتب إليَّ برأيك.

١٠٠ فقدم مسلم الكوفة، وأتته الشيعة، فأخذ بيعتهم للحسين.•

قال عمر بن سعد: عن أبي مخنف، فحدّثني المصقعب بن زهير، عن أبي عثمان: أنّ ابن زياد أقبل من البصرة ومعه مسلم بن عمر الباهلي، والمنذر بن عمرو بن الجارود، وشريك بن الأعور، وحشمه وأهله، حتّى دخلوا الكوفة، وعليه عمامة سوداء، وهو متلثّم، والناس ينتظرون قدوم الحسين عليهم، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، قدمت خير مقدم، ورأى من الناس من تباشرهم بالحسين ما ساءه، فأقبل• حتّى دخل القصر.

وقال عمرو عن أبي مخنف، عن المعلّى بن كليب، عن أبي الوداك، قال: لمّا نزل ابن زياد القصر نودي في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع إليه الناس، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ فإنّ أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ ولّاني مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم، فأنا لمطيعكم كالوالد البرّ الشفيق، وسيفي وسوطي على مَن ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبئ عنك لا الوعيد. ثمّ نزل.

وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله بن زياد ومقالته، فأقبل حتّى أتى دار هانئ بن عروة المرادي، فدخل في بابه، فأرسل إليه أن اخرج إليَّ فقال: إنّي أتيتك لتجيرني وتضيّفني، قال له: رحمك الله! لقد كلّفتني شططاً، لولا دخولك داري وثقتك بي لأحببت لشأنك أن تنصرف عنّي، غير أنّي أخذني من ذلك ذمام، ادخل، فدخل داره، فأقبلت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ بن عروة.

وجاء شريك بن الأعور حتّى نزل على هانئ في داره، وكان شيعيّاً، ودعا ابن زياد مولى له يقال له: معقل، فقال له: خذ هذه الثلاثة الآلاف الدرهم، ثمّ التمس لنا مسلم بن عقيل، واطلب شيعته، وأعطهم الثلاثة الآلاف الدرهم، وقل لهم: استعينوا بهذه على حرب عدوّكم، و أعلمهم بأنّك منهم. ففعل ذلك، وجاء حتّى لقي مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم، وسمع الناس يقولون: هذا يبايع للحسين بن عليّ وكان يصلّي، فلمّا قضى صلاته جلس •إليه فقال له: يا عبدالله، إنّي امرؤ من ١٠١
أهل الشام مولى لذي الكلاع، أنعم الله عليَّ بحبّ أهل البيت وحبّ مَن أحبّهم، وهذه ثلاثة آلاف درهم معي أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنّه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله ﷺ وكنت أُحبّ لقاءه لأعرف مكانه، فسمعت نفراً من المسلمين يقولون: هذا رجل له علم بأمر أهل هذا البيت، وإنّي أتيتك لتقبض منّي هذا المال،

وتدلّني على صاحبي فأُبايعه.

فقال له: أحمد الله على لقائك فقد سرّني حبّك إيّاهم وبنصرة الله إيّاك حقّ أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله، ولقد ساءني معرفة الناس إيّاي بهذا الأمر قبل أن يتمّ؛ مخافة سطوة هذا الطاغية الجبّار أن يأخذ البيعة قبل أن يبرح، وأخذ عليه المواثيق الغليظة ليناصحنّ وليكتمنّ، فأعطاه من ذلك ما رضي به. ثمّ قال له: اختلف إليَّ أياماً في منزلي، فأنا أطلب لك الإذن على صاحبك، وأخذ يختلف مع الناس يطلب ذلك إليه.

ومرض شريك بن الأعور، وكان كريماً على ابن زياد، وكان شديد التشيّع، فأرسل إليه عبيد الله: إنّي رائح إليك العشيّة فعائدك.

فقال شريك لمسلم: إنّ هذا الفاجر عائدي العشية، فإذا جلس فاقتله، ثمّ اقعد في القصر، وليس أحد يحول بينك وبينه، فإن أنا برأت من وجعي من أيّامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها.

فلمّا كان العشي أقبل ابن زياد لعيادة شريك بن الأعور، فقال لمسلم: لا يفوتنّك الرّجل إذا جلس، فقام إليه هانىء فقال: إنّي لا أُحبّ أن يقتل في داري، كأنّه استقبح ذلك، فجاءه عبيد الله بن زياد فدخل وجلس وسأل شريكاً: ما الذي تجد ومتى اشتكيت؟ فلمّا طال سؤاله إيّاه، ورأى أنّ أحداً لا يخرج، خشي أن يفوته، فأقبل يقول:

ما الإنتظارُ بِسَلمى أَن تُحيّوها حَيّوا سُلَيمى وحَيّوا مَن يُحيّيها

كَأسَ المَنيّةِ بالتَعجيلِ فاسقوها

١٠٢ لله أبوك! اسقنيها وإن كانت فيها نفسي. قال ذلك مرّتين أو ثلاثة، فقال عبيد الله وهو لا يفطن: ما شأنه، أترونه يهجر؟ فقال له هانىء: نعم ـ أصلحك الله ـ ما زال هكذا قبل غيابة الشمس إلى ساعتك هذه.

ثمّ قام وانصرف. فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله؟

فقال: خصلتان، أمّا إحداهما: فكراهية هانىء أن يقتل في داره، وأما الأُخرى:

فحديث حدّثنيه الناس عن النبيّ ﷺ: أنّ الإيمان قيّد الفتك، فلا يفتك مؤمن.

فقال له شريك: أما والله، لو قتلته لقتلتَ فاسقاً فاجراً، كافراً غادراً.

قال: فأقبل ذلك الرجل الذي وجّهه عبيد الله بالمال يختلف إليهم، فهو أوّل داخل وآخر خارج يسمع أخبارهم، ويعلم أسرارهم، وينطلق بها حتّى يقرّها في أُذن ابن زياد.

قال: فقال المدائني، عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن عثمان بن أبي زرعة، قال: فقال ابن زياد يوماً: ما يمنع هانئاً منّا؟ فلقيه ابن الأشعث، وأسماء بن خارجة، فقالا له: ما يمنعك من إتيان الأمير وقد ذكرك؟ قال: فأتاه فقال ابن زياد (لعنه الله) شعراً:

أُريد حَياتَه ويُريدُ قَتلي عَذيركَ مِن خَليلِكَ مِن مُرادِ

يا هانيء، أسلمت على ابن عقيل؟ قال: ما فعلت، فدعا معقلاً فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم وأصدقك ما علمت به حتّى رأيته في داري، وأنا أطلب إليه أن يتحوّل.

قال: لا تفارقني حتّى تأتيني به! فأغلظ له، فضرب وجهه بالقضيب وحبسه.

و قال عمر بن سعد: عن أبي مخنف، قال: حدّثني الحجّاج بن عليّ الهمداني، قال: لمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه، خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أُناس من أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: • ١٠٣

أيّها الناس، اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم، ولا تفرّقوا فتختلفوا وتهلكوا وتذلّوا، وتخافوا وتخرجوا، فإنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

فذهب لينزل، فما نزل حتّى دخلت النظّارة المسجد من قبل التمّارين يشتدّون، ويقولون: قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر وأغلق بابه.

١٠٤ وقال أبو مخنف: فحدّثني يوسف بن يزيد، عن عبدالله بن حازم • البكري، قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر في أثر هانيء لأنظر ما صار إليه أمره، فدخلت

فأخبرته الخبر، فأمرني أن أُنادي في أصحابي، وقد ملأ الدور منهم حواليه، فقال: ناد (يا منصور أمت) فخرجت فناديت، وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبد الرحمن بن عزيز الكندي على ربيعة، وقال له: سر أمامي وقدّمه في الخيل، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وقال له: انزل فأنت على الرجّالة، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على تميم وحمدان.

و عقد للعبّاس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، ثمّ أقبل نحو القصر.

فلمّا بلغ عبيد الله إقباله تحرّز في القصر، وغلّق الأبواب، وأقبل مسلم حتّى أحاط بالقصر، فو الله، ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس، والسوق، ما زالوا يتوثّبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره، ودعا بعبيد الله بن كثير بن شهاب الحارثي، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيخذّل الناس عن ابن عقيل، ويخوّفهم الحرب، وعقوبة السلطان، فأقبل أهل الكوفة يفترون على ابن زياد وأبيه.

قال أبو مخنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد، عن عبدالله بن حازم البكري، قال:

أشرف علينا الأشراف، وكان أوّل من تكلّم كثير بن شهاب، فقال: أيّها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا، انتشروا ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فهذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى اللهَ الأميرُ عهداً لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم هذه، أن يحرم ذرّيتكم العطاء، ويفرّق مقاتليكم في مغازي الشام على غير طمع، ويأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى فيكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت.

و تكلّم الأشراف بنحو من كلام كثير، فلمّا سمع الناس مقالتهم تفرّقوا.

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد: أنّ المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غدا يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف، فما زالوا يتفرّقون وينصرفون حتّى

أمسى ابن عقيل وما معه إلّا ثلاثون نفساً، حتّى صُلِّيَت المغرب فخرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلّا ومعه منها عشر، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان، فمضى متلدّداً في أزقّة الكوفة، لا يدري أين يذهب؟ حتّى خرج إلى دور بني بجيلة من كندة، فمضى حتّى أتى باب امرأة يقال لها: طوعة أُمّ ولد كانت للأشعث وأعتقها، فتزوّج بها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس، وأُمّه قائمة تنتظر، فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت السلام، فقال لها: اسقيني ماء.

فدخلت فأخرجت إليه، فشرب، ثمّ أدخلت الإناء، وخرجت وهو جالس في مكانه، فقالت: ألم تشرب؟ قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، فأعادت عليه ثلاثاً، ثمّ قالت: سبحان الله! يا عبدالله، قم إلى أهلك عافاك الله فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أُحلّه لك.

ثمّ قام، فقال: يا أمة الله، والله، ما لي في هذا المصر من أهل، فهل لك في معروف وأجر لعلّي أُكافئك به بعد •اليوم. ١٠٥

قالت: يا عبدالله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم، وغرّوني وخذلوني، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم.

قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء، وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت، فسألها، فقالت: يا بنيّ، أله عن هذا، قال: والله، لتخبرنّني، وألحّ عليها، فقالت: يا بنيّ، لا تخبر به أحداً من الناس، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت.

فلمّا طال على ابن زياد، ولم يسمع أصوات أصحاب ابن عقيل قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا، فأخذوا ينظرون، وأدلوا القناديل وأطنان القصب تشدّ بالحبال وتدلي وتلهب فيها النار، حتّى فعل ذلك بالأظلّة التي في المسجد كلّها، فلمّا لم يروا شيئا أعلموا ابن زياد ففتح باب السدّة، وخرج ونادى في الناس: برئت الذمّة من

رجل صلّى العتمة إلّا في المسجد، فاجتمع الناس في ساعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ فإنّ ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة الله من رجل وجد في داره، ومن جاء به فله ديته، اتّقوا الله عباد الله، والزموا طاعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. يا حصين بن تميم، ثكلتك أُمّك إن ضاع شيء من سكك الكوفة أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به! وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً فاستبرء الدور حتّى تأتي بهذا الرجل، ثمّ نزل.

فلمّا أصبح أذن للناس، فدخلوا عليه، وأقبل محمّد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يتّهم ولا يستغشّ، وأقعده إلى جنبه.

وأصبح بلال ابن العجوز التي آوت ابن عقيل، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، فأخبره بمكان ابن عقيل عند أُمّه، فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى إلى أبيه ١٠٦
وهو جالس، فسارّه، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أنّ ابن عقيل في دار من دورنا، فنخسه ابن زياد بالقضيب في جنبه، ثمّ قال: قم فأتني به الساعة.

قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعد بن زائدة الثقفي: أنّ ابن زياد بعث مع ابن الأشعث ستّين أو سبعين رجلاً كلّهم من قيس، عليهم عمرو بن عبيد الله بن العبّاس السلمي حتّى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل، فلمّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، عرف أنّه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، فاقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم كذلك، فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق السطوح وظهروا فوقه، فأخذوا يرمونه بالحجارة! ويلهبون النيران في أطنان القصب، ثمّ يقذفونها عليه من فوق السطوح!

فلمّا رأى ذلك قال: أكلّما أرى من الإجلاب لقتل ابن عقيل؟ يا نفس، اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص، فخرج رضوان الله عليه مصلتاً سيفه إلى السكّة، فقاتلهم، فأقبل عليه محمّد بن الأشعث، فقال: يا فتى، لك الأمان، لا تقتل نفسك.

فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أَقسمتُ لا أُقتَلُ إلّا حُرّا ... وَ إن رَأيتُ المَوتَ شيئاً نُكرا
أُخافُ أَن أُكذَب أو أُغرّا ... أو يخلط البارد سخناً مُرّا
ردَّ شعاع الشَمسِ فاستَقَرّا ... كلّ امرئ يوماً مُلاقٍ شَرّا

قال له محمّد بن الأشعث: إنّك لا تكذب ولا تغرّ، إنّ القوم ليسوا بقاتليك ولا ضاربيك، وقد أُثخن بالجراح وعجز عن القتال؛ فانبهر وأسند •ظهره إلى دار بجنب ١٠٧
تلك الدار، فدنا منه محمّد بن الأشعث فقال له: لك الأمان، فقال له مسلم: آمن أنا؟ قال: نعم أنت آمن، فقال القوم جميعاً: نعم غير عبيد الله بن العبّاس السلمي؛ لأنّه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وتنحّى.

فقال ابن عقيل: إنّي والله لو لا أمانكم ما وضعت يدي في أيديكم.

و أُتي ببغلة فحمل عليها فاجتمعوا عليه، فنزعوا سيفه من عنقه، فكأنّه آيس من نفسه، فدمعت عينه، وعلم أنّ القوم قاتلوه، وقال: هذا أوّل الغدر!

فقال له محمّد بن الأشعث: أرجوا ألّا يكون عليك بأس.

فقال: ما هو إلّا الرجاء، فأين أمانكم، إِنَّا لِلهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! وبكى.

فقال له عبيد الله بن العبّاس السلمي: إنّ مثلك ومن يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبكِ!

قال: إنّي والله ما أبكي لنفسي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أُحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكنّي أبكي لأهلي المقبلين إليَّ، أبكي للحسين وآل الحسين، ثمّ أقبل على ابن الأشعث فقال: إنّي والله أظنّك ستعجز عن أماني، وسأله أن يبعث رسولاً إلى الحسين بن عليّ يعلمه الخبر، ويسأله الرجوع. فقال له ابن الأشعث: والله، لأفعلنّ.

قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعد: أنّ مسلم بن عقيل حين انتهي به إلى

القصر رأى قلّة مبرّدة موضوعة على الباب، فقال: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمر وأبو قتيبة بن مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها؟ فو الله، لا تذوق منها قطرة واحدة حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم!

١٠٨ فقال له مسلم بن عقيل: ويلك! ولأُمّك الثكل، ما أجفاك وأفظّك! وأقسى قلبك! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم، والخلود في نار جهنّم، ثمّ جلس وتساند إلى الحائط.

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو قدامة بن سعد: أنّ عمرو بن حريث بعث غلاماً له يدعى سليماً، فأتاه بماء في قلّة فسقاه.

قال: وحدّثني مدرك بن عمارة: أنّ عمارة بن عقبة بعث غلاماً يدعى نسيماً، فأتاه بماء في قلّة عليها منديل وقدح معه، فصب فيه الماء، ثمّ سقاه، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً، فأخذ لا يشرب من كثرة الدم، فلمّا ملأ القدح ثانية ذهب يشرب، فسقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته.

قال: ثمّ أُدخل على عبيد الله بن زياد (لعنه الله) فلم يسلّم عليه، فقال له الحرس: ألا تسلّم على الأمير؟

فقال: إن كان الأمير يريد قتلي فما سلامي عليه؟! وإن كان لا يريد قتلي فليكثرنّ سلامي عليه.

فقال له عبيد الله (لعنه الله): لتقتلنّ.

قال: أكذلك؟ قال: نعم. قال: دعني إذاً أُوصي إلى بعض القوم. قال: أوص إلى من أحببت.

فنظر ابن عقيل إلى القوم وهم جلساء ابن زياد، وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إنّ بيني و بينك قرابة دون هؤلاء، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك لقرابتي

نجح حاجتي، وهي سرّ، فأبى أن يمكّنه من ذكرها.

فقال له عبيد الله بن زياد: لا تمتنع من أن تنظر في حاجة ابن عمّك، فقام معه وجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد (لعنه الله).

فقال له ابن عقيل: إنّ عليَّ بالكوفة ديناً استدنته مذ قدمتها تقضيه عنّي حتّى يأتيك من غلّتي بالمدينة، وجثّتي فاطلبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين مَن يردّه.

فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال؟ قال: اكتم ما قال لك، قال: أتدري ما قال لي؟ قال: هات، فإنّه لا يخون الأمين، ولا يؤتمن الخائن. قال: كذا وكذا.

قال: أمّا مالك فهو لك، ولسنا نمنعك منه فاصنع فيه ما أحببت، وأمّا حسين فإنّه إن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكفّ عنه، وأمّا جثّته فإنّا لا نشفّعك فيها، فإنّه ليس لذلك منّا بأهل، وقد خالفنا وحرص على هلاكنا.

•ثمّ قال ابن زياد لمسلم: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد من الناس في الإسلام! ١٠٩

قال: أما إنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنّك لم تدع سوء القتلة، وقبح المثلة وخبث السيرة، ولؤم الغيلة لمن هو أحقّ به منك!!

ثمّ قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه.

ثمّ قال: ادعوا الذي ضربه ابن عقيل على رأسه وعاتقه بالسيف، فجاءه، فقال: اصعد وكن أنت الذي تضرب عنقه، وهو بكير بن حمران الأحمري (لعنه الله)، فصعدوا به وهو يستغفر الله ويصلّي على النبيّ ﷺ، وعلى أنبيائه ورسله وملائكته، وهو يقول: اللّهمّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا، وكادونا وخذلونا.

ثمّ أشرفوا به على موضع الحذّائين فضرب عنقه، ثمّ أتبع رأسه جسده صلّى الله عليه ورحمه.

و قال المدائني: عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد، قال: فقال عبدالله بن الزّبير الأسدي:

إذا كُنتِ لا تَدرينَ ما المَوتُ فانظُري ... إلى هانئ في السُوقِ وابنِ عقيلِ
إلى بَطَلٍ قَد هَشَّمَ السَيفُ وَجهَهُ ... وَ آخرَ يَهوي مِن طِمارٍ قَتيلِ
تَرى جَسَداً قَد غَيَّرَ المَوتُ لَونَهُ ... و نَضح دم قد سال كلَّ مسيلِ
أَصابَهما أمرُ الأميرِ فأصبَحا ... أَحاديثَ مَن يَسعى بِكُلِّ سَبيلِ

١١٠

أَيَركَب أَسماء الهَمالیج آمِناً ... وَ قَد طَلبته مذحجٌ بِذحولِ
تطيف حواليه مرادٌ وكُلُّهم ... على رَقبةٍ من سائل ومَسولِ
فإن أَنتُمُ لَم تَثأَروا بِأَخيكُمُ ... فَكُونوا بغايا أُرضِيَت بِقَليلِ

قالوا: وكان مسلم قد كتب إلى الحسين بأخذ البيعة له، واجتماع الناس عليه، وانتظارهم إيّاه، فأزمع الشخوص إلى الكوفة، ولقيه عبدالله بن الزبير في تلك الأيّام ولم يكن شيء أثقل عليه من مكان الحسين بالحجاز، ولا أُحبّ إليه من خروجه إلى العراق طمعاً في الوثوب بالحجاز، وعلماً بأنّ ذلك لا يتمّ له إلّا بعد خروج الحسين، فقال له: على أيّ شيء عزمت يا أبا عبدالله؟

فأخبره برأيه في إتيان الكوفة، وأعلمه بما كتب به مسلم بن عقيل إليه.

فقال له ابن الزبير: فما يحبسك؟! فو الله، لو كان لي مثل شيعتك بالعراق ما تلوّمت في شيء، وقوّى عزمه، ثمّ انصرف.

و جاءه به عبدالله بن عبّاس وقد أجمع رأيه على الخروج، وحقّقه، فجعل يناشده في المقام، ويعظّم عليه القول في ذمّ أهل الكوفة، وقال له: إنّك تأتي قوماً قتلوا أباك، وطعنوا أخاك، وما أراهم إلّا خاذليك!

فقال له: هذه كتبهم معي، وهذا كتاب مسلم باجتماعهم.

فقال له ابن عبّاس: أمّا إذا كنت لابدّ فاعلاً فلا تخرج أحداً من ولدك، ولا حرمك ولا نسائك، فخليق أن تقتل وهم ينظرون إليك كما قتل ابن عفّان. فأبى ذلك ولم يقبله.

قال: فذكر من حضره يوم قتل وهو يلتفت إلى حرمه وإخوته وهن يخرجن من أخبيتهنّ جزعاً لقتل من يقتل معه وما يرينه به، ويقول: لله درّ ابن عبّاس فيما أشار عليَّ به.

قال: فلمّا أبى الحسين قبول رأي ابن عبّاس، قال له: والله، لو أعلم أنّي إذا تشبّثت بك وقبضت على مجامع ثوبك، وأدخلت يدي في شعرك حتّى يجتمع الناس عليَّ وعليك، كان ذلك نافعي لفعلته، ولكن أعلم أنّ الله بالغ أمره، •ثمّ أرسل ١١١ عينيه فبكى، وودّع الحسين، وانصرف.

و مضى الحسين لوجهه، ولقي ابن عبّاس بعد خروجه عبدالله بن الزبير فقال له:

يـــا لَكِ مِـن قُـبّرَةٍ بـمعمر خَلا لَكِ الجوُّ فَبيضي واصفري

و نَـقّري مـا شِئت أَن تُـنقّري هذا الحُسَينُ خارجاً فاستبشري

فقال: قد خرج الحسين وخلت لك الحجاز.

قال أبو مخنف في حديثه خاصّة عن رجاله: إنّ عبيد الله بن زياد وجّه الحرّ بن يزيد ليأخذ الطريق على الحسين، فلمّا صار في بعض الطريق لقيه أعرابيّان من بني أسد، فسألهما عن الخبر، فقالا له: يا ابن رسول الله، إنّ قلوب الناس معك، وسيوفهم عليك، فارجع، وأخبراه بقتل ابن عقيل وأصحابه.

فاسترجع الحسين، فقال له بنو عقيل: لا نرجع والله أبداً أو ندرك ثأرنا أو نقتل بأجمعنا، فقال لمن كان لحق به من الأعراب: من كان منكم يريد الإنصراف عنّا فهو في حلّ من بيعتنا.

فانصرفوا عنه، وبقي في أهل بيته، ونفر من أصحابه.

ومضى حتّى دنا من الحرّ بن يزيد، فلمّا عاين أصحابه العسكر من بعيد كبّروا، فقال لهم الحسين: ما هذا التكبير؟ قالوا: رأينا النخل، فقال بعض أصحابه: ما بهذا الموضع والله نخل، و لا أحسبكم ترون إلّا هوادي الخيل وأطراف الرماح، فقال الحسين: وأنا والله أرى ذلك.

فمضوا لوجوههم، ولحقهم الحرّ بن يزيد في أصحابه، فقال للحسين: إنّي أُمرت أن أُنزلك في أيّ موضع لقيتك وأجعجع بك، ولا أتركك أن تزول من مكانك.

قال: إذاً أُقاتلك، فاحذر أن تشقى بقتلي، ثكلتك أُمّك!

فقال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أُمّه بالثكل أن أقوله كائناً من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلّا •بأحسن ما يقدر عليه. ١١٢

و أقبل يسير والحرّ يسايره ويمنعه من الرجوع من حيث جاء، ويمنع الحسين من دخول الكوفة، حتّى نزل بأقساس مالك، وكتب الحرّ إلى عبيد الله يعلمه ذلك.

قال أبو مخنف: فحدّثني عبد الرحمن بن جندب، عن عتبة بن سمعان الكلبي، قال: لمّا ارتحلنا من قصر ابن مقاتل، وسرنا ساعة خفق رأس الحسين خفقة، ثمّ انتبه فأقبل يقول: إِنَّا لِلَّهِ، وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، مرّتين.

فأقبل إليه عليّ بن الحسين وهو على فرس فقال له: يا أبي جعلت فداك، مِمَّ استرجعت؟ وعَلام حمدت الله؟ قال الحسين: يا بنيّ، إنّه عرض لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا، فقال: يا أبتاه، لا أراك الله سوءاً أبداً، أ لسنا على الحق؟

قال: بلى والذي يرجع إليه العباد. فقال: يا أبتِ، فإذاً لا نبالي.

قال: جزاك الله خير ما جزى ولد عن والده.

قال: وكان عبيد الله بن زياد (لعنه الله) قد ولّى عمر بن سعد الرّي، فلمّا بلغه

الخبر وجّه إليه أن سر إلى الحسين أوّلاً فاقتله، فإذا قتلته رجعت ومضيت إلى الريّ، فقال له: أعفني أيّها الأمير.

قال: قد أعفيتك من ذلك، ومن الريّ.

قال: اتركني أنظر في أمري فتركه، فلمّا كان من الغد غدا عليه فوجّه معه بالجيوش لقتال الحسين، فلمّا قاربه وتواقفوا قام الحسين في أصحابه خطيباً فقال:

١١٣ اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت •خيراً من أهل بيتي، فجزاكم الله خيراً فقد آزرتم وعاونتم، والقوم لا يريدون غيري، ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً، فإذا جنّكم الليل فتفرّقوا في سواده، وانجوا بأنفسكم.

فقام إليه العبّاس بن عليّ أخوه، وعليّ ابنه، وبنو عقيل، فقالوا له: معاذ الله والشهر الحرام، فماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم! إنّا تركنا سيّدنا، وابن سيّدنا وعمادنا! وتركناه غرضاً للنبل، ودريئة للرماح، وجزراً للسباع، وفررنا عنه رغبة في الحياة!! معاذ الله، بل نحيا بحياتك، ونموت معك.

فبكى وبكوا عليه، وجزّاهم خيراً، ثمّ نزل صلوات الله عليه.

فحدّثني عبدالله بن زيدان البجلي، قال: حدّثنا محمّد بن زيد التميمي، قال: حدّثنا نصر بن مزاحم، عن أبي مخنف عن الحرث بن كعب، عن عليّ بن الحسين، قال:

إنّي والله لجالس مع أبي في تلك الليلة، وأنا عليل، وهو يعالج سهاماً له، وبين يديه جون مولى أبي ذرّ الغفاري، إذ ارتجز الحسين:

يا دَهرُ أُفٍّ لَكَ مِن خَليلٍ ... كَم لَكَ في الإشراقِ والأصيلِ

مِن صاحِبٍ وماجدٍ قَتيلِ ... و الدَهرُ لا يَقنَعُ بالبَديلِ

و الأَمرُ في ذاكَ إلى الجَليلِ ... و كُلُّ حيٍّ سالِكُ السبيلِ

قال: وأمّا أنا فسمعته ورددت عبرتي، وأمّا عمّتي فسمعته دون النساء فلزمتها

الرقّة والجزع، فشقّت ثوبها، ولطمت وجهها، وخرجت حاسرة تنادي: واثكـلاه! واحزناه! ليت الموت أعدمني الحياة، يا حسيناه! يا سيّداه! يـا بـقيّة أهـل بـيتاه! استقلت ويئست من الحياة!! اليوم مات جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأُمّي فاطمة الزهراء،
١١٤ وأبي عليّ، •وأخي الحسن! يا بقيّة الماضين، وثمال الباقين.

فقال لها الحسين: يا أُختي، لو ترك القطا لنام.

قالت: فإنّما تغتصب نفسك اغتصاباً! فذاك أطول لحزني وأشجى لقلبي، وخرّت مغشيّاً عليها، فلم يزل يناشدها، واحتملها حتّى أدخلها الخباء.

رجع الحديث إلى مقتله صلوات الله عليه:

قال: فوجّه إلى عمر بن سعد (لعنه الله) فقال: ما ذا تريدون منّي؟ إنّي مخيّركم ثلاثاً: بين أن تتركوني ألحق بيزيد، أو أرجع من حيث جئت، أو أمضي إلى بعض ثـغور المسلمين فأُقيم فيها.

ففرح ابن سعد بذلك، وظنّ أنّ ابن زياد (لعنه الله) يقبله منه، فوجّه إليه رسولاً يعلمه ذلك، ويقول: لو سألك هذا بعض الديلم ولم تقبله ظلمته.

فوجّه إليه ابن زياد: طمعت يا ابن سعد في الراحة، وركـنت إلى دعـة، نـاجز الرجل وقاتله، ولا ترضَ منه إلّا أن ينزل على حكمي.

فقال الحسين: معاذ الله، أن أنزل على حكم ابن مرجانة أبداً، فوجّه ابن زيـاد شمر بن ذي الجوشن الضّبابي (أخزاه الله) إلى ابن سعد (لعنه الله) يستحثّه لمناجزة الحسين.

فلمّا كان في يوم الجمعة لعشر خلون من المحرّم سنة إحدى وستّين، ناجزه ابن سعد (لعنه الله) فجعل أصحاب الحسين يتقدّمون رجلاً رجلاً يقاتلون حتّى قتلوا.

وقال المدائني: عن العبّاس بن محمّد بن رزين، عن عليّ بن طلحة، وعن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن حميد بن مسلم؛ وقال عمر بن سعد
١١٥ البصري: عن أبي مخنف، عن زهير بن عبدالله الخثعمي. •وحدّثنيه أحمد بن سعيد،

عن يحيى بن الحسن العلوي، عن بكر بن عبد الوهاب، عن إسماعيل بن أبي إدريس، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين: إنّ أوّل قتيل قتل من ولد أبي طالب مع الحسين ابنه عليّ، قال: فأخذ يشدّ على الناس وهو يقول:

أَنا عليُّ بن الحسينِ بن عليّ ... نَحنُ وبيتِ اللهِ أولى بالنبيِّ
مِن شبث ذاكَ ومن شمر الدَنِي ... أَضربُكُم بالسيفِ حتّى يَلتوي
ضَربَ غُلامٍ هاشِميّ علويّ ... و لا أَزال اليومَ أحمي عَن أبي
و اللهِ لا يحكم فينا ابنُ الدَعي

ففعل ذلك مراراً، فنظر إليه مرّة بن منقذ العبدي فقال: عَليَّ إثم العرب إن هو فعل مثل ما أراه يفعل، ومرّ بي أن أثكله أُمّه، فمرّ يشدّ على الناس ويقول كما كان يقول، فاعترضه مرّة و طعنه بالرمح فصرعه، واعتوره الناس فقطّعوه بأسيافهم.

و قال أبو مخنف: عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: سماع أُذني يومئذ الحسين وهو يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بنيّ، ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاك حرمة الرسولﷺ ثمّ قال: على الدنيا بعدك العفاء.

قال حميد: وكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنّها الشمس الطالعة تنادي: يا حبيباه! يا ابن أخاه! فسألت عنها، فقالوا: هذه زينب بنت عليّ بن أبي طالب، ثمّ جاءت حتّى انكَبّت عليه، فجاءها الحسين فأخذ بيدها إلى الفسطاط، وأقبل إلى ابنه، وأقبل فتيانه إليه فقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه ذلك، ثمّ جاء به حتّى وضعه بين يدي فسطاطه.

حدّثني أحمد بن سعيد، قال: حدّثني يحيى بن الحسن العلوي، قال: حدّثنا غير واحد، عن محمّد بن عمير، عن أحمد بن عبد الرحمن البصري، عن •عبد الرحمن ١١٦
بن مهدي، عن حمّاد بن سلمة، عن سعيد بن ثابت، قال: لمّا برز عليّ بن الحسين

إليهم، أرخى الحسين (صلوات الله عليه وسلامه) عينيه فبكى، ثمّ قال: اللّهمّ كن أنت الشهيد عليهم، فبرز إليهم غلام أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل يشدّ عليهم، ثمّ يرجع إلى أبيه فيقول: يا أباه، العطش! فيقول له الحسين: اصبر حبيبي، فإنّك لا تمسي حتّى يسقيك رسول الله صلى الله عليه وآله بكأسه، و جعل يكرّ كرّة بعد كرّة، حتّى رمى بسهم فوقع في حلقه فخرقه، وأقبل ينقلب في دمه، ثمّ نادى: يا أبتاه، عليك السلام، هذا جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام، ويقول: عجّل القدوم إلينا، وشهق شهقة فارق الدنيا.

قال أبو مخنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: أحاطوا بالحسين عليه السلام، وأقبل غلام من أهله نحوه، وأخذته زينب بنت عليّ لتحبسه، فقال لها الحسين: احبسيه، فأبى الغلام، فجاء يعدوا إلى الحسين، فقام إلى جنبه، وأهوى أبحر بن كعب بالسيف إلى الحسين، فقال الغلام لأبجر[1]: يا ابن الخبيثة أتقتل عمّي؟ فضربه أبجر بالسيف، واتّقاه الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد، وبقيت معلّقة بالجلد، فنادى الغلام: يا أُمّاه!

فأخذه الحسين فضمّه إليه، وقال: يا ابن أخي احتسب فيما أصابك الثواب، فإنّ الله ملحقك بآبائك الصالحين: برسول الله صلى الله عليه وآله وحمزة وعليّ وجعفر والحسن عليهم السلام.

قال: وجاء رجل حتّى دخل عسكر الحسين، فجاء إلى رجل من أصحابه فقال له: إنّ خبر ابنك فلان وافى، إنّ الديلم أسروه، فتنصرف معي حتّى نسعى في فدائه، فقال: حتّى أصنع ماذا؟ عند الله أحتسبه ونفسي.

فقال له الحسين: انصرف وأنت في حلّ من بيعتي، وأنا أعطيك فداء ابنك.

١١٧ فقال: •هيهات أن أُفارقك ثمّ أسأل الركبان عن خبرك! لا يكون والله هذا أبداً، ولا أُفارقك، ثمّ حمل على القوم، فقاتل حتّى قُتِلَ رحمة الله عليه ورضوانه.

---

١. اختلف المصادر في ضبطه فقد جاء بالحاء المنقوطة والمهملة.

قال: وجعل الحسين يطلب الماء، وشمر (لعنه الله) يقول له: والله، لا ترده أو ترد النار! فقال له رجل: ألا ترى إلى الفرات يا حسين كأنّه بطون الحيّات، والله، لا تذوقه أو تموت عطشاً! فقال الحسين: اللّهمّ أمته عطشاً.

قال: والله، لقد كان هذا الرجل يقول: اسقوني ماء، فيؤتى بماء، فيشرب حتّى يخرج من فيه و هو يقول: اسقوني، قتلني العطش، فلم يزل كذلك حتّى مات.

قال أبو مخنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: لمّا اشتدّ العطش على الحسين دعا أخاه العبّاس بن عليّ، فبعثه في ثلاثين راكباً وثلاثين راجلاً، وبعث معه بعشرين قربة، فجاءوا حتى دنوا من الماء فاستقدم أمامهم نافع بن هلال الجملي، فقال له عمرو بن الحجّاج: مَن الرجل؟

قال: نافع بن هلال، قال: مرحباً بك يا أخي، ما جاء بك؟ قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه، قال: اشرب، قال: لا والله، لا أشرب منه قطرة والحسين عطشان.

فقال له عمرو: لا سبيل إلى ما أردتم، إنّما وضعونا بهذا المكان لنمنعكم من الماء، فلمّا دنا منه أصحابه قال للرجّالة: املئوا قربكم، فشدّت الرجالة، فدخلت الشّريعة فملأوا قربهم، ثمّ خرجوا، ونازعهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه، فحمل عليهم العبّاس بن عليّ، ونافع بن هلال الجملي جميعاً، فكشفوه، ثمّ انصرفوا إلى رحالهم، وقالوا للرجّالة: انصرفوا. فجاء أصحاب الحسين بالقرب حتّى أدخلوها عليه.

قال المدائني: فحدّثني أبو غسّان، عن هارون بن سعد، عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة، قال: •رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وكنت أعرفه جميلاً، ١١٨
شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك، قال: إنّي قتلت شابّاً أمرد مع الحسين، بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلّا أتاني، فيأخذ بتلابيبي حتّى يأتي جهنّم فيدفعني فيها، فأصيح، فما يبقى أحد في الحيّ إلّا سمع صياحي.

قال: والمقتول العبّاس بن عليّ عليه السلام.

قال المدائني. فحدّثني مخلد بن حمزة بن بيض، وحباب بن موسى، عن حمزة بن بيض، قال: حدّثني هانئ بن ثبيت القايضي زمن خالد، قال: قال: كنت ممّن شهد الحسين، فإنّي لواقف على خيول، إذ خرج غلام من آل الحسين مذعوراً يلتفت يميناً وشمالاً، فأقبل رجل منّا يركض حتّى دنا منه، فمال عن فرسه، فضربه فقتله.

قال: وحمل شمر (لعنه الله) على عسكر الحسين، فجاء إلى فسطاطه لينهبه، فقال له الحسين: ويلكم، إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في الدنيا، فرحلي لكم عن ساعة مباح، قال: فاستحيا ورجع.

قال: وجعل الحسين يقاتل بنفسه، وقد قتل ولده وإخوته وبنو أخيه وبنو عمّه، فلم يبقَ منهم أحد، وحمل عليه ذرعة بن شريك (لعنه الله)، فضرب كتفه اليسرى بالسيف فسقطت (صلوات الله عليه). وقتله أبو الجنوب زياد بن عبد الرحمن الجعفي، والقثعم، وصالح بن وهب اليزني، وخوليّ بن يزيد، كلّ قد ضربه وشرك فيه. ونزل سنان بن أنس النخعي فاحتزّ رأسه.

ويقال: إنّ الذي أجهز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله.

وحمل خوليّ بن يزيد رأسه إلى عبيد الله بن زياد.

١١٩ وأمر ابن زياد (لعنه الله، وغضب عليه) أن يوطأ صدر الحسين، وظهره •وجنبه ووجهه! فأُجريت الخيل عليه.

وحمل أهله أسرى، وفيهم: عمر، وزيد، والحسن بنو الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وكان الحسن بن الحسن بن عليّ قد ارتثّ جريحاً فحمل معهم، وعليّ بن الحسين الذي أُمّه أُمّ ولد، وزينب العقيلة، وأُمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، وسكينة بنت الحسين، لما أُدخلوا على يزيد (لعنه الله) أقبل قاتل الحسين بن عليّ يقول.

أَوقِر رِكابي فضّة أو ذَهباً ... فَقد قَتَلتُ الملكَ المُحجّبا

قَتلتُ خيرَ الناسِ أُمّا وأبا ... و خيرهم إذ ينسبونَ نسبا

ووضع الرأس بين يدي يزيد (لعنه الله) في طست، فجعل ينكته على ثناياه بالقضيب وهو يقول:

نفلّق هاماً مِن رجالٍ أعزّة عَلينا وهُم كانوا أَعقَّ وأَظلَما

وقد قيل: إنّ ابن زياد (لعنه الله) فعل ذلك.

وقيل: إنّه تمثل أيضاً والرأس بين يديه بقول عبدالله بن الزّبعري:

لَيتَ أَشياخي بِبَدرٍ شَهِدوا جَزَعَ الخزرجِ مِن وَقعِ الأسلّ

قَد قَتلنا القَرمَ مِن أشياخِهِم و عَدَلناه بِبدرٍ فاعتدَل

ثمّ دعا يزيد (لعنه الله) بعليّ بن الحسين فقال: ما اسمك؟ فقال: عليّ بن الحسين، قال: أولم يقتل الله عليّ بن الحسين، قال: قد كان لي أخ •أكبر منّي يسمّى عليّاً، فقتلتموه. ١٢٠

قال: بل الله قتله، قال عليّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

قال له يزيد: ﴿وَمَا أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

فقال عليّ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

قال: فوثب رجل من أهل الشام فقال: دعني أقتله، فألقت زينب نفسها عليه.

فقام رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه أتّخذها أمة.

قال: فقالت له زينب: لا ولا كرامة، ليس لك ذلك، ولا له إلّا أن يخرج من دين الله.

فصاح به يزيد: اجلس. فجلس، وأقبلت زينب عليه، وقالت: يا يزيد حسبك من دمائنا.

و قال عليّ بن الحسين: إن كان لك بهؤلاء النسوة رحم، وأردت قتلي فابعث

معهنّ أحداً يؤديهنّ، فرقّ له وقال: لا يؤديهنّ غيرك.

ثمّ أمره أن يصعد المنبر فيخطب فيعذر إلى الناس ممّا كان من أبيه فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيّها الناس، مَن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بنفسي، أنا عليّ بن الحسين، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير. وهي خطبة طويلة كرهت الإكثار بذكرها، وذكر نظائرها.

١٢١ •ثمّ أمره يزيد، بالشخوص إلى المدينة مع النسوة من أهله وسائر بني عمّه، فانصرف بهم.

و قال سليمان بن قتّة يرثي الحسين:

مَررتُ على أبياتِ آل محمّدٍ ... فَلَم أَرَها أمثالها يوم حلّتِ

ألم ترَ أنَّ الشمسَ أضحت مريضة ... لفقدِ حُسينٍ والبلاد اقشعرّت

و كانوا رجاء ثمّ صاروا رزيّة ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت

أ تسألنا قيس فنعطي فقيرها ... و تقتلنا قيس إذا النعل زلّت

وَ عِندَ غَنيٍّ قَطرةٌ مِن دِمائنا ... سَنَطلبها يوماً بها حيث حلّت

فَلا يبعد الله الديار وأهلها ... و إن أصبحت منهم برغمي تخلّت

فإنّ قتيل الطّف من آل هاشم ... أذلّ رقابَ المسلمين فذلّت

قال أبو الفرج:

و قد رثى الحسين بن عليّ (صلوات الله عليه) جماعة من متأخّري الشعراء، أستغني عن ذكرهم في هذا الموضع؛ كراهية الإطالة.

و أمّا من تقدّم فما وقع إلينا شيء رثي به، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافة من بني أُميّة، وخشية منهم.

وهذا آخر ما أخبرنا به من مقتله صلوات الله عليه ورضوانه وسلامه.

الفصل السابع

دور المرأة في واقعة كربلاء[1]

إنّ تواجد النساء و دورهن في واقعة كربلاء جديران بالدراسة و التحليل، و ذلك لأنّ عاشوراء تمثّل تجسيداً للتعاليم الإسلامية في أصعب الظروف، و من خلاله يمكن أن ندرك قدرة المرأة، ودورها و أبعادها الوجودية.

لقد حظي موضوع النساء و عاشوراء في النصف الثاني من القرن الأخير، باهتمام المفكّرين الشيعة، منذ أن طرحت «المرأة» في العالم الحديث و أُولي الاهتمام بحقوقها و دورها. و قد عمد هؤلاء المفكّرون إلى التعريف بالشخصيّات النسوية الدينية البارزة و إحياء ذكراهنّ؛ كي يحولوا ـ من خلال تسليط الضوء على النموذج الديني ـ دون انجذاب النساء المسلمات إلى الثقافة الغربية المبتذلة.

و لعلّ بالإمكان القول: إنّ الشهيد مرتضى المطهّري، هو أوّل مفكّر شيعي تناول بشكل جادٍّ دور المرأة في واقعة كربلاء، فهو يعتبر في كتابه الملحمة الحسينية نهضةَ عاشوراء نهضةً رجالية ـ نسائية؛ حيث يقول في هذا المجال:

تاريخ كربلاء: هو تاريخ و وقعة رجالية ـ نسوية وهي حادثة شارك فيها كلّ من الرجل و المرأة؛ الرجل في نطاقه و المرأة في نطاقها. و هذه هي معجزة الإسلام، شاء العالم المعاصر أم أبى؛ ولكنّ المستقبل سيذعن لذلك. لقد انطلق أبو عبدالله عليه السلام

---

١. كتب هذا الفصل بالتعاون مع الأُستاذ الفاضل الكريم سماحة الشيخ مهدي المهريزي.

بأهل بيته كي يؤدّوا رسالة في هذا التاريخ العظيم؛ ليكون لهم دور مباشر في صناعة هذا التاريخ العظيم بقيادة زينب عليها السلام للقافلة، دون أن يخرجوا عن نطاقهم.[١]

و بعد هذه الكلمة، فقد فتح باب الكتابة حول هذا الموضوع بين الكتّاب الشيعة على مصراعيه، و طبع الكثير من الكتب و المقالات في هذا الموضوع.[٢]

ومن جملة المواضيع التي تستحقّ الدراسة و التحليل في كتاب الصحيح من مقتل سيّدالشهداء و أصحابه، هو دور المرأة في واقعة كربلاء، و رغم أنّ النصوص المتعلّقة بالمرأة و دورها في واقعة الطفّ جاءت بشكل متفرّق في هذا المقتل، إلّا أنّ تحليلها مع أخذ الجميع بنظر الاعتبار، هو ماسنتطرق إليه في هذا الفصل.

وسوف نذكر أوّلاً المواضيع التي يمكن أن تعتبر مقدّمة و تحليلاً عامّاً، ثمّ نقرّر بشكل إجمالي النصوص المتعلّقة بالمرأة:

أ ـ المقدّمة و التحليل

أوّلاً: لايمكن قصر دراسة دور المرأة في واقعة عاشوراء على النساء اللاتي توجّهن إلى كربلاء في ركب الإمام الحسين عليه السلام؛ بل إنّ الكثير من النساء كان لهنّ دور بشكل مّا قبل حدوث واقعة عاشوراء أو بعدها في المدن المختلفة (مثل: المدينة، الكوفة، الشام و البصرة).

وبهذه النظرة الشاملة العامّة، فقد بلغ عدد عناوين هؤلاء النسوة ستّة و ثلاثين، و نظراً إلى عمومية بعض العناوين، فإنّ عددهنّ لابدّ أن يكون أكثر من ذلك.

ثانياً: من المباحث الجديرة بالاهتمام في هذا الموضوع، دراسة دور المرأة بعد واقعة كربلاء في الحقب التاريخية المختلفة، و تجب دراسة المحاور التالية و

---

١. حماسهٔ حسینی: ص ٤٠٨. حماسهٔ حسینی: کتاب یضم خطب الشهید المطهري في العقدین الخامس والسادس الشمسیین (راجع: حماسهٔ حسینی: ص ١٠، مقدمة الناشر).

٢. في هذا الشأن، راجع: مأهیت إنساني قیام إمام حسین: ص ٧٨ ـ ٨٣.

تحليلها في هذا البحث:

١. إقامة مجالس العزاء و قراءة التعازي من قبل النساء[١]؛

٢. بناء الحسينيّات و التكايا من قبل النساء؛

٣. موقوفات النساء لإقامة مجالس العزاء؛

٤. أشعار النساء حول عاشوراء؛

٥. مؤلّفات النساء حول موقعة عاشوراء؛

٦. خطب النساء و كلماتهنّ حول عاشوراء.

و هذا الموضوع خارج عن نطاق هذا الفصل؛ إلّا أنّه بحاجة إلى دراسة جدّية.

ثالثاً: من محاور البحث حول دور المرأة في واقعة عاشوراء، إظهار مجالات وجوانب دور المرأة في تلك الواقعة. و يمكن طرح هذا الموضوع من خلال الأسئلة التالية: ما مدى دور المرأة اجتماعيّاً وسياسيّاً في ذلك العصر؟ هل كان من الممكن أن تترك واقعة كربلاء نفس الأثر الذي تتركه اليوم لو أنّها حدثت دون حضور النساء؟ ما هو انطباع المجتمع في ذلك العصر عن تواجد النساء؟ و ما هي النشاطات التي صدرت من النساء تلك البرهة؟

يبدو من خلال تحليل أقوال وأفعال النسوة الحسينيات يمكن بيان دور النساء في واقعة كربلاء كالتالي:

١. إيصال رسالة

تفسّر خطب السيّدة زينب عليها السلام وأُمّ كلثوم و فاطمة بنت الحسين و حديثهنّ مع الناس

---

١. بهذا الشأن، راجع: مقالات: «النساء والتعزية»، غلام رضا گلي زواره (پيام زن: ١٠٨، فروردين ١٣٨٠ و العدد ١٠٩، ارديبهشت ١٣٨٠)، «النساء و دور مجالس العزاء في العهد القاجاري»، رضا رمضان نرگسي (پيام زن: العدد ١٣٢ / ١٣٨١)، «تقرير عن تواجد النساء في مجالس العزاء»، أصغر فروغي (پيام زن: العدد ١٤٤ / ١٣٨٢) و ...

عند عودتهنّ، و كذلك رواية أحداث كربلاء من قبل النساء، في عداد دورهنّ في إبلاغ رسالة عاشوراء.

٢. المشاركة في المعركة

شارك بعض النسوة في معركة كربلاء و كبّدن العدوّ بعض الأضرار أحياناً، و تضرّرن أحياناً على يد العدوّ أو استشهدن؛ و من هذا القبيل الشهيدة أُمّ وهب زوجة عبدالله بن عمر الكلبي ابنة عبدالله بن عفيف، وهي امرأة من قبيلة بكر بن وائل و كذلك الشهيدة أسماء زوجة المختار.

٣. رفع المعنويّات

نلاحظ في واقعة كربلاء، أُمّهات وأخوات و زوجات شجّعن رجالهنّ على القتال، أو أرسلنهم إلى ساحة القتال. و من جملتهنّ دُلُهم زوجة زهير، ابنة عبدالله بن عفيف، و كذلك أُمّ عمرو بن جنادة.

٤. توبيخ الظالمين و تأنيبهم

إنّ بعض النسوة في تاريخ كربلاء وبّخن و أنّبن رجالهنّ الذين كانوا في جبهة الظلام و الظلم و أبدين شجبهنّ و انزعاجهن من سلوكهم ولم يواجهنهم باحترام، مثل: مرجانة أُمّ عبيد الله ابن زياد، زوجة خولّي، هند زوجة يزيد، عاتكة بنت يزيد، أُمّ عبدالله زوجة مالك بن نُسَير، أسماء زوجة الوليد بن عتبة (والي المدينة) و النوار زوجة كعب (قاتل بُرير) أو أُخته.

٥. إيواء ونصرة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

تلوح لنا قبل حدوث وقعة كربلاء و بعدها، أسماء نساء نصرن جبهة الحقّ جبهة الإمام الحسين عليه السلام و أصحابه من خلال إيواء الحسينيين، مثل: طوعة التي آوت مسلماً، و مارية من قبيلة عبد القيس التي كانت دارها محلّاً لاجتماع أنصار الإمام

الحسين عليه السلام في البصرة، و المرأة التي آوت طفلين من أهل بيت الإمام عليه السلام.

٦. الإدارة

إنّ دور الحوراء زينب عليها السلام في وقعة كربلاء و خاصّة بعد ظهر عاشوراء هو تجسيد لإدارة ناجحة في ظروف متأزّمة للغاية، فهي التي أدارت بدرايتها و تدبيرها المتميّز الركب المتضرّر و المنكوب بكلّ عزّة و صبر و تحمّل حتّى أوصلته إلى المدينة. و لعلّ القول المنقول عن الإمام زين العابدين عليه السلام بحقّ عمّته زينب عليها السلام حيث قال: «أنتِ بحَمدِ الله عالمة غَيرُ مُعلَّمة و فهمةٌ غَيرُ مُفهَّمةٍ»[1] هو علامة على تقديره لهذه الإدارة المشرِّفة.

٧. تعميق البُعد العاطفي و المأساوي لوقعة كربلاء

يمكن اعتبار إقامة النساء لمجالس العزاء بعد وقعة عاشوراء وحدادهن و إنشادهن المراثي، من عوامل خلود عاشوراء في الأذهان على مدى العصور المختلفة.

وإنّ مانقرؤه في التاريخ حول أُمّ البنين، الرباب، أُمّ لقمان ابنة عقيل، نساء بني هاشم، نساء أُسرة يزيد و معاوية، نساء الكوفة و نساء المدينة، يمكن تفسيره و تحليله علي ضوء هذه الملاحظة.

رابعاً: من الموضوعات التي يمكن طرحها حول دور النساء في وقعة عاشوراء والتي تحظى بأهمّية فائقة في عصرنا تحليل دور النساء و الرجال بما يحملانه من ذكورة أو أنوثة. و من خلال هذا المنظار، علينا الإجابة على مثل هذه الأسئلة: هل أدّت المرأة دوراً في جبهة أعداء الحسين عليه السلام؟ هل هنالك امرأة حالت دون ذهاب الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، كما روي حول بعض الرجال، مثل: محمّد بن الحنفية؟ كيف كانت معارضة النساء و الرجال؟ هل يوجد اختلاف في نظرة النساء و

---

١. راجع: ج ٥ ص ١٤٢ (القسم التاسع /الفصل السادس / خطبة زينب عليها السلام في أهل الكوفة).

الرجال إلى وقعة كربلاء (الشهادة، السبي، الثورة ضدّ الظلم و ما إلى ذلك)؟

والملاحظة الجديرة بالاهتمام هي أنّ النساء أدّين بشكل عام دوراً إيجابياً في جبهة النور بحيث لانرى وصمة عار في الروايات المتعلّقة بالنساء، رغم أنّ الرجال شاركوا في جبهتي النور و الظلام و أدّوا الدور في كلا الجبهتين. و يمكن استخدام هذا الاستنتاج في نقد بعض وجهات النظر السلبية حول النساء، و التي تعتبرهنّ مصدر كلّ الشرور و الفتن.

ب ـ النصوص التاريخية المتعلّقة بالنساء

نظراً إلى أنّ النصوص المتعلّقة بالنساء وردت بأكملها تقريباً في الصحيح من مقتل سيّد الشهداء و أصحابه، فمن المناسب أن نذكر ـ ولو على سبيل الإشارة و الإجمال ـ دور هؤلاء النسوة (وسنبدأ بالنساء المنسوبات إلى أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ النساء الأُخريات، حسب التسلسل الألفبائي):

١. أُمّ البنين

كانت فاطمة الكلابية أُمّ أربعة رجال أبطال من أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، وهم العباس وإخوته الثلاثة، و قد عرفت بـ«أُمّ البنين». جاء في مقاتل الطالبيّين:

كانت أُمُّ البَنينَ أُمُّ هؤلاء الأربَعَةِ الإخوَة القَتلى، تَخرُجُ إلى البَقيعِ، فَتَندُبُ بَنيها أشجى نُدبَةٍ و أحرَقَها، فَيجتَمِعُ النّاسُ إلَيها يسمَعون مِنها، فَكانَ مَروانُ يجيءُ فيمَن يجيءُ لِذلِك، فَلا يزالُ يسمَعُ نُدبَتَها و يبكي.[١]

٢. أُمّ سلمة

أُمّ سلمة، زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله و التي كانت تربطها علاقة عاطفية عميقة مع أهل البيت عليهم السلام، كانت الأمينة على ثورة الإمام الحسين عليه السلام و شهادته. و كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد

---

١. مقاتل الطالبيين: ص ٩٠ وراجع: هذا المقتل: ج ٦ ص ١٧١ ح ١٧٢٨.

أعطاها شيئاً من تربة كربلاء، و أنباها بأن هذه التربة إذا تحوّلت دماً عبيطاً، فهو يعني شهادة الإمام الحسين عليه السلام.[١]

و كانت أُمّ سلمة قد تحدّثت مع الإمام عليه السلام قبل انطلاقه[٢]، وقد علمت بشهادة الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء، من خلال رؤية النبيّ صلى الله عليه وآله في المنام، و كذلك عن طريق تحوّل تلك التربة التي دفعها إليها الرسول صلى الله عليه وآله و كانت تحتفظ بها، إلى دم عبيط. و كانت من أوائل من أقاموا العزاء على سيّدالشهداء.[٣]

٣. أُمّ كلثوم، ابنة الإمام عليّ عليه السلام

ذكر اسم أُمّ كلثوم في الكثير من أحداث ملحمة كربلاء و ما بعدها[٤]. و لايمكن إبداء رأي أكيد فيما إذا كانت أُمّ كلثوم التي شهدت وقعة كربلاء، هي زينب نفسها، أم هي ابنة أُخرى للإمام عليّ و فاطمة عليهما السلام، أم هي ابنة أميرالمؤمنين عليه السلام من غير فاطمة عليها السلام.

٤. الرباب، زوجة الإمام الحسين عليه السلام

مالرباب: هي الزوجة الوفيّة للإمام الحسين عليه السلام، وهي أُمّ سكينة و عبدالله الرضيع (الطفل الذي استهشد في حجر الإمام عليه السلام) و يتّضح حبّ الإمام لها من خلال الشعر الذي أنشده فيها و في ابنتها سكينة، حيث يقول:

---

١. راجع: ج ٢ ص ٢٧٦ (القسم السادس /الفصل الثاني /إنباؤه أُمّ سلمة بشهادته).

٢. راجع: ج ٣ ص ٢٣٨ (القسم السابع: الفصل السادس: من أشار على الإمام عليه السلام بعدم التوجّه نحو العراق /أُمّ سَلمة).

٣. راجع: ج ٢ ص ٢٨٥ (القسم السادس /الفصل الثاني /إراءة النبيّ صلى الله عليه وآله التربة التي يسفك فيها دمه) و ج ٥ ص ٢٧ (القسم التاسع /الفصل الثاني /رؤيا أُمّ سلمة).

٤. كنموذج، راجع: تاريخ البلعمي: ج ٤ ص ٧٠١؛ الكامل للبهائي: ص ٣٠٢ (بغضّ النظر عن توثيق التقارير) وراجع: ج ٤ ص ٧٤ (القسم الثامن /الفصل الأوّل /حالة زينب عليها السلام ليلة عاشوراء) و ج ٥ ص ١٥٢ (القسم التاسع /الفصل السادس /خطبة أُمّ كلثوم في أهل الكوفة) و ص ١٨٨ (الأسرى من نساء بني هاشم /أُمّ كلثوم، بنت أميرالمؤمنين) و ص ١٩٩ (الفصل السابع /إشخاص حرم الرسول صلى الله عليه وآله إلى الشام).

لَعَمرُك إنَّني لَأُحِبُّ داراً تُضَيِّفُها سُكينَةُ وَ الرَّبابُ
أُحِبُّهُما وَ أبذُلُ بَعدُ مالي وَ لَيس لِلائِمي فيها عِتابُ

و قد ذكر أنّ الرباب كانت امرأة جميلة عاقلة، و ذات فضل، و تجيد الشعر، و لم تبق بعد شهادة زوجها أبي عبد الله الحسين عليه السلام و أولادها و أقاربها الآخرين، سوى سنة واحدة، و لم تستظلّ خلال هذه المدّة تحت سقف و قد روى البعض أنّها أقامت على قبر الإمام عليه السلام. و جاء في أحد النقول: أنّها أجابت المتقدّمين للزواج منها قائلة: «ما كُنتُ لِأَتَّخِذَ حَموا بَعدَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله»، فلم تزوّج، وعاشت بعده سنةً لم يظلّها سقف بيتٍ، حتّىٰ بليت وماتت كمداً.[1]

و كان قد هدم دارها والي يزيد على المدينة.

وقد أنشدت مراثٍ مفجعة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، و منها:

إنَّ الَّذي كانَ نوراً يستضاءُ بِه بِكربَلاءَ قَتيلٌ غَيرُ مَدفونِ
سِبطُ النَّبِي جَزاك اللهُ صالِحَةً عَنّا وَجُنّبتَ خُسرانَ المَوازينِ
قَد كنتَ لي جَبَلاً صَعباً ألوذُ بِهِ وَ كنتَ تَصحَبُنا بِالرَّحمِ وَالدِّينِ
مَن لِليتامى وَ مَن لِلسّائِلينَ وَ مَن يُغني وَ يَأوي إلَيهِ كُلُّ مِسكينِ
وَاللهِ، لاأبتَغي صِهراً بِصِهْرِكمُ حَتّى أُغيبَ بَينَ الرَّملِ وَالطِّينِ[2]

٥. رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام

جاءت بشأنها مقالة قيّمة في كتابنا هذا الصحيح من مقتل سيّدالشهداء و أصحابه.[3]

---

١. لرؤية هذه الروايات، راجع: ج ٦ ص ١٦٠ (القسم الحادي عشر /الفصل الأوّل /رثاء الرباب).

٢. الأغاني: ج ١٦ ص ١٤٩ وراجع: ج ١ ص ٢٠ (القسم الأوّل /الفصل الخامس /الرباب) و ج ٥ ص ١٩٣ (القسم التاسع /الفصل السادس /الأسرى من نساء بني هاشم /الرباب، زوجة الإمام حسين عليه السلام).

٣. راجع: ج ١ ص ٢٦١ (دراسة حول انتساب السيّدة رقية إلى الإمام حسين عليه السلام).

٦. نساء بني عقيل

أنشدت بنات عقيل اللاتي قدّمن شهداء أجلّاء من بني عقيل في الكوفة و كربلاء مراثي مفجعة عند عودة سبايا أهل بيت النبيّ ﷺ إلى المدينة. و قد جاء في الإرشاد للمفيد:

خَرَجَت أُمُّ لُقمانَ بِنتُ عَقيلِ بنِ أبي طالِب حينَ سَمِعَت نَعي الحُسَينِ عليه السلام حاسِرَةً وَ مَعَهَا أخواتُها: أُمُّ هانِئ، وَ أسماءُ، وَرَملَةُ، وَ زَينَبُ، بَناتُ عَقيلِ بنِ أبـي طـالبٍ رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِنَّ تَبكي قَتلاها بِالطّفِّ، وَ هِي تَقولُ:

مـاذا تَـقولونَ إنْ قـالَ النَّـبِيُّ لَكـم ... مـاذا فَـعَلتُم وَ أَنـتُم آخِـرُ الأُمَـمِ
بِـعِترَتي وَ بِـأَهلي بَـعدَ مُـفتَقَدي ... مِنهُم أُسارى وَ مِـنهُم ضُـرِّجوا بِـدَمِ
ما كانَ هذا جَزائي إذ نَـصَحتُ لَكـم ... أن تَخلُفوني بِسوءٍ في ذَوي رَحِمي[1]

٧. نساء بني هاشم

بكت نساء بني هاشم الحسين عليه السلام سنوات عديدة، و كان لهنّ دورهامّ فـي تـخليد ذكرى الشهداء و إدانة المجرمين. و قد جاء في كامل الزيارات نـقلاً عـن الإمـام الصادق عليه السلام:

مَا اختَضَبَت مِنَّا امرَأَةٌ، و لَا ادَّهَنَت، و لَا اكتَحَلت، و لا رَجَّلَت، حَتّى أتانا رَأسُ عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ، و ما زِلنا في عَبرَةٍ بَعدَهُ.[2]

كما جاء في المحاسن نقلاً عن عمر بن عليّ بن الحسين عليه السلام:

لَمّا قُتِلَ الحُسَينُ بنُ عَلِي عليه السلام لَبِسنَ نِساءُ بَني هاشِمٍ السَّوادَ وَالمُسوحَ، و كـنَّ لا يشتَكينَ مِن حرٍّ ولا بَردٍ، و كانَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام يعمَلُ لَهُنَّ الطَّعامَ لِلمَأتَمِ.[3]

---

١. الإرشاد: ج ٢ ص ١٢٤ و راجع: هذه الموسوعة: ج ٦ ص ١٦٨ ح ٢٧٢٤ و ح ٢٧٢٥.
٢. كامل الزيارات: ص ١٦٧ ح ٢١٩ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٦ ص ١٧٢ ح ٢٧٣٣.
٣. المحاسن: ج ٢ ص ١٩٥ ح ١٥٦٤ و راجع: هذه الموسوعة: ج ٦ ص ١٧٣ ح ٢٧٣٧.

٨. زينب الكبرى عليها السلام

لقد شاركت الحوراء زينب عليها السلام أخاها الحسين عليه السلام في حركته و ثورته منذ بدئها، و كانت له ـ طيلة ثورته ـ خير ناصر و معين و حافظ لأسراره. و كان حديثها مع الإمام عليه السلام في ليلة عاشوراء، حضورها عند جثمان عليّ الأكبر عليه السلام، و سيّد الشهداء في يوم عاشوراء، رثاؤها المفجع إلى جوار جثمان أخيها المخضّب بالدماء، و مخاطبتها للنبيّ صلى الله عليه وآله في اليوم الحادي عشر من المحرّم، من الصفحات المشرقة و الخالدة في حياتها الحافلة بعظمتها وصبرها وسموّها.

و قد تولّت بعد وقعة عاشوراء رعاية ركب الأسرى بكلّ اقتدار و ثبات و أنهت مهمّتها بشجاعة و صلابة و دراية.[١]

٩. سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام

كانت تبلغ من العمرِ في كربلاء حوالي تسع سنوات، و كانت حديثة العهد بالزواج، واستشهد زوجها عبدالله بن الحسن عليه السلام في كربلاء، و كان الإمام الحسين عليه السلام يضمر لها حبّاً كبيراً، و قد عبّرالإمام عليه السلام عن حبّه لها في شعره[٢]. و قد ذهبت في عداد الأسرى إلى الكوفة و الشام ثمّ إلى المدينة و عاشت فيها، و كان لها دور مؤثّر خلال سبيها، و منه مخاطبتها ليزيد قائلة: يا يزيد، أَتُسبى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقلبت مجلس يزيد.

كانت سكينة حسنة الخلق، جميلة، عفيفة، من أهل الشعر و الأدب، و من رواة الحديث، تجالس الأجلّة من قريش، وتجتمع إلَيهَا الشّعراء.[٣]

---

١. راجع: ج ٥ ص ١٨٨ (القسم التاسع /الفصل السادس /الأسرى من نساء بني هاشم /السيّدة زينب الكبرى عليها السلام بنت أميرالمؤمنين).

٢. راجع: ج ١٠ ص ٤٩١ (الفصل السابع: دور المرأة في واقعة كربلاء /الرباب، زوجة الإمام الحسين عليه السلام).

٣. راجع: ج ١ ص ٢٥٠ (القسم الأوّل / الفصل السادس / سكينة).

١٠. فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام

كانت زوجة الإمام زين‌العابدين عليه السلام و أُمّ الإمام الباقر عليه السلام وجدّة سائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام. و قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في حقّها:

أنّها كانت صدّيقة لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها.[١]

و كانت من بين السائرين في الركب خلال سفر السبي القاسي.[٢]

١١. فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام

هي البنت الكبرى للإمام الحسين عليه السلام و زوجة الحسن المثنى ابن الإمام المجتبى عليه السلام. قال الإمام الحسين عليه السلام فيها:

هِيَ أكثَرُهُما شَبَهاً بِأُمّي فاطِمَةَ بِنتَ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله.[٣]

جرح زوجها في كربلاء و وضع بين الشهداء و لكن تبيّن بعد نهاية الحرب أنّه حيّ؛ ذلك لأنّ بعض أخواله في جيش عمر بن سعد كانوا قد حالوا دون قتله.

ذهبت فاطمة إلى الكوفة و الشام في ركب السبايا، و روت بعض الأحداث المتعلقة بالخيم و مجلس يزيد، و تنسب إليها خطبة في الكوفة.[٤]

١٢. فاطمة بنت الإمام عليّ عليه السلام

كانت تسمّى «فاطمة الصغرى» أيضاً و شهدت كربلاء مع زوجها الشهيد أبي سعيد بن عقيل، ثمّ سبيت فيمن سبي من عيال الإمام الحسين عليه السلام، و كانت من رواة

---

١. الكافي: ج ١ ص ٤٦٩ ح ١.

٢. راجع: ج ٥ ص ١٩٢ (القسم التاسع /الفصل السادس /الأسري من نساء بني هاشم /فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام).

٣. راجع: ج ١ ص ٢٤٦ ح ٢١٢.

٤. راجع: ج ١ ص ٢٤٤ (القسم الأوّل /الفصل السادس /فاطمة).

أحداث كربلاء.[١]

١٣. أسماء، زوجة المختار

يروي لنا اليعقوبي في تأريخه في شأنها:

أنّ مصعب بن زبير أخذ أسماء بنت النعمان بن بشير امرأة المختار، فقال لها: ما تقولين في المختار بن أبي عبيد؟ قالت: أقول: إنّه كان تقيّاً، نقيّاً صوّاماً، قال: يا عدوّة الله، أنت ممّن يزكّيه؟! فأمر بها فضرب عنقها، و كانت أوّل امرأة ضرب عنقها صبراً.[٢]

١٤. أسماء زوجة الوليد بن عتبة

جاء في الطبقات لابن سعد: أنّ زوج أسماء الذي كان والياً على المدينة طلب في مجلس له من الإمام الحسين عليه السلام أن يبايع يزيد، فحدثت مشاجرة بينه وبين الإمام عليه السلام. و عندما رجع الوالي إلى داره، لامته زوجته و وبّخته؛ لأنّه كان قد أساء القول مع الإمام الحسين عليه السلام.[٣]

١٥. أمّ عبدالله، زوجة مالك بن النُسَير

كان مالك بن النسير من جملة من هاجموا الإمام عليه السلام، و قد نهب خوذة الإمام عليه السلام بعد أن ضرب رأسه، و حملها معه إلى داره، و أبدت زوجته انزعاجها الشديد من الهديّة

---

١. راجع: ج ٥ ص ١٩٢ (القسم التاسع /الفصل السادس /الأسرى من نساء بني هاشم /فاطمة بنت الإمام عليّ عليه السلام) و ص ٢٦٥ (الفصل السابع /آل الرسول صلى الله عليه وآله في حبس يزيد) و ص ٢٨٢ (الفصل الثامن /تأهّب آل الرسول صلى الله عليه وآله للرجوع إلى المدينة).

٢. تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٦٤.

٣. الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة): ج ١ ص ٤٤٢، تهذيب الكمال: ج ٦ ص ٤١٤، تاريخ دمشق: ج ١٤ ص ٢٠٦، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٦ ص ٢٦٠٧. وراجع: هذه الموسوعة: ج ٢ ص ٣٨٩ (القسم السابع /الفصل الأوّل /ما جرى بين الإمام عليه السلام و الوليد لأخذ البيعة).

التي أتى بها إلى البيت.[١]

١٦. أُمّ وهب، زوجة عبدالله بن عمير الكلبي

هي المرأة الوحيدة التي نالت و سام الشهادة في كربلاء. و عندما أعلن زوجها الشجاع عن نيّته في الانضمام إلى جيش الإمام عليه السلام، شجّعته و طلبت منه الذهاب معه[٢]. و قد روى لنا الطبري في تأريخه قصّة هذه السيّدة في يوم عاشوراء كالتالي:

أخَذَت أُمُّ وَهبٍ امرَأَتُهُ عَموداً، ثُمَّ أقبَلَت نَحوَ زَوجِها تَقولُ لَهُ: فِداك أبي و أُمّي! قاتِل دونَ الطَّيبينَ ذُرِّيةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَأَقبَلَ إلَيها يرُدُّها نَحوَ النِّساءِ، فَأَخَذَت تُجاذِبُ ثَوبَهُ، ثُمَّ قالتَ: إنّي لَن أدعَك دونَ أن أموتَ مَعَك.

فَناداها حُسينٌ عليه السلام فَقالَ: جُزيتُم مِن أهلِ بيتٍ خيراً، ارجِعي رَحِمَك الله إلَى النِّساءِ فَاجلِسي مَعَهُنَّ، فَإنَّهُ لَيسَ عَلَى النِّساءِ قِتالٌ. فَانصَرَفَت إلَيهِنَّ ...

... وحُمِلَ عَلى حُسَينٍ عليه السلام و أصحابِهِ مِن كلِّ جانِبٍ، فَقُتِلَ الكلبِيُّ، ... و خَرَجَتِ امرَأَةُ الكلبِيِّ تَمشي إلى زَوجِها حَتّى جَلَسَت عِندَ رَأسِهِ تَمسَحُ عَنهُ التُّرابَ و تَقولُ: هَنيئاً لَك الجَنَّةُ، فَقالَ شِمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ لِغُلامٍ يسَمّى رُستَمَ: اِضرِب رَأسَها بِالعَمودِ، فَضَرَبَ رَأسَها فَشَدَخَهُ، فَماتَت مَكانَها.[٣]

و الجدير بالذكر أنّ الصدوق نقل لنا في الأمالي عن أُمّ وهب أُخرى حادثة لها وجوه شبه و اختلاف مع نقل الطبري و كما طرح بعض الباحثين، فقد تكونان امرأة واحدة[٤] و في هذه الحالة يترجّح من وجهة نظرنا نقل الطبري. و إليك قسماً ممّا نقله الصدوق في الأمالي:

---

١. راجع: ج ٤ ص ٤٠٤ ح ١٩٥٣.

٢. راجع: ج ٤ ص ٢٢٥ (القسم الثامن /الفصل الثالث /عبدالله بن عمير الكلبي).

٣. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٣٠ ـ ٤٣٨ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٤ ص ٢٢٨ ح ١٧٢٨.

٤. راجع: قاموس الرجال: ج ١٠ ص ٤٤٨ و ٤٥٠ و ٤٥٦، سخنان حسين بن على از مدينه تا كربلاء للنجمي: ص ١٩٥.

وبَرَزَ ... وَهبُ بنُ وَهبٍ، و كانَ نَصرانِياً أسلَمَ عَلى يدَيِ الحُسَينِ عليه السلام هُوَ و أُمُّهُ، فَاتَّبَعوهُ إلى كربَلاءَ، فَرَكبَ فَرَساً، و تَناوَلَ بِيدِهِ عودَ الفُسطاطِ، فَقاتَلَ و قَتَلَ مِنَ القَومِ سَبعَةً أو ثِمانِيةً، ثُمَّ استُؤسِرَ.

فَأُتِيَ بِهِ عُمَرَ بنَ سَعدٍ (لَعَنَهُ اللهُ)، فَأَمَرَ بِضَربِ عُنُقِهِ، فَضُرِبَت عُنُقُهُ، و رُمِيَ بِهِ إلى عَسكرِ الحُسَينِ عليه السلام، و أَخَذَت أُمُّهُ سَيفَهُ و بَرَزَت.

فَقالَ لَهَا الحُسَينُ عليه السلام: يا أُمَّ وَهبٍ، اجلِسي فَقَد وَضَعَ اللهُ الجِهادَ عَنِ النِّساءِ، إنَّك وَابنَك مَعَ جَدّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فِي الجَنَّةِ ... .[1]

و روى لنا الخوارزمي[2] في مقتله قصّة أُمّ وهب بن وهب النصراني، رواية تشبه تلك التي نقلها الطبري حول أُمّ وهب زوجة عبدالله بن عمير؛ أي إنّها استشهدت على يد غلام شمر.[3]

١٧. ابنة عبدالله بن عفيف

لمّا انتقد والدها الشيخ الكبير و الضرير، المجاهدُ، عبدُ الله بن عفيف الأزدي، ابنَ زياد في مسجد الكوفة، و داهم بعد ذلك جلاوزة عبيدالله داره، كانت خير ناصر و معين لأبيها؛ فقد أخبرته بهذا الهجوم، ثمّ جاءت بسيفه وناولته إيّاه، و كانت ترشده إلى الجهة التي يهجم منها الأعداء، و ظلّت معه حتّى شهادته.[4]

١٨. دُلهُم، زوجة زُهَير

انطلق زوجها زهير الذي لم تكن له رابطة وثيقة مع أهل البيت عليهم السلام من قبل على إثر تشجيع هذه المرأة له للقاء الإمام الحسين عليه السلام، و أصبح بعد ذلك في عداد أخصّ

---

١. الأمالي للصدوق: ص ٢٢٥ ح ٢٣٩ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٤ ص ٢٥١ ح ١٧٥١.

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج ٢ ص ١٢ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٤ ص ٢٥٢ ج ١٧٥٤.

٣. راجع: ج ٤ ص ٢٥٠ (القسم الثامن /الفصل الثالث /وهب بن وهب).

٤. راجع: ج ٥ ص ١٧٠ (القسم التاسع /الفصل السادس /وقوف عبدالله بن عفيف أمام ابن زياد، فوزه بالشهادة).

أصحاب الإمام، و من الشهداء البارزين في وقعة كربلاء. و تفيد بعض النقول أنها طلبت من زوجها عند وداعه أن يذكرها عند جدّ الحسين عليه السلام.[١]

١٩. ريا، مرضعة يزيد

روت هذه المرأة بعض جرائم يزيد رغم كبر سنها. و قد جاء في سير أعلام النبلاء، نقلاً عن حمزة بن يزيد:

قالت (ريا): دخل رجل على يزيد، فقال: أبشر، فقد أمكنك الله من الحسين، وجيء برأسه. قال: فوضع في طست... فقلت لها: أقَرَعَ ثناياه بقضيب؟ قالت: إي والله.[٢]

٢٠. نساء أهل بيت يزيد و معاوية

لم تؤيّد هؤلاء النسوة عمل يزيد، و تعاطفن مع أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام. و قدجاء في أمالي الصدوق:

أُدخل نساء الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية، فصحن نساء آل يزيد و بنات معاوية و أهله، و ولولن و أقمن المأتم.[٣]

٢١. نساء أهل الكوفة

بكت الكوفيّات بشدّة عندما استقبلن سبايا أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، و كنّ يعبّرن عن مشاعرهنّ بالبكاء و الحزن و الأسى. و قد جاء في بلاغات النساء:

عن حذام الأسدي و مرّةً أُخرى حذيم: قدمت الكوفة سنة إحدى و سِتّين، و

---

١. راجع: ج ٣ ص ٣٣٨ (القسم السابع /الفصل السابع /دعوة الإمام عليه السلام زهير بن القَين لنصرته في زرود).

٢. سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣١٩ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ١٠٩ (القسم التاسع /الفصل الرابع /دمشق).

٣. الأمالي للصدوق: ص ٢٣٠ ح ٢٤٢ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ٢٧٥ (القسم التاسع /الفصل الثامن /إذن إقامة المأتم للشهداء).

هي السّنة الّتي قتل فيها الحسين عليه السلام، فرأيت نساء أهل الكوفة يومئذٍ يَلتَدِمنَ[١] مهتّكات الجيوب.[٢]

و جاء في الملهوف: فضجّ الناس بالكباء و النحيب و النوح، و نشر النساء شعورهنّ، و حثين التراب على رؤوسهنّ، و خمشن وجوههنّ، و لطمن خدودهنّ، ودعونَ بالويل و الثّبورِ، فَلَم يُرَ باكية و باك أكثر من ذلك اليوم.[٣]

٢٢. نساء أهل المدينة

عندما وصل سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى مدخل المدينة المنوّرة، خرج أهل المدينة نساء ورجالاً و قد أخذ منهم الحزن كلّ مأخذ، و أجهشوا ببكاء شديد، و قدّموا التعازي لهؤلاء السبايا.

ينقل السيّد ابن طاووس عن بشير أنّه قال:

فلم أر باكياً ولا باكيةً أكثر من ذلك اليوم، و لا يوماً أمرَّ على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.[٤]

٢٣. النساء الراويات لخبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله

أنبأ النبيّ صلى الله عليه وآله استناداً إلى الأسرار الغيبية، بعض الأشخاص بأخبار مختلفة حول استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و واقعة كربلاء. و النساء اللواتي سمعن هذه الأخبار من

---

١. التدمتِ المرأة: ضربت صدرها ووجهها (المعجم الوسيط: ص ٨٣٥ «لدم»).

٢. بلاغات النساء: ص ٣٧ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ١٤١ ح ٢٢٧٢.

٣. الملهوف: ص ١٩٨ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ١٤٠ (القسم التاسع /الفصل السادس /كيفية دخول حرم الرسول صلى الله عليه وآله الكوفة).

٤. الملهوف: ص ٢٢٧ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ٣٠٠ (القسم التاسع /الفصل الثامن / قدوم آل الرّسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة).

النبيّ ﷺ و نقلنها هنّ: أُمّ سلمة[١]، سلمى[٢] زوجة أبي رافع[٤]، زينب بنت جحش[٥]، صفية بنت عبدالمطّلب[٦] و عائشة بنت أبي بكر.[٧]

٢٤. نساء منطقة كربلاء

استناداً إلى نقل السيّد ابن طاووس، فإنّ سبايا أهل بيت النبي ﷺ عندما جاؤوا إلى كربلاء في طريق عودتهم من الشام، أقاموا العزاء لبضعة أيام و كانت نساء منطقة كربلاء من جملة مَن شارك عيال الإمام الحسين ﷺ في إقامة ذلك العزاء.

٢٥. نساء همدان، كهلان، ربيعة و النَخَع

جاء في مروج الذهب:

فخلع أهل الكوفة ـ بعد يزيد ـ ولاية بني أُميّة و إمارة ابن زياد، و أرادوا أن ينصبوا لهم أميراً إلى أن ينظروا في أمرهم، فقال جماعة: عمرو بن سعد بن أبي وقّاص يصلح لها، فلمّا همّوا بتأميره أقبل نساء من همدان و غيرهنّ من نساء كهلان

---

١. راجع: ج ٢ ص ٢٧٦ (القسم السادس /الفصل الثاني /إنباؤه أُمّ سلمة بشهادته) و ص ٢٨٠ (الفصل الثاني /إنباؤه بمكان شهادته /أرض كربلاء) وص ٢٨٤ (أرض العراق) وص ٢٨٥ (إراءة النبيّ ﷺ التربة التي يسفك فيها دمه).

٢. ورد اسم «أسماء بنت عميس» في النصوص؛ إلّا أنّه كما أوضحنا في هذه الموسوعة (ج ١ ص ١٣٩) فإنّ أسماء كانت في زمن صدور هذه النقول في الحبشة مع زوجها ولم تكن في المدينة، و في الحقيقة فإنّ راوي هذه النقول هي سلمى زوجة إبي رافع.

٣. راجع: ج ٢ ص ٢٧٠ ح ٨٠٥ و ٨٠٦ و ص ٢٩٤ ح ٨٥٨.

٤. راجع: ج ٢ ص ٢٧٨ (القسم السادس /الفصل الثاني /إنباؤه زينب بنت جحش بشهادته) و ص ٢٩١ ح ٨٥١.

٥. راجع: ج ٢ ص ٢٦٩ (القسم السادس /الفصل الثاني /إنباؤه بشهادته عند ولادته).

٦. راجع: ج ٢ ص ٢٧٧ (القسم السادس /الفصل الثاني /إنباؤه عائشة بشهادته) و ص ٢٨٢ (إنباؤه بمكان شهادته /أرض الطفّ) و ص ٢٨٤ (أرض بابل) و ص ٢٨٥ (إرادة النبيّ ﷺ التربة التي يسفك فيها دمه).

٧. الملهوف: ص ٢٢٥. وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ٢٨٥ ح ٢٤٤٥.

و الأنصار و ربيعة و النخع، حتّى دَخَلنَ المسجد الجامع صارخات باكيات معولات، يندبن الحسين، و يقلن: أما رضي عمرو بن سعد بقتل الحسين حتّى أراد أن يكون أميراً علينا على الكوفة؟! فبكى الناس، و أعرضوا عن عمرو، و كان المبرّزات في ذلك نساء همدان، وقد كان عليّ عليه السلام مائلاً إلى همدان مؤثراً لهم، و هو القائل:

فلو كنت بوّاباً على بابِ جَنَّةٍ لَقُلتُ لِهَمدان ادخلوا بسلامِ

و قال:

عبيت همدان و عبّوا حميرا.[1]

٢٦. امرأة من أهل الكوفة

روي عن امرأة لم تذكر التواريخ اسمها أنّها اتّخذت هذا الموقف في الكوفة:

فأشرفت امرأة من الكوفيات، فقالت: من أيِّ الأُسارى أنتنَّ؟

فقلن: نحن أُسارى آل محمّد صلى الله عليه وآله، فنزلت من سطحها، فجمعت ملاءً و أُزراً و مقانع، فأعطتهنَّ فتغطَّينَ.[2]

٢٧. امرأة من قبيلة بكر بن وائل

جاء في حقّها أنّها دافعت عن أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله:

روى حميد بن مسلم، قال: رأيت امرأةً من بني بكر بن وائلٍ كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعدٍ، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام في فسطاطهِنَّ، و هم يسلبونهنَّ، أخذت سيفاً و أقبلت نحو الفسطاط، و قالت: يا آل بكر بن وائلٍ، أتسلب بنات رسول الله؟ لا حكم إلّا لله، يا لثارات رسول الله!

---

١. مروج الذهب: ج ٣ ص ٩٣.

٢. الملهوف: ص ١٩٠ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ١٤١ ح ٢٢٧٤ و ص ١٤٢ ح ٢٢٧٥.

فأخذها زوجها فردّها إلى رحله.[١]

٢٨. امرأة آوت غلامين من أهل بيت النبيّ ﷺ

لم نقف على اسم هذه السيّدة التي آوت غلامين من أهل بيت النبيّ ﷺ وسعت من أجل الحفاظ على حياتهما. و ذكر ابن سعد في طبقاته أنّها زوجة عبدالله بن قُطبة الطائي (من جيش عمر بن سعد)، و ذكر الصدوق في الأمالي أنّها امرأة عجوز. واعتبرت المصادر المشهورة الغلامين ولدي عبدالله بن جعفر، فيما ذكر الصدوق في الأمالي أنّهما ولدا مسلم بن عقيل.[٢]

٢٩. طوعة

و هي امرأة شجاعة نبيلة آوت مسلماً في أصعب الظروف التي تخلّى فيها عنه جميع الناس حتّى أصحابه وتركوه وحيداً في الكوفة، فاستقبلته، و لم تخش عواقب ذلك.[٣]

٣٠. عاتكة بنت يزيد

جاء في أنساب الأشراف:

بعث يزيد برأس الحسين عليه السلام إلى نسائه، فأخذته عاتكة ابنته ـ و هي أُمّ يزيد بن عبدالملك ـ فغسلته و دهنته و طيّبته.

فقال لها يزيد: ما هذا؟ قالت: بعثت إليّ برأس ابن عمّي شعثاً، فلممته و طيّبته![٤]

---

١. الملهوف: ص ١٨٠ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ١٨ ح ٢٠٢١ و ص ١٩ ح ٢٠٢٢.

٢. راجع: الملهوف: ص ١٠٨١، وهذه الموسوعة: ج ٥ ص ١٧٧ (القسم التاسع /الفصل السادس /استشهاد غلامين من أهل البيت).

٣. راجع: ج ٣ ص ١٤١ (القسم السابع /الفصل الرابع /استجارة مسلم بدار طوعة).

٤. أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤١٦ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٥ ص ١٠١ (القسم التاسع /الفصل الرابع /بعث يزيد، رأس الإمام عليه السلام إلى نسائه).

٣١. مارية

وهي من قبيلة عبد القيس، و كانت امرأة شيعية، و كانت دارها محلّاً لاجتماع محبّي الإمام الحسين عليه السلام لفترة رغم الأجواء و الظروف غيرالمناسبة التي كانت تمرّ بها البصرة، التي لم تكن توالي أهل البيت عليهم السلام. و كانت ثمرة هذه الاجتماعات، انطلاق ثلاثة من أهل البصرة ـ و هم: يزيد بن ثبيت و ابنيه عبدالله و عبيدالله ـ إلى مكّة و التحاقهم بركب شهداء كربلاء.[١]

٣٢. مرجانة، أمّ ابن زياد

وبّخت هذا المرأة ابنها لقتله الإمام عليه السلام[٢]

٣٣. النوار، زوجة كعب (قاتل بُرَير) أو أُخته

روى الطبري قائلاً:

فلمّا رجع كعب بن جابر (قاتل برير) [من المعركة] قالت له امرأته أو أُخته النوار بنت جابر: أعنت على ابن فاطمة، و قتلت سيّد القرّاء، (أي برير بن حضيرٍ)؟! لقد أتيت عظيماً من الأمر، و الله، لا أُكلّمك من رأسي كلمة أبداً.[٣]

٣٤. النوار الحضرمية، زوجة خولّي

عندما جاء خولي برأس الإمام عليه السلام إلى داره و وضعه تحت الطست، تشاجرت زوجته معه، و تركته معرضةً. و ربّما فتح هذا السلوك عين بصيرة هذه المرأة، فشهدت بعض الأسرار، و قد نقل الطبري قائلاً:

و ما هو إلّا أن قتل الحسين عليه السلام، فسرّح برأسه من يومه ذلك مع خولّي بن يزيد و

---

١. راجع: ج ٣ ص ٤٧ (القسم السابع /الفصل الثالث /لحوق يزيد بن نبيط وابنيه بالإمام عليه السلام).

٢. راجع: ج ٥ ص ٣٨٩ (القسم العاشر /الفصل الثالث /أمّ ابن زياد).

٣. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٣٢ وراجع: هذه الموسوعة: ج ٤ ص ١٦٥ ح ١٦٨٠.

حميد بن مسلم الأزدي إلى عبيدالله بن زيادٍ ، فأقبل به خولّي ، فأرادَ القصر ، فوجد باب القصر مغلقاً ، فأتى منزله ، فوضعه تحت إجانةٍ في منزله ، و له امرأتان : امرأة من بني أسد ، و الأُخرى من الحضرميّين يقال لها : النوار ابنة مالك بن عقرب ، و كانت تلك الليلة ليلة الحضرمية .

قال هشام : فحدّثني أبي عن النوار بنت مالك . قالت : أقبل خولّي برأس الحسين عليه السلام ، فوضعه تحت أجانة في الدار ، ثمّ دخل البيت ، فأوى إلى فراشه ، فقلت له : ما الخبر؟ ما عندك؟ قال : جئتك بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين معك في الدار!!

قالت : فقلت : ويلك! جاء الناس بالذهب و الفضّة ، و جئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله!! لا والله ، لا يجمع رأسي و رأسك بيت أبداً .

قالت : فقمت من فراشي ، فخرجت إلى الدار ، فدعا الأسدية ، فأدخلها إليه ، و جلست أنظر ، قالت : فوالله ، ما زلت أنظر إلى نورٍ يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة ، و رأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها . قال : فلمّا أصبح غدا بالرّأس إلى عبيدالله بن زياد .[1]

وقد أضمرت هذه المرأة الحقد لخولّي ، حتّي جاء المختار وقدم أعوانه للقبض عليه. وقد دلّتهم هذهالمرأة بالإشارة إلى موضع اختفاء خولي، فاعتقلوه، ولقي جزاءه.[2]

٣٥. زوجة شهيد و أُمّه

أرسلت هذه المرأة المضحّية ابنها الشباب إلى الميدان بعد أن استشهد زوجها مع الإمام الحسين عليه السلام . و نذكر فيما يلي قسماً ممّا نقله نقل الخوارزمي في حقّ هذه

---

١ . تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٥٥ وراجع: هذه الموسوعة : ج ٥ ص ٨٥ (القسم التاسع /الفصل الرابع /رأس الإمام عليه السلام في دار خولّي).

٢ . راجع : ج ٦ ص ٥٤ (القسم العاشر /الفصل السادس /خولّي بن يزيد).

المرأة:

خرج من بعده [أي بعد جنادة الأنصاري] عمرو بن جنادة؛ شابّ قتل أبوه في المعركة، و كانت أُمُّهُ عنده، فقالت: يا بني، اخرج فقاتل بين يدي ابن رسول الله حتّى تقتل، فقال: أفعل!

فقال الحسين عليه السلام: هذا شابّ قتل أبوه، و لعلّ أُمّه تكره خروجه، فقال الشاب: أُمّي أمرتني يابن رسول الله [أن أدخل المعركة ...].

وقد جاء فيما تبقّى من هذا النقل أنّها رمت رأس ابنها نحوالعدو عندما أُلقي إليها، ثمّ حملت هي نفسها عموداً و هاجمت العدو به.

وذكر الخوارزمي في آخر الرواية:

فأمر الحسين عليه السلام بصرفها و دعا لها.

٣٦. هند، زوجة يزيد

و كانت هذه المرأة ممّن وبّخ يزيد بن معاوية (لعنه الله) على قتله الإمام عليه السلام.[١]

---

١. راجع: ج ٥ ص ٢٦٧ (القسم التاسع /الفصل السابع /احتجاج نساء يزيد عليه).

الفهرس التفصيلي

المدخل ٧

الفصل الأوّل: مقتل سيّد الشهداء برواية أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري في تاريخه ٧

الفصل الثاني: مقتل سيّد الشهداء برواية الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد ٨

الفصل الثالث: مقتل سيّد الشهداء برواية أبي عبد الله أحمد بن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح ٨

الفصل الرابع: مقتل سيّد الشهداء برواية السيّد ابن طاووس في كتاب الملهوف ٨

الفصل الخامس: مقتل سيّد الشهداء برواية أبي جعفر محمّدبن عليّ بن بابويه المعروف بالصدوق... ..... ٨

الفصل السادس: مقتل سيّد الشهداء برواية أبي الفرج عليّ بن الحسين في كتاب مقاتل الطالبيين ٩

الفصل السابع: دور المرأة في واقعة عاشوراء ٩

الفصل الأوّل: مقتل سيّد الشهداء برواية تاريخ الطبري ١١

خلافة يزيد بن معاوية ١٢

ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد ١٨

ذكر الخبر عن ذلك ١٨

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيّين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل عليه السلام ٢٢

ذكر من قال ذلك ٢٤

رجع الحديث إلى حديث عمّار الدهني، عن أبي جعفر ٢٥

ذكر مسير الحسين إلى الكوفة ٦١

ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان من أمره في مسيره ذلك ٦١
ثمّ دخلت سنة إحدى وستّين ٨٠
ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث ٨٠
ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام وعدد من قتل من كلّ قبيلة من القبائل التي قاتلته ١٥٠
الفصل الثاني : مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب الإرشاد للمفيد ١٥٥
باب ذكر الإمام بعد الحسن بن عليّ عليه السلام وتاريخ مولده ، ودلائل إمامته ، ومبلغ سنّه ، ومدّة ١٥٦
خلافته ، ووقت وفاته وسببها ، وموضع قبره ، وعدد أولاده ، ومختصر من أخباره ١٥٦
باب طرف من فضائل الحسين عليه السلام وفضل زيارته وذكر مصيبته ٢٢٤
باب ذكر ولد الحسين بن عليّ عليهما السلام ٢٢٨
الفصل الثالث : مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب الفتوح ٢٢٩
قال [ابن أعثم] ٢٣٠
ذكر الكتاب إلى أهل البيعة بأخذ البيعة ٢٣٣
ذكر كتاب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة ٢٤٢
ذكر وصيّة الحسين بن عليّ إلى أخيه محمّد ابن الحنفية ٢٤٤
وصيّة الحسين عليه السلام لأخيه محمّد عليه السلام ٢٤٥
ذكر أخبار الكوفة وما كان من كتبهم إلى الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ٢٥٠
ذكر الكتاب الأوّل إلى الحسين عليه السلام ٢٥١
ذكر الكتاب الثاني ٢٥٢
ذكر كتاب الحسين بن عليّ إلى أهل الكوفة ٢٥٢
ذكر خروج مسلم بن عقيل عليه السلام نحو العراق ٢٥٣
ذكر نزول مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة إليه للبيعة ٢٥٤
ذكر مسير عبيد الله بن زياد ونزوله الكوفة وما فعل بها ٢٥٨
ذكر هانئ وعبيد الله بن زياد ٢٦٤

ذكر مسلم بن عقيل؛ وخروجه على عبيد الله بن زياد ٢٦٧
ذكر دخول مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد وما كان من كلامه وكيف قتل؟ ٢٧٢
ذكر هانئ بن عروة ومقتله بعد مسلم بن عقيل رحمهما الله تعالى ٢٧٥
ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية ٢٧٦
ابتداء أخبار الحسين بن عليّ عليه السلام ٢٧٧
ذكر مسير الحسين عليه السلام إلى العراق ٢٨٢
قصّة عبيد الله بن الحرّ الجعفي ٢٨٥
ذكر الحرّ بن يزيد الرياحي لمّا بعثه عبيدالله بن زياد لحربه الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) ٢٨٧
ذكر كتاب الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة ٢٩٢
ذكر نزول الحسين عليه السلام بكربلاء ٢٩٥
ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين بن عليّ عليه السلام ٢٩٨
ذكر ابتداء الحرب بين الحسين وبين القوم ٣١٠
ذكر الذين قتلوا بين يدي الحسين بن عليّ ٣١١
ذكر كلام زينب بنت عليّ رضي الله عنها ٣٢٨
ذكر دخول القوم على عبيد الله بن زياد ٣٢٩
ذكر عبدالله بن عفيف الأزدي وردّه على ابن زياد ومقتله رحمه الله ٣٣١
ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ٣٣٤
الفصل الرابع: مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب الملهوف ٣٤٣
المسلك الأوّل: في الأُمور المتقدّمة على القتال ٣٤٤
المسلك الثاني: في وصف حال القتال وما يقرب من تلك الحال ٣٦٧
المسلك الثّالث: في الأُمور المتأخّرة عن قتله عليه السلام ٣٨٨
الفصل الخامس: مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب الأمالي للصدوق ٤١٧
المجلس السابع والعشرون ٤١٨
المجلس الثامن والعشرون ٤٢٣

المجلس التاسع والعشرون ٤٢٧
المجلس الثلاثون ٤٣٣
المجلس الحادي والثلاثون ٤٤٥
الفصل السادس : مقتل سيّد الشهداء برواية كتاب مقاتل الطالبيين ٤٥١
ذكر خبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب ومقتله ومن قتل معه من أهله ٤٥٢
فمنهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٣
وعليّ بن الحسين وهو عليّ الأكبر ولا عقب له ٤٥٣
وعبدالله بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٤
وجعفر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٥
وعثمان بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٥
والعبّاس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٦
ومحمّد الأصغر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٧
وأبو بكر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٧
وأبو بكر... بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٨
والقاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٨
وعبدالله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٥٩
وعبدالله بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٦٠
وعون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الأكبر ٤٦١
ومحمّد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ٤٦١
وعبيد الله بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ٤٦٢
وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب ٤٦٢
وجعفر بن عقيل بن أبي طالب ٤٦٢
وعبدالله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب ٤٦٢
ومحمّد بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب ٤٦٣

وعبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب ٤٦٣
ومحمّد بن أبي سعيد الأحول بن عقيل بن أبي طالب ٤٦٣
ثمّ نرجع إلى ذكر خبر الحسين بن عليّ ومقتله صلوات الله عليه ٤٦٣
رجع الحديث إلى مقتله صلوات الله عليه ٤٧٨
الفصل السابع : دور المرأة في واقعة كربلاء ٤٨٥
أ ـ المقدّمة والتحليل ٤٨٦
١. إيصال رسالة ٤٨٧
٢. المشاركة في المعركة ٤٨٨
٣. رفع المعنويّات ٤٨٨
٤. توبيخ الظالمين و تأنيبهم ٤٨٨
٥. إيواء ونصرة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ٤٨٨
٦. الإدارة ٤٨٩
٧. تعميق البُعد العاطفي و المأساوي لوقعة كربلاء ٤٨٩
ب ـ النصوص التاريخية المتعلّقة بالنساء ٤٩٠
١. أُمّ البنين ٤٩٠
٢. أُمّ سلمة ٤٩٠
٣. أُمّ كلثوم ، ابنة الإمام عليّ عليه السلام ٤٩١
٤. الرباب ، زوجة الإمام الحسين عليه السلام ٤٩١
٥. رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام ٤٩٢
٦. نساء بني عقيل ٤٩٣
٧. نساء بني هاشم ٤٩٣
٨. زينب الكبرى عليها السلام ٤٩٤
٩. سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام ٤٩٤
١٠. فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام ٤٩٥

١١. فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام ٤٩٥
١٢. فاطمة بنت الإمام عليّ عليه السلام ٤٩٥
١٣. أسماء، زوجة المختار ٤٩٦
١٤. أسماء زوجة الوليد بن عتبة ٤٩٦
١٥. أُمّ عبدالله، زوجة مالك بن النُسَير ٤٩٦
١٦. أُمّ وهب، زوجة عبدالله بن عمير الكلبي ٤٩٧
١٧. ابنة عبدالله بن عفيف ٤٩٨
١٨. دُلَهُم، زوجة زُهَير ٤٩٨
١٩. ريا، مرضعة يزيد ٤٩٩
٢٠. نساء أهل بيت يزيد و معاوية ٤٩٩
٢١. نساء أهل الكوفة ٤٩٩
٢٢. نساء أهل المدينة ٥٠٠
٢٣. النساء الراويات لخبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله ٥٠٠
٢٤. نساء منطقة كربلاء ٥٠١
٢٥. نساء همدان، كهلان، ربيعة والنَخَع ٥٠١
٢٦. امرأة من أهل الكوفة ٥٠٢
٢٧. امرأة من قبيلة بكر بن وائل ٥٠٢
٢٨. امرأة آوت غلامين من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ٥٠٣
٢٩. طوعة ٥٠٣
٣٠. عاتكة بنت يزيد ٥٠٣
٣١. مارية ٥٠٤
٣٢. مرجانة، أُمّ ابن زياد ٥٠٤
٣٣. النوار، زوجة كعب (قاتل بُرَير) أو أُخته ٥٠٤
٣٤. النوار الحضرمية، زوجة خولّي ٥٠٤
٣٥. زوجة شهيد وأُمّه ٥٠٥
٣٦. هند، زوجة يزيد ٥٠٦